تاريخ الوطن العربى
عبر العصور

(التاريخ الثقافى)

حصاد (١٦)

ندوة عقدها

اتحاد المؤرخين العرب

بمقره فى القاهرة

١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م

تم الجمع والإخراج الداخلى والخارجى فى :

دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

٥ شارع ترعة المريوطيـة – عمارات شركة الخليـج

تليفون وفاكس / ٣٣٨٧١٦٩٣

الموقع الالكتروني WWW.Dar -Ein.com

المحتويـات

كلمـة الافتـتـاح ٥

برنامج الندوة ٧

القصيدة الشعرية ١١

الرواد المكرمون ١٣

أ.د. حياة ناصر الحجى

أنماط من أنشطة المرأة فى التعلم والسيـاسـة ١٥

د. نبيلة حسانى عبد الشكور

المرأة والتعليم فى المغرب الإسلامى بين الموافقة والمعارضة ٣١

أ.د. شكران عبد الرحمن خرموطلى

إسهامات المرأة العلمية فى بلاد الشام فى العصرين الأيوبى والمملوكى ٤٥

د. محمد أحمد الكامل

الدور العلمى للمدرسة الأشرفية فى اليمن ٦٣

د. سيد محمود محمد عبد العال

مدارس الإسكندرية فى العصر الفاطمى وأثرها فى نشر الثقافة العربية الإسلامية... ١١١

أ.د. رأفت غنيمى الشيخ

ميثاق الوحدة الثقافية العربية ١٦٣

أ.د. السمانى النصرى محمد أحمد

الخلوة والمسيد ودورهما فى نشر الثقافة العربية فى السودان ١٧٩

د. كرم كمال الدين الصاوى

المعممون السودانيون فى الأزهر الشريف ودورهم الدينى

والثقافى فى عصر دولة سلاطين المماليك..... ١٩٥

أ.د. ماجدة عبده النويعمي

الكلاسيكيات في الثقافة العربية ٣٧٧

د. عائشة عبد العزيز التهامي

السحر والتعويذة في أوراق البردي والكاشد ٢٩٧

د. برغش خالد الجنفاوي

تطور التعليم في الكويت قبيل الاستقلال ٣٢١

كلمة الافتتاح

يسعد اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة نشر حصاد ندوته السنوية السادسة عشرة التي عقدت في يومي ١٤-١٥ من ذي القعدة ١٤٢٩هـ / ١٢-١٣ ديسمبر ٢٠٠٨م وعنوانها : (تاريخ الوطن العربي عبر العصور : التاريخ الثقافي) .

ومن المعروف أن الثقافة هي الوجه البارز للحضارة ، أو هي الوجه الإعلامي لحضارة ما ، وهي الدلالة على مدى التقدم الذي أحرزه أثناء هذه الحضارة، أو على مدى التخلف المادي الذي يعانون منه . ولا يعني التقدم أو التخلف هنا التقدم والتخلف المادي أو الاقتصادي : فليس الاقتصاد هو المعيار الوحيد لقياس التقدم أو التخلف الحضاري . فإن أردنا أن نعرف حضارة شعب ما فانظر في الثقافة السائدة بين أفراده .

وقد شارك في فعاليات هذه الندوة ٢٥٠ عضوا من أعضاء الاتحاد قدموا من مختلف بقاع الوطن العربي من مصر والسعودية والجزائر والكويت والإمارات واليمن وعمان والبحرين وقطر والسودان وتونس والأردن وليبيا . وألقى المشاركون في الندوة الأضواء على أهم عوامل نشأة الثقافة العربية عبر العصور، ودور الأزهر الشريف ، وإسهامات المرأة العربية في هذا المجال، وغير ذلك من الموضوعات .

ودارت مناقشات علمية حادة بين مؤرخي الوطن العربي حول بعض المحاور منها : مواجهة التحديات التي تواجه الثقافة العربية في عالمنا المعاصر ، والتصدي للافتراءات والأكاذيب التي يطلقها بعض المستشرقين والباحثين للتقليل من دور الثقافة العربية والحضارة الإسلامية في تقدم الحضارة الإنسانية وازدهارها ، وسواكة تقدم الدراسات التاريخية في معظم الجامعات الأوربية والأمريكية في السنوات الأخيرة. فلم تعد دراسة التاريخ كما كانت في

الماضي عبارة عن الحصول من حوضه أو خزائنه على حلول جاهزة ناجعة لمشاكل متكررة هي بعينها أو نظائرها . فقد أصبح التاريخ اليوم مدرسة لتخريج الإطارات السياسية . ومن أهم مقومات الشخصية . فالفهم الصحيح للتاريخ يعين على بناء الشخصية ورقيها من الذوبان الذي يهددها في عصر العولمة الثقافية . وكما أن الإنسان يحتاج إلى ذاكرة ، فهو يحتاج إلى تاريخ ؛ لأن التاريخ هو ذاكرته القومية . وكما يرضى الأفراد لفقدان الذاكرة أو اضطرابها ، كذلك تمرض الأمم والشعوب لضياع تاريخها ، أو دخول التشويه والتشويش عليه .

ومن الثابت أن التاريخ الثقافي - موضوع ندوة الاتحاد العام ٢٠٠٨ م - لايقل أهمية عن التاريخ السياسي أو التاريخ الحربي أو التاريخ الاقتصادي أو التاريخ الاجتماعي. وكان أحرى بالمشتغلين بدراسة التاريخ في جامعاتنا العربية مواكبة الأنماط الجديدة، والمناهج الحديثة في دراسة التاريخ.

ويبشر اتحاد المؤرخين العرب في القاهرة حصاد هذه الندوة ليكون الحصاد السادس عشر في سلسلة ندواته السنوية ، وليحتل مكانة متميزة في المكتبة التاريخية العربية.

وندعو الله جميعًا لما فيه رفع شأن الدراسات التاريخية في الوطن العربي، والله من وراء القصد إنه نعم المولى ونعم النصير .

أ.د. حسنين محمد ربيع

رئيس اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

برنامج الندوة

اليوم الأول الأربعاء ١٤ ذو القعدة ١٤٢٩هـ / ١٢ نوفمبر ٢٠٠٨م

الجلسة الأولى : ١٠,٠٠ صباحًا - ١٢,٣٠ ظهراً

- كلمة أ.د. حسنين محمد ربيع — رئيس الاتحاد ورئيس الندوة
- كلمة أ.د. حامد زيان غانم — أمين الصندوق

* حفل تكريم نخبة من شوامخ المؤرخين العرب .

* انتخاب ٥ أعضاء لعضوية مجلس الإدارة (ثلاثة أعضاء من الزملاء العرب وعضوان من الزملاء المصريين) .

استراحة وتناول الشاي ١٢,٣٠ - ١,٠٠ ظهراً

الجلسة الثانية : ١,٠٠ - ٢,٠٠ عصراً — **رئيس الجلسة : أ.د. عبد اللطيف بن دهيش**

أ.د. عبد الرحمن الفريح التميمي	الثقافة العربية : الأصول والروافد .
أ.د. علي بن إبراهيم النملة	الهوية الثقافية والانتماء .
أ.د. ماجدة عبده النويعمي	الكلاسيكيات في الثقافة العربية .
أ.د. محمود محمد منولي	العولمة وآثارها على الخصوصيات الثقافية .
أ.د. أيمن حمزاد السيد	فهرست ابن النديم وتاريخ التراث العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري .
د. حسين علي المصري	علاقة رجال الحديث من أهل مدينة الري ببغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين .

دعوة الغداء ٣,٠٠ - ٤,٠٠ عصراً

الجلسة الثالثة : ٤,٠٠ - ٦,٠٠ مساء — **رئيس الجلسة : أ.د. زهيدة محمد عطا**

أ.د. حياة ناصر الحجي	أنماط من أنشطة المرأة في العلم والسياسة .
أ.د. محمد حمزة الحداد	دور المرأة في الحركة العلمية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين.
د. نبيلة حسانى عمد الشكمور	المرأة والتعليم في المغرب الإسلامي .

أ.د. فاطمة حسن الصايغ	المرأة والثقافة والسلطة في دولة الإمارات .
أ.د. علي منصور نصر آل شهاب	أثر مراكز الثقافة العربية في نشأة الجامعات الأوربية .
أ.د. شكران عبد الرحمن خربوطلي	إسهامات المرأة العلمية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي.

اليوم الثاني الخميس ١٥ ذو القعدة ١٤٢٩هـ - ١٣ نوفمبر ٢٠٠٨م

الجلسة الرابعة : ١٠,٠٠ - ١٢,٠٠ صباحًا رئيس الجلسة : أ.د. أحمد بن عمر الزيلعي

أ.د. عبدالله علي الزيدان	المشهد الثقافي والعلمي في إفريقية الأغلبية في القرن الثالث الهجري
أ.د. محمد أحمد الكاملي	الدور العلمي للمدرسة الأشرفية في اليمن .
د. سيد محمود عبد العال	مدارس الإسكندرية في العصر الفاطمي ودورها في نشر الثقافة الإسلامية .
د. عبد الرحمن عديرس القنيوس	المدارس في مكة المكرمة
د. سلامة الهرفي البلوي	الأمن الثقافي في الحضارة الإسلامية : النشأة والتطور .
د. عبد الحكيم عبد الحسن محمد	المدرسة الظاهرية بتعز في ضوء الوثيقة العثمانية .

استراحة وتناول الشاي ١٢,٠٠ - ١٢,٣٠ ظهراً

الجلسة الخامسة : ١٢,٣٠ - ٢,٣٠ ظهراً رئيس الجلسة : أ.د. عبد الرحمن الأنصاري

أ.د. رأفت غنيمي الشيخ	الاتفاقات الثقافية العربية ١٩٤٥-١٩٥٦م .
د. أحمد سعود الحسن	تطور العلوم الطبيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري.
أ.د. محمود إبراهيم السعدني	مساحة مصرية ثقافية : قراءة وثيقة بردي .
د. عائشة عبد العزيز التهامي	السحر والشعوذة في أوراق البردي والكاغد .
أ.د. أحمد إبراهيم دياب	علاقة العربية (لغة وثقافة) باللغات الإفريقية.

دعوة الغداء ٢,٣٠ - ٣,٣٠ عصراً

الجلسة السادسة : ٣,٣٠ - ٥,٣٠ مساءً رئيس الجلسة : أ.د. محمد بهجت قبيسي

د. السماني النصري	الخلوة والمسيد في السودان .
د. كرم كمال الدين الصاوي	المعممون السودانيون في الأزهر الشريف
أ.د. عبد العزيز راشد السيدي	الدروس العلمية الخاصة في مكة خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين
أ.د. سعد بن حذيفة الغامدي	إحراق المقول مكتبات بغداد بين الحقيقة والاتهام.

الجلسة الختامية ٥,٠٠ - ٦,٠٠ مساء رئيس الجلسة - أ.د. حسنين محمد ربيع

- توصيات الندوة .
- اقتراح موضوع الندوة القادمة .
- مقترحات أعضاء الاتحاد .

جولة حرة

اجتماع مجلس إدارة الاتحاد : ٦,٠٠ - ٧,٣٠ مساء.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه تحية من فيض الوجدان والخاطر في لحظات معدودة وصدقها يشفع لنقصها وهي من وحي المناسبة التي تتأرجح بزكي الشذا وينبوع المودة وصدى المحبة

نظمت هذه القصيدة بمناسبة مؤتمر المؤرخين العرب
في القاهرة بتاريخ ١٢ - ١١ - ١٤٢٩هـ

من الرياض ومن بدر ومن أحـــد ... جئنا إلى النيل نبع المنهل العذب

من الجزيرة مهد العلم من قدم ... من مولد النور والآيات والكتب

من الخنيج إلى تطوان تجمعنا ... أواصر الدين والتاريخ والأدب

لله در لقانا وسط عاصمة ... سمت بها سمعة الإسلام والعرب

مسرحى لمؤتمر قد زانه كرم ... في أرضكم قد رعت بالفخر والعجب

بحثًا وعلمًا وتاريخًا ومعرفة ... بها سما سلفه على ذرى الشهب

فليعمل الكل في عزم وفي ثقة ... فالنصر للعاملين الصيد في دأب

سمت بكم همة للبحث غايتها ... تلك التواريخ صارت موضع العجب

ولتعد اليوم بالتاريخ ندعمه ... بالصدق والبحث في جد ودون كذب

تاريخنا حافل بالمجد من قدم ... وفيه ما فيه من عز ومن نوب

يا إخوة العلم يا مَنْ حضارتهم ... نور البيان بلا لغو ولا صخب

كم أنجبت أرضنا من عالم فطن ... يطيب بالذكر والتاريخ والأدب

فكان ما كان من علم ومعرفة ... لأمة العرب ذات الفضل والنسب

شادوا الحضارة والأخلاق سامقة ... ضاعت مصيرهم بالشعر والخطب

تبنى الحضارات بالأخلاق تدعمها ... وبالمكارم والتاريخ والعقب

إن المؤرخ في صدق وفي ثقة ... هو الحفيظ على الأمجاد والرتب

كل المشاهد تاريخ التعصب يعي ... فهو الأمين على الأخبار والكتب

يحقق الله آمال البلاء به ... والله يحمي الحمى للدين والحسب

الله أكبر في تاريخنا عبر ... تلكم رواتعه تسمو على الحقب

وكلنا أخوة فيما نؤمله ... فامضوا بصدق فأنتم عزة العرب

دام الوئام عميقًا في تجمعنا ... وزانه نحن هما بالفاضل اللجب

بفيض في كل نفس من مآثره ... هذا التعاون بين الإخوة النجب

يا معشر الإخوة الأحباب معذرة ... فلا تلوموننى فى القول والطنب

إني لأخلص في قولي وفي عملي ... أدعو لقومي بالتوفيق والنشب

والله يبقيكم للعلم منطلقا ... وللتواريخ في جد وفي دأب

تحية ملؤها الإخلاص معتصمة ... بالشوق والحب من نجد إلى حلب

عبدالله حمد الحقيل

عضو اتحاد المؤرخين العرب

الرواد المكرمون من نوابغ المؤرخين

فى احتفالية اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

(يوم الأربعاء ١٤ ذو القعدة ١٤٢٩هـ - ١٢ نوفمبر ٢٠٠٨م)

	اسم المكرم	جنسيته	وظيفته
١-	أ.د. أحمد إبراهيم الشعراوى	مصرى	أستاذ بكلية البنات جامعة عين شمس.
٢-	أ.د. إسماعيل عبدالله البشرى	سعودى	مدير جامعة الشارقة بدولة الامارات العربية المتحدة.
٣-	أ.د. سليمان إبراهيم العسكرى	كويتى	أمين عام المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت. سابقًا رئيس تحرير مجلة العربى.
٤-	أ.د. عبد العزيز الدورى	أردنى	أستاذ بكلية الآداب الجامعة الأردنية.
٥-	أ.د. عبد الشافى محمد عبد اللطيف	مصرى	أستاذ بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر.
٦-	أ.د. عبد اللطيف عبدالله بن دهيش	سعودى	أستاذ بقسم الدراسات العليا جامعة أم القرى بمكة المكرمة.
٧-	أ.د. محمود محمد عتونى	مصرى	أستاذ بكلية التربية جامعة قناة السويس.
٨-	أ.د. محمد عبد الرحمن برج	مصرى	أستاذ بكلية الآداب جامعة المنوفية.
٩-	أ.د. محمد الطالبى	تونسى	أستاذ بكلية الآداب والعلوم.
١٠-	أ.د. نابز نجيب اسكندر	مصرى	أستاذ بكلية الآداب جامعة بنها.

أ.د. حياة ناصر الحجي (*)

أنماط من أنشطة المرأة في العلم والسياسة

عندما يتجلى العلم في ميزان المفاضلة مع السلطة فإن النفس الذكية على الرغم من كل الصعاب تسير على الطريق الصحيح

يعتبر عصر سلطنة المماليك من أزهى عصور تاريخنا الإسلامي، وذلك لتميزه بالعطاء في مختلف أوجه الحياة الحضارية. وقد كان دور المرأة واضحًا في هذا العطاء، خاصة في مجالي السياسة والعلم. ومع أن الإسلام قد فرق بين الرجل والمرأة في بعض الحقوق مثل حق الإرث ومسألة الشهادة على الديون والمواثيق، إلا أنه من المؤكد أن الشريعة الإسلامية أعطت المرأة حقها كاملا في المجتمع الإسلامي، وحققت لها العدالة في المعاملة مع منحها حقها كاملة بوصفها الشريكة الأولى للرجل، وساعده الأيمن في تحمل أعباء الحياة. وقد تمتعت المرأة بقسط وافر من الاحترام في عصر سلاطين المماليك، والأدلة على هذا كثيرة في مصادر تاريخ هذه الحقبة.

* أستاذة بقسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الكويت

تعرضت سلطنة المماليك في مصر والشام لكثير من التهديدات العسكرية الأجنبية التي يأتي على رأسها الخطر الصليبي. لقد كانت مصر هي هدف الحملة الصليبية السابعة بقيادة الملك الفرنسي لويس التاسع، والملك الشهير هنري ثوزجنان ، ومشاركة زهرة فرسان المماليك الأوروبية في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي. لقد انحصرت أهداف هذه الحملة الصليبية في أمرين أساسيين هما: السيطرة على مصر ، واستعادة بيت المقدس التي حررها صلاح الدين الأيوبي سنة ١٢٤٤م من السيطرة الصليبية.

واستطاعت الحملة الصليبية السابعة الدخول إلى دمياط واحتلالها سنة ١٢٤٩م مما أدى إلى انزعاج الناس في مصر انزعاجًا عظيمًا، وملكت النفوس مشاعر اليأس والهزيمة. وقد كان مرض السلطان الصالح أيوب من الأسباب التي هيأت ذلك الانتصار العسكري لحملة لويس التاسع في دمياط، وتوفي السلطان الصالح ودمياط ما زالت تحت السيطرة الصليبية ، وهنا يظهر دور زوجته شجرة الدر التي لعبت دورا بارزا في التصدي للوجود الصليبي في مصر . فقد عملت أولا على إخفاء وفاة زوجها السلطان الصالح أيوب من أجل المحافظة على الاستقرار داخل البلاد، وثبات الجيش الإسلامي أمام الملك لويس التاسع الذي كان مستقرا بجيوشه في دمياط. ثم نجحت ثانيًا في مخالفة الناس لولده توران شاه الذي ما زال في بلاد الشام . ثم عمدت ثالثًا إلى إصدار المراسيم السلطانية العسكرية والإدارية بمساعدة كبار المستشارين مع توقيعها عليها بخط يشبه توقيع السلطان الصالح أيوب في سبيل تسيير أمور الدولة ، وكأن السلطان ما زال حيا يرزق . وأخيراً نجحت في إرسال نسخة الإيمان بالولاء إلى كافة حكام الأقاليم الشامية والمصرية ليحلفوا لابن زوجها المعظم توران شاه لتولي الحكم بعد والده السلطان الصالح أيوب .

وكانت شجرة الدر في تدبير كل ذلك في سرية وحكمة «ذات رأي وشهامة» على حد قول المؤرخ ابن تغرى بردى[١١]، كما يقول المقريزي «إنه لم يعلن عن وفاة السلطان الصالح أيوب إلا بعد قدوم ولده السلطان المعظم توران شاه وتزوده في قصر أبيه » بل كانت الأمور على حالها، والدهليز الصالحي والسماط، ومجيء الأمراء للخدمة على ما كان عليه أيام حياته (الصالح أيوب) وشجرة الدر تدبر أمور الدولة كلها وتقول : «السلطان مريض ما إليه وصول ، فلم يتغير عليها شيء»[١٢].

ولكن السلطان المعظم توران شاه لم يحفظ لزوجة أبيه فضل تدبير الأمور والمحافظة على

استقرار الأوضاع إلى حين حضوره وتسلمه مقاليد السلطة فعمل على إهانتها ومطالبتها بما لديها من جواهر . ولكن شجرة الدر التي تميزت بحكمتها عمدت إلى مهادنته إلى أن يتم زوال الخطر الصليبي في المنصورة ودمياط، وهو الأمر الذي كان يشغلها منذ الأيام الأخيرة للصالح أيوب. وقد كان لتمسكها هذا بالغ الأثر على استقرار الوضع السياسي في مصر إلى أن تم النصر للمسلمين في المنصورة، ومنى الصليبيون بهزيمة منكرة تضمنت وقوع الملك الفرنسي لويس التاسع في الأسر سنة ١٢٥٠م. عندئذ عملت شجرة الدر بمعاونة بعض الأمراء المماليك المخلصين لها الناقمين على السلطان توران شاه لإهانته لها على التخلص من توران شاه قتلا .

ولاشك في أن الفضل الكبير لهذا النصر الساحق الذي حققه المسلمون ضد الصليبيين مع أسر قائدهم لويس التاسع يعود بالدرجة الأولى إلى حكمة شجرة الدر ، وحسن تدبيرها ، وفطنتها السياسية فنجحت في استمرار حالة الاستقرار الداخلي في البلاد ، مع شحذ النفوس بمشاعر الجهاد الإسلامي من أجل تطهير البلاد من الصليبيين ، ونصرة الإسلام والمسلمين.

وقد قال فيها المؤرخ ابن تغري بردي : «وأيامها غالبه تدبير الديار المصرية في حياة سيدها الملك الصالح وفي مرضه وبعد موته، والأمور تديرها على أكمل وجه »[١٣].

وقد اتفق كبار الأمراء المماليك بعد التخلص من توران شاه على سلطنة شجرة الدر «لحسن سيرتها، وغزير عقلها، وجودة تدبيرها»[١٤]. وهكذا أصبحت شجرة الدر سلطانة دولة المماليك سنة ١٢٥٠م تحت لقب «أم خليل المستعصمية» أو «عصمة الدنيا والدين» كما هو منقوش على قبة جامعها، حيث دفنت بعد وفاتها. وصارت التواقيع تبرز من قلعة الجبل وعلامتها عليها «والدة خليل» وخطب لها على منابر مصر والقاهرة، ونقش اسمها على السكة : «المستعصمية الصالحية، ملكة المسلمين، والدة الملك المنصور خليل أمير المؤمنين»[١٥]. وكان الخطباء في المساجد يقولون في الدعاء : «اللهم وأدم سلطان الستر الرفيع، والحجاب المنيع، ملكة المسلمين ، والدة الملك خليل »، وبعضهم يقول بعد الدعاء للخليفة العباسي : «واحفظ اللهم الجهة الصالحية ملكة المسلمين، عصمة الدنيا والدين، أم خليل المستعصمية صاحبة الملك الصالح»[١٦].

وبعد أن استقرت جميع الأوضاع لصالح حكم شجرة الدر بدأت مفاوضاتها مع الملك الفرنسي الأسير في بيت القاضي ابن لقمان في المنصورة، حيث تم الاتفاق على خروج الصليبيين من دمياط وتسليمها للقيادة الإسلامية ، وإطلاق سراح الملك لويس التاسع مقابل

فدية قدرها أربعمائة ألف دينار. حيث غادر مع بقايا عسكره وأسرته إلى عكا في الساحل السوري. ودخل العلم الإسلامي إلى دمياط، ورفع على السور، وأعلن بكلمة الإسلام وشهادة الحق، فكانت مدة استيلاء الصليبيين عليها أحد عشر شهراً وتسعة أيام. وبهذا يعود الفضل الكبير إلى السلطانة شجرة الدر والجيش الإسلامي في تحرير هذه البقاع المصرية من أيدي الصليبيين. وبادرت البشائر إلى القاهرة وكافة الأقاليم بسيطرة المسلمين على دمياط، فضربت البشائر، وأعلن النابس السرور والفرح، وعادت العساكر إلى القاهرة، فوزعت شجرة الدر الأموال والألقاب على الأمراء وأرباب الدولة ومقدمي العساكر.

ولكن أمراء الأقاليم في بلاد الشام رفضوا الخلف للسلطانة شجرة الدر، لكونها امرأة ولاتنتمي إلى البيت الأيوبي، فاتفقت شجرة الدر مع الأمراء المماليك على أن تتزوج قائد الجيش المعز أيبك وتتنازل له عن الحكم، فكانت مدة دولتها ثمانين يومًا. وقد حرصت طيلة فترة زواجها من المعز أيبك على مدى سبع سنوات على سك النقود باسمها واسم عز الدين أيبك، وأن لاتخرج أية وثيقة رسمية من القصر دون توقيعهما المشترك.

لقد كان لهذه السلطانة شرف التاريخ، كما استحقت العلامات المؤكدة للسلطة: وهي الخطبة وسك النقود، فكانت أكثر السلطانات المسلمات شهرة، ولم ينسها المؤرخون أبدا.

بالإضافة إلى ذلك فقد شهد عصر سلاطين المماليك أدلة واقعية كثيرة تثبت دور نساء السلاطين والأمراء في شئون الدولة لهدف الاستقرار والعدالة. فلقد قنعت أم السلطان السعيد بركة ابن الظاهر بيبرس بنفوذ عظيم بين أمراء الدولة، ولذا وعندما نشب الخلاف الشديد سنة ١٢٧٧م بين السلطان السعيد بركة وأمرائه لم يجد خيرا من أمه ليبعث بها للتفاوض مع الأمراء في الصلح، فأظهروا لها التبجيل والاحترام، وتوصلت معهم إلى شروط اتفقوا عليها من أجل إخماد الفتنة، واستقرار البلاد.

كذلك كانت خوند جلبان زوجة السلطان الأشرف برسباي التي «عظمت حرمتها في الدولة وقصدها الناس لقضاء حوائجهم... وكانت من عظماء النساء ولو عاشت حتى تسلطن ولدها العزيز يوسف، لكانت دبرت ملكه أحسن تدبير»[١٢].

كذلك يروى المقريزي أن السلطان الكامل شعبان أراد في سنة ١٣٤٦م مصادرة أموال الطواشي كافور الهندي، ولكن خوند طغاي أرملة الناصر محمد بن قلاون توسطت له، فاكتفى السلطان شعبان بإخراجه إلى القدس[١٨].

كذلك توسطت ست حدق مربية السلطان الناصر محمد بن قلاون لديه من أجل رفع الظلم عن التجار، فاستجاب لرجائها، ونفذ رغبتها فوراً[٩]. زيادة على ذلك أبطل الناصر محمد بن قلاون عن مكة المكس (الضريبة) الذي كان يؤخذ على القمح تلبية لطلب زوجته خوند طغاي عند قيامها بأداء فريضة الحج[١٠]. وهكذا يمكن القول بأن المرأة المسلمة تمتعت بنفوذ واسع في عصر سلاطين المماليك، كما سخرت هذا النفوذ من أجل مساعدة المظلومين، وإخماد الفتن، ورفع الضرر عن العباد.

أما في مجال العلم فإن المؤرخ السخاوي يسجل أسماء الكثيرات من النساء ممن اشتغلن بالنحو ونظم الشعر مثل فاطمة ابنة القاضي كمال الدين محمود بن شيرين، وكانت بينها وبين المؤرخ شمس الدين محمد السخاوي كثير من المراسلات الشعرية، فأشاد بها وبشعرها في كتابه الضوء اللامع، وأشار أكثر من مرة إلى علاقته الأدبية بها[١١].

أما في مجال الفقه والحديث والتدريس بهما فتكفي الإشارة هنا إلى أم زينب فاطمة بنت عباس شيخة رباط البغدادية التي وصفها المقريزي بأنها «سيدة نساء زمانها»، وذكر عنها أنها «كانت فقيهة وافرة العلم زاهدة قانعة بالتيسير عابدة واعظة، حريصة على النفع والتذكير، وانتفع بها كثير من نساء دمشق ومصر، وكان لها قبول زائد، ووقع في النفوس»[١٢].

ورأيت كثيرات من هؤلاء الفقيهات والمحدثات على التنقل بين الشام ومصر وشأن فقهاء ذلك العصر، للسماع من كبار المحدثين والفقهاء والعلماء. كذلك اختصت بعضهن في الحديث بصحيح البخاري في قلعة الجبل، إلى جانب الفقهاء مثل ست الوزراء التي حدثت بصحيح البخاري في القاهرة والفسطاط[١٣].

والجدير بالذكر أن كثيراً من فقهاء عصر المماليك سمعوا من بعض المسندات الشهيرات اللاتي قمن بالتدريس لهؤلاء الفقهاء، والإجازة لهن. وقد اعترف هؤلاء الفقهاء الكبار بمكانة هؤلاء العالمات وفضلهن في التدريس والعلم. فابن حجر أحد علماء القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي يذكر في كتابه «إنباء الغمر في أبناء العمر» أنه حصل على إجازتين الأولى من شمس بنت ناصر الدين محمد، والثانية من خديجة بنت العماد الصالحية[١٤]. كما أجازت لابن حجر أيضًا ملكة ابنة الشرف عبدالله المقدسية التي درست علم الحديث على أيدي كبار المحدثين في ذلك العصر مثل اسحاق الآمدي والشيرازي[١٥].

علاوة على ذلك يصف المؤرخ السخاوى كيف تزاحم طلبة العلم فى عصره على أنس ابنة عبد الكريم زوجة المؤرخ ابن حجر العسقلانى التى حدثت فى حياته وبعد وفاته، ويفخر السخاوى بأنه من أخذوا الحديث عنها [١١٦].

وقد خصص المؤرخ السخاوى جزءا كاملا من كتابه الضوء اللامع لترجمات هؤلاء العالمات العاملات فى التدريس، مما يؤكد كثرة إقبال عامة نساء عصر المماليك على مجالس العلم والنبهاء ولاشك فى أن العمل فى مجال العلم طلبًا وعطاءً هو جهاد فى سبيل الله.

وهكذا يبدو الوضع واعدًا فى مصر والشام والحجاز فى عصر سلطنة المماليك، ولكن من جانب آخر كان الوضع مختلفًا تمامًا فى أوروبا فى ذات الوقت- القرن الثالث عشر الميلادى- لقد كانت فترة مهمة من تاريخ عصر الإيمان حيث ساد التوجه الدينى جميع أنحاء أوروبا وقتذاك سواء من ناحية التبعية الكنسية أو الأنظمة الرهبانية الجماعية المعروفة مثل النظام البندكتى والنظام الكلونى والنظام السيسترشيانى[١١٧]. ولقد جذبت هذه الأنماط الدينية الجديدة الرجال والنساء على حد سواء وبخاصة فى المناطق الريفية الإقطاعية[١١٨].

ولعل البيئة الاجتماعية المحافظة وصرامة الوالدين والزواج المرتب لمصالح معينة كانت من الأسباب التى دفعت المرأة الأوروبية للهروب إلى الحياة الدينية فى القرن الثالث عشر الميلادى[١١٩]. ولعل هذا من الأسباب التى جعلت الراهب دومينيك يعمل على تنظيم حياة دينية مناسبة للنساء قبل أن يؤسس النظام الدومينيكانى[١٢٠] ومع ذلك فإن كل من الراهبين فرانسيس ودومينيك رفضا طيلة حياتهما السماح للنساء فى الانخراط فى السلك الرهبانى التابع لنظامهما مع اليقين بوجود توجه كبير عند نساء القرن الثالث عشر الميلادى نحو الحياة الدينية [١٢١]. وقد يكون السبب وراء ذلك هو اعتقادهم بعدم قدرة الراهبات على الصمود فى حياة فقيرة تخلو تمامًا من أسباب الراحة والرفاهية [١٢٢]. ولكن تزايد أعداد النساء المقبلات على ممارسة الحياة الرهبانية فى جميع الأنظمة الرهبانية جعل الكنيسة الرومانية تعترف بوجودهم الدينى الرهبانى الكبير فى القرن الثالث عشر الميلادى[١٢٣]. ولعل من الأسباب التى كانت وراء هذا الرفض من الدومينيكان والفرنسيسكان لمسألة التحاق النساء بهذين النظامين أن كلاهما يعتمد على التجوال والتعليم، وهذا يعنى التنقل من مكان إلى آخر، والاستقرار فى مناطق بعيدة لممارسة التعليم والتبشير الدينى، وبالتالى لايمكن السماح للنساء بالانخراط فى هذين النظامين حيث تمنع التقاليد الاجتماعية النساء من حرية التنقل والاستقرار فى

مناطق بعيدة. ولعل مطالبة الراهبات بالسماح لهن فى الانخراط فى نظام الفرنسيسكان ونظام الدومينيكان يعنى المطالبة بالاعتراف بوجودهن وحقهن فى نفس الأنشطة الاجتماعية المتاحة للرجال [١٢٤].

ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت بوادر الثورة الإصلاحية الدينية فى أوروبا من خلال تساؤلات طرحها المفكرون حول ماهية السلطة السامية وحدودها المرئية وغير المرئية، ثم تبلورت هذه البوادر لتكشف عن حركة الإصلاح الدينى فى أعمال بوحنا وايكلف ويوحنا رات ومارت لوثر وغيرهم، وبدأ الإنسان الأوروبى يتحرر من الهيمنة الكنسية المطلقة ثم أعقب ذلك اكتشاف الطباعة التى غيرت الكثير من المفاهيم الراسخة فى عقول عدد من فئات المجتمع، وتلا ذلك الثورة الصناعية التى قلبت الأوضاع الاقتصادية فى أوروبا رأسًا على عقب، بل إن العالم الموجود حينذاك تغير بشكل لم يتوقعه الكثيرون من خلال الكشوف الجغرافية واكتشاف كرلومبوس لأمريكا، ومن ثم انتقلت الثورة الصناعية إلى أمريكا لتجد المرأة نفسها إلى جانب الرجل تعمل فى بداية الأمر فى الحقل ثم فى المنزل فى المراحل الأولى لتصنيع النسيج وغيره من الصناعات الأولية مثل صناعة التبغ والمواد الغذائية. ثم انتقلت المرأة الأوروبية إلى أروقة المصانع حيث حذب الأجر الزهيد التى تحصل عليه المرأة اهتمام كبار العاملين فى مجال الصناعة فعملوا على الاستعانة بالنساء فى جميع مراحل التصنيع. ومع المعاناة من سوء الأوضاع فى داخل المصنع، إلى جانب الأجور الزهيدة، والعمل المتواصل منذ بزوغ الفجر حتى المساء، ظهرت نقابات العمال لحماية الأيدى العاملة، وبدأ التطلع للحصول على حقوق مناسبة للمرأة كما هو للرجل. ولكن الأمر لم يكن سهلاً لا فى أوروبا ولا فى الولايات المتحدة، واستغرق الوضع مراحل مضنية من العمل الدؤوب الذى ثابرت عليه المرأة لكى تحصل على حقوقها فى طلب العلم ثم المشاركة السياسية.

وفى ذات الوقت كان الوطن العربى قد بدأ يعانى من سيطرة السلطنة العثمانية على جميع أقاليمه منذ ١٥١٧م- ١٩١٨م، وبدأ الوضع الاجتماعى للمرأة فى الوطن العربى يدخل فى دهاليز الجهل والتخلف، فى حين ابتدأ وضع المرأة فى أوروبا والولايات المتحدة يخطو خطوات سريعة نحو التغيير لتحقيق هدف حصولها على حقوقها الاجتماعية والسياسية. وعندما اجتمع اثنا عشر وفداً يمثل الثلاث عشر ولاية فى شمال أمريكا فى فيلادلفيا فى ٤ يولية / تموز سنة ١٧٧٦م لإعلان استقلال الولايات المتحدة[١٢٥] وبداية ظهورها كدولة مستقلة ضمن

دول العالم أعلن الرئيس الأمريكي توماس جيفرسون Thpmas Jefferson حينذاك أن جميع رجال الولايات المتحدة متساوون في حق الحياة، والحرية ومحاولة الوصول إلى السعادة، والملاحظ هنا أن الرئيس الأمريكي توماس جيفرسون لم يتطرق إلى النساء في كلمته عن الاستقلال ، على الرغم من تمجيد مبادئ الحرية في الكلام والعيش والعدالة والمساواة. ومن جانب آخر كان هناك محاولات نسائية في أوروبا تطالب بحرية المرأة ومساواتها بالرجل في التعليم والحقوق السياسية ، ومن هؤلاء الناشطات البريطانيات هاري والستونكرافت Mary Wollstonecraft (١٧٩٧-١٨٥٩) حيث أكدت في مؤلفها : "A Vindication of the rights for Woman" الدفاع عن حقوق المرأة ، عن ضرورة إتاحة الفرصة للمرأة لتلقي التعليم وممارسة الحياة السياسية بما في ذلك حق التصويت . ولعل هذه المناداة هي انعكاس حقيقي لوضع المرأة في المجتمع الأوروبي وقتذاك في القرن الثامن عشر الميلادي حيث كانت تعاني من الحرمان في الحقوق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فعلى سبيل المثال لم يكن بمقدور المرأة الأوروبية في القرن الثامن عشر الميلادي تولي أي منصب عام أو التصرف في ممتلكاتها العقارية، بل لم يكن للمرأة حق المطالبة بحقوقها في التجمعات العامة. وعندما حضرت كل من لوكريشيا كوفن Lucrada Coffin والبزابيث كادي ستانتون[٢٦] Elizaveth Cady Stanton إلى لندن مع سبع نساء أخريات سنة ١٨٤٠م للمشاركة في مؤتمر ضد العبودية، منعن من المشاركة ، ومن ثم عزمت هاتان السيدتان على عقد مؤتمر خاص عن المرأة بعد العودة إلى الولايات المتحدة. وقد تم تحقيق هذا الأمل بعد سبع سنوات في نيويورك حيث عقد هذا المؤتمر المنشود، وشارك فيه الرجال والنساء على حد سواء، وطالبت ستانتون بضرورة إعطاء المرأة حقها في التصويت. ومع أن التصويت على القرار لم يكن في صالح المرأة؛ إلا أنه في السنوات التالية شرعت بعض الولايات عدداً من القوانين التي تعطي المرأة الحق في ملكية عقاراتها والتصرف في مدخراتها . وهذا لايعني أن المرأة في الولايات المتحدة اكتفت بهذا القدر من الحقوق حيث إن لوسي ستون Lucy Stone أقنعت والدها في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي بضرورة عدم الاكتفاء بالتعليم الابتدائي بل مواصلة تعليمها حتى تمكنت من إكمال تعليمها العالي وتخرجت من كلية أوبر لاين Oberlin College في أوهايو ، مع أنها كانت تعاني طيلة الوقت من ضآلة المورد المالي، وأجبرها هذا الوضع الصعب على العمل في ثلاث وظائف مختلفة حتى تمكنت من تحقيق طموحها في التعليم. ومن الأمور التي تدل على

عدم مطقية وضع المرأة وقتذاك أن لوسي ستون كلفت بكتابة كلمة حفل التخرج مع عدم السماح لها بإلقائها إذ سيقوم أحد الرجال بإلقاء هذه الكلمة؛ فلما علمت بذلك اعتذرت عن عدم كتابة كلمة حفل التخرج ، فلا معنى لكتابة كلمة تحرم من إلقائها . وقد عانت لوسي ستون من تداعيات عدم الاعتراف بحقوق المرأة حيث إنها بعد تخرجها أهينت علناً في أثناء إلقاء بعض المحاضرات التي تنتقد فيها هذا الوضع غير العادل. وقد عملت ستون طيلة سنوات عمرها فيما بعد وهي تنادي بضرورة حصول المرأة الأمريكية على حقوقها كاملة[٢٧].

كذلك من النساء الناشطات الأمريكيات في سبيل هدف حصول المرأة على حقوقها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية سوزان أنتوني Susan Anthony التي أكملت تعليمها العالي وأصبحت مدرسة ثم التقت بالبزابيث كادي ستانتون حيث عملتا معاً من أجل حصول المرأة في أمريكا على حقوقها كاملة[٢٨]. وقد حقق هذا الثنائي بعض الأهداف المأمولة مثل حق وصاية الأم المطلقة على أبنائها بما في ذلك مخصصاتهم المالية. وتعتبر سوزان أنتوني إحدى الرائدات في تفعيل موضوع حصول المرأة الأمريكية على حقوقها الاجتماعية.

وفي طريق نضال المرأة من أجل الحصول على حريتها كاملة - بما في ذلك مختلف الحقوق المتاحة للرجل- تظهر في أوروبا شخصية فلورنس نايتنجيل[٢٩] Florence Nightingale التي عاشت في الفترة ١٨٢٠-١٩١٠ حيث كانت ممرضة وشاركت في بعض الحروب كممرض الجرحى . وقد عملت طيلة حياتها في مجال التمريض وكانت دوماً تطالب بتحسين أوضاع المستشفيات ، وتأهيل الراغبات في سلك التمريض تأهيلاً مهنياً ، وإنشاء مدرسة للتمريض خاصة بالنساء . ويعود لها الفضل في تحديث مهنة التمريض وفق الأنماط العلمية المطلوبة. ولعل هذا يصب في دائرة إيمان المرأة بأن الحصول على حقوقها السياسية لايتم إلا من خلال إثبات العالم بأهليتها وكفاءتها في مختلف الميادين. ومن هذه المحاولات الدور الذي قامت به جين آدامز[٣٠] Jane Addams (١٨٦٠-١٩٣٥م) التي لعبت دوراً مهماً في مد يد العون للفقراء والمحتاجين عن طريق توفير الطعام والتعليم والتأهيل المهني لهم. وكان لها دورٌ بارزٌ في عملية نشر السلام في العالم من خلال مشاركتها « العصبة الدولية للمرأة » Women's International League حيث ترأست هذه العصبة . وكانت لها جولات عديدة من أجل ترسيخ قواعد السلام حتى نالت جائزة نوبل للسلام ١٩٣١م وبهذا تكون ثاني امرأة تحصل على هذه الجائزة العالمية.

وفي نهاية القرن التاسع عشر الميلادي تمكنت المرأة البريطانية من العمل في مجالات التمريض والسكرتارية والاتصالات، كما التحقت بالجامعات مما يدل دلالة واضحة بأن المرأة الأوربية بدأت تجني ثمار نضالها من أجل الحصول على نفس الحقوق المتاحة للرجل. ولعل الحقوق السياسية هي آخر حلقة في طريق نضال المرأة الغربية من أجل كامل حريتها وكل ما يتعلق بها من حقوق في المجتمع الإنساني. وقد نظمت النساء في بريطانيا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي حملة من أجل حصول المرأة البريطانية على حق التصويت لعضوية البرلمان بقيادة إيميلين بانهكرست[٣١] Emmeline Bankhurst (١٨٥٨-١٩٢٨م)، التي تولت قيادة هذه الحملة على مدى أربعين عامًا . وكان من الإنجازات التي استطاعت تحقيقها حق المرأة المتزوجة في التصويت في الانتخابات المحلية، إلى جانب دور كبير في تنظيم الحملات التي طالبت بإقرار حق المرأة في التصويت للانتخابات البرلمانية ، وكان من نتيجة هذه الأعمال التنظيمية النشيطة أن سجنت إيميلين بانكهرست عدة مرات وتداعت صحتها من جراء إضرابها عن الطعام، ولعل أكبر إنجاز تحقق بفضل جهودها الكثيرة هو حصول المرأة البريطانية على حق التصويت البرلماني بعد وفاتها بفترة قصيرة.

وفي الجانب الآخر من العالم المعاصر حينذاك حصلت المرأة في نيوزيلندا على حق التصويت البرلماني سنة ١٨٩٣م ، وبذلك تكون نيوزيلندا أول دولة في العالم تعطي المرأة حق التصويت البرلماني في الانتخابات السياسية العامة.

وفي الكويت كان للمرأة دور مهم في كويت ما قبل النفط حيث أخذت على نفسها القيام بمسؤولية المنزل وتربية الأولاد؛ بينما كان الزوج غائبًا معظم شهور العام إما في السفر الشراعي البحري مع الهند والساحل الأفريقي الشرقي، أو في أعماق البحار من أجل الغوص على اللؤلؤ ، وكانت الزوجة هي الأم والأب في البيت دون كلل أو ملل مع تحمل تبعات ضآلة المورد المادي. وكان ظهور النفط عاملا حاسمًا في تغير المجتمع الكويتي، وتشطت عجلة الاقتصاد الكويتي، وانتشر التعليم بين جميع الفئات ذكورًا وإناثًا حتى تكلل الوضع بافتتاح «جامعة الكويت» سنة ١٩٦٦ م للذكور والإناث على حد سواء حيث توسعت عاما بعد عام حتى شملت جميع التخصصات الإنسانية والاجتماعية والعلمية. وبدأت الحياة البرلمانية مباشرة بعيد استقلال الكويت في يونيو / حزيران سنة ١٩٦١م في عهد المغفور له الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير دولة الكويت حينذاك. وتأسست جمعيات النفع العام وأولها

الجمعية الاجتماعية والثقافية التي بدأت سنة ١٩٦٣م . وتبعتها جمعيات أخرى بدأت جميعها تطالب بضرورة حصول المرأة الكويتية على حق التصويت البرلماني بعد أن حصلت على أعلى الشهادات العلمية ومارست جميع أنواع العمل الوظيفي إلى جانب الرجل سواء داخل الكويت أو في معظم أنحاء المجتمع الدولي. وقد ساندت الأسرة الحاكمة بكل ثقلها حصول المرأة على حقوقها السياسية[٣٢]. وتكللت هذه المساندة برسوم أصدره المغفور له أمير الكويت الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح أعطى بموجبه المرأة الكويتية جميع حقوقها السياسية في الانتخاب والترشيح ، ومع أن هذا المرسوم الأميري صدر مع إطلالة الألفية الثانية إلا أن مجلس الأمة رفض تشريع هذا المرسوم الأميري، ولم يقر مجلس الأمة شرعيًا الحقوق السياسية للمرأة إلا في عام ٢٠٠٥م حيث ألغيت المادة الأولى من قانون الانتخاب رقم ٣٥ / ١٩٦٢م وتأكدت أهمية الحق السياسي وتفعيل المشاركة السياسية للرجال والنساء معًا حيث تم توزير أول سيدة كويتية في الحكومة ، واختيار مهندستين أعضاء في المجلس البلدي، واختيار سيدة كويتية بدرجة وزير في البعثة الكويتية في كوبنهاجن . ويعتبر حصول المرأة الكويتية على هذا الحق هو تتويج لرائدات لهن فضل التعليم في منتصف القرن العشرين مثل: سارة التوحيد وطيبة التوحيد ومريم عبدالملك الصالح وفاطمة المطوع وعزيزة المطوع ولطيفة البراك وغيرهن كثيرات .

وجاء تفعيل قانون حق المرأة في الانتخاب والترشيح للعمل السياسي مع انتخابات يونيو ٢٠٠٦م حيث بدأت المرأة الكويتية ممارسة هذه الحقوق ، وأعلنت عدد من نساء الكويت ترشيحهن لعضوية مجلس الأمة أو البرلمان الكويتي . وعلى الرغم من عدم وصول إحداهن إلى عضوية مجلس الأمة فإن مجرد المحاولة الجادة من أجل ذلك تكفي المرأة الكويتية فخرًا واعتزازًا .

الهوامش

١- النجوم ، ج٦ ، ص٣٢٢-٣٢٣ .

٢- السلوك ، ج١ ، ص٣٥١- ٣٥٣ .

٣- النجوم، ج٦، ص٣٧٣ .

٤- المصدر ذاته .

٥- المقريزي ، السلوك ، ج١ ، ص٣٦٢ .

٦- المصدر ذاته .

٧- ابن تغري بردي، النجوم، ج٦ ، ص٨٤٢ .

٨- السلوك ، ج٣ ، ص٣-٧ .

٩- المصدر السابق، ص٦١٢ .

١٠- ابن حجر ، الدرر، ج٢، ص٣٢٢ .

١١- الضوء، ج١٢، ص١٠٧- ١١٢ .

١٢- الخطط ، ج٢ ، ص٤٢٨ .

١٣- المقريزي، السلوك، ج٢، ص١٦٩ .

١٤- ج٢، ص١٣٠ .

١٥- السخاوي ، الضوء، ج١٢ ، ص١٢٧ .

١٦- المصدر السابق ، ص١٠-١١ .

17- Stuart , " Women in Medival Society", Mulieres Sanctae", by Brenda M. Bolton , p. 141 .

18- Idem.

19- Stuart, Ibid, pp. 147-148 .

20- Stuart, Ibid, p. 150.

21- Stuart, Ibid. p. 151 .

22- Stuart, Ibid, p. 153 .

23- Stuart, Ibid, p. 154 .

24- Stuart, Ibid, p. 143.

25- Bully. "The American Pageant", p. 143 .

26- Holt , " Modern World ", p. 422; Bully. "The American Pageant:, pp. 342-343 .

27- Bully , " The American Pageant, p. 342 .

28- Bauly, Ibid, p. 343 .

29- Holt , " Modern World", p. 426 .

30- Holt, Ibid, p. 396.

31- Holt, Ibid, p. 413 .

32- Tetreault, " Civil Society in Kuwait", (M.E.J.) , p. 289 .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

ابن تغرى بردي: أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م) .

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ١٢ جزء ، القاهرة، ١٩٢٩-١٩٥٦م.

- ابن حجر : أحمد بن على (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م).

- إنباء الغمر فى أبناء العمر، تحقيق : حسن حبشى، ٣ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٧٢م.

- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، تحقيق : محمد السيد جاد الحق، ٥ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٦٦م.

الحجي، حياة ناصر

- السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف فى عهده مع تحقيق ونشر رتيفة وقف سرياقوس، الكويت، ١٩٨٣م.

- صور من الحضارة العربية الإسلامية فى سلطنة المماليك، الكويت، ١٩٩٢م.

السخاوى : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م)

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ١٢ جزء ، القاهرة ، ١٩٣٤- ١٩٣٦م.

المقريزى: أحمد بن على (ت ٨٤١هـ/ ١٤١٨م)

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جزءان، القاهرة، ١٨٥٣م، تحقيق : سعيد عبدالفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٣٩-١٩٧١م.

ثانيا : المراجع العربية :

الصحف الكويتية: صحيفة الرأى العام.

ثالثًا : المصادر الأجنبية :

Baily, Thomas A, & David M. Kennedy,

"The American Pageant" Tenth edition, 1994 , Canada.

Holt Rinehart & Winston,

" Modern World", Holt World History , 2003, U.S.A.

Stuart , Susan Mosher

, " Women in Medieval Society ", First edition , University of Pennsylvania, 1976 .

Tetreault, Mary Ann,

" Civil Society in Kuwait : Protected Spaces and Women's Rights", Middle East Journal , Volume 47, No. 2, Spring 1993, U.S.A.

د. نبيلة حسابي (*)

المرأة والتعليم في المغرب الإسلامي

بين الموافقة والمعارضة

الإسلام يدعو إلى العلم والمعرفة، وهو يحث الناس ويرغبهم في طلبه والخروج من الجهل إلى المعرفة، ومن الظلام إلى النور، وقد أوحى الله عزوجل إلى رسوله صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم بالقراءة، وبيان أهمية العلم، قال تعالى: "اقرأ باسم ربّك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربّك الأكرم، الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم"[1]، ففي هذه الآيات دعوة للقراءة، وإشارة إلى أهمية تعلم الكتابة، وتحصيل العلم، فإن ذلك من فضل الله ونعمته على الإنسان، هذا العلم لا يتضمن استثناء جنس من الجنسين ، فكان للرجل والمرأة على حد السواء، قال صلى الله عليه وسلم :"طلب العلم فريضة على كل مسلم"[2]، بل للنساء في الإسلام حظ وافر في التعلم و التعليم كالرجال، وكل ما يحصل للرجل العالم من أجر و ثواب فهو حاصل للمرأة العالمة أيضا، قال تعالى:"ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى

(*) أستاذة محاضرة بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة الجزائر

وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرًا [٣]"، هذا الحديث وإن لم يصرح فيه بكلمة مسلمة ولكنها داخلة فيه،لأن حكم الشرع للرجل المسلم يشمل المرأة أيضا إلا بمخصص، ولا خلاف أنه إذا اجتمع النساء والرجال في حكم ورد الخطاب مذكرا على طريقة التغليب [٤]. وأباح الإسلام للمرأة أن تعمل في كل عمل تستطيعه، مادامت لا تخالف أحكام الشريعة الإسلامية.

ومما يؤكد شمول هذا الحكم للمرأة ما ورد من حث الرجل على تعليم المرأة حتى ولو كانت أمة: ومطالبتها بتخصيص وقت تتعلم فيه ومشاركتها الفعلية في التعليم، بل مناقشتها فيه، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. "أيما رجلٍ كانت عنده وَليدَة فعَلّمَها فأحسن تعليمها، وأدّبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوّجها فله أجران " [٥] وقال ابن حجر في الشرح:" إذ الاعتناء بالأهل الحرائر في تعليم فرائض الله، وسنن رسوله أكد من الاعتناء بالإماء"[٦].

وتعتبر أم المؤمنين عائشة ــ رضي الله عنها ــ حجّة في الدين الإسلامي وكان يؤخذ عنها الكثير من أمور الدين، حتى روي أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يرجعون إليها فيما أشكل عليهم من المسائل، فخصّهم لقوله صلّى الله عليه وسلّم "خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء": وروت الأحاديث الكثيرة، وكانت رضي الله عنها عالمة بالعلوم اللغوية والشرعية والنسب والفرائض والطب وغيرها[٧].

كما روت أم المؤمنين حفصة ــ رضي الله عنها ــ عن رسول الله وعن أبيها، وقد روى الإمام أبو داود في سننه عن الشفاء بنت عبد الله العدوية أنها قالت:" دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأنا عند حفصة فقال لي: " ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة "[٨].

هذا تقدمت النساء إلى تحصيل العلم منذ العصر الأول في الدولة العربية الإسلامية واستطاعت بعضهن أن تصلن إلى مكانة لا تقل عن مكانة العلماء، و بلغت الكثير من النساء في المشرق الإسلامي المنزلة العالية الرفيعة فكانت منهن مدرسات للفقهاء وعلماء وأدباء كبار أمثال الإمام الشافعي، وأبو حيان التوحيدي، وابن خلكان ، وابن عساكر، وكن المؤشر لما تمتاز به التربية الإسلامية من حرية في التربية والتعليم[٩]،وعلى الرغم من هذه المكانة العلمية التي بلغتها المرأة في المشرق الإسلامي ، فإن السؤال الذي يطرح أمامنا بالنسبة للمرأة المغربية هو: ماواقع تعليم المرأة في بلاد المغرب الإسلامي؟.

والإجابة عن هذا السؤال اعتمدنا على فترة معينة ، وهي الفترة الممتدة مابين النصف الثاني من القرن السادس إلى غاية التاسع الهجري/ الثاني عشر إلى الخامس عشر الميلادي ، وقد تبيّنا مدى تأثر الفقهاء والعلماء في مسألة تعليم المرأة حسب الظروف العلمية والفكرية والاجتماعية عند المجتمع المغرب الإسلامي، وقد اختلف جمهرة الفقهاء وانقسمت آراؤهم إلى قسمين:

ــ رأي يقول حق المرأة المغربية في التعليم، وهو رأي يستمد من أحاديث نبوية التي تشجع على تعليم المرأة منها: عن أبي سعيد الخدري: قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلّم :" غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك، فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن، فكان فيما قال لهن:" ما منكنّ امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابا من النار"، فقالت امرأة: واثنين؟ فقال:" واثنين "[١٠].

وهاهو ابن تومرت زعيم الموحدين، يحرص على تقليد الرسول صلى الله عليه وسلّم ، فقد كان عالما في الحديث، مطلعا على حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلّم في أدق تفاصيلها، ويشهد على ذلك النص التالي، المقتبس من رسالة كتبها إلى جماعته يقول:" أعزما يطلب وأفضل ما يكتسب، وأنفس ما يدخر، وأحسن ما عمل، العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير هو أعز المطالب، وأفضل المكاسب، وأنفس المدخار، وأحسن الأعمال[١١]. وقد أقبلت النساء في عهده على التعليم بنفس حماس إقبال الرجال لأنه واجب ديني عند الدولة الموحدية، خاصة وأن مبادئ نظرية ابن تومرت التعليمية هي:"باب العلم مفتوح لسائر العباد"[١٢]، وثانيا، أن لغة التعليم لم تقتصر على اللغة العربية، وإنما كان ابن تومرت يلجأ إلى استعمال اللغة البربرية في خطبه ووعظه وإرشاده، فقد أخبرنا ابن القطان "أن ما دوّنهم به أنه ألف لهم كتاب التوحيد باللسان البربري ، وهو سبعة أحزاب"[١٣]. مما سهل للناس القراءة والكتابة خصوصا نساء العامة اللواتي كن تتكلم باللغة البربرية، حتى لا تصبح "اللغة" عائقا أمامهن، فتح ابن تومرت فرصة التعليم لكافة الناس في البوادي والحواضر.

ثم واصل الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي تشجيع الحركة العلمية، بل وأقر إجبارية التعليم، ويقوم هذا المنهاج على أنه يجب على كل من انتوى تحت راية الموحدين أن يتعلم الضروري من العقائد وما يتعلق بالصلاة [١٤]، وعممه على سائر الأمة رجالا ونساء، ويوضح لنا هذا الأمر إحدى رسائل الموحدية مفادها:" ويلزم العامة ومن في الديار بقراءة العقيدة التي

أولها: " اعلم أرشدنا الله وإياك" وحفظها وتفهمها ، وأشمل في هذا الإلزام الرجال والنساء، والأحرار والعبيد".

وكان عبد المؤمن يهدف من هذا الالتزام في التعليم تعميم تعلم العقيدة الجديدة عقيدة التوحيد لابن تومرت ، ويظهر هذا فيما ذكره كاتبه على لسانه قائلا:" وكل من يوجد عليه التكليف، إذ لا ينتج فهم عمل، ولا يقبل منهم قول دون معرفة التوحيد، فمن لم يعرف المرسل لم يصدق بالمرسل ولا بالمراسلة "[١٥].

حتى تكون المنفعة عامة، رخص عبد المؤمن لمن يفهم اللسان البربري دون العربي أن يقرأ بلسانهم عقيدة ابن تومرت البربرية وتعرف بـ " التوحيد " ، أما الذين يفهمون العربية يقرءون عقيدة ابن تومرت العربية وتعرف بـ" المرشدة " ، وأكد على الجميع في حفظ ذلك وتدبره[١٦].

وأشرف عبد المؤمن على متابعة هذا النوع من التعليم الإجباري بمراكش ونواحيها، وكاتب إلى ولاة العمالات الأخرى وأمرهم بأن تحذي قدوة، وتقوم بدورها بتطبيق هذا المنهاج ، وكان أيضا يؤمن بضرورة تعليم المرأة عملا بالأحاديث النبوية التي تشجع على تعليم المرأة، حينها بدأ ينشر عقيدة ابن تومرت بين الرجال والنساء دون تفرقة فكانت دعوته شاملة، من هنا بدأ ظهور عالمات شهيرات في المغرب الإسلامي، وفي مجالات مختلفة من العلوم، شأن السيدة " خيرونة الأندلسية " التي كان لها دور هام في تعليم النساء أصول الدين، وربما لها يد في نشر التوحيد على المذهب الأشعري بين نساء أهل فاس أسوة بأستاذها[١٧].

كما كانت بنات الأمراء القدوة الصالحة لبنات العامة في الإقبال على العلم والأدب، فقد درست" الأميرة زينب" حفيدة عبد المؤمن، علم الكلام على الفقيه أبي عبد الله بن إبراهيم، فكانت عالمة صائبة الرأي[١٨]، وأنموذجا يقتدى به من نساء عصرها.

ـ الرأي الثاني يتعليم القرآن الكريم والدين الإسلامي ليس محرم، وينهي عن تعليمها الكتابة والشعر، فحين تتبع خطوات تعليم المرأة بعد سقوط دولة الموحدين في أقطار المغرب الإسلامي نجدها تتراجع عند نساء العامة، إلا في حالات نادرة، خاصة بعد أن تصبح البنت في سن

البلوغ، فقد كانت تدرس في الكتاتيب، مع الصبيان القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة وبعض المتون[١٩]، وتفيدنا المصادر المغربية أن:"أهل المدن يسمحون لها بالتعليم في الكتاتيب والمدارس، فكانت تحفظ أهم الكتب التي يحفظها المتعلمون، حتى سن معينة بعدها تتحمل مسؤولية البيت والإنجاب وتربية الأطفال"[٢٠]، في حين اقتصر التعليم عند النساء اللواتي ينتمين إلى طبقة الحكام وبعض البيوتات المشهورة بالعلم والفقه والآداب[٢١]، كما سيأتي ذكرهن لاحقا.

وقد تضاربت آراء الفقهاء المالكية على مجموعة من المسائل التي كانت تخص المرأة في المغرب الإسلامي، وما ارتبط بواقعها من عادات وأعراف، منها ما كان مقبولا ومنها ما كان مرفوضا بإجماع فقهاء العصر، ومنها ما أثار جدل الاختلاف بينهم، وأبرزت لنا نوع العلاقة الاجتماعية والفكرية التي كانت سائدة آنذاك بين الرجل والمرأة، واعتبر ابن عرفة (٨٠٣ هـ/ ١٤٠٠م) النساء أهن:" محمولات على السفه "، ورأى البرزلي (٨٤١ هـ/١٤٣٧م) أن أهل هذا العصر قصروا عن "حال من مضى قصرا لا يخلى على عاقل"[٢٢] ، وكان متشدد مع المرأة الخصية، وظل ينادي بمنع المرأة من الخروج لشراء حاجاتها بنفسها حجبها في البيت، ومنعها من ممارسة حقها في التعليم، وأفتى ابن عرفة بمنع خروج النساء لمجالس العلم والذكر والوعظ، وإن كن معزلات عن الرجال " لأن طبعهن يحرك القلوب" على حد قوله [٢٣] .

ويرجع الآبي ذلك إلى أن المرأة فتنة، أي تفتن الأليباب، وفي العقول بكثرة زينتها وطيبها وارتدائها بالملاحف والأكسية المليحة، بل ذهب من بعده إلى منعها من الخروج للتعلم، أو الصلاة بحجة أنها تخرج للزينة، خاصة إذا كانت المرأة جميلة " تسرع إليها العيون "، وقد يحتال عليها من " يقدر على الصبر " وتقع الفتنة وربما أدى ذلك إلى سفك الدماء، لذا نادي الآبي بمكوث المرأة في بيتها[٢٤] .

ولم يكن حال المرأة المسلمانية بأحسن من غيرها، ولكن صمت المصادر، وإهمال بعضها الآخر بأمورها هو السائد مع الأسف، فقد أشار المازوني (ت٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م) إلى نازلة وقعت لدى رجل من طلبة العلم تزوج امرأة فوجدها عاملة، ويبدو أن هناك من الرجال من كان يحب الزواج بامرأة على دينها فتوة بسنة الرسول[٢٥] وذكر ابن قنفذ (ت ٨١٠هـ/١٤٠٧م)

" بالمرأة المتصوفة الصالحة، العالمة، المعروفة بالمؤنسة التلمسانية، ويجالستها كبار الفقهاء ومناقشتهم في المسائل الفقهية، مثل قاضي الجماعة المقري، وأبي العباس الشريف التلمساني، مما يدل على أن هؤلاء الفقهاء التلمسانيين كانوا لا يمانعون في تعليم النساء والاستماع لهن في أمور العلم والمعرفة[٢٦].

أما موقف ابن الحاج (ت٧٣٧هـ/١٣٣٦م) عن تعليم المرأة في مدخله، نطالعه نظرة فقهية متشبعة بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف لحد التشدد، نظرة رجل شديد الغيرة على المرأة للدرجة التعصب، لنغمة الشك والاحتقار والحقر والحيطة وتبرز جلية عند حديثه عنها[٢٧]، ومما أثار انتباهنا:

ـ إنه لم يوجه خطابه إلى المرأة مباشرة، بل وجهه إلى زوجها بصفة خاصة، أو إلى الرجل العالم والفقيه بصفة عامة، ونعتقد أن ذلك يعود إلى: إيمانه القوي بأن الرجل مسؤول عن ابنته وزوجته وأخته، والعالم والفقيه مسؤولان عن المجتمع كله، مستدلا على قول رسول الله صلى الله عليه وسلّم " كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته "[٢٨]، واستشهد على ذلك بما أمر به أحد الفقهاء زوجته حيث لا تتحرك، ولا تتكلم بكلمة في غيبته حتى تعرضها عليه حين عودته إلى البيت لأنه مسؤول عن تصرفاتها وتحركاتها، وعن صلاته وصلاتها[٢٩]، أو لأن ابن الحاج كان مقتنعا أتم الاقتناع أن المرأة لن تفهمه، ولن تستوعب كلامه مستغلا الحديث الشريف " ناقصات دين وعقل "، وأنها تتسم بقلة السؤال وقلة التعلم، أو ربما لكونه رجلا يخاطب رجالا في مجتمع رجولي.

ـ إنه انتقى من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلّم ومن مواقف أصحابه، ومن آراء بعض العلماء ما يؤكد آراءه حتى يضفي عليها صبغة المشروعية، ويتمكن من إقناع مخاطبيه.وابن الحاج كان عادلا في حق المرأة، يطلب معشر الرجال أن ينصفوا المرأة، فقد طلب من الزوج أن يعلم زوجته وأبناءه (الإناث والذكور) وإماءه شؤون دينهم بصفة خاصة[٣٠].

وها هو الونشريسي (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م) ينظم إلى صف ابن الحاج الفاسي، يلزم الأزواج، تبعا لمسؤولياتهم الدينية بأن يرشدوا زوجاتهم وبناتهم ويعلمهن مبادئ العقيدة السليمة: ففي نظر الونشريسي ليست جميع النساء حاصلات على مستوى علمي يؤهلهن على معرفة دينهن، أي أن نساء من هذه المجتمعات لم تتح لهن فرصة التعلم المنشود[٣١].

ونذكر نموذجا من نوازل الونشريسي حول مسألة " الخلاف الفكري والملحي بين الزوجين "وقع خلاف بين زوجين من نوع دقيق يتصل بالأفكار والمعتقدات الدينية، فالأصل أن يكون هناك انسجام فكري وعقد بين طرفي العقد، لأن حفظ النسل، ممثلا في الزواج مثلا لا ينبغي له أن يضر بمقصد آخر وهو حفظ الدين، فينشأ الأبناء نشأة دينية وفكرية مضطربة، وقد تؤثر الزوجة أو الزوج، باعتقاده الفاسد في فكر زوجته[٣٢]، فيدخلها، بسبب ذلك، فساد عظيم في عاجل حياتها وآجلها، وعجب لذلك، فقد أفتى الفقهاء في تلك النوازل من شأنه أن يرفع حالة التناحر الديني والفكري بين الزوجين، ويعيد الاستقرار إليهما.

وقد سئل الشيخ أبو عبد الله بن مرزوق[٣٣] عن فتوى " أفتى بها رجل ممن تصدى للإفتاء، وهي أنه يجب على كل من له زوجة أن يسألها عن عقيدتها، فإن وجدها معتقدة ما يستحيل في حقه تعالى، كالجهة مثلا، فإنه يحق عليه أن يفارقها، لأنها مشركة[٣٤]"، وكان السؤال حول كيفية التعامل مع هذه الفتوى، أيكون الحكم بها لهم لا ؟ فأجاب:" هي إحدى الطامة، فمهما فتح هذا الباب على العوام، اختل النظام، فلا تحرك على العوام العقائد، وليكتف بالشهادتين كما قال الإمام أبو حامد، وبهذا جاءت الأحاديث الصحاح.

فالعوام ليسوا مالكين لزمام الآراء الفكرية، وهم غير قادرين لاعتبارات معرفية ونفسية على الغوص في بواطن العقائد والأفكار، ومن ثم فإن إرغامهم على الخوض في هذا المجال إنما هو بإحداث فتنة يكون أثرها على الدين السلبي إلى أبعد الحدود، والنازلة دون أن تصرح بذلك تلفت نظر الدارس إلى الحالة الفكرية لنساء المغرب الإسلامي، فليست جميع النساء حاصلات على مستوى علمي يؤهلهن للإجابة على اختبار أزواجهن لهن في موضوع العقيدة، بل إن بعضهن لا يدركن إلا الشهادتين وليس لهن علم أولي بالعموميات، فضلا عن خواص الفكر والعقائد، أي أن نساء العامة لم تحظ بنصيب من العلم والمعرفة، وما دام الأمر على هذه الحال، فالأصل أن يتعامل مع نساء المسلمين بحسب ظاهرهن، وهذا ما أفتى به العبدوسي في نازلة أخرى تتصل باختبار زوج لزوجته في عقيدتها.

لقد أجاب الونشريسي بحزم قاطع لدابر الفتنة بقوله:" تحمل النساء المسلمات على ظاهرهن من صحة إسلامهن وعقائدهن، وكل أسرارهن إلى الله سبحانه،غير أنه إذ غلب ظنه فساد في عقيدتها، فإنه يباحثها في ذلك، ويجب تعليمها ما جهلت من ذلك[٣٥].

والجديد في هذه الفتوى أن الفقيه يضع الزوج إزاء مسؤولياته في تربية الزوجة وإرشادها وتعليمها، وهذا تكتسب المرأة المغربية حقا جديدا، وهو أن لها حقا على زوجها أن يعلمها أو يوفر لها أسباب التعليم.

إضافة إلى ذلك، فالعبدوسي يحمل العلماء قسطا من المسؤولية في الموضوع، حيث يقول: "وكان بعض الفقهاء المقتدى بهم يأمر شهود عقد النكاح باختبار عقيدة المرأة عند إرادة العقد عنها لغلبة الفساد على عقائدهن، فكانوا يفعلون ذلك، فهدى الله بذلك أمة عظيمة منهن إلى عقائد الحق، وسأضع، إن شاء الله تعالى، تأليفا مختصرا فيما لابد للعامة من اعتقاده بعبارة بسيطة وأدلة عقلية ونقلية تدركها عقولهم برافة سبحانه التوفيق"[٣٥]. إن الاختبار الذي أشار إليه العبدوسي من قبل العلماء إنما هو اختبار تربوي، الغاية منه لفت النساء إلى وجوب تعلم عقيدة التوحيد من العلماء، وليست الغاية إخراجهن من دين الله ووصفهن بالكفر والشرك، والدليل على ذلك أن نتائج الاختبار التربوي كانت إيجابية، إذ هدى الله على أيديهم أمة عظيمة من الفساد.

والراجح أن العبدوسي كان مشغول البال بقضية عقيدة النساء بعدما شاهد في محيطه إقبال من قبل الرجال أو تصلّب في اختيار تسانيم في المعتقدات، لذلك فقد قرر أن يكتب مؤلفا يبسط فيه عقيدة التوحيد[٣٧]، ثم إنه بين أنواع فساد العقيدة إلى تشبث به البعض، واستجابة لرغبة زوجته، فقد سئل في نازلة أخرى مشابهة، فأجاب: "فساد العقيدة على ثلاثة أوجه: منه ما هو كفر بإجماع، ومنه ما هو بدعة فسق معتقده ولا يكفر، ومنه ما هو مختلف فيه هل هو كفر أم لا؟. فأما ما هو كفر بإجماع، فحكم معتقده حكم المجوسية لا يجوز نكاحها ابتداء، ومن نكحها ولم يعرف بذلك ثم عرف به وجب فراقها، والفراق فسخ بغير طلاق، وثبت ذلك إما ببينة علمت ذلك منها حالة العقد عليها، أو بإقرار منها بذلك على نفسها وتصديق زوجها لها، وأما إذا لم يصدقها فلا يقبل قولها، لأنها تتهم أن تكون أرادت فراقه بدعواها ذلك، لكن يستحب له أن يفارقها نزها وتورعا وتوقيا للشبهات، وما ليس بكفر بإجماع، فلا يجب عليه فراقها، ويجب عليه إرشادها وتعليمها ما تصلح به عقيدتها، إن لم يكن هنالك من يكفيه ذلك من ذي يحرم منها أو غيره، وما هو مختلف فيه هل هو كفر أم لا؟ فينظر

فيه إلى الزوجين، فإن اتفقا على القول بعدم التكفير جاز لهما البقاء على الزوجية، وإن أخذ بالقول بالتكفير، وجب عليهما الفراق، وكذلك إن أخذ به الزوج خاصة وجب الفراق لأن حل العصمة بيده، وإن أخذ الزوج بالقول بعدم التكفير وأخذت المرأة بالقول بالتكفير، فالقاضي يرفع الخلاف بينهما: فإن حكم بالتكفير أوجب الفراق، وإن حكم بعدمه ألزم المرأة البقاء معه وحكمه يرفع الخلاف"[٣٨].

والشاهد عندنا، في هذه النازلة، أن ضعف معرفة المرأة بعقيدتها ودينها أمر ملحوظ في مجال كبير من نساء المغرب الإسلامي، ثم إن الفقهاء ألزموا الزوج، تبعا لمسؤولياته الدينية، بأن يرشد زوجته ويعلمها مبادئ العقيدة السليمة، بالإضافة إلى ذلك، فقد رجحت الفتوى قول الزوج فيما هو مختلف فيه، لأنه ما دام ينظر إلى المسألة بأنها ليست بكفر، فهو في غنى عن أن يختبر زوجته، أو يقيم عليها الحجة ليتخذ ذلك مطية إلى الذهاب إلى فراقها، وفي هذا المنهج بعد آخر من أبعاد الحقوق التي حفظها الفقه للمرأة، فهو يبحث دائما عن السبل التي تبقى على تلاحم العلاقة الزوجية بين الزوجين، ويدرأ بوادرها بالشبهات، ولا يشجع على الشك في المعتقدات، كما أنه لا يحرض الزوج على اتخاذ سلطة الزوجية ذريعة لامتحان أفكار زوجته وعقائدها، وإنما الأسلم أن تؤخذ الزوجة بظاهر إسلامها، مع إبقاء بادرة تغيير المنكر بيده عبر وسائل الإرشاد والتوجيه وضرورة تعليم المرأة.

الهوامش

(١) الآيات: ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥، من سورة العلق.

(٢) ابن ماجه: سنن ابن ماجه،المقدمة ،ص١٣٤،تح:محمد مصطفى الأعظمي، ط ١، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م، المملكة العربية السعودية، ج١، ص ٢٦، حديث ١٩٦.

(٣) الآية ١٢٤ من سورة النساء .

(٤) حافظ محمد أنور: ولاية المرأة في الفقه الإسلامي، دار بلنسية و التوزيع ١٤٢٠ هـ،الرياض، ص٥١٩ .

(٥) البخاري: صحيح الإمام البخاري، مراجعة قصي محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، القاهرة،ص١٢٤، رقم الحديث٥٠٨٣.

(٦) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: رقم كتبه و أبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، صححه محب الدين الخطيب، قصي محب الدين الخطيب راجعه، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج١، ص٢٢٩.

(٧) ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تح، علي أحمد البجاوي، دار النهضة: مصر، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٨، ص٣٠.

(٨) ابن حنبل: مسند الإمام أحمد، ج١، ص ٢١٢.

(٩) إسكان الحسين:جوانب من تاريخ التعليم في المغرب الوسيط من القرن ٧هـ ـــ ١٣م/٩هـ ـــ ١٥م، رسالة نيل دبلوم الدراسات العليا، الرباط، ١٩٨٨، ص ص١٢،١١

(١٠) البخاري:م س، ص ٢٥٤ حديث رقم١٠١.

(١١) ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص١٦، عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص ص٦٤٦،٦٥٤.

(١٢) ابن القطان: نظم الجمان، ص١٢٨

(١٣) ابن القطان : م س، ص٨١.

(١٤)مجهول: مجموع رسائل موحدية ، ج١٠، ص١٣٢.

(١٥) نفسه ،ج١٠، ص١٣٢.

(١٦) محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين،دار المغرب،الرباط،١٩٧٧، ص٢٧.

(١٧) نفسه، ص٢٨.

(١٨) عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج١، ص٣٥٣.

(١٩)ابن تومرت:أعز ما يطلب، ص١٨ .

(٢٠) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص٥٢٨.

(٢١) عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج٢، ص٣٥٥.

(٢٢) ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير ، ص٤٥.

(٢٣) البرزلي. جامع مسائل الأحكام،ج١، ص١٠٨٣

(٢٤) نفسه، ج١، ص١٢٨٣ .

(٢٥) الأبي: إكمال الإكمال،ج١،ص ص١٨٧، ١٨٨، ج٣، ص٣٧

(٢٦) المازوني: الدرر المكنونة ، ج٢، ص٤٩٨.

(٢٧) ابن قنفذ: م س ، ص٨١.

(٢٨) ابن الحاج: المدخل، ج١، ص٢

(٢٩) ابن الحاج:م س،ج١، ص٢١٠.

(٣٠) نفسه، ج١، ص٢١٠.

(٣١) نفسه ، ص ص٢١٢، ٢١٥.

(٣٢) الونشريسي: المعيار ، ج٣، ص٢٧٦.

(٣٣)الونشريسي: م س، ج٣، ص٨٧.

(٣٤) هو أبو عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد العلوي سنة ٨٤٢ هـ/١٤٣٨ م، لقب برئيس علماء المغرب، ينظر، عبد الشكور لبيلة: م س، ص١٤٥.

(٣٥) الونشريسي :م س، ج٣، ص ٨٨ .

(٣٦)الونشريسي:م س، ج٣، ص٨٨.

(٣٧)نفسه، ج٢،ص ٢٣٦ .

(٣٨) الونشريسي :م س، ج٢،ص ٢٣٦ .

المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم.

ـ البرزلي:الشيخ أبو القاسم بن أحمد البرزلي البلوي القيرواني: جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، مخطوط مدار الكتب الوطنية بتونس، رقم ٤٨٥٠ ، ٤٨٥١.

ـ الأبي، أبو عبد الله بن خلفة الوشتاتي(٨٢٨هـ/١٤٢٤م): إكمال الإكمال المعلم، طبعة حجرية ، القاهرة، ١٩١٠.

ـ البخاري: صحيح الإمام البخاري، مراجعة قصي محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، القاهرة، رقم الحديث٥٠٨٣.

ـ ابن تومرت:محمد بن عبد الله الغرغي المصمودي،(ت٥٢٤هـ/١٠٢٩م): أعز ما يطلب: تحقيق، تونسياني، الجزائر،١٩٠٣، وتحقيق عمار طالبي، م، و، ك، الجزائر، ١٩٨٥.

ـ ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي (ت٧٣٧هـ/١٣٣٦م): المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسن النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها، مكتبة جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، ط١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

ـ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، رقم كتبه و أبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، صححه محب الدين الخطيب، قصي محب الدين الخطيب راجعه، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

ـ .... الإصابة في تمييز الصحابة، تح: علي أحمد البخاري، دار النهضة، مصر، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٨، ص٣٠.

ـ ابن حنبل، أحمد (٢٤١هـ/٨٦٣م): مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد محمد شاكر دار المعارف، مصر، ج١.

ـ ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان بن عمر (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م):المقدمة، ج٢، ط٢، تحقيق علي عبد الواحد وافي، الناشر لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٦، والمكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د، ت.

ـ ابن القطان المكناسي،أبوعلي حسن:(عاش في القرن٧هـ/ ١٣م): نظم الجمان في أخبار الزمان،تح،محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٨٧، طبعة جامعة محمد الخامس،الرباط، د ت .

ـ ابن قنفذ: أبو العباس أحمد القسنطيني (ت٨١٠هـ/ ١٤٠٧م): أنس الفقير وعز الحقير، نشره وصححه محمد الفاسي وأودلف فور، منشورات الجامعة للبحث العلمي، كلية الآداب، الرباط، ١٩٦٥.

ـ مؤلف مجهول: رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية اعتنى باصدارها ليفي بروفنسال، المطبوعات، معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، ١٩٤١.

ـ ابن ماجه: سنن ابن ماجه،المقدمة ،ص١٣٤،تح: محمد مصطفى الاعظمي، ط ١، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م، المملكة العربية السعودية.

ـ المازوني: أبو زكريا يحي(ت٨٨٣هـ/١٤٧٨م): الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق حساني مختار،جامعة الجزائر،٣٠٠٤.٣ أجزاء.

ـ الونشريسي: أبو العباس أحمد بن يحي(ت٩١٤هـ/١٥١١م) :المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى أهل افريقية والمغرب،أخرجه جماعة من العلماء

باشراف محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ط ١٩٨١، ١٣جزء.

ـ حافظ محمد أنور: ولاية المرأة في الفقه الإسلامي، دار بلنسية و التوزيع ١٤٢٠هـ،الرياض.

ـ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ق٢، عصر الموحدين واخبار الأندلس الكبرى ، ط٢، ١٩٩٠.

ـ فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، جسر آن، الجزائر، ٢٠٠٢.

ـ محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، دار المغرب، الرباط، ١٩٧٧.

ـ إسكان الحسين: جوانب من تاريخ التعليم في المغرب الوسيط من القرن ٧هـ ـ ١٣م/٩هـ ـ ١٥م. رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، الرباط، ١٩٨٨.

ـ عبد الشكور نبيلة: القضاء والقضاة في عهد الدولة الزيانية، ماجستير، جامعة الجزائر، ١٩٩٧.

أ.د. شكران خربوطلي (*)

إسهامات المرأة العلمية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي

مقدمـــة:

شغلت الأحداث الجسام عقول المؤرخين ، وأفكارهم ، وراحوا يسطرون مشاهداتهم ، ومروياتهم عن بطولات الخلفاء والسلاطين ، والحكام الذين تتابعوا على حكم بلاد الشام ، وأثروا في أحداثها السياسية والعسكرية .

ولم يحظ التاريخ الفكري بكبير اهتمام منهم ، حيث كانت ترد إشارات عفوية لا تغني ولا تسمن من جوع ، ولا تفي بالمطلوب ، على الرغم من أن الأحداث الجسام السياسية والعسكرية ، لم تكن لتبصر النور لولا متانة الفكر الذي خطط لها .

ومن البديهي أن يوجد ترابط بين الجوانب العسكرية والسياسية والفكرية ، فأي خلل بالجانب الفكري ينعكس سلبا على الجانب السياسي والعسكري .

(*) أستاذ قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة دمشق

وقد أدرك ذلك نور الدين محمود بن زنكي الذي استأثر بحكم دمشق وصرف همه إلى إنشاء المدارس ، وتابع الأيوبيون ومن بعدهم المماليك ، فسارعوا إلى الجهاد في الوقت الذي شغفوا فيه بالعلم والأدب وتشجيعه ، فلم تنحصر شهرتهم في الدفاع عن البلاد الإسلامية ، وتوحيدها ، وتحرير ما اغتصب منها فقط إنما كانت شهرتهم أكثر فأكثر باهتمامهم بالعلم والعلماء ، وما قدموه في هذا الجانب الهام من حياة دولتهم حيث غدت الروح السائدة فيها روح الثقافة والعلم .

لقد عملوا على تنشيط العلم ، وعززوا مكانته في البلاد قاطبة حتى لم يكن يضاهيهم في عصرهم في هذه الناحية أحد ، وقد بذلوا للعلماء ثمن علمهم بكرم وسخاء ، وشيدوا لهم المدارس والمعاهد ، فوفد العلماء من كل قطر وناحية إلى هذه البلاد التي راجت فيها بضاعتهم[٢٠] .

وترجع الروح العلمية ونشاطها وسيادتها في المرحلة المدروسة إلى أن حكامها أنفسهم كانوا علماء ، وأن كثيرا منهم لهم مؤلفات متنوعة في العلوم والفنون ، وقل منهم من لم يكن شاعرا أو لم يقل الشعر[٢١] .

لقد اهتم الزنكيون والأيوبيون ومن بعدهم المماليك بأمر الثقافة ونشرها في أرجاء البلاد ، وأخص بالذكر منهم صلاح الدين الأيوبي والمعظم عيسى .... كان كلما سمع بعالم ممتاز زين له المجيء إلى بلاده وحقق له رغباته ، وكان يغدق على المدرسين ، ويوسع الرزق على القائمين بشؤون الثقافة حتى صارت أرزاق أرباب العمائم إقطاعا وراتبا تتجاوز مئتي ألف دينار ، وربما كانت ثلاثمائة ألف دينار[٢٢] ، ولم يقتصر ذلك على السلاطين إنما تعداهم إلى نسائهم ، وتعدى ذلك المرأة الحاكمة إلى الكثيرات من النساء سيعمل البحث على رصدهن .

ومن الواضح أن وطننا العربي يعيش في هذه الآونة مرحلة من مراحل تاريخه المطويل تتمثل بمحاولة الدول الاستعمارية المسيطرة على الفكر والغزو الثقافي بعد النيل من وحدته الوطنية ، وتفتيته داخليا .

وعلى هذا فإن الخوض في موضوع فكري واجب وطني وقومي في هذه المرحلة يتطلب صبرا وأناة ومتابعة لكل صغيرة وكبيرة في المصادر العديدة ، الأمر الذي تتطلب البحث في مدة زمنية حددناها بالعصر الأيوبي والمملوكي .

أضف لذلك أن هذا الميدان واسع جدا لذا وانسجاما مع محاور المؤتمر فسيكون البحث والحديث من الجانب الذي يتعلق بالمرأة وإسهاماتها العلمية.

من إسهامات المرأة العلمية :

احتلت المرأة مكانة عالية في مجتمعها الذي قدرها ومثلها برعايته وعنايته، فأثبتت أنها أهل لذلك ، حيث خاضت معترك الحياة بميادينها المختلفة مشاركة بذلك في بناء مجتمعها بشتى الطرق والوسائل التي أتيحت لها.

وكان أبرز ميدان وضع فيه نشاطها وحيويتها الميدان العلمي وعلى الأخص العلوم الدينية ، كما سيتضح من خلال البحث ، حيث أقبلت على تلقي العلم والبحث عنه ، وأسهمت بنصيب كبير في العملية التعليمية للنساء بصفة خاصة ، والرجال بصفة عامة ، وحضرت المجالس العلمية وشاركت فيها في أمكنة منفردة عن الرجال[٢٣] ورحلت في طلب العلم وأجيزت وأجازت بالتدريس .

والمتتبع للإشارات التي وردت في المصادر يدرك مدى المشاركة التي قامت بها المرأة في هذا المجال ، فكثيرا ما نقرأ عبارة سمعت عن علماء أجلاء ، وسمعت عن فلان[٢٤] ، وسمع عنها ، وروى عنها وقرأ عليها ، ودرست على جملة من العلماء الأعلام[٢٥] واجتمع عليها الطلبة ، وتردد إليها كثير من طلبة العلم ، وتزاحم عليها الطلبة وكتبت عن جل عنها[٢٦] .

هذه العبارات على الرغم من تداخلها وتشابهها ، بل وتطابقها أحيانا تدل دلالة واضحة على النشاط العلمي للمرأة ، خاصة وأن كل عبارة منها قيلت عن عشرات من النساء ، بمثل المئات ، الأمر الذي يثبت أن فالدقن كانت كثيرة وعطائهن غزير .

كذلك توضح العبارات السالفة مختلف السبل والوسائل التي سلكتها المرأة في أخذ العلم ، أو إعطائه عن طريق السماع ، أو الرواية ، أو التلقين .

دور المرأة في الحياة الفكرية :

تماشيا مع تعاليم الإسلام والدعوة إلى طلب العلم الموجهة إلى النساء والرجال معا ، وقوله تعالى(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)، روى البخاري في صحيحه أن

النساء قلن للنبي صلى الله عليه وسلم (غلبنا الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن) [٥٨].

ثم كانت زوجاته صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته مرجعا لمسائل الدين والفقه ، وكان بيت كل واحدة منهن مدرسة يجتمع فيها طلاب العلم والحديث فيأخذون عنهن أحكام الشريعة وغيرها من العلوم [٥٩] كعائشة وحفصة .

وفي العصور الإسلامية التالية مارست المرأة دورها العلمي بحرية وفعالية فلم تكن في منأى عن ساحة النشاط العلمي ، بل تلقت نصيبا وافرا من العلم والمعرفة ، ولم يميز بين الرجل والمرأة في ميدان الحياة الفكرية . فنالت المرأة مكانة مرموقة بمشاركتها الفعالة في النشاطات العلمية .

المرأة وعلوم الدين :

حرصت النساء على تلقي هذا العلم ودراسته وفهمه ثم تقديمه للآخرين وتخرجت المرأة آنذاك من بيوت علمية عريقة ، وكان الكثير من النساء من عائلات معروفة يشار إليها بالبنان: كعائلة السبكي مثلا التي انتسب إليها ستيتة بنت تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي(ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) فقد اجتهدت في طلب العلم وسمع منها العلماء وحدثوا عنها في حمص وغزة [٦٠] وكذلك قدمت عائلة ابن دقيق العيد العلمية رقية بنت تقي الدين محمد بن علي بن وهب بن دقيق العيد القشيري (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م) وهي عائلة محدثة منحت الطلاب الإجازات الكثيرة ، وكان لزوجة العالم النحوي المشهور أثير الدين أبي حيان الغرناطي زمردة بنت أبرق (ت٧٣٦هـ/١٣٣٥م)دور علمي بارز ، فقد تعلمت على جماعة من العلماء ثم حدثت بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم [٦٢].

ومنهم الشيخة العالمة المسندة فاطمة ابراهيم بنت محمود بن جوهر (ت٧١١هـ/ ١٣١١م) التي درست صحيحي البخاري ومسلم على العلماء ، ثم رويته عدة مرات ، وبلغ من مكانتها العلمية أن قصدها كبار العلماء ، وممن تلقى العلم عنها العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي [٦٣].

وأخذت العالمة المسندة زينب بنت سليمان بن إبراهيم بن رحمة الأسعردي (ت٧٠٥هـ/١٣٠٥م) العلم من كثير من علماء عصرها وسمعت منهم الأحاديث

الصحيحة،وتعلمتها ، وبلغت مرتبة علمية جعلتها قبلةالكثير من طلاب العلم أمثال مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) [٦٤].

وطلبت ست الفقهاء بنت إبراهيم بن علي بن أحمد الواسطي (٧٢٦هـ/١٣٢٥م)العلم على عدد من العلماء ، ثم روت الكثير من الأسانيد كسنن ابن ماجة [٦٥].

وطلبت مؤنسة بنت صبيح بن عبد الله (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)تعلم حتى أجيز لها بالحديث، وظلت تحدث حتى وفاتها بالقاهرة [٦٦].

ونالت زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المعروفة ببنت الكمال (ت ٧٤٠هـ/١٣٣٩م) الإجازات من بغداد وحلب والشام والاسكندرية والقاهرة ، وقد ذكر صلاح الدين الصفدي أنها أجازته وكان الطلبة يتزاحمون عليها ، فتقرؤهم الكتب المشهورة التي تستغرق أحيانا أكثر النهار [٦٧].

وكذلك الشيخة المقية البغدادية (ت٧١٤هـ /١٣١٤م) أتقنت الفقه وغوامضه الدقيقة ، ومسائله العويصة فقد بحثت مع العلماء في مسائله حتى إلى جنب وعظت في دمشق ثم انتقلت إلى القاهرة وكانت تصعد المنبر فتعظ النساء وتؤثر فيهن الأمر الذي جعل صلاح الدين الصفدي يقول عن(وزخرت علوم بحورها وماجت فلو عاينتها لقربت من الشيخ تقي الدين في غضبها) [٦٨].

ولقد كان لابنة القاضي علم الدين صالح واسمها آلف حلقة ربت فيها قراء يقرأون عندها الحديث والتفسير، وتردد إليها كثير من طلبة العلم [٦٩] وكذلك أسماء بنت الفخر حيث كانت تلقن النساء القرآن الكريم وتعلمهن العلم [٧٠] ،هذا عدا الوعظ الذي كانت تقوم به بعض الشيخات في بعض الرباطات حيث تقوم الشيخة بوعظ النساء وتذكرهن وتفقههن كفاطمة بنت عباس الواعظة التي كان يثني عليها العالم الجليل ابن تيمية [٧٢].

ولقد ذكرت تذكار باي خاتون ابنة السلطان الظاهر بيبرس بأنها امرأة صالحة تقية محبة للخير مقربة للفقراء وأخصهن النساء الصالحات وقد وصفت بأنها فقيهة والمرة العلم زاهدة واعظة تنقلت بين الشام ومصر وانتفع بعلمها كثير من النساء [٧٣] حتى أنها بنت لهن رباطا سمته

رباط البغدادية (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م)على اسم الشيخة الصالحة زينب بنت أبي البركات المعروفة ببنت البغدادية وقد ذكره المقريزي حيث قال (وهابرح إلى وقتنا يعرف سكانه من النساء بالخير وله دائما شيخة تعظ النساء وتذكرهن وتفقههن)[٢٤].

ويذكر لنا ابن الحاج خبرا يعطي صورة تظهر تعلم النساء على الرجال حين ذكر عالما كان يقيم درسا في أحد المساجد قال(يجتمع إليه الناس لسماع الكتب فيه ، ثم تأتي النساء أيضا لسماعها ، فيقعد الرجال بمكان والنساء بمقابلتهم)[٢٥].

ويروي أيضا أنه كان للعالم المصري أحمد بن سليمان القاهري (ت٨١٩هـ/١٤١٦م) مجالس في الفقه والترغيب في طلب العلم ، وذكر الحلال والحرام وأنه أنشأ جامعا بالمقس وصار يعظ ويعلم الناس .

المرأة وتعليم الرجال :

لقد عدت المرأة في العصر المدروس في صفوف العلماء الأفذاذ وعدت تلك العالمة الحجة الثقة التي يقصدها طلبة العلم والمعرفة الذين صاروا من كبار العلماء ومشهوريهم كالحافظ الذهبي وتقي الدين السبكي وابن عساكر....وقد ذكر الحافظ الذهبي أنه تلقى العلم على عدد من النساء زاد على المئة[٢٦].

وتزخر كتب التراجم بذكر النساء اللاتي خرّجن الكثير من العلماء عندما أكدت المرأة تفوقها ، وتصدرت لتدريس علوم عصرها أسوة بالرجال العلماء ، ونأتي في مقدمة هؤلاء ست الوزراء أم عبد الله بنت القاضي شمس الدين عمر (ت٧١٧هـ/١٣١٧م) التي حدثت وفقهت وسمع منها خلق كثير حتى وصفت بمسندة العصر[٢٧].

واشتهرت الشيخة العابدة زينب مكي بنت علي بن كامل الحراني (ت٦٨٨هـ/١٢٨٩م) ولشهرتها ازدحم عليها الطلبة وعلمت الكثيرين[٢٨] لمثال أحمد بن ادريس بن يحيى بن يونس الحراني (ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م) ومحمد بن أحمد بن ابراهيم بن الزبير الغرناطي (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) وعلي ابن محمد بن يحيى بن أسعد الواسطي (ت٧٥٨هـ/١٣٥٦م)[٢٩]. وكذلك عائشة ابنة الصارم السنجارية الأصل ثم الدمشقية التي سمع منها الأئمة كابن حجر[٣٠].

وتفردت الشيخة الصالحة زينب بنت أحمد بن عمر(ت٧٢٢هـ/١٣٢٢م)في وقتها وحدثت في دمشق والمدينة ومصر والقدس[٣١].

ومن بين الشهيرات فاطمة ابنة الشيخ الإمام العالم جمال الدين الأنصاري الدمشقي حيث وصفت بأنها من العالمات الفاضلات المحدثات الصادقات في الرواية ، أخذت الحديث عن والدها وعن أجلاء عصرها وقد أخذ الحديث عنها جملة[٣٢].

وكذلك أم الخير سنيتة ابنة تقي الدين السبكي العالمة الذكر كانت عالمة تقية من تلامذتها ابو حامد بن ظهيرة فقد حدث عنها .وكذلك ألف ابنة القاضي علم الدين صالح العالمة الذكر التي رئيت قراء يقرأون عندها الحديث والتفسير وتردد إليها كثير من طلبة العلم[٣٣]، وذكر عن قطلو ابنة سيف الدين أنها كانت من مسندات الشام[٣٤].وفاطمة بنت سليمان بن عبد الكريم الأنصاري كانت عالمة بالحديث دمشقية أخذت عن أبيها وغيره وأجازها معظم علماء الشام والعراق والحجاز وقارمن في عصرها[٣٥] (ت٧٠٨هـ/١٣٠٨م)في دمشق.

ولا يغيب عن الذهن أنه أحيانا كانت زوجة العالم تبلغ عنه بعض أحكام الشرع للنساء عموما ، ولبعض الرجال خصوصا ، ومن وراء حجاب ، كما فعلت أنس ابنة عبد الكريم التي سمعت عن زوجها وحدثت ...وقرأ عليها الفضلاء[٣٦].

وقد عد البعض أن من حقوق الزوجة على زوجها طلب العلم ، تطلبه من زوجها ، وإن لم يفعل خرجت بدون إذنه وخاصة في أمور الدين[٣٧].

أضف لذلك لقد كان الفقه من بين العلوم التي وجدت اهتماما من قبل نساء العصر وأجدن فيه إجادة طيبة ، إذ ذكر عن فاطمة ابنة الإمام المهدي أحمد بن يحيى أن لها مع والدها مرافعات في مسائل كثيرة ، وقيل إنها ترجع إلى نفسها في استباط الأحكام.وكان زوجها الإمام المظهر يرجع إليها فيما يشكل عليه من مسائل وإذا ضايقه أحد التلاميذ في بحث دخل عليها فتفيده بالصواب[٣٨].وكذلك كانت الواعظة فاطمة بنت عياش العالمة الذكر التي كان لها باع طويل في دراسة الفقه[٣٩].

أضف لذلك فكثير من النساء نلن إجازات علمية على يد علماء أجلاء وكثيرا ما تتردد عبارة وأجاز لها شيوخ كبار[٤٠]وأجاز لها علماء أجلاء ، وأجاز لها الأفاضل[٤١] ومنهن من

لديها أكثر من إجازة كأم يحيى قصر ابنة الموفق ، فقد شاهد السلامي عندها إجازة أعطيت لها في٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م والأخرى في عام ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م من قبل فريق آخر من العلماء"[٤٢] ويبدو أن نوال الإجازة كان يتم إما باللقاء والمناقشة أو بالمراسلة ، فشمس الملوك ابنة ناصر الدين أجازت للسخاوي رغم عدم لقائه معها"[٤٣] وهذا واضح من تلك العبارات سالفة الذكر لأنها تشير إلى أكثر من عالم ، وربما كان هؤلاء يعيشون في بلدان متفرقة تطرق البحث للحديث عنهن في فقرة سالفة.

المرأة والأدب :

كان الأدب من ضمن العلوم التي عملت فيها المرأة في هذا العصر فقد كان لها مشاركة في نشاطات الأدب والشعر ، فكان بينهن الشاعرات والأديبات مثل تقية ابنة أبي الفرج التي فاقت الرجال ولها باع طويل في الأدب"[٤٤]. وكذلك عائشة بنت يونس الباعوني التي ذكر عنها بأنها فاقت النساء في عصرها ، ووصفها عبد الغني النابلسي بأنها فاضلة الزمان وخليفة الأدب في كل مكان ووصفها غيره بأنها ربة الفضل والأدب ولها ديوان شعر بديع في المدائح النبوية ، ومن ذاليقها مولد جليل للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولها قصيدها البديعة ولها عليها شرح بديع سمته الفتح المبين في مدح الأمين"[٤٥].

وهناك فاطمة بنت الخشاب التي كانت شاعرة مجيدة ، ولها قصائد مطولة عاصرت الصفدي في القرن السابع الهجري ، وراسلها العلامة ابن فضل الله ، ولم يخاطبها إلا بما يوافق العلماء الأعلام ،ونذكر من بينهن أيضا الشاعرة المبرزة ستية التي كتبت قصيدة إلى السخاوي وأخرى إلى قاضي مكة . ولها مكاتبات إلى جماعة من الأدباء ، واستمرت على نظم الأدب ومدح أرباب الرتب حتى توفيت عام ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م"[٤٧] ويذكر أن السخاوي شبهها بالخنساء ، وقال عنها (ولها براعة في النظم وكانت فريدة فيما استحسنت عليه ، أما مؤنسة ابنة الشيخ محمد البيطار ذكر أن لها أشعار كثيرة)"[٤٨] سمعها أكابر العلماء في عصرها.

المرأة والطب :

ونجد مشاركة المرأة في مجال الطب فوالدة المؤرخ تقي الدين المقريزي أسماء بنت محمد بن عبد الرحمن بن علي بن الصائغ(ت ٨٠٠هـ/١٣٩٧م) كانت تصف للناس دواء للصداع ويذكر عنها ابنها أنها وصفته مرارا عديدة فما أخطأ"[٤٩].

الرحلة في طلب العلم :

لم تكتف المرأة بالعلم والتعلم ، بل قامت برحلات متعددة إلى أماكن كثيرة لطلب العلم هنا ، ولنشره أحيانا أخرى ، وقد ورد في الفقرات السالفة إشارات إلى ذلك ، وتورد الآن أسماء البعض منهن مثل عائشة ابنة علي بن محمد فقد زارت القدس والخليل وحدثت هناك ، وسمعت وأخذ عنها الأعيان"[٥٠]. وفاطمة بنت عباس التي انتقلت بين دمشق والقاهرة وتفقهت بين مختلف المدن والقرى والأقطار .

ولقد ذكر أنهن كن يلتقين برجال العلم والأدب وطلابه للدرس والمناقشة ولكن من وراء حجاب"[٥١].

المرأة وإنشاء المؤسسات العلمية:

بذلت المرأة علمها وما لها لتسهم في ازدهار الحياة الفكرية فهي لم تقنع في بيتها ، أو تقف شاهدة عيان على الحال غيرها ، بل شاركت في رعاية العلم وإقامة مؤسساته ، وذلك فيما يشكل مؤشرا صادقا على مدى التقدم والحرية والانفتاح السائد في المجتمع آنذاك مقارنة بما كانت تعانيه المرأة في أوربة في العصور الوسطى من ظلم وجهل وتخلف .

وقد شاركت المرأة في تشييد المدارس والجوامع والخوانق والربط ، فقد ذكرت كتب التراجم والتاريخ والتربية تسع عشرة مدرسة أسسها النساء ما بين(٥٣٦هـ/١١٣٢م) و(٦٦٠هـ/١٢٦٢م) في دمشق يؤكد لنا أنها نبت في فترة لم تتجاوز القرن والربع ، وهي كثيرة إذا ما عرفنا أن هذه الفترة قد بني فيها أكثر من مئة وستين مدرسة أنشئت في دمشق ، والقدس وطرابلس ومصر وحلب وحماة .

فالمدرسة الخاتونية البرانية وكانت للأحناف صاحبتها زمرد خاتون بنت جاولي بن عبد الله الحجة شمس الملوك ، وأخت الملك دقاق زوجة نور الدين الشهيد.

وكانت زمرد هذه قد سمعت الحديث واستنسخت الكتب وحفظت القرآن"[٥٢]. وبداخل مدينة دمشق أنشأت عصمة الدين خاتون بنت معين الدين أنر زوجة نور الدين الشهيد ثم زوجة صلاح الدين المدرسة الخاتونية الجوانية وكانت للفقه الحنفي ، وبنت أيضا رباطا

وممن درس في هذه المدرسة والد ابن شداد حجة الإسلام وفخر الدين الجواري ، والقاضي عز الدين السنجاري ، وكمال الدين عبد اللطيف ، والبرهان بن الموفق مسعود بن شجاع الحنفي ، وابن عطاء ، وابن أبي جرادة ، والرومي والصعدي[٥٣] .

وأما عصمة الدين مؤنسة خاتون فقد بنت المدرسة القطبية مدرسة الست جليلة الكبرى ، وهي ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب وشقيقة الملك الأفضل قطب الدين أحمد (ت٥٧٧هـ/١١٨١م) كانت حافظة للحديث سمعته من الحافظ أبي العباس الظاهري ، وخرج لها جزءا ، وكانت عاقلة دينة فصيحة لها أدب وصدقات كثيرة[٥٤] .

وأنشأت الخاتون ست الشام زمرد ابنة الملك الأفضل نجم الدين أيوب أخت الملك العادل سنة٥٨٢هـ/ ١١٨٦م المدرسة الشامية البرانية ، وممن درس فيها تقي الدين بن الصلاح ، وشرف الدين بن زين القضاة ، وابن عصرون ، والجيلي ، وشمس الدين بن الشيرازي والمقدسي والفارضي وابن قاضي شهبة وشهاب الدين الزهري ، وتقي الدين السبكي .

وبمقابل البيمارستان النوري بدمشق أنشأت المدرسة الشامية الجوانية وكانت جرمانا من جملة وقفها[٥٥] . وبداخل باب النصر أنشأت الست عذراء بنت نور الدين شاهنشاه بن أيوب أخي صلاح الدين المدرسة العذراوية .

و لا تزال المدرسة المارداينة في ساحة الجسر الأبيض ملاصقة له ، وتعرف اليوم بجامع المارداينة على نهر توراً وفيها مدفن بني المؤيد ، وقد أزيل المدفن مؤخرا ، وقد أنشأها في العهد الأيوبي عزيزة الدين لخشا خاتون بنت الملك قطب الدين صاحب ماردين ، وممن درس فيها الصدر الخلاطي ، وابن التركماني ، وقاضي بيسان ، وشرطت على مدرسها ألا يدرس بغيرها . ويزقاق الصخر إلى الشرق من قصر الضيافة عند مدخل دهشة الغربي مقابل التكية السليمانية ، بنت الخاتون خطى الخير ابنة ابراهيم بن عبد الله زوجة شاهنشاه بن أيوب أخو صلاح الدين الأيوبي المدرسة الفروخشاهية ، وكانت للأحناف والشافعية .

وعن الشيخة الصالحة فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح يقول ابن كثير : وكانت من العالمات الفاضلات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتنكر على أهل البدع وغيرهم ، وتفعل من ذلك

ما لا يقدر عليه الرجال ، وكانت تحضر مجالس الشيخ الفقيه ابن تيمية ... وكان يثني عليها ويعظمها بالفضيلة والعلم ..وهي التي خدمت نساء كثيرات القرآن الكريم، (ت٧١٤هـ/١٣١٤م) من بين النساء اللاتي أسهمن في العملية التعليمية ستينة ابنة الأمير سيف الدين التي أمرت بإقامة تربة ، وفيها مسجد ، وإلى جانبها رباط للنساء ، ومكتب للأيتام وفيها صدقات وبروصلات وقراء(ت٧٣٠هـ/١٣٢٩م)[٥٧] .

وهناك أيضا بركة خاتون والدة السلطان الأشرف شعبان التي حجت في عام ٧٧٠هـ/١٣٦٨م وأسست مدرسة سميت مدرسة أم السلطان ، وعملت بها درسا للشافعية ، ودرسا للحنفية وبقيت مدة يجتمع فيها الطلبة والمدرسون يدرسون فيها جميع العلوم[٥٨] ، رجعلت على بابها حوض للسبيل ، وقيل أنها رتبت بها دروسا للمذاهب الأربعة وحضورا في كل يوم للصوفية ، ومكتبا للأيتام[٥٩] ، وكذلك طيطغي زوجة السلطان أزبك فقد أقامت للمدارس والمساجد والمارستانات[٦٠] .

وفاطمة ابنة الشيخ الإمام المقري التي أقامت المدارس والمارستانات والتكايا وأوقفت لها أوقافا[٦١] .

أما آلف ابنة القاضي علم الدين صالح فقد رتبت قراء يقأون عندها الحديث والتفسير ، وتردد إليها كثير من الطلبة[٦٢] .

وتذكر أيضا خوند فتو بنت السلطان محمد بن قلاوون حيث أنشأت المدرسة الحجازية[٦٣] ، وجعلت بها درسا للفقهاء الشافعية ودرسا للفقهاء المالكية ، وجعلت بها منبرا يخطب عليه يوم الجمعة ورتبت لها إماما يقيم بالناس الصلوات الخمس ، وجعلت بها خزانة كتب وأنشأت بجوارها قبة من داخلها لتدفن تحتها ، ورتبت بشباك هذه القبة عدة قراء يتناوبون قراءة القرآن ليلا ونهارا . وجعلت بجوار مدرستها مكتبا لعدة من أيتام المسلمين ، وعينت لهم مؤدبا يعلمهم القرآن الكريم وأجرت عليهم في كل يوم لكل منهم من الخبز النقي خمسة أرغفة ومبلغا من الدراهم ، ويقام لكل منهم بسكوتر للشتاء والصيف ، وجعلت على هذه الجهات عدة أوقاف جليلة يصرف منها لأرباب الوظائف[٦٤] .

وهناك عدد كبير من المدارس أسهمت في بنائها النساء لا مجال لحصرها بسبب كثرتها ولأن المجال لا يتسع لذلك .

هذا ولا يسعنا قبل ختم هذه المساهمات من ذكر أن هذه الشريحة الفاضلة من النساء لو لم يملكن قدرا كبيرا من الثروة لما استطعن القيام بمثل تلك المشروعات .

اضف لذلك إن التوسع في إنشاء المدارس في حد ذاته جاء مظهرا قويا لرقي الحياة الفكرية بشكل عام .

خاتمـــة :

أخيرا إن التاريخ الماضي لا معنى له إن لم نتعظ به ، ولعبر ونحن اليـــوم بـــأمس الحاجـــة لمفكرين يقودون الأمة نحو بر الأمان . وقد أثبت التاريخ ارتباط النهـــضة العربيـــة بـــالتطبيق الصحيح لتعاليم الدين الإسلامي ، ومن ثم لابد أن تكون الحلول نابعة من واقع حياتنا وعقيدتنا وأن تكون بعيدة عن تجارب الغرب التي أثبتت زيفها وخداعها .

ومن هنا يقع على عاتق مفكري الأمة واجب كبير وهو إبراز ما قدمته الحـــضارة العربيـــة الإسلامية في مختلف عصورها المشرقة من أجل تنوير البشرية ، وتحقيق ما التمسنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته .

الهوامش

١-السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٤ص٣٢٩،دهمان:في رحاب دمشق ص٢٦٠ .

٢-ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ص٣١٥،ابن الأثير : الكامل ج١٢ص١٨٣ ، إبشيهان:تاريخ آداب اللغة ج٣ص١٠ .

٣-ابن عنين : ديوان ابن عنين ص٩٣، ابن الأثير : الكامل ج١٢ص١٨٣.

٤-ابن الحاج : المدخل ج١ص٢٧٠-٢٧١.

٥-الشوكاني : البدر الطالع ج٢ص٣٢٥ ، السلامي : الوفيات ج٢ص١٩٧-٢٠٣-٣٠٤-٣١٨-٣٧٣.

٦-السخاوي : الضوء ص٨-١٢-٧٨-٨٦-١٠٦، الغاملي : الدر المنثور ص٣٩٢-٣٩٣.

٧-السخاوي : الضوء ص١٤-١٨، ابن حجر : الدرر الكامنة ج٢ص٢٠٩-٢١٠.

٨-ابن حجر العسقلاني : فتح الباري كتاب العلم .

٩-غنيمة : تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى ص٣٠١.

١٠-ابن حجر : إنباء الغمر ج١ص١١٧،ابن حجر : الدرر الكامنة ٢١٩-٢٢٤، السلامي :ج٢ص٣٨٧-٣٨٨.

١١-الأدفوي : الطالع السعيد ٢٤٦، الصفدي : أعيان العصر ج٢ص٣٧٢، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٤ص١٤٢.

١٢-الصفدي : أعيان العصر ج٢ص٣٨٣،ابن حجر : الدرر الكامنة ج٢ص٢٠٨.

١٣-ابن حجر :الدرر الكامنة ج٣ص٣٠١،الصفدي . أعيان العصر ج٤ص٢٩.

١٤-المقريزي : أعيان العصر ج٢ص٣٨٩-٣٩٠،الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٥ص٦٧.

١٥-الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٥ص١١٧-١١٨،الصفدي أعيان العصر ج٢ص٣٩٩-٤٠٠.

١٦-ابن حجر : الدرر الكامنة ج٥ص١٥٦

١٧-الصفدي : أعيان العصر ج٢ص٣٩٠،الصفدي:الوافي بالوفيات ج١٥ص٦٨، ابن حجر :الدرر الكامنة ج٢ص٢١٠ .

١٨-الصفدي . أعيان العصر ج٤ص٢٨-٢٩.الغاوي: الكواكب الدرية ج٣ص٤٨.

١٩-السخاوي :الضوء ص١٨.

٢٠-السلامي : الوفيات ج٦ص٣٩٠.

٢١-ابن حجر : الدرر الكامنة ج١ص٣٦٠.

٢٢-ابن حجر : الدرر الكامنة ج٣ص٣٠٧- ٣٠٨، العاملي : الدر المنثور ص١٠٥- ١٠٦.

٢٣-السخاوي : الضوء ص٢، العاملي : الدر المنثور ص١٠-١٠٦.

٢٤-المقريزي: العقود الفريدة ج٢ص٤٢٧-٤٢٨

٢٥-ابن الحاج : المدخل ج٢ ص٢١٩.

٢٦-الذهبي: معجم شيوخ الذهبي صفحات متعددة .

٢٧-الصفدي : أعيان ، ج٢ص٣٩٨-٣٩٩، الصفدي : الوافي ج١٥ص١١٧، ابن حجر : الدرر ، ج٢، ص٢٢٣-٢٢٤

٢٨-الذهبي : العبر ج٣ص٣٥٨،ابن العماد:شذرات الذهب ، ج٧ص٧٠٦.

٢٩-ابن حجر : الدرر ، ج١ص١٠٩-ج٣ص٣٩٢،٣٩٣،١٩٦، السخاوي : الضوء ، ص٢٤-٧٣

٣٠-السخاوي:الضوء ص٨١،٧٨،٧٣،١٢.

٣١-الصفدي:أعيان ، ج٢ص٣٨٩،الصفدي:الوافي ج١٥ص٦٦.

٣٢-العاملي: الدر المنثور ، ص٢٦٦.

٣٣ -السخاوي : الضوءص١٨.

٣٤-ابن حجر : الدرر ج٣ص٣٣٩.

٣٥-المقريزي :مدارس ، ص١٤٧.

٣٦-السخاوي:الضوء ، ص١٠-١١.

٣٧-ابن الحاج: المدخل ج١ص٢٧٠-٢٧١.

٣٨-الشركاني: البدر الطالع ص٣٤.

٣٩-ابن حجر: الدرر ج٣ص٣٠٧-٣٠٨.

٤٠-السلامي: الوفيات ج١ص٤٨٥-٤٨٦.

٤١-السخاوي: الضوء ص٢-١٠-١٢-٧٣.

٤٢-السلامي : الوفيات ج١ ص٨٥-٨٦.

٤٣-ابن حجر: الدرر ج٢ ص٢٠٩- ٢١٠ .

٤٤-العاملي: الدر المنثور ص١٠٩.

٤٥-العاملي : الدر المنثور ص٣٠٣-٣٠٣.

٤٦-العاملي: الدر المنثور ص٣٦٧.

٤٧-الشوكاني: البدر الطالع ج٢ ص٣٥٠.

٤٨-السخاوي: الضوء ١٠٧-١١٢، الشوكاني: البدر الطالع ج٢ ص٢٥-٢٦.

٤٩-المقريزي : الدرر ج٣ص٤٧٩-٤٨٠،ابن حجر: إنباء الغمر ج٣ص٤١٨

٥٠-العاملي : الوفيات ص٣٠٣-٣٠٣.

٥١-السخاوي: الضوء ص٢٣.

٥٢-الحربوطلي . مدارس ص١٢٤-١٢٥.

٥٣-ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ج٢ص٢٠٥، العلموي: نسيد الطالب ص٨٧-٨٨، النعيمي : الدارس ج١ ص٥٠٧-٥١١. ، بنوان: مناقبة الأطلال ص١٦٩، شيحاني : مدارس ص٧٦-٧٩، الحربوطلي :مدارس ص١٢٧ .

٥٤-الحربوطلي : مدارس ص١٢٧-١٢٨.

٥٥-علموي : مختصر الدارس ص٤٦-٤٨-٥٠.

٥٦-ابن كثير : البداية والنهاية ج١٤ ص٧٥ .

٥٧-ابن كثير : البداية والنهاية ج١٤ ص١٠٩.

٥٨- العاملي :الدر المنثور ص٩٤-٩٥.

٥٩-كحالة : أعلام ج١ ص١٠٨.

٦١ -العاملي : الدر المنثور ص٣٦٦

٦٢-السخاوي الضوء ص١٨.

٦٣-المقريزي : المواعظ والاعتبار ج٢ ص٣٨٢.

٦٤- ابن اياس : بدائع الزهور ص٩١.

المصادر والمراجع

١-ابن الأثير : (علي بن محمد الجزري الملقب بعز الدين) ، الكامل في التاريخ ، دار صادر بيروت ١٩٨٢م.

٢-الأدفوي : (جعفر بن ثعلب بن جعفر) ، المولى بمعرفة التصرف والصوفي ، تحقيق محمد صالحية ، الكويت ، دار العروبة ، ط١، ١٩٨٨م.

٣-ابن إياس : (محمد) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، بولاق ، مصر ١٩٨٣م.

٤-بدران : (عبد القادر) ، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، دمشق ١٩٨٦م.

٥-ابن الحاج : (أحمد بن علي) ، المدخل ، دار الفكر .

٦-ابن حجر : (أحمد بن علي) ، إنباء الغمر بأبناء العمر ، بيروت ، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٦م.

٧---------- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد جاد الحق ، مطبعة المدني، ط٢ ١٩٦٦م.

٨---------- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار المعرفة .

٩-الخربوطلي : (محمد عبد كمال الدين) ، مدارس أنشأتها نساء في العالم العربي الإسلامي، دمشق ، ط١ : ٢٠٠٧م.

١٠-ابن خلكان : (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) ، وفيات الأعيان ، تحقيق ، إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٩م.

١١- دهمان : (محمد أمين) ، في رحاب دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٣م.

١٢-الذهبي : (محمد بن أحمد بن عثمان) ، العبر في حوادث من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت دار المطبوعات والنشر ١٩٦٠م.

١٣---------- معجم شيوخ الذهبي .

١٤- زيدان : (جرجي) ، تاريخ آداب اللغة .

١٥- السبكي : (تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب) ، طبقات الشافعية الكبرى ١٩٠٦م.

١٦- السخاوي : (محمد بن عبد الرحمن) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، بيروت ، دار مكتبة الحياة .

١٧- السلامي : (تقي الدين أبو المعالي محمد بن رافع) ، الوفيات ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٩٨٢م.

١٨- ابن شداد : (محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي) ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق سامي الدهان . دمشق ١٩٥٦م.

١٩- شيحاني :(حسن) ، مدارس دمشق في العصر الأيوبي ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ط١، ١٩٨٣م.

٢٠- الشوكاني : (محمد بن علي) ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، تحقيق حسين العمري ، بيروت ، دار الفكر ، ط١ : ١٩٩٨م.

٢١- الصفدي : (خليل بن أيبك) ، أعيان العصر وأعوان النصر ، تحقيق محمد أبو زيد وآخرون ، بيروت ، دار الفكر ، ط١ ، ١٩٩٨م.

٢٢- ---------- الوافي بالوفيات ، باعتناء هلموت ريتر ، دار فرانز شتاينر ، ط٣ ، ١٩٦٢ .

٢٣- العاملي : (زينب) ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ، تحقيق منى الخراط ، بيروت ، مؤسسة ريان : ط١ ، ٢٠٠٠م

٢٤- العلموي : (عبد الباسط) ، تنبيه الطالب وإرشاد المدارس ، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق ١٩٤٧م.

٢٥- ابن العماد الحنبلي : (عبد الحي) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت ، دار المسيرة ، ١٩٧٩م

٢٦- ابن عنين : (شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر الله بن نصر بن مكارم الأنصاري الدمشقي) ، ديوان ابن عنين ، طبع المجمع العلمي والأدبي .

٢٧-غنيمة : (محمد عبد الرحيم) ، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى ، تطوان ، دار الطباعة المغربية ١٩٥٣م.

٢٨-كحالة : (عمر رضا) ، أعلام النساء ، دمشق ، المكتبة الهاشمية ١٩٤٠م.

٢٩-المقريزي : (أحمد بن علي) ، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، تحقيق محمد كمال الدين علي ، بيروت ، عالم الكتب ، ط١ ١٩٩٢م.

النعيمي : (عبد القادر بن محمد) ، الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسني، دمشق مطبعة الترقي ١٩٤٨م.

د. محمد أحمد الكامل (*)

الدور العلمي للمدرسة الأشرفية في اليمن

(دراسة من خلال وثيقة وقفية المدرسة)

ملخص البحث:

يعرض هذا البحث للدور العلمي للمدرسة الأشرفية الكبرى التي أنشئت في مدينة تعز اليمنية في مطلع القرن التاسع للهجرة بأمر من السلطان الأشرف إسماعيل الرسولي – سابع سلاطين الدولة الرسولية في اليمن – حيث كانت منارة علمية لتدريس العلوم الشرعية واللغوية وعلى رأسها الفقه على مذهب الإمام الشافعي ناهيك عن نشاطات علمية وفكرية واجتماعية وعيدية ... وغيرها، ولكي تؤدي ذلك الدور ، أوقف عليها السلطان – الذي سميت باسمه – أوقافا كبيرة وسخية من ملكيته الخاصة لتقوم بشؤونها وشؤون المرتبين فيها على الوجه الأفضل. وقد أدت المدرسة ذلك الدور مدة من الزمن حينما كانت الأوقاف المرصودة عليها

(*) قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة صنعاء

تحت رعاية أياد أمينة تعمل وفق وصية الواقف. وسنتعرف في هذا البحث على جوانب من ذلك الدور العلمي، من خلال ماجاء في وثيقة وقفية المدرسة التي لم تكن مجرد وثيقة تعيين ماهيات الوقف ومنه المدرسة ذاتها وما هو موقوف عليها ، بل إضافة الى ذلك أمدتنا بمعلومات كانت من ضمن وصايا وشروط الواقف حول موقع المدرسة وبداية إنشائها ومكوناتها ووظائف تلك المكونات وتعيين الهيئة البشرية المرتبة فيها وتحديد وظيفة كل شخص وما خصص له من الحقوق من ريع الموقوف على المدرسة، وكذا معلومات عن نظام التعليم من حيث مواد التعليم ونظام وشروط الواقف في هذا النظام.... مثل هذه الجوانب وغيرها — مما له علاقة بالتعليم والمتعلم في هذه المدرسة — يتضح من خلال عناصر هذا البحث.

مدخل:

حث الله سبحانه وتعالى الإنسان على العلم منذ أن خلق أبو البشر آدم عليه السلام وعلمه الأسماء. فالعلم هو السبيل الذي به يصل الإنسان إلى تحقيق إنسانيته وحضارته المثلى على الأرض وفق ما أراده له خالقه حين خلقه واستخلفه فيها. وبما أن دين الإسلام هو المنهج الذي من خلاله تتحقق تلك الغاية من خلال الجهد البشري الذي ترعاه عين الله وإرادته، فإن العلم هو أساس ذلك المنهج، لذا فقد كان فحوى الخطاب الأول من وحي الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو العلم، فالإسلام هو دين العلم وأمة الإسلام يجب أن تكون أمة العلم الحاملة مشاعل الحضارة الإنسانية.

وقد امتثل المسلمون لتوجيه خالقهم وحث رسولهم لهم على التعلم وطلب العلم، فبذلوا جهودا كبيرة في التعلم وتعليم أبنائهم ونشأ مع ذلك الاهتمام بتخصيص أماكن لطلب العلم. ومن المعروف أن المدارس الإسلامية المستقلة نشأت منبثقة عن المساجد ودورها الشامل في حياة المجتمعات الإسلامية، إذ كانت عملية التعليم والتعلم جزء من مهام المسجد منذ أوائل صدر الإسلام عندما كانت عملية التعليم والتعلم تتم في أماكن مخصصة من المسجد، ثم خصصت مع مرور الوقت أماكن للتعليم ملحقة بالمساجد[1]. وبمرور الزمن و اتساع نطاق دار الإسلام وما رافقه من متغيرات عامة في حياة المجتمع الإسلامي ومنها ازدهارا لعلوم وتشعب تخصصاتها فقد

رافق تلك المتغيرات تحديث وتغيير في مناهج ووسائل الحياة، ومن ذلك إنشاء المدارس العلمية المستقلة عن المسجد ، التي كان ظهورها منذ القرن الرابع للهجرة في بعض ديار الإسلام ثم امتدادها إلى كثير من البلدان والأقاليم والمدن، في الوقت الذي ظلت فيه كثير من المساجد تقوم بأدوارها الشاملة ومنها العلمية.

وقامت المدارس الإسلامية المستقلة منذ ظهورها بأدوار ونشاطات متعددة ، فإلى جانب الوظيفة العلمية لبعض مكوناتها المعمارية، احتوت على مكونات ومرافق أخرى أدت نشاطات ووظائف مكملة لذلك الدور، ومن أهمها المسجد الذي صار جزءاً من المكونات الرئيسة لكثير من المدارس. وتجدر الإشارة الى أن كثيرًا من المدارس المستقلة – التي انتشرت في ديار الإسلام – لم تنشأ من قبل الجهات الرسمية، وإنما أنشئت بجهود فردية خاصة سواء أكان ذلك من قبل بعض أفراد الأسر الحاكمة، سلاطين وملوك ووزراء وقادة وأمراء وأميرات، أم من قبل بعض الشخصيات الاجتماعية الأخرى ، وذلك من ممتلكاتهم الخاصة التي أضافوا إليها أوقافا سخية متنوعة الأصول حبسوها عليها حبسا دائما، تقوم غلالها وريعها بشؤون تلك المدارس لتأدية وظائفها التي أنشئت من أجلها على أكمل وجه كما أرادوه هم، وكان لبناة تلك المدارس الإشراف المباشر عليها وعلى نشاطاتها وعلى الوقف المخصص لها.

واليمن من البلدان الإسلامية التي نشأت فيها مثل تلك المدارس المستقلة التي يرى البعض أن أول ما عرف منها في اليمن مدرستين أنشأهما السلطان الأيوبي في اليمن، طغتكين بن أيوب، المتوفى سنة ٥٩٣هـ .[2] غير أن شهرة المدارس الإسلامية في اليمن كانت على عهد الدولة الرسولية التي خلفت حكم بني أيوب في اليمن – من سنة ٦٢٢– ٨٥٨هـ– وكانت المدارس العلمية التي أكثروا من بنائها، من أبرز السمات والمظاهر الحضارية العلمية التي حظيت باهتمام ورعاية ملوك وسلاطين وأمراء وأميرات هذه الأسرة الرسولية الحاكمة ؛ كجزء من اهتماماتهم العلمية الكبيرة، فبلغت تلك المدارس من حيث عددها ونشاطاتها العلمية مبلغا لم تبلغه في ظل غيرها من الدويلات الإسلامية التي حكمت اليمن[3].

وللتعرف على جوانب من الدور الحضاري العلمي لتلك المدارس الرسولية ، فإن هذا البحث قد اختار نموذجا من تلك المدارس الشهيرة موضوعا للدراسة، وهي : المدرسة الأشرفية

الكبرى التي لايزال بنيانها قائما إلى اليوم في مدينة تعز اليمنية التي كانت عاصمة لتلك الدولة، ومن خلال وثيقة الوقفية المعروفة بـ « وقفية المدرسة الأشرفية»[٤]. سيتم التعريف بالمدرسة وبمنشئها ثم توضيح الدور العلمي الذي أسهمت به هذه المدرسة في جوانب متعددة، وذلك على النحو التالي:

١. باني المدرسة.

من المفيد – قبل تناول التعريف بالمدرسة – أن نتعرف على شخصية باني المدرسة، وذلك كما يلي.

١. ١. الإسم. باني هذه المدرسة – الآمر ببنائها – هو: الملك الأشرف الثاني أبو المعالي إسماعيل بن الأفضل العباس بن المجاهد علي بن المؤيد داود بن المظفر يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول، ولد في الرابع من ذي الحجة سنة ٧٦٩هـ[٥].

١. ٢. ولايته الحكم: هو من حيث ترتيب سلاطين بني رسول الحكام سابع السلاطين تولى مقاليد حكم اليمن خلفا لوالده الأفضل العباس في اليوم نفسه الذي توفي فيه والده في مدينة زبيد، وهو يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر شعبان سنة ٧٧٨هـ، وذلك باتفاق وإجماع رأي رؤساء الدولة وكبرائها وعظمائها وصلحاء الأمة وعلمائها، وكان عمره حينئذ سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وثمانية عشر يوما، وبعد أن تمت مبايعته بعد صلاة يوم الجمعة وانتظم له الأمر، نزل بجثمان والده من مدينة زبيد إلى مدينة تعز حيث تم دفنه في تربته في يوم الإثنين الرابع والعشرين من ذلك الشهر[٦].

تعد مدة حكمه – التي شارفت على ربع القرن (من سنة ٧٧٨ – ٨٠٣هـ) – من أخصب المراحل بالحضارة التي شهدتها اليمن، حيث سار على نهج والده الأفضل عباس في تدبير أمور الحكم، فقام بأمور دولته خير قيام، ففي الجانب السياسي والحربي تمكن من تثبيت أوضاع دولته وتصدى لحركات الخروج والعصيان التي شهدتها اليمن في كثير من المناطق والتي عانت منها دولة بني رسول طوال عهدها[٧]. ورغم ذلك فإن معظم مناطق اليمن الأعلى – خلال مدة حكمه – ظلت تحت نفوذ أئمة الزيدية بعد أن تراجع عنها نفوذ بني رسول منذ نهاية عهد

السلطان المؤيد داود – (حكم من سنة ٦٩٦ – ٧٢١هـ) – حيث كان نفوذ أئمة الزيدية قد وصل إلى بعض مناطق اليمن الأسفل وتهامة اليمن مستفيدين من، الصراعات الداخلية للأسرة الرسولية وكذا التمردات التي كانت تقوم بها عدد من القبائل في مناطق نفوذها[٨]. غير أن الأشرف إسماعيل بذل جهودا كبيرة في التصدي لمحاولات أئمة الزيدية الساعية إلى مزيد من التوسع في مناطق نفوذ دولته، بل واستعاد كثيرا من المناطق التي كانوا قد استولوا عليها، وتصدى كذلك لعدد من حركات التمرد والخروج التي شهدتها دولته في كثير من المناطق[٩]. مما مكنه من أن يحقق استقرارا نسبيا لدولته انعكس بدوره على ازدهار كثير من الجوانب الحضارية شهدتها اليمن خلال عهده الذي اتسم برخاء وازدهار معماري وعلمي و اقتصادي وزراعي، وانتعاش في علاقات اليمن الخارجية مع بلاد الحجاز ومصر و ممالك شرق أفريقيا والهند والصين[١٠].

١. ٣. صفاته. اتسم السلطان الأشرف إسماعيل بصفات شخصية أهلته لقيادة ذلك الدور الحضاري فقد وصف بأنه كان حسن الصورة غاية في الظرف واللطف ومكارم الأخلاق، شهما حليما رؤوفا مشفقا عطوفا على الرعية رفيقا بهم متودد إلى الخلق سار في الناس بالعدل، جوادا كريما سخيا ليس مثله في الجود والكرم، متحببا في سفك الدماء محبوبا عند الناس، محبا للعلم والعلماء، وأن سيرته أحسن سيرة ...[١١].

١. ٤. وفاته. أشارت المصادر إلى أن وفاة الأشرف إسماعيل كانت في مدينة تعز وذلك في ليلة السبت الثامن عشر من شهر ربيع الأول من سنة ٨٠٣هـ ودفن في تربته في مدرسته[١٢] يوم السبت فيما بين صلاة الظهر والعصر، واستمرت القراءة عليه سبعة أيام وصُلي عليه في سائر مدن اليمن وقرئ عليه في كل مدينة سبعة أيام وأصاب كافة الناس عليه أسف شديد[١٣].

١. ٥. مآثره الحضارية. ذكرت له المصادر عددا من المآثر الحضارية في مجالات مختلفة، فرجز بعضها على النحو التالي:

أ) الاقتصادية والاجتماعية. أبدى اهتماما كبيرا بالزراعة والغروس، حيث شجع وأشرف على زراعة النخيل وزراعة أنواع كثيرة ونادرة من الغروس والمشجر ومنها ما استجلبها من

خارج اليمن ، وأجرى عددا من السبل في تعز والجند، وجرّ العيون إلى بساتين النخيل و الزروع، وأنشأ بستان سريا قوس الأعلى من وادي زبيد الذي غرس فيه غرائب أنواع الشجر[١٤]. ويذكر بأنه أول من زرع الأرز بوادي زبيد[١٥]. واهتم بتنمية موارد الدولة من عائدات الزراعة والتجارة وتنمية العلاقات التجارية مع كثير من دول آسيا وأفريقيا[١٦]. وعمل على رفع الظلم عن كاهل الرعية والمزارعين والتجار من الجبايات الجحفة التي كانت تؤخذ بمسميات مختلفة منها، الضرائب والمكوس والمصادرات والقطيعة... والتي كانت تجبى من قبل النواب و الولاة خاصة ضرائب النخيل والعطب (القطن) في تعز ومكوس التجارة الباهظة في بندر عدن[١٧]، وعمل على إصلاح الاختلالات في الأسعار والمكاييل والأوزان والنقد وإصلاح الأسواق والمتاجر وتنظيمها.[١٨] وعمل على قطع دابر المفسدين وقطاع الطرق حيث تتبعهم وأنزل بهم العقوبات الصارمة[١٩].

وعرف عنه العطف على الفقراء والمساكين وإجراء الصدقات عليهم، ودعوتهم إلى ولائم ومآدب الطعام التي كان يقيمها في مناسبات اجتماعية ودينية واحتفالية موسمية، والتصدق عليهم بالأموال والكسوة ونحو ذلك.[٢٠] وكان يشارك مزارعي النخيل في احتفالاتهم الموسمية المرتبطة بزراعة النخيل والتي عرفت باحتفالات (السبوت) [٢١]، ومنع النساء من اتباع الجنائز والنياح عليها[٢٢].

ب) العمرانية. شهدت عهده إنشاء عدد من المنشآت الدينية والتعليمية والقصور والطرق وإجراء السبل، ومن أبرز مآثره العمرانية – بالإضافة إلى المدرسة الأشرفية – إصلاح وترميم المنشآت الدينية من مساجد ومدارس وربط وزوايا وما يتصل بها من مرافق وخدمات في مدينة زبيد وما جاورها من قرى وادي زبيد والتي بلغ عددها خمسة وستون موضعا[٢٣]، وبنى جامعا في قرية المملاح في زبيد[٢٤] عرف بالجامع الأشرفي أمر ببنائه سنة ٧٩١هـ وأعده ليكون – إلى جانب وظيفته كبيت للعبادة – مدرسة علمية فقد جاء في بنائه : "... رتب فيه إماما وأربعة قراشين ومؤذنين ومعلما وأيتاما يعلمون القراءة وخطيبا ومدرسا على مذهب الشافعي ومعيدا ومدرسا على مذهب أبي حنيفة وقارئا ومدرسا في الحديث النبوي ومقرئا في القراءات السبع ومدرسا في النحو والأدب ومدرسا في الفرائض والحساب ومع كل مدرس جماعة من الطلبة..."[٢٥]

واوقف لذلك وقفا سخيا يقوم بكفاية المرتبين فيه وخدمته وخدمة العملية التعليمية فيه، غير أن الدور العلمي الواسع لهذا المسجد انقطع مع إنشاء المدرسة الأشرفية الكبرى في تعز التي حلت من الناحية العلمية فاستمر بيتا للعبادة[٢٦].

وفي سنة ٧٩٥هـ أمر بإجراء إحصاء لمدارس ومساجد مدينة زبيد فكان عددها مائتين وبضعا وثلاثين موضعا.[٢٧] وله الزيادة الشرقية في جامع عدينة في مدينة تعز، وبنى حوضا سبيلا بين تعز والجند هو الحوض الأشرفي.[٢٨] وله عدد من المآثر العمرانية من طرقات وسبل وبساتين وقصور وأسوار، منها سور مدينة الجند.[٢٩]

ج) العلمية: عرف عن السلطان الأشرف – شأنه شأن معظم سلاطين وأمراء دولة بني رسول في اليمن– حبه للعلم والعلماء ومشاركاته العلمية الواسعة، فكان لذلك كبير الأثر في النهضة العلمية التي شهدتها اليمن في عهده والتي تعتبر امتدادا لعهد أسلافه من سلاطين هذه الدولة، ولعل أهم مظاهر ذلك الازدهار يتمثل في اتساع حركة التأليف العلمية وشمولها لمختلف الموضوعات العلمية وازدهار المراكز والمؤسسات العلمية في كثير من مناطق اليمن، وعلى وجه الخصوص الواقعة تحت النفوذ الرسولي، واشتهار اليمن كمركز علمي شجع على قدوم كثير من العلماء من بلدان إسلامية مختلفة، وعقد المناظرات العلمية ومجالس العلم المختلفة والتي كانت برعاية السلاطين[٣٠]. ويمكن تلخيص أبرز اهتماماته ومساهماته العلمية على النحو التالي:

– احترامه العلماء وتقديرهم سار الأشرف إسماعيل على نهج أسلافه السلاطين من بني رسول من احترام العلماء وتقديرهم وإجلالهم تمثل ذلك في صور مختلفة منها، تقريبهم وزيارتهم والتودد إليهم وتوليتهم الوظائف المهمة مثل الوزارة والقضاء وغيرها من الوظائف، وإجراء الرواتب التي تقوم بكفايتهم ليتفرغوا للجانب العلمي وإعفائهم من الرسوم المالية التي كانت تفرض على من سواهم من الرعية واحترام آرائهم وشفاعاتهم في الرعية.... [٣١]

– رعايته واهتمامه بالعلماء الوافدين إلى اليمن على اختلاف مذاهبهم وتخصصاتهم العلمية: فقد وفد إلى اليمن خلال حكمه عدد كبير من علماء الأمصار الإسلامية فاحتفى بهم ووالوا لديه

كل التقدير والإجلال، ومنهم على سبيل المثال ، مجد الدين الفيروزابادي (صاحب القاموس المحيط) وابن حجر العسقلاني .. وغيرهم[٣٢].

– تلقيه العلم على أيدي كبار العلماء في تخصصات مختلفة[٣٣].

– تشجيعه حركة التأليف العلمي، ومن صور ذلك التشجيع، الاحتفاء بالمؤلفات وتكريم العلماء المؤلفين بالجوائز والعطايا السخية وكان ذلك يتم من خلال مراسيم احتفالية كبيرة تعبر عن أهمية ذلك الحدث. وكان يطلب من العلماء التأليف في موضوعات علمية معينة ووفر الكتب والمصادر المختلفة وجعلها في متناول أيدي العلماء والطلبة[٣٤].

– بناء المنشآت العلمية من مدارس ومساجد وربط وزوايا وخزائن كتب وترتيب المدرسين والطلبة فيها، وتخصيصه أوقاف سخية على تلك المنشآت والمرتبين فيها لتحقيق أهدافها[٣٥].

– حرصه على تكوين مكتبة علمية تحتوي على صنوف متنوعة من أمهات المؤلفات في علوم مختلفة، وفي سبيل ذلك رتب مجموعة من النساخ الذين أجزل لهم العطاء لنسخ الكتب. كما حصل على عدد من المؤلفات عن طريق شكل هدايا من قبل عدد من العلماء فقابلهم على تلك الهدايا بعطاءات سخية. ويعرف عنه أنه كان يرسل من يشتري الكتب النادرة والنسخ الأصلية من خارج اليمن، حيث كانت له خزانة كتب خاصة في قصره حوت نفائس الكتب قدر البعض عددها بنحو خمسة آلاف كتاب وبالغ بعضهم في حجم محتوياتها[٣٦]. وقد أوقف عددا من نفائس محتويات تلك المكتبة في خزانة كتب المدرسة الأشرفية– موضوع بحثنا – حتى تكون في متناول طلبة العلم[٣٧].

– عقد مجالس للمناظرات العلمية والمجالس العلمية في مناسبات مختلفة وحضوره تلك المجالس ومنها مجالس التشفيع وختم القرآن ومجالس السماع للصوفية... الخ.[٣٨]

– إسهامه العلمي في مجال التأليف في أنواع مختلفة من العلوم، إذ يعد من أبرز سلاطين بني رسول العلماء المؤلفين الذين وصلتنا بعضها، حيث تشير المصادر إلى اشتغاله في كثير من العلوم منها النحو والإعراب والفقه والتواريخ والأنساب والحساب والفلك وغير تلك من العلوم ، ومن منهجه في التأليف –بحسب الخزرجي– : "أنه كان يضع وضعا ويجد جدا ويأمر من يقوم على ذلك التوضيح ثم يعرضه عليه فما ارتضاه أثبته وما شذ عن مقصوده حذفه"[٣٩].

٢. التعريف بالمدرسة.

المدرسة الأشرفية– موضوع هذا البحث– : هي واحدة من ثلاث مدارس في اليمن يعود بانيها إلى عصر الدولة الرسولية تحمل الاسم نفسه (الأشرفية) إحداهن في مدينة زبيد[٤٠]، ومدرستين في مدينة تعز[٤١] إحداهن بناها السلطان الأشرف عمر بن المظفر يوسف ثالث سلاطين بني رسول (ت ٦٩٦هـ) باسم والدته وكان موقعها في حافة الملح من حي الحميراء في مغربة تعز، أما المدرسة الأشرفية الثانية، فهي موضوع هذا البحث وهي التي بناها السلطان الأشرف إسماعيل السابق ذكره، وقد مُيزت هذه المدرسة في بعض المراجع بإضافة صفة (الكبرى) أو (الجديدة).[٤٢] و تعتبر المدرسة الأشرفية من أشهر المدارس العلمية لذلك العصر؛ فقد قد أسهمت إسهاما كبيرا في نشر العلم وازدهار الحركة العلمية في اليمن شأنها شأن كثير من المدارس التي أنشئت في العصر الرسولي، بل تأتي في مقدمة تلك المدارس من حيث الدور العلمي ؛ حيث أراد لها بانيها أن تكون منارة لتدريس العلوم الشرعية التي تدرس تدريسا تخصصيا عاليا على أيدي مدرسين من كبار العلماء من ذوي الكفاءات العلمية التخصصية من أهل اليمن ومن الوافدين إليها، فتخرج منها على أيديهم الفقهاء والمحدثين والقراء، بالإضافة إلى دورها في تعليم القرآن للصبيان والأيتام وغيرهم ممن قصدوا المدرسة للتعلم.

وقد أشاد المؤرخون بهذه المدرسة وبدورها العلمي وبدور وسخاء بانيها، ومن ذلك الوصف، الذي: "... مدرسة حسنة الشكل لها بابان شرقي وغربي وباب ثالث وهو مقدم فسيح وشمسية رحيبة وتكوين عجيب، وابتنى فيها [بانيها] مطهرا نقيا ورتب فيها إماما ومؤذنا وقيما ومعلما وأيتاما يتعلمون القرآن ومدرسا على مذهب الإمام الشافعي ... وعدة من الطلبة ومدرسا يتحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدرسا في النحو والأدب وجماعة من الطلبة أيضا ووقف فيها عدة من الكتب النفائس في كل فن وأوقف على المدرسة المذكورة وعلى المرتبين فيها وقفا جيدا يقوم بكفايتهم.."[٤٣]

ولأهمية الدور الذي سيقوم به المدرسة في جوانب متعددة، فقد تميزت من حيث اختيار مكان بنائها، وتخطيط وهندسة مكوناتها ومرافقها، كما سيتضح من خلال النقاط التالية:

٢. ١. موقع المدرسة. تقع المدرسة الأشرفية في الطرف الغربي من مدينة تعز القديمة على حافة المدرجة في حي عدينة قبلي حصن تعز[٤١]. ولأهمية الأدوار الوظيفية التي بنيت المدرسة من أجلها ؛ فقد اختير الموقع الذي أنشئت فيه وفق رؤية بعيدة النظر، وذلك من حيث تسوفر الشروط الصحية والوظيفية الملائمة لذلك الدور، فقد بنيت في منطقة مرتفعة مشرفة على المدينة لتكون نائية عن مصادر الأمراض والأوبئة التي تكون المناطق المنخفضة مرتعا لها[٤٢]. بالإضافة إلى أن موقعها المرتفع والمتروي عن الأحياء السكنية ؛ وفر لها مناخا ملائما من حيث الهواء النقي ومساحات الضوء وأشعة الشمس وكذا القرب من المياه النقية والبعد عن ضوضاء الأحياء والشوارع والأسواق، وفي الوقت ذاته لم يكن موقع المدرسة بعيدا عن أحياء المدينة إذ الوصول إليه يسير من كل الجوانب وعبر أكثر من طريق.[٤٣]

وقد حددت وثيقة الوقفية الأشرفية حدود هذه المدرسة من جهاتها الأربع بعد أن اكتمل بنائها على النحو التالي: يحدها من الشمال الطريق المسلوك، ومن الشرق البيوت والبنيان ومن الغرب الطريق المسلوك المسمى بالمدوجة ، وجنوبا حصن تعز.[٤٤]

٢. ٢. تاريخ بنائها: من خلال ما جاء في المصادر التاريخية ومن خلال النصوص التوثيقية التي رقمت على نصوص حجرية وألواح جصية موجودة ضمن مكونات بناء المدرسة في أكثر من موضع[٤٥]، فإن الابتداء ببناء المدرسة – بناءً على أمر من السلطان الأشرف إسماعيل – كان في ثاني ربيع الآخر من سنة ثمانمائة للهجرة، وأن البناء استمر في مكوناتها إلى سنة ٨٠٣هـ حيث يوجد نص يذكر اسم السلطان الأشرف منشئ المدرسة ومؤرخ في خامس عشر المحرم سنة ثلاث وثمانمائة،سنة ٨٠٣هـ وهي سنة وفاة السلطان الأشرف، أي أن بنائها استغرق هذه ثلاث سنوات وقد احتوت تلك النصوص التوثيقية على معلومات إضافية منها اسم السلطان الباني والقائمين والمشرفين على البناء...[٤٩]

٢. ٣. صفة بنائها ومكوناتها: شيدت المدرسة بمادتي الحجر والجص وفي بعض الأجزاء بالآجر والجص، ولها أربعة مداخل أهمها المدخل الرئيس وهو المدخل الجنوبي.[٥٠] وقد أوردت نسخة وثيقة المدرسة الأشرفية وصفا دقيقا لشكل بناء المدرسة ومكوناتها وأقسامها، ومن أبرز تلك المكونات: – قاعة المسجد، وهي القسم الرئيس في مكونات المدرسة، وقد بنيت على

شكل قبة كبيرة[٥١] فيها المحراب محمولة على أربعة عقود،[٥٢] يتصل بها جناحان شرقي وغربي كل جناح فيه أربع قبب.[٥٣] وفي كل جناح شباكان من جهة القبلة شرقي المحراب وغربيه،[٥٤] وثلاثة أبواب بابان شرقيان وباب جنوبي يتقد إلى جلون[٥٥] و في كل جناح خوستان [٥٦] ومن هذه القاعة الكبرى تتصل باقي المكونات عبر ممرات وأعمدة ورحاب[٥٧]، وأبرز المكونات المعمارية المتصلة بالقاعة الكبرى: (قاعتان، إحداهن شرقية والأخرى غربية خصصتا للدرس ، ثم الفناء الأوسط (الجيانة) مقبرة [٥٨]، ثم الخانقاة ثم المداخل الرئيسية، ثم المئذنتان فالممرات والمرافق الصحية الملحقة بالمدرسة)[٥٩].

وعلى العموم فإن هذه المدرسة– في نظر الباحثين والمتخصصين في هندسة وفنون العمارة وعلماء العمارة والفنون والآثار الإسلامية – تعد تحفة معمارية هندسية وفنية وألها – بحسب رأي الباحث– تأتي في مقدمة مفاخر العمارة اليمنية في العصر الإسلامي عامة وعصر الدولة الرسولية خاصة، من حيث اختيار الموقع وهندسة البناء وزخارفها ومكونات البناء ... ولحسو ذلك من السمات التي تتميز بها هذه المدرسة[٦٠]. ولما تحمله هذه المدرسة من قيمة معمارية هندسية وزخارف فنية وتاريخية وآثارية ما زالت قائمة إلى يوم الناس ، فقد حظيت بدراسات وبحوث عديدة، وتجري عليها منذ سنوات ترميمات شاملة من قبل هيئة الآثار اليمنية للحفاظ على معالمها وصفاقا ومكوناقا المعمارية والفنية والتاريخية.

٣. الدور العلمي للمدرسة.

يتمثل الدور العلمي للمدرسة في ثلاثة جوانب ، الأول: في التكوين المعماري، أي المرافق والمكونات المعمارية التعليمية وتوابعها، الثاني: في النشاط العلمي والتعليمي الذي تم عبر جوانبها وفي أروقتها، الثالث- في الوقف الذي خصص لتلك الدور والذي لولاه ما كان لها دور يذكر، وسنتعرف على تلك الجوانب، على النحو التالي:

٣. ١. دور المكونات المعمارية.

معظم مكونات المدرسة وأقسامها خصصت للفرض العلمي سواء أكان ذلك بصورة مباشرة تمثلا بالأماكن المخصصة للتعليم وما يتبعها من خزائن الكتب ، أم بصورة غير مباشرة

ويتمثل ذلك بالمكونات والمرافق الأخرى التي تعتبر مكملة لمكونات نشاطات المدرسة التعليمية إلى جانب الأغراض الأخرى التي كانت جزءاً لا يتجزأ من نشاط المدارس الإسلامية البارزة. وبما أن وثيقة وقفية المدرسة قد حددت وظيفة كل مكون ومرفق من مكونات تلك المدرسة كما أراد الواقف، فإنها قد سهلت لنا مهمة تحديد تلك الوظائف لتلك المكونات والتي يمكن عرضها وفقا للجداول التالية:

أ) المرافق التعليمية الرئيسة:

ويتبين لنا صفاتها وموقعها وعددها ووظائفها من خلال الجدول التالي:

جدول (٩) المرافق التعليمية الرئيسة

م	المرافق	وظيفته	رقم الصفحة في الوثيقة
١	المقصورة من الجملون الشرقي.	لإقراء الحديث النبوي وسماعه وإسماعه وما ينشر من العلوم الشريفة المقربة إلى الله تعالى وعلى المشتغلين بذلك من المرتبين ومواهم من أعشاهم الارتفاق بالمقصورة ليلا ونهارا بالنوم ونحوه.	ص ٣
٢	الخزانة في المقصورة المذكورة جنوب الجملون	لكتب العلم الشريف وسائر المصالح العائد نفعها على المدرسة بحسب ما يقتضيه نظر الناظر.	ص٣
٣	مقصورة المجلس الغربي	لإقراء العلم الشريف الفقهي فروعا وأصولا على مذهب الإمام الشافعي، وللمدرس والمحدث ولمدرس الفقه ومدرس الحديث أن يدرس حيث شاء من جميع الأماكن المذكورة في المدرسة.	ص٣
٤	الخزانة في المقصورة المذكورة	مخزنا للكتب وسائر المصالح العائد نفعها على المدرسة بحسب ما يقتضيه نظر الناظر.	ص٣ – ٤
٥	الإيوانان الشرقي والغربي في دهليز الباب الجنوبي.	لتعليم القرآن الكريم لجماعة الأيتام المسرتين وسواهم من المتعلمين.	ص٤

يتبين من خلال ذلك الجدول بأن خمسة مرافق رئيسة في المدرسة خصصت للجانب العلمي والتعليمي، بل إن الواقف قد أجاز لمدرسي الفقه والحديث التدريس حيثما شاؤوا من سائر مرافق المدرسة. ووجود خزانتين للكتب دليل على توفر الكتب الموقوفة في المدرسة التي منها جزء كبير خصصه السلطان الأشرف من نفائس كتب خزانة كتبه الخاصة، لتكون في متناول الطلبة والمعلمين ومن قصد المدرسة من غير المرتبين.[٦٢]

ورغم أن الوثيقة لم تتطرق إلى موضوع المكتبة و الكتب وكيفية التعامل معها، إلا أنه يمكن استنتاج معلومات حول هذا الجانب من وثيقة المدرسة الظاهرية.[٦٢] التي تأخذ منحى وقفية المدرسة الأشرفية– خاصة وأن وقفية الأشرفية قد ذكرت ضمن المرافق التعليمية (خزائن الكتب) ، فقد خصصت وقفية المدرسة الظاهرية ضمن الهيئة المرتبة في المدرسة، حافظا للكتب الموقوفة بها على طلبة العلم الشريف، وعليه أن لا يمنعها عمن هو مستحقها ولا يعطيها غير مستحقها، وإذا طلب الطالب كتابا أعاره وقدّر له مدة يعلم انقضاء الحاجة من الكتاب فيها، ثم يطلبه منه عند انقضاء المدة. وعليه تفقدها عن الآفات التي تعرض للكتب كالعث والأرضة ونزول الماء وغير ذلك[٦٣].

ب) المرافق الأخرى:

ويقصد بها تلك المرافق غير التي ذكرت والتي كانت – كما أسلفنا– جزءاً مهمّا من مكونات المدرسة الإسلامية، ومكملة لدور المكونات التعليمية الرئيسة، ويتضح ذلك الدور من خلال ما يتبين في الجدول التالي:

جدول (٢) المرافق الأخرى

م	المرفق	وظيفته	صفحة
١	قاعة المدرسة مع الجناحين الشرقي والغربي مع المجلون المتصل بها	مسجد لله تعالى للصلوات المصلين واعتكاف المعتكفين وتلاوة التالين. ويمكن إقامة دروس الحديث والفقه في القاعة عند الحاجة.	ص٣
٢	العقود الملحقة في الجاز الغربي غربيا وقبليا، وكذا عقود الجاز الشرقي	للانتفاع بالارتفاق من العقود والنظر.	ص٤
٣	الخانقاة.	دار ضيف للصادر والوارد من الفقراء والمساكين وأبناء السبيل وطائفة الصوفية المتوسمين بالخير المنقطعين إلى الله تعالى المتزين بزي أهل الطريق.	ص٤
٤	القبة التي في المجلس الغربي بيازاء الباب الجنوبي، وقبة المجلس الشرقي	مخزن لسقاء المدرسة وقناديلها وما أمكن من آلتها المعدة لها.	ص٤
٥	المجلسان بيازاء الباب الجنوبي.	موقوفان لبسط والفرش والحصر وما يعود نفعه من مهمات المدرسة، سفلي باقي المجلسين الشرقي والغربي موقوفه مدفنا للمولى، وظاهرها لشخص علامات القبور عند الحاجة إلى ذلك ولقعود القراء	ص٤

		فيها لقراءة القرآن الكريم على التربة المقدسة ونحو ذلك وباقي القاعدة المذكورة موقوف صدقا للمولى.	
٦	البركة الكبيرة	جامعة للماء المسيل إليها لوضوء المتوضئين وغسل المغتسلين وطهارة المتطهرين وسائر الانتفاعات المقصودة كالعادة.	ص٤
٧	المطاهير	معدة للاستطابة ولقضاء الحاجة، والحيضان فيها للاستنجاء ورفع الحدث.	ص٤

وهكذا يتضح لنا من خلال تلك الوظائف بأنها مكملة لدور المرافق التعليمية، وقد حظيت بكل رعاية واهتمام من قبل الواقف.

٣. ٢. الموقوف على المدرسة.

لم يكن للمدرسة - وهي جزء من الوقفية الأشرفية - القيام بمهامها العلمية ونشاطاتها الأخرى، لولا ما رصد لها من وقف مناسب و دائم يقوم بحاجاتها وحاجات المرتبين والنازلين فيها. وفي واقع الأمر فإن السلطان الأشرف قد خصص لهذه المدرسة أوقافا كبيرة تقوم بتلبية تلك الأغراض وبصورة دائمة إذا ماتم المحافظة عليها وتنفيذ شروط وتوصيات الواقف في هذا الغرض.

وقد تنوع الوقف المخصص للمدرسة بين أراض زراعية وبساتين ونخيل وأشجار وعراص وعقار، وهو وقف كبير جدا منتشر في مناطق متعددة من ثلاث جهات بمافية هي الآن في محافظات: (الحديدة - تعز - إب). من ذلك الوقف ما هو خالص من أملاك السلطان ومنه ما اشتراه من ملاكه أو نقلهم به في مواضع اخرى. وكل ما أوقف على المدرسة موثقا - في وثيقة الوقفية- توثيقا دقيقا بأسمائه وصفاته وحدوده.. الخ. وبعد أن استعرضت الوثيقة كل ما تم وقفه على المدرسة وحدد الواقف الهيئة القائمة على إدارة الوقف ، كما حددت أوجه وآليات وإدارة الصرف من غلول وريع وإيجار ذلك الوقف على ما أوقف من أجله وهو الصرف على

المدرسة والجهة المرتبة فيها، وفي مقدمة ذلك الإنفاق على ما يحتاجه ذلك الموقوف من إصلاح ورعاية وتجديد حتى يؤتي بثمار جيدة ومستدامة تقوم بشؤون المدرسة وأهدافها، وحددت مسؤولية إدارة الوقف بيد الناظر كما هو موضح في مهمته.[٩٤]

والجدول التالي يوضح دور الموقوف على المدرسة في تمكينها من دورها الذي أنشئت من أجله، وذلك من خلال تعيين أوجه الصرف على متطلبات المدرسة، كما حددته وثيقة الوقفية، كما يلي:

جدول (٣) المخصص من الوقف للصرف على المنشأة.

الغرض من الصرف	نوع المصروف	قدره	صفحة الوثيقة
عمارة وإصلاح وتجديد ما وقف من أرض وبساتين وعقار، تزيد من تعاهدها وإصلاح ما تشعث منها تظهر مصلحته بعمارته.	غير محدد	بحسب ما يقتضيه الحال وما يراه الناظر	ص١٥
عمارة المسجد والمدرسة جميعا بحقوق ذلك ومرافقه وطرقاته وسواقيها وما أحاطت عليه حدودها من إصلاح منكسر وإقامة منهدم وتبديل صفة رأى الناظر المصلحة بإبدالها.	غير محدد	بحسب ما يتطلبه ذلك وبحسب ما يراه الناظر	ص ١٥
قيمة دهن (زيت) لغرض الإضاءة في المدرسة والمسجد	نقدي	في كل شهر ثمنين من	ص ١٥

في المساء والمصباح عنى حسب ما ينتفع به المصلون ويستضيء به الفاصدون.		السليط على أي سعر	
قيمة حصر المسجد وجناحيه والمجالس والحائقات وسائر الأماكن المعتاد فرشها.	غير محدد	بحسب ما يراه الناظر	ص ١٥
آلات الإصلاح والتنظيف.	غير محدد	بحسب ما يراه الناظر	ص ١٥
طعام الصادر والوارد إلى الخانقاة على حسب العادة وما يقتضيه حال الوارد.	عيني	١٥٠ رغيفا شهريا ٥ أرغفة لكل يوم[٩٥]	ص ١٦
رسم أدم وأجرة إصلاح للطعام المذكور.	نقدي	١٠٠ دينار شهريا عن كل يوم ثلاثة دنانير وثلث دينار من نقد البلد	ص ١٦
قيمة شمع لإضاءة المدرسة	نقدي	لكل ليلة ثمن خمس شمعات وزن كل شمعة رطلان بالرطل المصري[٩٦]	ص ١٦
قيمة سليط (زيت) لداخل المدرسة وخارجها بغرض الإنارة عند خمسة شهر رمضان.	نقدي	بحسب ما يتطلبه ذلك وبحسب ما يراه الناظر	ص ١٦
زيادة سقاء المدرسة في ليلة الرغائب وليلة النصف من شعبان.	غير محدد	بحسب ما يراه الناظر	ص ١٦

٣ . ٣. الهيئة البشرية المرتبة في المدرسة.

حددت الوثيقة الهيئة البشرية المرتبة في المدرسة تحديدًا دقيقًا، وذلك من حيث الصفة وتحديد الوظيفة بواجباتها وشروطها، وكذا تحديد مستحقات أعضاء الهيئة المرتبة من ريع الموقوف على المدرسة سواء أكان ذلك مخصصًا عينيًا أو نقديًا، و آلية التصرف وشروطه. ويمكن تصنيف تلك الهيئة من الناحية الوظيفية إلى قسمين: هيئة التعليم، وهي الهيئة التي رتبت للتعليم من مدرسين وطلبة، وسواء أكانوا من أصحاب التخصصات العليا، أم التعليم الأولي وأتباع الطرق الصوفية. هيئة الإدارة والخدمات، وهي التي تقوم بواجبات المدرسة الأخرى والتي تعتبر مكملة لنشاطات المدرسة. وكل المرتبين في المدرسة – سواء أكانوا من هيئة التعليم أم من الهيئة الإدارية، يؤدون عملا تكامليا يجعل المدرسة تقوم بواجباتها كما أراد لها الواقف. والجداول أدناه – والمستخلصة من معلومات وثيقة الوقفية– توضح لنا صفات ومهام الهيئة البشرية المرتبة في المدرسة، وكذا المخصصات المستحقة لهم من ريع الوقف كما حدده الواقف.. وذلك كما يلي:

أولاً: هيئة التعليم.

أ) الصفة والمهمة: حدد الواقف في وثيقة الوقفية ترتيب هيئة التعليم الرسمية المرتبة في المدرسة من مدرسين وطلبة، من حيث العدد و المهام وشروط مزاولة المهام... كما يتبين في الجدول التالي:

جدول (٤) هيئة التعليم المرتبة في المدرسة ومهامها.

الصفة	عدد	مهمته
مدرس الفقه	١	مدرس للعلم الشريف على مذهب الإمام الشافعي ويقرئ الطلبة المرتبين لها في فنون العلم: الفقه فروعا وأصولا وله أن يقرئ الطالبين بعد ذلك ما شاء من المقطوعين.[٦٣] وعليه إقراء الطلبة في كل يوم ما سهل الله تعالى من أنواع العلوم الشريفة الفقهية المقربة إلى الله تعالى، وبذل نفسه للفتوى والإرشاد إلى الله تعالى سبحانه.[٦٨]

طلبة الفقه	١٠	يقرئهم الفقيه ويقرؤون عليه العلم كل يوم ما سهل الله عز وجل للمدرس وبالبحث والاجتهاد منه ومنهم من أنواع العلم الشريف المقرب إلى الله عز وجل.[٦٩] وعليهم الدرس والبحث والمطالعة والاجتهاد، فمن ظهر عليه خلل أو تقصير أومضت عليه خمس سنين ولم يظهر فائدته في الفقه، عين الناظر غيره وعوض عوضه.[٧٠] وفي شهر رمضان لمدرس الفقه وطلبته المشتغلين عليه قراءة القرآن الكريم أو سماع الحديث النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام واستماعه عوضا عن إقراء الفقه والاشتغال به في الشهر الكريم المذكور، ويختمون قراءة القرآن الكريم واستماع الحديث بالدعاء للمنعم الواقف.[٧١]
معيد	١	يؤرض عليه الطلبة ويحثون معه توطئة للمدرس واستبيان ما يقدح في نفوس الطلبة وتحرير الصور والمسائل وتصويرها.[٧٢] وعليه إقراء الطلبة ومذاكرتهم... واستخراج ما عندهم من الفهم، وعرض محصول رأيه ورأيهم على الفقيه المدرس.[٧٣]
مدرس الحديث	١	مدرس للحديث النبوي والتفسير والوعظ والرقائق بين الرواية صحيحة السند يقرئ الطلبة فيها فيقرؤون عليه سماعا واستماعا.[٧٤] وكذلك يقرئ ما يشاء من المتطوعين مع البحث والاجتهاد منه ومنهم ،[٧٥] وعليه القيام بوظيفته وبذل وسعه للطلبة والإقراء والقراءة في كل يوم من الحديث والتفسير والوعظ والرقايق ما سهله الله عز وجل ، ويعقب مجلس الحديث على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ما يسره الله من القرآن الكريم والدعاء للمنعم الواقف.[٧٦]
طلبة الحديث	٥	يشتغلون على مدرس الحديث بعلوم الحديث في كل يوم ما سهل الله عز وجل [٧٧]، وعليهم تحصيل وضبط الحديث وفهم معانيه وتجويد سنده.[٧٨]

مقرئ	١	مقرئ لكتاب الله العزيز بالقراءات السبع، عارف بحقق لأنواع علوم القراءات متقن لها علما ونطقا.[٧٩]
طلبة القرآن	٥	يشتغلون عليه في القراءات المذكورة ما سهل الله عز وجل بالبحث والإتقان.[٨٠]
فقيه نحوي	١	مدرس في النحو عارف لأحوال النحو وفروعه بصير بأدلته مستحضر لنصوصه ذاكر لشواذه وغوامضه ، مقيد للطلبة المتقدم ذكرهم يصلح من ألسنتهم وكيفها ويجلو عن صدورهم شكوكها عارف بارع فيها ناقل لفصيحها مستعمل لصحيحها.[٨١]
معلم قرآن	١	يعلم القرآن الكريم في المدرسة المذكورة للمعلمين (للمبتدئين) على مرور الأزمان إلا في الجمع والأعياد والأوقات التي جرت العادة للمعلمين في المدارس لايعملون فيها ،أو بعذر ظاهر بشرط الاستنابة لمن تقدم ذكرهم. وعليه ملازمة التعليم وبذل الوسع والاجتهاد.[٨٢]
أيتام	١٥	يحفظون القرآن في المدرسة المذكورة حيث عين للمعلمين.[٨٣]
شيخ طريقة	١	شيخ من مشائخ الطريقة السالكين المحققين المتصفين بصفة الصوفية، وعليه الاستقامة بسند متن طريقه من مراعاة النسك والتبتل والانقطاع إلى الله تعالى، وعليه وخدامه صرف ما اتصل إليهم مما أعد للمصادر والوارد على حسب الشرط موفرا مكملا... وعليه أخذ العهد على السالكين وجماعة أتباعه لا يعتري الخانقات المذكورات للشيخ بدعة ولا هو يضل عن سبيل الله تعالى من مزمار عراقي أو يراع أو دف بجلاجل أو غيره، ولا يأمن من سماع مدح مادح أو حاد أو مذكر أو قوال مما يرغب في الإقبال على دار القرار ويزهد في هذه الدار.[٨٤]

مريد	١٠	عشرة من المريدين السالكين المنقطعين ، يفصل اثنان منهم فزيد من تتلمذه بشرط إنصافهما بخدمة الفقراء والواردين وقيامهما على الإطعام والطعام المعد للصادر والوارد إلى الخانقاة المذكورة بالمدرسة المذكورة من الفقراء والسالكين وأبناء السبيل إطعام بالمعروف.[٨٥] وعليهم التأسي بهدي شيخهم والاستنان بسنته ولا يخالف رأيهم رأيه على مقتضى السلوك والإرادة ، ويوقرون كبيرهم ويرحمون صغيرهم وضعيفهم رحماء بينهم. وعلى الشيخ والمريدين المختصين بالخدمة صرف ما اتصل إليهم مما أعد للصادر والوارد على حسب الشروط، موفرا مكملا طيبة نفوسهم بذلك وبذل ما يجب عليهم من الخدمة والإيثار على حسب وسعهم من غير ضجر ولا ملل ولا تكلف.[٨٦]

ب) مخصصات هيئة التعليم:

حدد الواقف مخصصات الهيئة التعليمية المرتبة في المدرسة على النحو الذي يوضحه الجدول العالي:

جدول (٥) مخصصات هيئة التعليم المرتبة في المدرسة.

الصفة	عدد	الاستحقاق				
		عيني (طعام وكسوة)		نقدي (من أجل الكسوة)		ملاحظات
		شهري (طعام) بالزيدي التعزي القديم	سنوي (كسوة)	شهري شيتار	سنوي دينار	
مدرس الفقه	١	٨٣ وثلث	مقطع بياض	٥٠	١٠٠	(ص ١٥)

طلبة الفقه	١٠	٧ ونصف	------	٧ونصف	---- لكل واحد (ص ١٥)
معيد	١	٤١ وثلثين	مقطع بياض	٢٠	٥٠ (ص ١٥)
مدرس الحديث	١	٤١ وثلثين	مقطع بياض	٢٠	٤٠ (ص ١٥)
طلبة الحديث	٥	٧ ونصف	------	٧ونصف	---- (ص ١٥)
المقرئ	١	٤١ وثلثين	مقطع بياض	٢٠	٤٠ (ص ١٥)
طلبة قرآن	٥	٧ ونصف	------	٧ونصف	---- لكل واحد (ص ١٥)
مدرس النحو	١	١٤وثلثين	مقطع بياض	٢٠	٤٠ (ص ١٥)
معلم القرآن	١	٤١	------	------	---- (ص ١٥)
الأيتام	١٥	١٠	------	------	---- لكل واحد (ص ١٥)
شيخ الخانقاة	١	٤١ وثلثين	مقطع بياض	٢٠	٤٠ (ص ١٥)
مريد	٨	١٠	------	------	---- لكل واحد (ص ١٥)
مريد	٣	١٥	------	------	---- خصصا لخدمة النازلين بالخانقاة (ص ١٦)

ثانياً: هيئة الإدارة والخدمات:

أ) الصفة والمهام. حدد الواقف وفي وقفيته الهيئة المرتبة على إدارة الوقف بجانبيه المدرسة والموقوف عليها، وكذا الهيئة المرتبة في وظائف أخرى غير تعليمية في المدرسة، وفق ما يتضح من خلال الجدول التالي:

جدول (٦) صفة ومهام الهيئة الإدارية

الصفة	عدد	مهمته
ناظر الوقف	١	حددت الواقفية بأن يكون نظر الوقف المذكور بيد السلطان الواقف ثم إلى الأصلح الأرشد من ذريته ذكورا وإناثا أبدا ما تناسلوا وتعاقبوا، ثم من بعدهم إلى الأصلح الأرشد العدل التقي الثقة الأمين من عتقائه المذكور دون الإناث ثم من بعدهم إلى حكام المسلمين في تعز الحروس أو أقرب الجهات إليها.[٨٧] هو المسؤول عن الإشراف على إدارة الوقف ومباشرته، وله بيع ما يحتاج إليه من الغلال لتحصيل النقد حسب ما ذكر وبين وبرهن في الوقفية... وعليه رعاية شرط الواقف وعليه بنفسه الاجتهاد في المباشرة وتحصيل ما يجب تحصينه والسعي في النظر والاحتياط وإيصال كل ذي حق إلى حقه بعد قيام كل منهم بوظيفته.
إمام	١	عليه مراعاة أوقات الفضيلة من أوقات الصلاة المفروضة والمواظبة عليها وتجنب ما يكرهه الجماعة ، وأيام شهور رمضان بالتراويح والنصف من شعبان والرغايب وصلوات الخسوف والكسوف بالجماعة على التخفيف، عملا بوصيته عليه الصلاة والسلام : إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم السقيم والضعيف وذا الحاجة.[٨٨]

مؤذن	٢	مأمورتان صباحتان عليهما ملازمة الأوقات الخمسة والإعلام بدخول الوقت بالأذان الشرعي والإقامة بأمر الإمام والتسبيح ليلاً في المنادة في المدرسة المذكورة أو سطحها في الأسبوع مرتين، ليلة الجمعة وليلة الاثنين ، وعليهما القيام مع الإمام في سائر الصلوات المسنونة كالرغائب والتراويح وليلة النصف من شعبان وفي صلوات الخسوف والكسوف.[٨٩]
قيم	٢	تنظيف المسجد وجناحيه وسائر مرافق المدرسة ورحابها ظاهرا وباطنا وفرش ما يحتاج إلى فرشه وتنظيف البركة والفسقية وموضع الماء في المدرسة من الطحلب والتراب المجتمع فيها المغير للماء، وتنظيف المطاهير وأمكنة قضاء الحاجة وإماطة الأذى عنها وإزالة النجاسات المائعة الراكدة والموجود في ظاهر ذلك. و إشعال المصابيح في المسجد والجناحين وسائر الأماكن التي تحتاج إلى الاستصباح فيها في الأوقات التي جرت العادة فيها بذلك كالمغرب والعشاء وصلاة الصبح ، وإشعال القناديل والشموع في المدرسة داخلها وخارجها في ليلة الختمة من شهر رمضان المعظم كجاري عادة المدارس في تلك الليلة.وحفظ آلة المدرسة من البسط والحصير والقناديل والأسقية وسوى ذلك وتنظيف المطاهير وأمكنة قضاء الحاجة..... وعليهم القيام بحقوق الوظيفة على الصفة الموصوفة عليها أولا على الصفة المذكورة.[٩٠]
قيم لسانية المدرسة	١	ينظر في أمر سانية المدرسة المنصب إليها الماء وإجراله على حسب العادة. وعليه مباشرتها في كل وقت وإجراء الماء إليها وإزالة ما يمنع من الجريان فيها.[٩١]
نائب ناظر الوقف	١	نائب كاف أمين يباشر الأرض المذكورة ويؤجرها بأجرة مثلها ويحصل غلاتها ويسوق حواصلها ويعمر الأرض المذكورة والمدرسة المذكورة وأماكنها عند الحاجة إلى ذلك ويصرف ما يبقى عنى من ذكر.[٩٢]

ب) مخصصات هيئة الإدارة والخدمات.

أما عن المخصصات التي حددها الواقف لهيئة إدارة الوقف وخدمات المدرسة فقد حددت في الوثيقة وفقا لما يتبين من خلال الجدول التالي:

جدول (٧) مخصصات هيئة الإدارة والخدمات

الصفة	عدد	الاستحقاق				ملاحظات
		عيني (طعام وكسوة)		نقدي (من أجل الكسوة)		
		شهري (طعام) بالرز البندي التمري القديم	سنوي (كسوة)	شهري	سنوي	
				دينار	دينار	
إمام المسجد	١	٤١ وثلث	مقطع بياض	٢٠	٤٠	(ص١٥)
مؤذن	٢	٢٠	ثوب خام	———	١٠	لكل واحد (ص ١٥)
قيم	٢	٢٠	ثوب خام	———	١٠	لكل واحد (ص ١٥)
قيم الساقية	١	١٠	———	———	———	(ص١٦)
نائب الناظر	١	٤١ وثلثين	مقطع بياض	٢٠	٤٠	(ص ١٦)

٣. ٣. نظام التعليم في المدرسة:

مما ورد في الوثيقة يمكن استخلاص بعض جوانب من نظام التعليم في المدرسة وذلك على النحو التالي:

أولاً: التخصصات التعليمية.

من خلال الجداول الموضحة أعلاه، يتبين أن التخصصات العلمية الرئيسة التي كانت تدرس في المدرسة على مستويات عليا هي التخصصات العلمية الشرعية التالية: (الفقه وأصوله، الحديث الشريف وعلومه، القرآن الكريم وعلومه) حيث قسم الطلبة المرتبين للدراسة في المدرسة إلى مجموعات موزعة على تلك التخصصات، وكل تخصص يقوم بتدريسه مدرس متخصص على قدر كبير من العلم والكفاءة.[٩٣] وترتيب التخصصات العلمية في المدرسة من حيث الأهمية كان على النحو التالي:

أ) علم الفقه: يأتي مقرر الفقه – أصولا وفروعا– على مذهب الإمام الشافعي في المرتبة الأولى بين تلك العلوم التي تدرس في المدرسة، وهذا هو المعمول به في أغلب المدارس التي أنشأها بنو رسول — سلاطين وأمراء ونساء وحاشية.–[٩٤] ولتلك الأهمية فقد تعين حسن اختيار مدرس الفقه بحيث يكون فقيه مجتهد موسوعي يحقق الفرض العلمي في تأهيل الطلبة العشرة المرتبين والمخصصين لدراسة الفقه على يديه، بحيث يحصلون على تأهيل عال – وفق شرط الواقف– يمكنهم من بلوغ مراتب عليا في الفقه والاجتهاد العلمي، وتخصص الفقه هو الوحيد الذي رتب له معيد إلى جانب المدرس يقوم بترويض الطلبة ومباحثتهم وتوضيح ما يحتاجون إلى توضيحه، ويتقاضى المعيد مخصصات كبيرة مساوية لمخصصات مدرس الحديث والقراءات والنحو، أما مدرس الفقه فهو الأعلى أجرا من أجور الهيئة المرتبة في المدرسة، يليه معيد الفقه – كما هو موضح في الجدول المخصص للتخفيات–. ووضع الواقف في الوثيقة شروطا على الطلبة للاستمرار في التعليم واستلام المخصصات المرصودة من ريع الوقف، حيث حددت بأن لا يستمر في الدرس وأخذ العطاء المخصص إلا من أظهر نجابة وتفوقا، ومن ظهر منه غير ذلك فصل واستبدل بطالب آخر.

أما عن الكتب التي كانت معتمدة في تدريس تخصص الفقه الشافعي ، فبرغم عدم ذكر الوثيقة لها، إلا أنه كان من المعروف بأن الكتب المعتمدة في التدريس في المدارس الشافعية في اليمن – بحسب القاضي الأكوع هي ": (التنبيه) و (المهذب) لأبي إسحاق الشيرازي وشروحهما وحواشيهما ، وكذلك (الوسيط) و(الوجيز) للغزالي وشروحهما و (الحاوي) لعبد

الغفار القزويني وشرحه و(إرشاد الغاوي في مسالك الحاوي) لإسماعيل بن أبي بكر المقري و(المنهاج) للنووي و (معين أهل التقوى) لعلي بن أحمد الأصبحي و(البيان) للإمام يحي بن أبي الخير العمراني."[٩٥]

ب) علم الحديث: هو التخصص الثاني من التخصصات الرئيسة بعد علم الفقه. وقد رتب للحديث مدرسا ورتب له من الطلبة خمسة يقرؤون عليه الحديث سماعا واستماعا في كل يوم إلى جانب التفسير والوعظ والرقائق. وتأتي أمهات كتب الحديث الستة على رأس الكتب المعتمدة في تدريس الحديث، يضاف إليها عدد من الكتب اللاحقة من شروح ومختصرات ولمع...الخ.[٩٦]

ج) القرآن الكريم وعلومه: وهذا العلم يتساوى في الأهمية– من حيث درجة الاهتمام به في المدرسة – مع علم الحديث. وقد خصص لتدريس هذا العلم مقرئ لكتاب الله العزيز بالقراءات السبع، عارف محقق لأنواع علوم القراءات متقن فا عالما ونطقا ، ورتب للقراءة عليه خمسة من الطلبة يشتغلون عليه في القراءات المذكورة ما سهل الله عز وجل بالبحث والإتقان.

د) علم النحو: لم يكن علم النحو من التخصصات الرئيسة المستقلة بالتدريس لذاتها في المدرسة، بل كان علما مساعدا مطلوبًا لطلبة التخصصات الرئيسة، لمساعدتهم في الفهم اللغوي لما يدرسونه من العلوم، ولأهمية هذا العلم المساعد فقد رتب في المدرسة مدرس في النحو:" فقيها عارفا لأحوال النحو وفروعه بصيرًا بأدلته مستحضرا لنصوصه ذاكرا لشواذه وغوامضه، مفيدا للطلبة المتقدم ذكرهم يصلح من ألسنتهم تركيبها ويجلو عن صدورهم شكوكها عارفًا بأوهامها فاهلاً لتصحيحها مستعملاً لصحيحها ."[٩٧]

و إلى جانب تلك التخصصات الرئيسة، فقد رتب في المدرسة معلم للقرآن يقوم بتعليم القرآن للمبتدئين والصبيان وللأيتام الذين رتبوا في المدرسة ومن يريد تعلم القرآن من الوافدين غير المرتبين.

وفي موقع آخر من المدرسة يقوم جماعة الصوفية المرتبين في الخانقاة – الشيخ والعشرة المريدين – بممارسة سلوك طريقتهم وفق القواعد التي حددها الواقف، ويتدارسون علوم التصوف على يد الشيخ المرتب للطريقة،[٩٨] وكذا عليهم استقبال الواردين عليهم من الفقراء وعابري السبيل والمنقطعين والقيام بحقوقهم وفق ما حدد.

وإلى جانب التعليم النظامي في المدرسة، فإن المدرسة قد شهدت نشاطات علمية أخرى غير الراتبة، من ذلك ، الحلقات العلمية المفتوحة التي كانت تقام من حين لآخر، وذلك عندما يزور أحد العلماء الكبار ضيفا على المدرسة سواء أكان من اليمن أم من خارجها، فتكون له حلقة علمية يحضرها من أراد من المرتبين في المدرسة أو من خارجها، ممن يطيقون السماع على ذلك العالم. وقد يأتي علماء وطلبة علم من مناطق يمنية مختلفة للسماع على ذلك الضيف وطلب الإجازة من ذلك العالم، حتى أن المدرسة لم تكن تتسع للحاضرين في حلقات بعض العلماء الزائرين. وكان بعض القادمين إلى هذه المدرسة من العلماء الزائرين من اتباع مذاهب غير مذهب الشافعي المعتمد في المدرسة وكانوا يملون دروسهم ويقررون على مذاهبهم، وكان من المستمعين والمتعلمين من هم من أتباع المذاهب الأخرى أيضا،[٩٩] مما يدل على الانفتاح العلمي والمذهبي في عهد بني رسول، فقد عرف عن بني رسول التسامح وعدم التعصب المذهبي والعلمي والفكري ، وهذا كان أحد عوامل الازدهار العلمي الذي شهدته اليمن في ظل حكم تلك الدولة.

ثانياً: أوقات التعليم.

لم يأت في الوثيقة تحديد تفصيلي عن آلية تنظيم أوقات التعليم في المدرسة، غير الإشارات المجملة " بأن على جميع المرتبين المواظبة والملازمة إلا في الأوقات التي جرت العادة بعدم العمل فيها كالجمع والأعياد وعند الضرورات الحادثة"[١٠٠] ثم حددت الوثيقة بأن على أصحاب علم الفقه – معلم ومعيد وطلبة– في شهر رمضان الكريم " قراءة القرآن الكريم أو سماع الحديث النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام واستماعه عوضا عن إقراء الفقه والاشتغال به في الشهر الكريم المذكور، ويعقبون قراءة القرآن الكريم واستماع الحديث بالدعاء للمنعم الواقف."[١٠١] غير أنه يمكننا التعرف على تفصيلات أكثر حول أوقات التعليم من خلال ما جاء في وثيقة وقفية المدرسة الظاهرية التي جاء فيها إشارات إلى تحديد الأوقات التي على طلبة الفقه القراءة فيها فقد جاء فيها: " بأن على الفقيه المدرس أن يقرئ الطلبة في كل يوم على الدوام أربع ساعات من أول النهار وأربع من آخره ، ولا يقطع ذلك إلا في الجمع والأعياد أو من عذر ظاهر بيّن "[١٠٢].

أما عن طرق التدريس ووسائله فهي لا تختلف عن الطرق والوسائل السائدة والمعتمدة في أماكن التعليم المختلفة في معظم ديار الإسلام في ذلك العصر[١٠٣].

٣. ٤. المدرسون في المدرسة.

لاشك بأن إنشاء المدرسة الأشرفية بالمواصفات السالفة الذكر، وما حظيت به من رعاية واهتمام بانيها السلطان الأشرف إسماعيل، ومن تولى النظر والإشراف عليها من بعده، سواء أكان ذلك من حيث إنشاء المدرسة بمرافقها المختلفة وتوفر الرعاية والإشراف ، أم من حيث ما أوقف على المدرسة ونشاطاتها الواسعة بما يكفل قيامها بالدور الذي أراده لها الواقف، لاشك بأن كل ذلك وافقه اهتمام بترتيب المدرسين من ذوي الكفاءات العالية في التخصصات العلمية التي كانت تدرس في المدرسة، وسواء أكان المرتبون للتدريس فيها، من علماء اليمن أم من خارجها. بالإضافة الى ذلك فإن ذلك الصرح العلمي قد استقبل علماء قاموا بالتدريس طواعية وهم غير مرتبون رسميا، منهم من اتخذ من المدرسة أو من أحد جوانبها مقرا للاعتكاف والانقطاع للعبادة والتدريس، ومنهم من درس فيها طواعية أثناء زيارته للمدرسة لمدة محدودة ، ومنهم علماء وافدون دخلوا اليمن لغرض الزيارة أو التجارة أو لغرض علمي ... ونحو ذلك، ومن أبرز من درّس في هذه المدرسة:

أ) علماء من أهل اليمن.

– الفقيه أبو بكر بن محمد بن صالح الجبلي – المعروف بابن الخياط– (ت ٨١١هـ): من أهالي منطقة جبلة في اليمن، تفقه على كبار علماء بلده وعلماء تعز التي استقر فيها، وارتحل إلى مكة فأخذ عن علمائها إلى أن مهر في الفقه وفي العلوم الأخرى، ثم رتب للتدريس في كثير من مدارس تعز وكان مقربا لدى ملاطين بني رسول وقد رتبه الناصر أحمد للتدريس بمدرسة والده (الأشرفية)[١٠٤]. وقد ترجم له السخاوي ترجمة ضافية ، أشار فيها إلى مكانته العلمية ومكانته لدى ملوك بني رسول وتقريب الناصر أحمد بن الأشرف له، من ذلك قوله: "... اختاره (أي الناصر) من بين سائر علماء اليمن وعول على فتياه بتعز وذي جبلة وهي مسكنه غالباً وانتهت إليه رياسة الفقه وجرى بينه وبين المجد الشيرازي[١٠٥] مراجعات بسبب إنكاره على المتعلين

بكتب ابن عربي صنف في المنع جزءاً رد عليه المجد تعصباً مع صوفية زبيد وله بكتب العراقيين وكتب الغزالي وبالروضة والعزيز معرفة تامة، ولم يزل متصدياً لنشر العلم ببلده حتى أخذ عنه نجم الفقير وصار علماء اليمن تلامذته ونفع الله به في الفقه والحديث والأصلين والمنطق وغيرها، كل ذلك مع الأحوال المرضية والشمائل الحسنة والمعالي المستحسنة حتى مات في صبيحة يوم الأحد حادي عشر رمضان سنة إحدى عشرة بمدرسة جبلة من المخلاف الأزهر بخلاف جعفر وشهد جنازته من لا يحصى."[١٠٩]

– سليمان بن إبراهيم بن عمر المشهور بنفيس الدين العلوي (ت ٨٥٢هـ) من كبار علماء اليمن وفضلائها، انتهت إليه رئاسة الحديث في اليمن، وهو من أكابر العلماء الذين رتبوا للتدريس في المدرسة الأشرفية. تصفه المصادر بأنه كان محدث اليمن بلا منازع، وكان مالك أزمة المعرف والطرائف. ولد بمدينة زبيد سنة ٧٤٥هـ وتلقى العلم على يد والده الذي كان إمام الحديث في وقته، كما تلقى عن كبار علماء عصره من أهل اليمن ومن الوافدين إليها، ومنهم مجد الدين الشيرازي الفيروزابادي صاحب القاموس – الذي وصفه بخطه في طبقة سماع، بأنه إمام أهل السنة–[١١٠] ومحمد بن أحمد بن عبد العزيز التوبري ... وغير أولئك من كبار العلماء ، وأجازه كبار علماء عصره وقد التقى به ابن حجر العسقلاني عندما زار اليمن في المرتين الأولى والثانية وترجم له في كتبه، ومما قاله عنه : "... أنه عنى بالحديث وأحب الرواية واستجيز له جماعة من المكيين، وسمع مني وسمعت منه وكان محباً في السماع والرواية مكباً على ذلك مع عدم مهارته فيه وذكر لي أنه مر على " صحيح البخاري" ثمانية وخمسين مرة ما بين قراءة وسماع وإجماع ومقابلة وحصل من شروحه كثيراً وحدث بالكثير وكان محدث أهل بلده ، وقرأ الكتب على شيخنا مجد الدين الشيرازي ، ونعم الرجل كان، فلقيه بزبيد وبمكة في الرحلتين ، وحصل لي به أنس ..."[١١١] وقد حظي باحترام وتقدير كافة الناس: " يجلونه ويحترمونه ويتبعون أمره ولا يخالفون فيه ، وكان مجلسه يجمع المبتدي والمنتهي ويستفيد منه كل منهم ما يأمل ويشتهي، وكانت الفتاوى ترد عليه من أقطار اليمن وغيره فيحل مشكلها ويوضح مبهمها."[١١٢] مات وقد تجاوز الثمانين من عمره.[١١٣]

– سليم بن داود بن عبدالله الوشاح الضاري (ت٨١٢هـ) ترجم له البريهي في تاريخه ضمن العلماء المتوفين في تعز، وأشار إلى أن صل بلده (الضاري) في مخلاف (إب) ، أو (حراز)، وأشار إلى أنه قرأ على كبار العلماء في الفقه والحديث وعلى جماعة من أئمة وقته وأنه درّس بالمدرسة الأشرفية الجديدة في تعز وتخرج به جماعة من العلماء عد بعضهم.[١١٤]

– وجيه الدين عبد الرحمن بن هبة الله الملحاني (ت ٨١٥هـ) من فقهاء القراءات أخذ على كبار علماء القراءات وشارك في علوم اللغة والنحو التي أخذها عن جماعة من أئمة وقته وتبارك في غير هذه من العلوم، رُتب للتدريس في المدرسة الأشرفية الجديدة ، وتخرج به جماعة وانتفعوا بعلمه.[١١٥]

تلك نماذج لمن درس من علماء اليمن في الأشرفية الكبرى أو الجديدة.[١١٦]

ب) علماء من خارج اليمن :

– شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الشمس أبو الخير العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي المقرئ ويعرف بابن الجزري، نسبة لجزيرة ابن عمر قريب الموصل، (ت ٨٣٣هـ) من كبار علماء أمة الإسلام ومشايخها في القراءات والحديث. أصله من شيراز طاف في صغره مع والده كثيرا من الأمصار الإسلامية حيث أخذ العلم عن كبار علمائها، وبلغ في العلم مبلغا كبيرا إلى أن وصل حجة في كثير من العلوم على رأسها علم القراءات. وكانت له حظوة عند الملوك، وله عدد من المؤلفات منها: (النشر في القراءات العشر) و (المختار في الفقه) و(الحصن الحصين) وعدته وجنته في الحديث وغير تلك من المصنفات، انتهت إليه الرئاسة في علم القراءات ، فتصدر للتدريس والإقتاء والإقراء في جامع دمشق وبقي هنالك مدرسة للقرآن سماها (دار القرآن) وأخرى في شيراز، عمل في التجارة وجاب الأقطار، فدخل اليمن عن طريق البحر للتجارة ٨٢٨هـ حيث وصل إلى مدينة زبيد وأقرأ فيها طلبة العلم في مدارسها ومساجدها ومنها مسجد الأشاعر ، ثم انتقل من زبيد إلى تعز فكان له مجلسا علميا يحضره علماء وفقهاء البلد، فقرؤوا عليه في الفقه والحديث والقراءات، وكان يحضر للمدرسة الأشرفية الجديدة ويجتمع عليه خلق كثير فضيق المدرسة عنهم منهم من أتى

من خارج تعز ، وبعد أن قضى الجزري مدة في اليمن ، عاد منها ببضاعة كثيرة فاتجه نحو مكة ومن مكة إلى القاهرة ثم إلى البصرة عبر بلاد الشام ومنها إلى بلده (شيراز) حيث وافته المنية فيها في السنة المذكورة ودفن في مدرسته التي أنشأها فيها.[١٢٤]

- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن سليمان المعروف بالبر شكي التونسي المغربي المالكي (ت ٨٣٩هـ) وصف بأنه شيخ الإسلام وأوحد الأئمة الأعلام صدر الفقهاء والمحدثين وأجل العلماء المصنفين "[١٢٥] بدأ القراءة في بلده تونس ثم ارتحل لطلب العلم إلى أماكن كثيرة من بلدان دار الإسلام، حتى صار شيخا ومصنفا للكتب، قدم إلى اليمن مع الإمام الجزري سنة ٨٢٨هـ فاقام في مدينة زبيد مدة اخذ عليه أهلها وأجازهم ، ثم انتقل إلى مدينة تعز حيث اجتمع عليه أهلها وقرؤوا عليه موطأ الإمام مالك، وعقد حلقات العلم في المدرسة الأشرفية الجديدة، حيث اجتمع في دروسه خلق كثير ضاقت بهم المدرسة فاجاز للحاضرين ومنهم المؤرخ عبد الرحمن الديبعي (ت مطلع القرن العاشر) الذي حضر عنده مجلس ختم القرآن.[١٢٦]

الخاتمة: من خلال ما عرض في هذا البحث نخلص إلى بعض النتائج والتوصيات على النحو التالي:

أولاً: النتائج:

- تعد المدرسة الأشرفية - موضوع البحث- نموذجا لأبرز المدارس العلمية التي اشتهرت في اليمن في عهد بني رسول والتي تمثل جانبا من جوانب الازدهار الحضاري العلمي وتعكس صورة الوعي والاهتمام العلمي لدى أفراد الأسرة الرسولية الحاكمة التي أولت العلم اهتماما كبيرا وأنفقت عليه بسخاء.

- أدت المدرسة الأشرفية دورا علميا جليا بإشراف مباشر من بانيها المدرسة الذي وضع الرؤية الإستراتيجية لإنشاء المدرسة وتحديد مهام مكوناتها ومرافقها المعمارية المختلفة ووضع خطط وآليات نشاطات المدرسة وإدارتها بما أسهم في نجاح مهمتها.

- من أبرز سمات مدارس العهد الرسولي في اليمن التخصيص العلمي غير المقيد، فبالرغم من أن المدرسة الأشرفية خصصت بسبب الواقف- لتدريس الفقه على المذهب الشافعي - مذهب الدولة - فإن بعض المدارس قد خصصت لتدريس مذاهب سنية أخرى، مما يدل على التسامح المذهبي وسعة أفق أفراد الأسرة الرسولية الحاكمة

لتشمل المذاهب والأفكار والعلوم المختلفة. وفي الوقت نفسه لم يكن ذلك التخصيص في أطار المدرسة مقيدا على ذلك النوع المخصص من العلم ، بل شمل نشاطها العلمي تدريس علوم شرعية ولغوية رئيسة منها:علوم القرآن والحديث واللغة، إلى جانب تعليم القرآن الكريم للأيتام والفقراء وكل من يريد ذلك من غير المرتبين، الى جانب القسم الخاص بالتصوف والصوفية. وقد تم تعيين الأساتذة لتدريس تلك التخصصات من كبار العلماء ذوي القدرات والكفاءات العالية.

- مورست في المدرسة نشاطات علمية أخرى مفتوحة هي عبارة عن مجالس وحلقات علمية كانت تقام من حين لآخر، وعلى وجه الخصوص عند زيارة أحد العلماء الكبار من خارج اليمن أو من داخلها للمدرسة حيث يعقد له فيها مجالس علمية مفتوحة يلقي فيها العلماء ما عندهم من علم في أي جانب وعلى أي مذهب فقهي من مذاهب أهل السنة دون أي غضاضة، فكان يحضر تلك المجالس جم غفير من طلبة وعلماء من مختلف مناطق اليمن ومن خارجها يسمعون على أولئك العلماء ويستحصلون منهم على الإجازات العلمية حتى أن المدرسة لم تكن تتسع في بعض تلك المجالس لجميع الحضور.

- وفوق ذلك كله فإن المدرسة لم تكن مجرد مكان للتعليم وممارسة شعائر تعبدية وحسب، بل إنها - ومن خلال مكوناتها المعمارية ومرافقها المتخصصة وبرامج نشاطاتها المتنوعة على مدار العام - تعد مؤسسة اجتماعية وخيرية حيوية، فكانت مقصدا للفقراء والمساكين وعابري السبيل والمنقطعين للعبادة من خارج اليمن ومن داخلها دون النظر إلى اتجاهات الفرق الفكرية والمذهبية، وكانت تحييها الاحتفالات التي كانت تقام فيها بالمناسبات الدينية المتكررة التي كانت معروفة في ذلك العصر برعاية السلاطين وما يتخلل تلك الاحتفالات من إعداد موائد للطعام وتصدق السلطان وأهله وحاشيته على الفقراء والمساكين والمحتاجين والمنقطعين.

- والأهم من ذلك كله أن هذه المدرسة - وغيرها من المدارس - لم يكن لها أن تؤدي ذلك الدور لولا ما رصد لها من أوقاف سخية من قبل بانيها ؛ مكنتها من تحقيق ذلك الدور.

ثانيا: التوصيات:

- الاهتمام بدراسة الجوانب الحضارية في تاريخنا الإسلامي- ومنها تاريخ العلوم والمؤسسات التعليمية ودور الأوقاف في تحقيق الازدهار الحضاري - دراسات معمقة ومتشعبة الجوانب تظهر الأبعاد والأدوار والآثار الحضارية المتحققة لتلك الجوانب، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال رصد ميزانيات مناسبة لدعم البحوث العلمية في هذا المجال.

- إعادة تأهيل مثل تلك المؤسسات الوقفية، لا لمجرد أن تصبح مواقع أثرية ومزارات سياحية، بل إحياء نشاطاتها وتوجيهها بما يتناسب مع المتغيرات والاحتياجات.

- التوعية بأهمية الوقف في حياة المجتمع الإسلامي ودوره في النهوض الحضاري على مختلف الصعد.

- حصر وتوثيق ممتلكات الأوقاف من قبل المؤسسات الرسمية، وجمع الوثائق الوقفية وترميمها وحفظها بالطرق والوسائل الحديثة التي تحافظ عليها وتسهل من استخدامها للأغراض المختلفة.

- التخطيط السليم للاستفادة من ممتلكات وأصول الوقف وتوجيه ريعه التوجيه الأمثل للمحافظة أولاً على أصول الوقف وتنميته وفق ضوابط شرعية حتى تكون الاستفادة كبيرة من ريعه وتوجيهه نحو مقاصده الشرعية ومن ذلك الإنفاق على التعليم في مجال إنشاء وتطوير البنى التحتية للمؤسسات العلمية ودعم المتعلمين، ودعم تطوير البحث العلمي في مجالاته الإنسانية والمادية.

ملحق الصور

صورة رقم (١) المدرسة الأشرفية وهي تطل على مدينة تعز

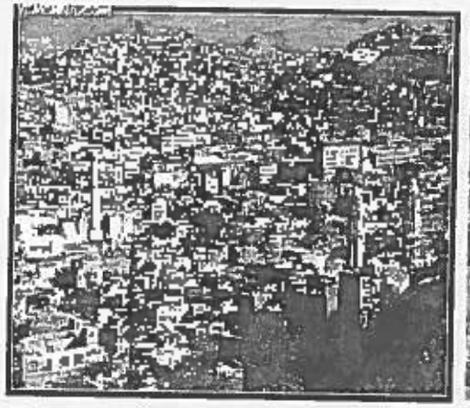

صورة رقم (٢) منظر للمدرسة مع مدينة تعز

صورة رقم (٣) نقش النص التأسيس على مدخل المئذنة الغربية.

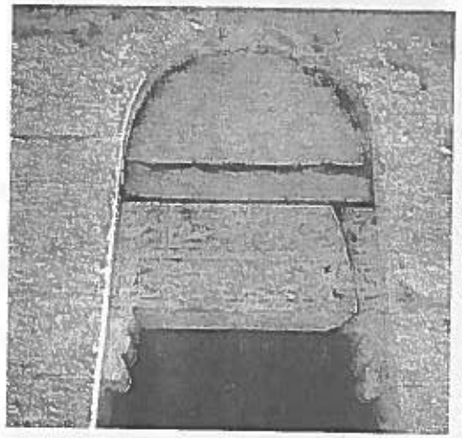

صورة رقم (٤) نقش للنص التأسيسي على مدخل المئذنة.

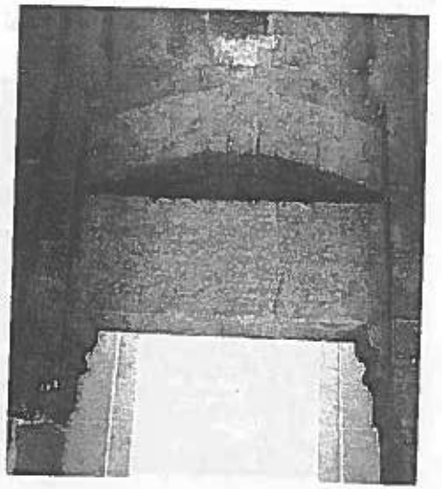

صورة رقم (٥) نقش التأسيس على المدخل الرئيسي

صورة رقم (٦) نقش نص التأسيس على المدخل الجنوبي

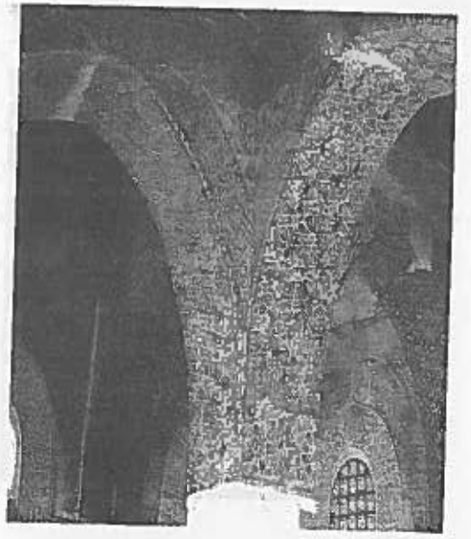

صورة رقم (٧) أحد الأعمدة التي تحمل عقود قبة المسجد.

صورة رقم (٨) شكل المدخنة التي تعمل للمقصورة التي ترتفع عليها قبة المسجد .

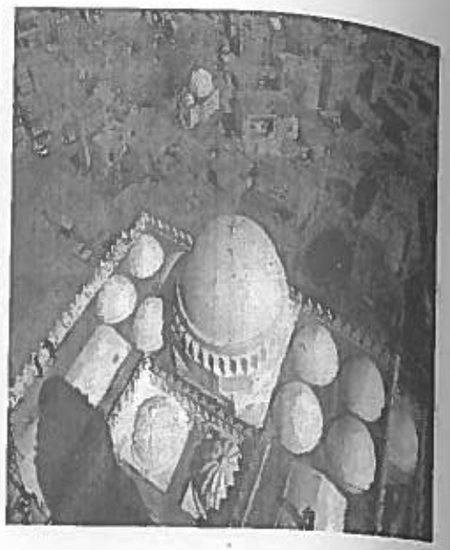

صورة رقم (٩) منظر خارجي علوي لظهر قبة

صورة رقم (١٠) خراب مسجد المسجد وأبواب الجناحين الشرقي والغربي

صورة رقم (١١) الجمطول

صورة رقم (١٢) أحد الممرات التي تفصل بين مكونات المدرسة.

صورة رقم (١٣) بعض مكونات ومرافق المدرسة

صورة رقم (١٤) بعض مكونات المدرسة

صورة رقم (١٥) قبة ضريح السلطان الأشرف (مؤسس المدرسة)

صورة رقم (١٦) ضريح السلطان الأشرف (مؤسس المدرسة)

صورة رقم (١٧) جانب من أحواض مياه الوضوء والشرب

صورة رقم (١٨) من المرافق الصحية للمدرسة

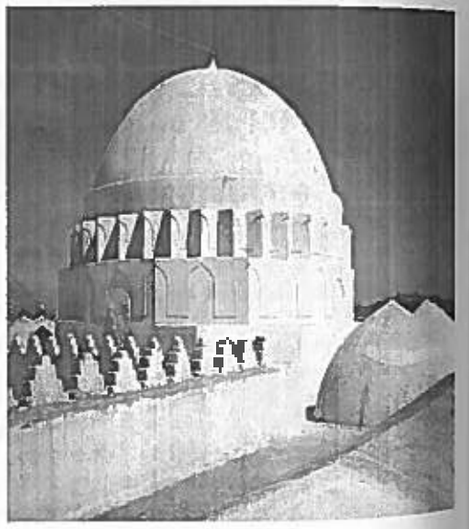

صورة رقم (١٩) قبة المسجد من الخارج

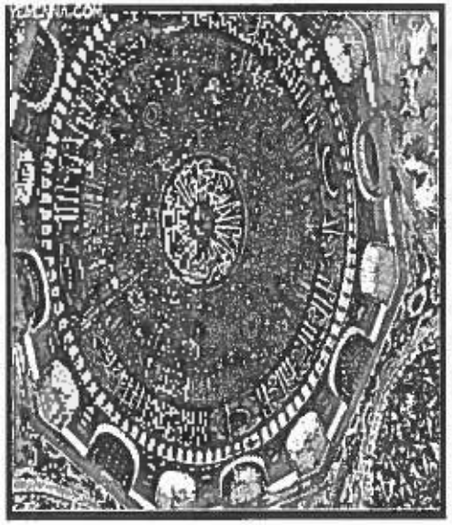

صورة رقم (٢٠) تكمل قبة المسجد من الداخل

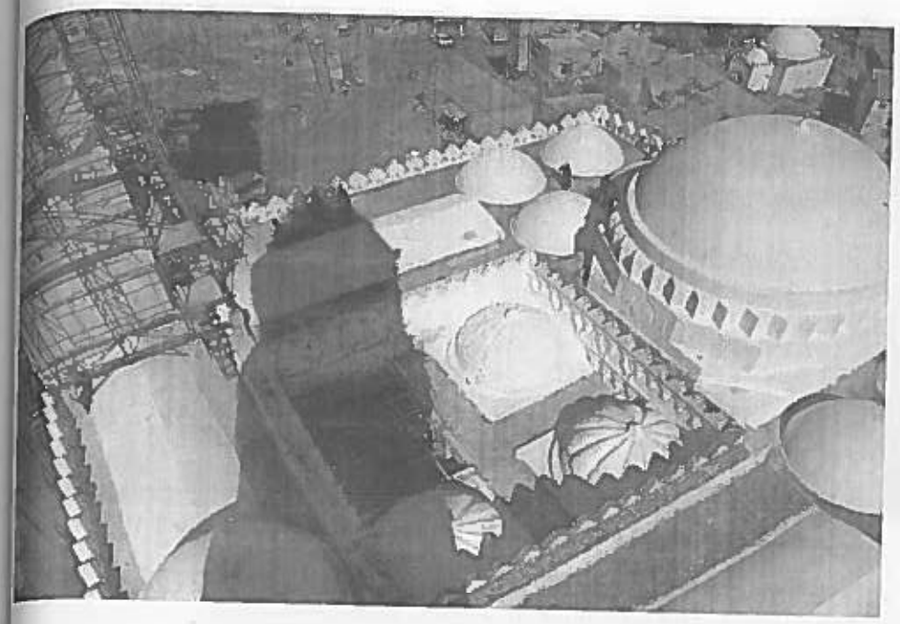

صورة رقم (٢١) فناء المقبرة الرئيسة وسط المدرسة
وفيها ثلاث قبب لقبور أحدها قبر السلطان الأشرف.

هوامش البحث ومصادره

(١) أبو جبلة، عامر حماد الله. تاريخ التربية والتعليم في صدر الإسلام. ط١. خاصة بالتوابل. ١٩٩٨م. ص٩.

(٢) الأكوع، إسماعيل بن علي. المدارس الإسلامية في اليمن. ط٢. مؤسسة الرسالة. بيروت، مكتبة الجيل الجديد. صنعاء، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. ص ٥ م.

(٣) تشير بعض المراجع الى إحصائيات للمدارس الإسلامية في اليمن وتسمية مدارس العهد الرسولي منها، فقد تحصى إسماعيل الأكوع في كتابه المدارس الإسلامية في اليمن) ١٨٩مدرسة منها ١٤٢ مدرسة أنشئت في عهد بني رسول و ١٦مدرسة قبل العهد الرسولي و ٣١ مدرسة بعد العهد الرسولي إلى قيام الثورة اليمنية المعاصرة. وجاءت إحصائية مدارس العهد الرسولي في كتاب (المدارس اليمنية في عهد بني رسول) للسنيدي ١٣٠مدرسة. حول المعلومات الإحصائية عن عدد المدارس العلمية في اليمن في عهد بني رسول، وطبيعة الوقوف على هذه المدارس انظر، الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد. الوقف التعليمي في اليمن في عهد الدولة الرسولية. بحث قدم للمؤتمر الدولي السادس للحضارة اليمنية (محدث التاريخ والحضارة) ٣ - ٥ ابريل ٢٠٠٧م. ص ٦ وما بعدها.

(٤) مصورة عن نسخة وثيقة الوقفية المخطوطة ضمن مجموع يعرف بالوقفات الغسالية مخطوطة لدى إدارة الأوقاف بتعبد تعز، ووثيقة وقفية المدرسة الأشرفية هي أولى وثائق وقفيات ذلك المجلد. وعدد صفحاتها ٢٠صفحة من ١- ٢٠ في المجموع. وقد تم نشرها محققة الى جانب وثيقة المدرسة الظاهرية، على يد الدكتورين طلال الرقاعي رطيف الله الرهوان، في كتاب يحمل عنوان : وثائق تعليمية من عصر الدولة الرسولية. صدرت طبعته الأولى في مكة المكرمة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٥) الخزرجي، موفق الدين علي بن الحسن الأنصاري. طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن ويسمى: العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن. مخطوط مصور عن نسخة مصورة لدى الدكتور عبد الرحمن الشجاع من أول الكتاب إلى حرف العين. ق ٨٦. وحول نسبة سلاطين بني رسول، انظر: الأشرف الرسولي، عمر بن يوسف. طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب. ط ٢. تحقيق. ك. وستر ستين. منشورات دار المدينة بيروت، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٥. ص ٥٩ ؛ الجندي. ٩٨: الملك المؤيد محمد بن يوسف بن يعقوب السلوك في طبقات العلماء والملوك. تحقيق. محمد بن علي الأكوع. وزارة الإعلام والثقافة. صنعاء. ج ٢. ط١. ١٤٠٩هـ ص ١٩١؛ الأفضل الرسولي، العباس بن علي. بهجة ذوي الهمم في أنساب العرب وأصول الأمم. (مخطوط مصور لدى الباحث عن نسخة مصورة لدى القاضي إسماعيل الأكوع). ق٣ ؛ نفسه . نزهة العيون في تاريخ طوالف القرون.(مخطوط مصور لدى الباحث) ق١٣٥، ٢٠٥، الخزرجي، موفق الدين علي بن الحسن الأنصاري. العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية. تصحيح ومراجعة. محمد بن علي الأكوع. ط٢. مركز الدراسات والبحوث اليمني. صنعاء. ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ج١. ص ٢١ ؛ نفسه. طراز أعلام الزمن. ق ٨٦.

(٦) الخزرجي. العقود اللؤلؤية ٢/ ١٣٤- ١٣٥، ٣١٥؛ نفسه طراز أعلام الزمن ق ٨٦؛ الأهدل. أبو عبد الله بدر الدين الحسين بن عبد الرحمن تحفة الزمن في سادات اليمن، وأخبار ملوكهم وأمرائهم وكرامات أهل السنن، وأطراف من سيرة أهل البدع والفتن. مخطوط مصور عن نسخة مصورة عن مخطوط بالجامع الكبير صنعاء. دون رقم. ق

٤ - ٢؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. تاريخ ابن خلدون. مؤسسة جمال للطباعة. بيروت. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. ج ٥ ص ٥٤١.

(٧) الخزرجي. العقود ٢/ ١٤١، ٢٥٩؛ نفسه. العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك. ط٢. تحقيق مصورة بالأوفست. وزارة الإعلام والثقافة. صنعاء. ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. ص ١٣٦، ١٥٠٤؛ مجهول (عاصر في القرن التاسع الهجري). تاريخ الدولة الرسولية في اليمن. تحقيق. عبد الله محمد الحبشي. مطبعة الكتاب العربي. دمشق. دار الجيل. صنعاء. ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م. ص ١٣١؛ أحمد، محمد عبد العال. بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما. الهيئة المصرية العامة للكتاب. الإسكندرية. ١٩٨٠م. ص ٢٢٦؛ الفيفي، محمد بن يحيى. الدولة الرسولية في اليمن. ط١. الدار العربية للموسوعات. بيروت. ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م. ص ٣٨- ٤٢.

(٨) انظر: الخزرجي. العسجد ٤٥٦؛ نفسه. العقود ٣/ ١٥٦، ١٦٤، ١٧٢، ١٨١، ١٨٤؛ مجهول. تاريخ الدولة الرسولية. ٩٩.

(٩) الخزرجي. العسجد ٤٩٢؛ مجهول. تاريخ الدولة الرسولية ٨٤، ١٨٥؛ ابن القاسم، يحيى بن الحسين. غاية الأماني في اخبار القطر اليماني. تحقيق. سعيد عبد الفتاح عاشور. دار الكتاب العربي. القاهرة. ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م. ٢/ ٥٣٨؛ زبارة، محمد بن محمد. أئمة اليمن. المطبعة الناصرية. تعز، اليمن. ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م. ١/ ٢٨٧؛ عبد العال، بنو رسول. ٢٢٦؛ الكحلاني، محمد الحاج. الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى وأثره في الفكر الإسلامي سياسياً وعقدياً. ط١. دار الحكمة اليمانية. صنعاء. ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. ٧١- ٧٧.

(١٠) الخزرجي. العسجد ٢٧٣، ٤١٥، ٤٩٥؛ نفسه. العقود ٢/ ١١٧، ١٥٥، ٢٠٣، ٢٣٥؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد. إنباء الغمر بأنباء العمر. تحقيق. حسن حبشي. لجنة إحياء التراث الإسلامي. وزارة الأوقاف. القاهرة. ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م. ١/ ١٧٨؛ مجهول. تاريخ الدولة الرسولية. ٨١، ٨٥، ١٠١، ١٠٦، ١١٤؛ ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. القسم الخاص بمملكة اليمن. تحقيق. أيمن فؤاد سيد. دار الاتحصام. القاهرة (د.ت). المقدمة ص ٨؛ عبد العال. بنو رسول. ٤٣٤ وما بعدها؛ شهاب، عبد الله. فرضة اليمن ١٨٣- ١٨٧.

(١١) الخزرجي. طراز. ق ٨٦. ٢؛ نفسه. العقود ٢/ ٢٥٩.

(١٢) أنظر صور الضريح في الملحقة، رقم ١٥، ١٦.

(١٣) الخزرجي. العقود ٣/ ٢٥٩؛ ابن القاسم. غاية الأماني ٢/ ٥٥٨.

(١٤) من الأشجار التي وصلت إليه هدية من الهند شجرة العنا (الحناء) ابن الديبع. قرة العيون ٣٨٥.

(١٥) الخزرجي. العسجد ٤٦٩؛ نفسه. العقود ٢/ ١٤٢، ١٨٩، ٢٠٢، ٢١٣، ٢٤٦، ٢٦٠؛ مجهول. تاريخ الدولة الرسولية ٩٩.

(١٦) الخزرجي. العقود ٢/ ١٤٢، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٤.

(١٧) الخزرجي. العسجد ٤٣٩، ٤٦٨؛ نفسه. العقود ٣/ ١٥٤.

(١٨) من ذلك إنشاء حجر زبيد سنة ٧٨٩هـ وتغيير موعد سوق زبيد من الجمعة الى الخميس حتى لا يشغل الناس عن صلاة الجمعة تعطيل لصلاة الجمعة للحص. الخزرجي. العسجد، ٤٥٤، ٤٨٩؛ نفسه. العقود ٢/ ٢٣٣.

(١٩) الخزرجي. العقود الزبرجدية ٢/ ١٤٣، ١٤٧، ٢٥٩- ٢٦٨؛ نفسه. طراز أعلام الزمن ق ٨٧؛ ابن مخرمة. قلادة النحر ٣/ ٣٥٢٢- ٣٥٢٣.

(٢٠) الخزرجي. العسجد ٤٧٠؛ العقود ٢/ ١٩٥.

(٢١) الخزرجي. العقود ٢/ ١٤٢، ٢١٦، وقد أرى ملاطين بنو رسول عناية فائقة هذه الاحتفالات، وحرصوا على حضورها، وكانت تقام الاحتفالات بالآلات الموسيقية والرقصات المعبرة عن الابتهاج بهذه المناسبة. ويرجح أن هذه الاحتفالات قد عرفت في زمامة منذ ما قبل عصر بني رسول... حوله مزيد من المعلومات عن طبيعة هذه الاحتفالات ومظاهرها يمكن الرجوع إلى: ابن المجاور، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب. صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر. اعتنى بتصحيحه. أوسكر لوفجرين. ط٢. منشورات المكتبة ودار التصوير. بيروت. ١٩٨٩م. ص ١٨٠؛ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي. رحلة ابن بطوطة. دار الفكر والتراث. بيروت (د.ت). ص ٢٤٠؛ الجندي. السلوك ٢/ ٥٠؛ ابن القاسم. غاية الأماني ١/ ٤٩٤؛ زبارة. أئمة اليمن ٢/ ٢٢٢، ٢٤٩؛ الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد. اليمن في عيون الرحالة. ط١. دار الفكر المعاصر. بيروت، دمشق ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ص ١٩٠، ١٩١؛ الحبشي، عبد الله محمد. حياة الأدب اليمني في عهد بني رسول. ط٢. منشورات وزارة الإعلام والثقافة. صنعاء. ١٩٨٠م. ص ٤٢- ٤٤؛ الحضرمي، عبد الرحمن المؤرخون والنسوبون في زبيد. مجلة دراسات يمنية. مركز الدراسات والبحوث اليمني. صنعاء. العدد ٤٦ سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. ص ١٨٥- ١٩٥.

(٢٢) الخزرجي. العسجد ٥٠٣؛ نفسه. العقود ٢/ ٢٥٥.

(٢٣) كان قتله في سنة ٧٩٢هـ فقد أمر السلطان الأشرف بإحصاء المنشآت العمرانية والطبية في زبيد التي تحتاج الى إصلاح وإعادة تأهيل حيث كان الخراب قد دب على كثير من المدارس وفنادق حتى الصقها بالأرض كما يصف الخزرجي، فجمعت عمارتها وأعيد تأهيلها وأجريت إليها النيل، وكان عددها خمسة وعشرون موضعا من المآثر الدينية. الخزرجي. العسجد، ٤٦٠- ٤٦١؛ نفسه. العقود الزبرجدية ٢/ ١٨٠؛ مجهول. تاريخ الدولة الرسولية. ١٠٤.

(٢٤) قرية تقع على الباب الشرقي لمدينة زبيد. الخزرجي. طراز أعلام الزمن. ق ٨٧.

(٢٥) الخزرجي. طراز. ق ٨٧.

(٢٦) الخزرجي. العسجد، ٤٥٢؛ نفسه. العقود. ٢/ ١٧٦؛ نفسه. طراز. ق ٨٧.

(٢٧) الخزرجي. العقود. ٢/ ٢٠٣؛ العسجد ٤٧٥.

(٢٨) وموقعه في منطقة المعروفة اليوم بحوض الأشراف في مديرية عمر من جهتها الشمالية ويسمك منه الى طريق بني الحمد وصنعاء، انظر: الأكوع. المدارس الإسلامية. ص ٢٢٧.

(٢٩٠) الخزرجي. العسجد ٤٩٦، ٤٩٥، ٤٨٩، ٤٧٤، ٥٠٥؛ نفسه. العقود ٢/ ١٤٣، ٢٣٣، ٢٤٦، ٢٢٥، ٢٢٣. ومدينة الجند إحدى المدن التاريخية الشهيرة في اليمن وتقع الى الشمال الشرقي من مدينة تعز بنحو ٢٠كم، وفيها جامع الجند الشهير الذي بنى على يد الصحابي معاذ بن جبل بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم. حين أرسله إلى اليمن في العام التاسع للهجرة والياً على اليمن ومعلماً لأبنائها دين الإسلام.

(٣٠٠) حول مظاهر اهتمام سلاطين بني رسول بالحركة العلمية في اليمن، انظر: الأكوع. ٧ المقدمة؛ محافظة تعز. فاروق أحمد سيدر. التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول. ط١. ص ٥٩ وما بعدها؛ أحمد علي بن علي بن حسن. الحياة العلمية في اليمن في عصر بني رسول. رسالة ماجستير. جامعة أم القرى. مكة المكرمة. ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. ص ١٢١ وما بعدها؛ العبادي، عبد الله زايد. الحياة العلمية في مدينة زبيد في عهد الدولة الرسولية. رسالة ماجستير. جامعة أم القرى. مكة المكرمة. ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. ص ١٠٠ وما بعدها.

(٣١٠) الخزرجي. العسجد. ٤٤٢، ٥٠٨، العقود ٢/ ١٥٥، ١٨٧، ٢٥٣؛ بامخرمة. قلادة النحر ٣/ ٤٩٦؛ ٣٥٠١، ٣٥٠٢، ٣٥١٢، ابن الديبع. قرة العيون ٣٨٤- ٣٨٥؛ مجهول. تاريخ الدولة الرسولية في اليمن ١٢١؛ العبادي. الحياة العلمية في مدينة زبيد ١١٩- ١٢٠، ١٢٧- ١٣٦؛ علي حسن. الحياة العلمية في مدينة تعز ١٥٩- ١٦٠.

(٣٢٠) الخزرجي. العسجد ٤٩٤؛ ابن الديبع. قرة العيون ٣٤٣؛ ابن حجر. إنباء الغمر ٣/ ٣٥٨؛ ابن أمير، محمد بن محمد بن منصور. الجوهر الفريد في تاريخ مدينة زبيد. مخطوط مصور عن نسخة المتحف البريطاني ٣٩٥، ٣٩٨؛ شيف. عصر الدول والإمارات ٦٧؛ العبادي. الحياة العلمية. ١٣٣. علي حسن. الحياة العلمية. ١٦٨- ١٦٩.

(٣٣٠) الخزرجي. العسجد ٤٩٠؛ نفسه. طراز. في ٨٦؛ ابن أمير. الجوهر الفريد. ٣٩٥، بامخرمة. قلادة النحر ٣/ ٣٥٠٢، ٣٥٠٩، ٣٥٢١، ٣٥٢٣، العبادي. الحياة العلمية ١٠٧؛ علي حسن. الحياة العلمية. ١١٩.

(٣٤٠) الخزرجي. العسجد. ٤٦٣، ٤٩٤؛ نفسه. العقود ٢/ ١٦٠، ٢٤٤، ٢٥٤؛ بامخرمة. قلادة النحر ٣/ ٣٥١٣؛ ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي. قرة العيون بأخبار اليمن الميمون. ط٣. تحقيق. محمد بن علي الأكوع. (د.م) ١٩٨٨م. ٣٨٥؛ العبادي. الحياة العلمية ١١٩- ١٢٣؛ علي حسن. الحياة العلمية ١٤٤- ١٤٩، ٢٠١، ٢١٠.

(٣٥٠) ومن أبرز النماذج لمخلفات المدرسة الأشرفية في تعز وما أوقفه عليها وهي موضوع هذه البحث. وانظر: الخزرجي. العسجد ٤٥٢، ٥٠٥ العبادي. الحياة العلمية ١٣٦؛ علي حسن. الحياة العلمية ١٧٨، ٢١٠.

(٣٦٠) علي حسن. الحياة العلمية ١١٠- ١١١.

(٣٧٠) الخزرجي. العسجد ٥٠٥؛ العقود ٢/ ٢٦٠.

(٣٨٠) الخزرجي. العسجد. ٤٥٣، ٤٩٠، ٤٩٥، ؛ نفسه. العقود ٢/ ٢٦٧، ٢١٨، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٠.

(٣٩٠) الخزرجي. طراز. في ٨٦. وحول مزيد من المعلومات حول إسهاماته العلمية و مؤلفاته وما يوجد منها في بعض المكتبات، انظر: ابن أمير، محمد بن محمد بن منصور. الجوهر الفريد في تاريخ مدينة زبيد. مخطوط مصور عن نسخة المتحف البريطاني. ق ٦٢٤؛ مصطفى، شاكر. التاريخ العربي والمؤرخون. ط١. دار العلم للملايين. بيروت. ج٤. ١٩٩٣م. ٤/ ٢٤٦- ٢٤٧؛ سيد، فهمي فؤاد. مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي. المعهد العلمي الفرنسي

للآثار الشرقية. القاهرة. ١٩٧٤م. ١٩٥٧؛ الحبشي، عبد الله محمد. مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن. مركز الدراسات والبحوث اليمني. صنعاء. ١٩٨٨م. ص ٥٨١؛ شاكر، محمود عبد المنعم. الملك الأشرف الغساني وكتابه المسجد. دار الفرات الإسلامي. بيروت، دار البيان بغداد. ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م. ص ٧٣ وما بعدها.

(٤٠٠) تقع مدينة زبيد في سهل تهامة غربي اليمن وهي جزء من محافظة الحديدة، وتبعد عن البحر الأحمر بنحو ٢٧ كيلو متر وعن السهل ٢٥ كيلو متر، وتبعد عن صنعاء بنحو ٢٢٥كم، وهي واحدة من أهم المدن التاريخية في اليمن وتشهر لما لها من دورها التاريخي المهمي في العصر الإسلامي فقد كانت مصدر إشعاع علمي تعدى اليمن الى مناطق العالم الإسلامي، تعد المدينة العلمية الأولى في اليمن لمدارسها وعلمائها ومكتباتها التي تحتوى حسوفا من أهم المخطوطات الإسلامية في علوم شتى، ومن أشهر معالمها التاريخية جامعة الأشاعرة، ولما تتمتع به هذه المدينة من خصائص معمارية فريدة فقد وتخطيط عمراني بديع، فقد أدرجت من قبل منظمة اليونسكو ضمن مجموعة قائمة مدن التراث العالمي في العام ١٩٩٣م.

(٤١٠) مدينة تعز هي عاصمة المحافظة التي تحمل باسمها (تعز) وتقع مدينة تعز إلى الجنوب من صنعاء بنحو ٢٥٦كم، وقد تعاقبها الأيوبيون الذين حكموا اليمن قبل بني رسول عاصمة ثم تخلوها بنو رسول عاصمة حكمهم أيضاً، وتشتهر بمدارسها الإسلامية وحصونها وقلاعها التاريخية الشهيرة التي تعود إلى عصور ما قبل الإسلام.

(٤٢٠) انظر: الأكوع، إسماعيل بن علي. المدارس الإسلامية في اليمن. ط١. مؤسسة الرسالة. بيروت، مكتبة الجيل الجديد. صنعاء. ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. ص ١٨٤، ١٩٦، ٢٧٩.

(٤٣٠) الخزرجي. العقود. ٢/ ٢٦٠.

(٤٤٠) الوقفيات، ص١.

(٤٥٠) انظر صور موقع المدرسة رقم ١: ٢، في الملحق.

(٤٦٠) الأصبحي: آلاء أحمد محمد. المدرسة الأشرفية بتعز زمن الدولة الرسولية(دراسة معمارية تحليلية) ط١. وزارة الثقافة والسياحة. صنعاء. ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ص ٧٥، ٧٦.

(٤٧٠) الرنفة. ص٣. وللمزيد من المعلومات حول الحدود الحالية للمدرسة، انظر: الأصبحي. المدرسة الأشرفية ٧٧- ٧٨.

(٤٨٠) انظر صور المخصوص الكتابية في الملحق الصور رقم ٣، ٤، ٥، ٦.

(٤٩٠) شبحة، مصطفى. مدخل الى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية التركية. ط١. وكالة المسكرين. الإسكندرية ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م. ص ٨٩؛ الأصبحي. المدرسة الأشرفية ٦٥- ٦٨.

(٥٠٠) شبحة. مدخل. ٨٩. وانظر صورة المدخل الصورة رقم ٥ من الملحق

(٥١٠) انظر صورة القبة المقرنصة رقم ١٩، ٢٠، من الملحق

(٥٢٠) انظر نماذج لتلك العقود في ملحق الصور، رقم ٧، ٨.

(٥٣) انظر التشكل الخارجي للقبة (سقف المسجد) وقباب الجانبين صورة رقم ٩ الملحق.

(٥٤) انظر صورة المحراب، الصورة رقم ١٠، الملحق.

(٥٥) ورد في الوثيقة محلول والأصح – حسب محقق الوثيقة– محلون ، رمز السطح المزلف من مستقيمين مستقلين متلاصقين في القمة ، ويسمى أحيانا سقف سنامي ، الزهراني، ضيف الله يحي ، و الرفاعي، طلال بن جميل، وثائق تعليمية من عصر الدولة الرسولية . ط١. مكة المكرمة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م. ص ١٩ هامش ٦. وانظر الصورة رقم١١.

(٥٦) مبسطح معماري يطلق على حجيرة أو غرفة أو عزبة تستعمل في أغراض متعددة. الزهراني والرفاعي. وثائق ١٩ هامش ٧

(٥٧) انظر الصورة رقم (١٢).

(٥٨) انظر صورة غناء الجبانة الصورة رقم ٢١.

(٥٩) الوثيقة. ١– ٣، الأصبحي. المدرسة الأشرفية. ٧٩. وانظر الصورة رقم ١٣، ١٤، في الملحق.

(٦٠) نسيحة. مدخل. ص ٨٩ وما بعدها؛ الأصبحي. المدرسة الأشرفية ٧٥ وما بعدها.

(٦١) الخزرجي. العسجد ١٥٠٥. الخزرجي. العقود ٢/ ٢٦٠

(٦٢) هي الوثيقة التالية بعد وثيقة المدرسة الأشرفية ، ضمن مجموع الوقفيات العسكرية ، وهي وقفية لمدرسة الشافعية بجعز والتي نسبت الى بانيها السلطان الرسولي الظاهر يحي بن الأشرف إسماعيل (حكم من سنة ٨٣١– ٨٤٣هـ) .

(٦٣) وثيقة وقفية المدرسة الظاهرية – الوقفيات العسكرية. ص ٤٠.

(٦٤) ذكرت الوثيقة بأن للناظر بيع ما يحتاج إليه من الغلال لتحصيل النقد للصرف على ما ذكر. الوثيقة. ص ١٦.

(٦٥) حدد ذلك بالزبدي المعزي القديم من أنواع الغلال المحصلة من أرض الوقف، ونسلم هذه إلى شيخ المطرفية وأتباعه. الوثيقة ص ١٦.

(٦٦) تحدد القيمة بحسب قيمة الشمع المطلوب حالة ما بلغت . الوثيقة. ص ١٦ . .

(٦٧) الوثيقة. ص ١٣ .

(٦٨) الوثيقة. ص ١٧.

(٦٩) الوثيقة. ص ١٣.

(٧٠) الوثيقة. ص ١٧

(٧١) الوثيقة. ص ١٧، ١٨.

(٧٢) الوثيقة. ص ١٣ .

(٧٣) الوثيقة. ص ١٧

(٧٤) الوثيقة. ص ١٣.

(٧٥) الوثيقة. ص ١٤.

(٧٦) الوثيقة. ص ١٧

(٧٧) الوثيقة. ص ١٤

(٧٨) الوثيقة. ص١٧..

(٧٩) الوثيقة.ص ١٤.

(٨٠) الوثيقة ص ١٤.

(٨١) الوثيقة.ص ١٤.

(٨٢) الوثيقة.ص ١٤.

(٨٣) الوثيقة.ص ١٤.

(٨٤) الوثيقة. ص ١٧.

(٨٥) الوثيقة ص ١٤.

(٨٦) الوثيقة. ص ١٧.

(٨٧) حول تحديد هوية الناظر ومهامه، انظر الوثيقة، ص ١٤، ١٥، ١٦، ١٨.

(٨٨) الوثيقة ص ١٦.

(٨٩) الوثيقة ص ١٣، ١٦.

(٩٠) الوثيقة ص ١٣، ١٦.

(٩١) الوثيقة ص ١٤.

(٩٢) الوثيقة. ص ١٤

(٩٣) حبلي، فاروق أحمد. التعليم في اليمن في عهد بني رسول خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين. ط١. سلسلة إصدارات جامعة صنعاء. ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ص ١٥٣–١٥٦.

(٩٤) الأكوع. المدارس الإسلامية ١٣. (المقدمة)

(٩٥) المدارس الإسلامية. ١٤ (المقدمة)

(٩٦) الأكوع. المدارس الإسلامية. ١٤ (المقدمة)

(٩٧) الوثيقة. ص ١٤.

(٩٨) حيدر، فاروق أحمد. التعليم في اليمن في عهد بني رسول خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين. ط١. سلسلة إصدارات جامعة صنعاء ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ١٥٢، ١٥٣. وما

(٩٩) الزبيلي. طبقات صلحاء اليمن ٢٤٨.

(١٠٠) الوثيقة ص ١٧.

(١٠١) الوثيقة. ص ١٨.

(١٠٢) الوثيقة ص ٤٦ وللمزيد حول مدة الدراسة ومواعيدها ، انظره الأكوع. المدارس الإسلامية. ١٧، المقدمة؛ حيدر. التعليم في اليمن في عهد بني رسول. ١٣٩ وما بعدها

(١٠٣) انظر، الأكوع. المدارس الإسلامية ١٨؛ حيدر. التعليم في اليمن. ٩٤ وما بعدها.

(١٠٤) الفي به ابن حجر العسقلاني في تعز عندما قدم إلى اليمن وترجم له في إنباء الغمر ٣/ ٤٠٨. وانظر، ابن فهدي شهاب أبو بكر بن أحمد بن محمد. طبقات الشافعية.. ط١ تحقيق. الحافظ عبد العليم خان. عالم الكتب. بيروت. ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ج٤ ص٩؛ السخاوي. الضوء اللامع ٤/ ٦٢٤ (نسخة مكتبة المشكاة الالكترونية)

(١٠٥) هو مجد الدين الفيروزابادي صاحب كتاب(القاموس المحيط.

(١٠٦) السخاوي. الضوء اللامع ٤/ ٦٢٤.

(١٠٧) ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ٣/ ٢٨٦.

(١٠٨) إنباء الغمر ٣/ ٢٨٦.

(١٠٩) الزبيلي. طبقات صلحاء اليمن ٢٠٦- ٢٠٨.

(١١٠) وللمزيد انظر. الخزرجي. طراز أعلام الزمن ق ١٢٣؛ السخاوي. الضوء اللامع ٣/ ١٣٣- ١٣٤

(١١١) الزبيلي. طبقات صلحاء اليمن ١٩٩- ٢٠٠.

(١١٢) الزبيلي. طبقات صلحاء اليمن ٢٠٤.

(١١٣) حول مزيد من المعلومات ، انظر. حسن. الحياة العلمية ٢٥٩- ٢٦٠؛ العابدي. الحياة العلمية. ٤٤٤ الأكوع. المدارس الإسلامية. ١٩٨، ٣٠٤، ٣٣٧- ٣٨٤.

(١١٤) السخاوي. الضوء اللامع ٤/ ٣١٣- ٣١٤؛ الزبيلي. طبقات صلحاء اليمن ٣٤٦- ٣٤٧؛ الأكوع المدارس الإسلامية. ٣٨٠- ٣٨١.

(١١٥) الزبيلي. طبقات صلحاء اليمن. ٣٤٧- ٣٤٨.

(١١٦) الزبيلي. طبقات صلحاء اليمن. ٣٤٨؛ وانظر. السخاوي. الضوء اللامع ٢/ ٢٥٤.

د. سيد محمود محمد عبد العال (*)

مدارس الإسكندرية في العصر الفاطمي

و أثرها في نشر الثقافة العربية الإسلامية

تعد المدرسة [١] من أهم الإنجازات العظيمة التي قدمتها الحضارة الإسلامية، و التي حققت الأهداف العلمية و الثقافية و التربوية لهذه الحضارة. فقد أدى اتساع العلم ، و ازدياد أعداد طلاب العلم ، و زيادة النشاط الفكري و الثقافي و تنوع الدراسات و العلوم التي اشتغل بها المسلمون، و التي تتطلب الاعتماد على التجريب و الملاحظة و القياس وغير ذلك ، بحيث ظهرت الحاجة الماسة إلى نوع جديد من المؤسسات يمكن أن تستوعب العلوم و الدراسات المتعددة، و يمكن أن يعيش بين جنباتها العلماء و طلاب العلم؛ عيشة هادئة مستقرة، تمكنهم جميعا من مواصلة رسالتهم في انتظام بعيدا عن المسجد، الذي لم يكن ليحقق لهم هذا، و من هذا الإحساس بدأت تبت الجذور الأولى للمدرسة في الإسلام.[٢].

---

* مدرس التاريخ الإسلامي كلية الآداب – جامعة الفيوم

ففي أحضان المشرق الإسلامي نبتت و ترعرعت المدرسة، حيث عرف إقليم خراسان[٣] المدارس منذ وقت مبكر [٤] ، و بخاصة في مدينة نيسابور [٥] و التي تعتبر المدينة الإسلامية الأولى ، التي ظهرت بها المدارس منذ أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي [٦]. و ذلك قبل ظهور المدارس النظامية بأكثر من قرن من الزمن [٧].

وكان الهدف الأساسي وراء إنشاء هذه المدارس هو محاربة المذهب الشيعي، و نشر الفكر السني تواجه تحديات الفكر الشيعي، و العمل على تقليص نفوذه – في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. و هذا القرن يطلق عليه بعض الباحثين مصطلح "عصر انتصار الشيعة" و ذلك بإقامة خلافة لهم في بلاد المغرب ثم بمصر، و هي الخلافة الفاطمية، و تحكم البويهيين الشيعة في الخلافة العباسية ،ذلك لأن المقاومة السياسية ضد الشيعة وحدها لا تكفي، فكان لابد من مقاومة فكرية أيضا، و ذلك من خلال إنشاء المدارس، كما كان الإعتماد كوادر موالية للدولة عن طريق تأييد المذاهب الفقهية، تلبية لرغبة السلاطين و الحكام في إحكام سيطرتهم على رجال الدين [٨].

في حين يرى بعض الباحثين أن الهدف من إنشاء المدارس في الشرق الإسلامي، يرجع إلى عامل سياسي ديني مذهبي، القصد منه نشر المذهب المخالف لمذهب الدولة الرسمي، متخذين من اسم المدرسة ستاراً يستترون من ورائه، و أن المدارس التي أنشئت في نيسابور في القرن الرابع الهجري كان القصد منها نشر المذهب الشيعي المناهض لمذهب الدولة العباسية السني [٩].

ومع ظهور السلاجقة [١٠]، تبنى الوزير السلجوقي نظام الملك[١١] إنشاء العديد من المدارس و التي حملت اسمه و هي المدارس النظامية، و تعد نظامية نيسابور أول مدرسة أنشأها نظام الملك، في حين تعتبر نظامية بغداد أشهر هذه المدارس على الإطلاق [١٢].

نشأة المدارس بالإسكندرية:

جرت عادة بعض المؤرخين في الحديث عن بداية ظهور المدارس في مصر، إلى أن المدرسة جاءت إلى مصر عن طريق الشام ، و إرجاع ذلك إلى صلاح الدين الأيوبي، و أنه قلد في ذلك سيده نور الدين محمود ، الذي بنى المدارس ببلاد الشام ، و بخاصة في حلب و دمشق و حماه و حمص [١٣]، فقد أشار المقريزي في خططه إلى أن صلاح الدين أول من أنشأ المدارس في مصر،

وأنه " أول مدرسة أنشئت بديار مصر المدرسة الناصرية بجوار الجامع الحنيفي بمصر ثم المدرسة القمحية المجاورة للجامع أيضاً ثم المدرسة السيوفية التي بالقاهرة "[١٤]. و لكن هذا الرأي ثبت عدم صحته، إذ تشير المصادر التاريخية إلى أن مدينة الإسكندرية قد عرفت المدارس منذ العصر الفاطمي ، أي قبل قيام الدولة الأيوبية بفترة طويلة، وقبل قيام دولة نور الدين محمود في بلاد الشام ، بل نستطيع القول أن صلاح الدين قد استفاد من تجربة وجود المدارس في الإسكندرية،و قام بنقلها إلى الفسطاط و القاهرة ، و اعتبارها من أهم الوسائل للقضاء على المذهب الشيعي ،و زيادة قوة المذهب السني ، مما يضعنا أمام تساؤل: لماذا نشأت المدرسة في الإسكندرية في العصر الفاطمي قبل القاهرة؟ و لعل ذلك يرجع إلى عدة أسباب .

منها الموقع الجغرافي للإسكندرية الذي سهل لها الإتصال بالعالم السني،و ذلك من خلال وقوعها على طريق الحج و التجارة بين المشرق و المغرب، و قد هيأ هذا الموقع الاتصال الوثيق ببلاد المغرب، حيث ارتبطت الإسكندرية ارتباطاً قوياً ببلاد المغرب والأندلس عن طريق الإتصال البحري، وكذلك الطريق البري والذي يمتد بمحاذاة ساحل البحر المتوسط، مما قوي المذهب السني و بخاصة المذهب المالكي، و الذي حقق نجاحاً لم يسبق إليه على الشيعة ببلاد المغرب، مما ساهم و بشكل ملحوظ في جعل الإسكندرية مركزاً للإشعاع العلمي السني [١٥].

كما كان لبعد الإسكندرية عن القاهرة عاصمة الدولة الفاطمية، و مركز التشيع بجعلها بمنأى عن سيطرة الدولة، مما جعلها مركز المقاومة السنية طوال العصر الفاطمي، و قد لجأ إليها كل الخارجين على الدولة الفاطمية .

فضلاً عن ذلك فقد رحل كثير من العلماء إلى الإسكندرية ضمن رحلاتهم العلمية، للأخذ عن علمائها ولنشر علمهم في ذات الوقت، وقد استقر بعضهم بالإسكندرية، و بخاصة من بلاد المغرب و الأندلس ، و التي ترجع إلى بدايات القرن الأول الهجري بعد الفتح الإسلامي للمغرب والأندلس، وأصبحت الرحلة المشرقية من أهم ما في حياة المسلمين في المغرب والأندلس، ومن يطالع كتب التراجم الخاصة بالأندلس يجد مئات التراجم لهؤلاء الذين قاموا بالرحلة إلى المشرق[١٦] مروراً بالإسكندرية أول مدينة مصرية تستقبل هؤلاء الرحالة، لذا عرفت " بباب المغرب " أو " فرضة المغرب " وترك هؤلاء الرحالة أثرهم بالمدينة في جميع

النواحي وفي مقدمتها الحياة العلمية بها، والحفاظ على العلوم الإسلامية مثل علم الفقه ، وبخاصة الفقه المالكي ، و علم الحديث و علم القراءات ، و علوم اللغة و النحو[١٧] .

واعتمدت الحياة العلمية في الإسكندرية قبل إنشاء المدارس على المساجد الجامعة كمؤسسة تعليمية ، حيث اشتهر من مساجدها مسجدان . أولهما جامع عمرو بن العاص و الذي بناه عمرو بن العاص عند فتحه للإسكندرية عام ٢١ هـ /٦٤٢ م ، و كان يعرف ب " جامع عمرو العاص الكبير " ، و " الجامع العتيق " و " الجامع الكبير " ، و عرف أيضا ب " جامع الألف عمود " و " الجامع الأخضر " لمجاورته للباب الأخضر لمدينة الإسكندرية ، و " الجامع الغربي "[١٨] و ثانيهما : جامع العطارين و سمي بهذا الاسم لوقوعه في سوق العطارين[١٩] .

و مع ذلك حاولت الدولة الفاطمية القضاء على دراسة العلوم الخاصة بالمذهب السني كعلم الفقه و علم الحديث ، والرغبة في نشر المذهب الشيعي بالإسكندرية، و تدريسه في مساجدها، و يبدو أن أهل الإسكندرية قاوموا ذلك، مما جعل الحاكم بأمر الله الفاطمي يأمر بهدم جامع عمر بن العاص ، إذ يشير المقريزي في حوادث شهر شعبان عام ٣٩٤ هـ / يونيه عام ١٠٠٤م بقوله: " و أمر بهدم جامع عمرو بن العاص بالإسكندرية "[٢٠]. ثم يذكر المقريزي في حوادث شهر صفر سنة ٤٠٤ هـ / اغسطس ١٠١٣ م " و أمر ببناء جامع الإسكندرية و أطلق مالاً كثيراً للصدقة و الخرقة "[٢١] ولكن التوبري السكندري يؤكد على أن هذا الجامع ظل مهدماً حتى نهاية الدولة الفاطمية، و قيام صلاح الدين بن أيوب بإعادة بنائه، و نقل إليه خطبة الجمعة بدلا من جامع العطارين[٢٢].

فضلاً عن ذلك فقد استخدمت السلطات الفاطمية أسلوب العقاب ضد أهل السنة في الإسكندرية،إذ تشير المصادر التاريخية المعاصرة في حوادث عام ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م إلى قيام الوزير الفاطمي بدر الدين الجمالي المعروف ب " الجيوشي " بمصادرة أهل الإسكندرية ، وأخذ منهم ١٢٠ ألف دينار، و استخدمها في تعمير جامع العطارين[٢٣] و كان مهدماً هو الآخر – و جعله مركزاً لنشر المذهب الشيعي بالإسكندرية. حيث يشير التوبري السكندري إلى أنه " جعل خطبة الجمعة به، و الآذان بحي على خير العمل "[٢٤] . و استمر ذلك حتى سقوط الدولة الفاطمية. لذا كان إنشاء المدارس بالإسكندرية يعد بمثابة تحول خطير لصالح المذهب السني في مصر عامة، و في الإسكندرية بصفة خاصة .

أما عن بداية وجود المدارس بالإسكندرية، و ما هي أول مدرسة بنيت بها ؟ ، و ما هو عدد المدارس التي بنيت بها في العصر الفاطمي ؟ فقد رأينا كيف تعرضت الدولة الفاطمية بجميع الإسكندرية بالهدم : و عند إعادة البناء توخذ النفقات من أهل الإسكندرية ، ثم تخصص لتدريس المذهب الشيعي ، و لم يجد علماء الإسكندرية السنة مكان لينشروا علمهم ، و مما جعلهم يتخذون من منازلهم كمدارس يلتقون فيها مع طلاب العلم ،كمرحلة سابقة لبناء المدارس ،فهذا الحافظ السلفي يستقر في الإسكندرية عام ٥١١ هـ ١١١٧ م و يستمر في التدريس في منزله لمدة خمس و ثلاثون عاماً حتى بني له الوزير الفاطمي العادل ابن السلار المدرسة العادلية عام ٥٤٦ هـ / ١١٥١ م .فيذكر في معجم السفر في ترجمته لأبي حفص عمر ابن محمد البلوي " و كثيراً ما كان يحضر عندي و سمع على جملة من الحديث في أول وصولي إلى الثغر مع جماعة من الفقهاء سنة إحدى عشر و خمسمائة "[٢٥]. و يذكر في ترجمة عبد الكريم القباري المتوفى عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م قوله : " و قد كان مع كبر سنه يقصدني إلى أن مات، محمولاً كانه لفة و في منزلي قرأت عليه ما قرأت "[٢٦] .الأمر الذي يوضح دور منازل العلماء في الحفاظ على العلوم الإسلامية في الإسكندرية مع غياب دور المسجد نتيجة لسيطرة السلطات الفاطمية عليه و اتخاذه منبرا لنشر مذهبهم .

أما عن عدد المدارس التي بنيت في الإسكندرية في العصر الفاطمي ، فيري كثير من الباحثين و الدارسين لتاريخ الإسكندرية في العصر الإسلامي، والدارسين لتاريخ التعليم في مصر في العصور الوسطى، أن الإسكندرية عرفت مدرستين في العصر الفاطمي، وأن مدرسة الفقيه ابن عوف التي أنشئت عام ٥٣٢ هـ /١١٣٨ م، هي أول مدرسة بنيت في الإسكندرية، بل في مصر كلها، و أن مدرسة الحافظ السلفي التي بنيت عام ٥٤٤ هـ أو ٥٤٦هـ/١١٤٩ أو ١١٥١م ثاني هاتين المدرستين[٢٧] . كما يري بعض الباحثين أن الإسكندرية قد وجد بها ثلاثة مدارس في العصر الفاطمي[٢٨].بل هناك بعض الباحثين من يري أن الإسكندرية لم تعرف إلا مدرسة واحدة في العصر الفاطمي ، و هي مدرسة الحافظ السلفي[٢٩] .

عني ان هناك شواهد تجعلنا لا نأخذ بهذا الرأي، إذ يشير عدد من النصوص التاريخية المعاصرة، إلى أنه وجدت بالإسكندرية خمس مدارس في العصر الفاطمي لا مدرستين، و هي مدرسة أبو بكر الطرطوشي، و مدرسة ابن حديد (المكنية) ، و مدرسة الحافظية (ابن عوف) ، و مدرسة الحافظ السلفي، و المدرسة الصاحبية. ، و سوف نتناولها فيما يلي:—

مدرسة أبي بكر الطرطوشي:

تنسب هذه المدرسة إلى الفقيه أبي بكر الطرطوشي (٤٥٠-٥٢٠هـ/١٠٥٨-١١٢٦م) يكنى أبا بكر ويعرف بابن أبي رندقة براء مهملة مضمومة ونون ساكنة ودال مهملة وقاف مفتوحتين [٣٠] . والذي ولد ببلدة طرطوشة [٣١] بالأندلس وبعد أن نال قسطاً من العلم ببلده، قام برحلته العلمية إلى المشرق الإسلامي، فتلقى العلم بالبصرة وبغداد، حيث أخذ العلم بالمدرسة النظامية ببغداد، و كان من أوائل من درس بالمدرسة النظامية، ثم انتقل إلى بلاد الشام، و قيل أنه أخذ عن الإمام أبي حامد الغزالي بيت المقدس، واستقر مدة في جبل لبنان حتى عام ٤٩٠هـ/١٠٩٦م ، ولكن قدوم الصليبيين إلى بلاد الشام ؛ اضطره إلى الانتقال إلى ثغر رشيد بمصر ، ثم طلب إلى الإسكندرية [٣٢] .

هذا في الوقت الذي كانت تمر فيه الحياة العلمية والفكرية في الإسكندرية بأزمة خطيرة وذلك بسبب الصراع السياسي والمذهبي بعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بن أتباع ابنه نزار (النزارية) وأتباع ابنه المستعلي (المستعلية) على منصب الخلافة، إذ تولى نزار الابن الأصغر الخلافة، وفر المستعلي إلى الإسكندرية، وبايعه أهل الإسكندرية بالخلافة وتلقب بالمصطفى لدين الله، ولكن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي استطاع القضاء على المستعلي وأتباعه، وقبض على كثير من وجهاء الإسكندرية و علمائها [٣٣] وقتل قاضي الإسكندرية محمد ابن عمار [٣٤]. و الكثير من علمائها وفقهائها، حتى لم يبق بها من يشار إليه، وعندما علم أهل الإسكندرية بوجود الفقيه أبو بكر الطرطوشي برشيد، حتى سارعوا مع قاضي الإسكندرية ابن حديد إليه ليأخذوه إلى الإسكندرية، و اشتمل أهل الإسكندرية على الحافظ أبي بكر و قعد للتدريس، و نفع الله به كل من قرأ عليه و انتشر علمه [٣٥] . و أقام بها و بث علماً جماً، وكان يقول: " إن سألني الله عن انتقام بالإسكندرية لما كانت عليه أيام الشيعة العبيديين من ترك إقامة الجمعة و غير ذلك من المناكر التي كانت في أيامهم أقول وجدت قوما ضلالا فكنت سبب هدايتهم " [٣٦].

و يفهم من النص أن الطرطوشي حاول الاستفادة من خبراته بصورة جادة و منظمة: و بخاصة تجربة المدرسة النظامية، و ذلك من أجل تحقيق هدفه المنشود، و قد زادت شهرته بالإسكندرية و كثر طلابه و مريدوه.

وقد بنى الطرطوشي مدرسة اتخذ من طابقها الثاني منزلاً، و هو ما يفهم من النص الذي أورده الضبي قوله: " و كانت بالإسكندرية امرأة متعبدة هي خالة أبي طاهر بن عوف فخطبته و تزوجها و بنى بها في المدرسة، وكان لها ابن من أهل الدنيا كثير التخليط فصعب ذلك عليه و عمد إلى خنجر و استتر في المدرسة فلما أقبل الليل قصد البيت الذي كانت فيه أمه مع الفقيه فلم يجد فيه أحداً و رجد كل منهما قائم إلى ورده، و سمع صوت الفقيه يقرأ في الصلاة، فلم العبوت و خنجره في يده، فلما قرب منه و هو عازم على قتله حالت بينه و بينه سارية من سواري مساكن المدرسة، و ضرب فيها بوجهه و حر مغشياً عليه، و الفقيه لا يشعر. فلما طلع الفجر نزل إلى المدرسة فصلى الصبح و درس و تصرفت زوجه في أثناء ذلك فوجدت ابنها مجندلا لا يعقل لكلمة فلم يكلمها. فلما فرغ الفقيه من التدريس صعد إلى منزله فأعلمته زوجه بمكان ابنها، فصعد نحوه فوجده على تلك الحال فجرد يده على وجهه، و تفل و تكلم بكلمات ففتح عينيه فلما أبصر الفقيه قال له هات يدك فأنا تائب إلى الله تعالى، لا عصيته بعد اليوم أبدا، و لا تركتك في هذا الموضع، انتقل إلى دار أهلك فاسكنها بالفعل و حسنت توبة الابن بعد ذلك. " [٣٧] ، و يضيف الضبي " و أخبرني شيخي أبو الفضل عبد المجيد بن دليل [٣٨] قال كنت : أبيت أكثر الليالي بمدرسة الحافظ أبي بكر " [٣٩].

و يذكر الحافظ السلفي في معجم السفر أن أبا القاسم نجاء بن علي الرملي كان يؤذن في دار الفقيه الطرطوشي، ثم انتقل ليؤذن في مدرسة السلفي [٤٠] .

ويضيف الضبي بقوله " واشتمل أهل الإسكندرية على الحافظ أبي بكر، وقعد للتدريس، ونفع الله به كل من قرأ عليه وانتشر علمه " [٤١] ، والتف حوله التلامذة وكونوا بهم مدرسة قوية في الفقه المالكي ، وأخذ عنه كل الرحالة المغاربة والأندلسيين: واستمر الطرطوشي يدرس بالإسكندرية حتى وفاته عام ٥٢٠هـ/١١٢٦م ، لمدة تربو على الثلاثين عاما.

أما عن مصدر دخل الطرطوشي فيذكر المقريزي أن الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي قرر له " عشرة دنانير في كل شهر من جوالي النصارى " و عندما تولى محمد بن فاتك الوزارة بعد الأفضل " أضاف إليه عشرين فداناً من البهنسي بالصعيد ... ثم تولى له خمسة دنانير في كل شهر من الخمس الرومي فسأل القاضي مكين الدولة أبا طالب أحمد بن حديد أن يجعلها على الجوالي " [٤٢] .

و خلف الطرطوشي في التدريس في مدرسته تلميذه سند بن عنان الأزدي السكندري المتوفى عام ٥٤٩هـ/١١٤٧م[٤٢] ، ويذكر ابن فرحون بأنه: " كان من زهاد العلماء، و كبار الصالحين، فقيها فاضلاً، تفقه بالشيخ أبي بكر الطرطوشي، و جلس لإلقاء الدرس بعد الشيخ أبي بكر الطرطوشي، وانتفع الناس به، و ألف كتابا حسنا في الفقه سماه " الطراز " شرح به المدونة في نحو ثلاثين سفرا، و له تأليف في الجدل "[٤٣]

مما سبق يتضح لنا أن مدرسة الطرطوشي مدرسة حقيقية فقد مدرسها و هو الطرطوشي ، حيث وجد بها مساكن لسكن المدرس و معه زوجته ، وخصص له غرفة لسكنه ، كما وجد سكن لطلابه ، و هذه المساكن تمثل الطابق الأعلى ،والمدرسة وقاعة الدراسة تمثل الطابق الأرضي ، كما يتضح لنا أن هذه المدرسة قامت بوظيفة المسجد من حيث إقامة الصلوات ، و وجود وظيفة الأذان بها ، كما يتبين لنا البرنامج اليومي للفقيه الطرطوشي من الاستيقاظ قبل الفجر للصلاة حتى أذان الفجر ،حيث يؤول للصلاة ،و بعد الإنتهاء من الصلاة يجلس للتدريس لتلاميذه ، فإذا انتهى صعد إلى مسكنه بالمدرسة .

لذا تعد مدرسة الطرطوشي المتوفى عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٩ م أول مدرسة أنشأت بمصر الفاطمية، و لم يكن إطلاق كلمة مدرسة على صنيع الطرطوشي مجازاً كما اعتقد بعض الباحثين[٤٥].

مدرسة بني حديد:

ومن مدارس الإسكندرية التي أنشئت في العصر الفاطمي "مدرسة بني حديد " نسبة إلى بني حديد و هم أسرة [سكندرانية، عرفت بالثراء و العلم، حيث تولى عدد كبير منهم وظيفة القضاء بمدينة الإسكندرية، و أول ظهور لبني حديد كان أثناء الصراع بين الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي و نزار بن المستنصر في الإسكندرية عام ٤٨٨ هـ /١٠٩٥م فيذكر ابن ظافر الأزدي في حوادث عام ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م " و ممن حظي عند الأفضل بنو حديد، و كانوا من عدول الإسكندرية ، و السبب في ذلك أنه لما بويع نزار لم يدخلوا في شيء من ذلك و استعفوا منه ، فبلغ ذلك الأفضل فشكر فعلهم و صرفهم و مكنهم . و يقال إنهم

حالة كون الأفضل نازلاً بالإسكندرية يجادونه سراً و يوصلون إليه من فيء آبار النيل من تحت الأرض مع قوم يثقون إليهم. فلما فتح الأفضل الإسكندرية و استولى عليها قلد حكمها أبا الحسن بن حديد "[٤٦]

وأنشأ هذه المدرسة مكين الدولة أبو طالب أحمد بن حديد[٤٧] ، الذي كان يتولى قضاء الإسكندرية، كما كان يتولى بالإضافة إلى قضاء الإسكندرية مشارف الثغر و التي تعرف في العصر المملوكي بنظر الإسكندرية وكان قد استولى على سائر أمور الإسكندرية و لم يبق لأحد معه فيها كلام، و ضمها، للدولة بجملة أموال في كل سنة "[٤٨] .

ووصفه الحافظ السلفي بقوله: " القاضي أبو طالب هذا قل ما ترى مثله في أبناء جنسه رياسة و سياسة و فضلاً و نبلاً، و كان سنياً مالكي المذهب عريق الرياسة "[٤٩] ، ويذكر المقريزي في خططه بأن " له مروءة عظيمة، ويحتذي افعال البرامكة، وللشعراء فيه أمداح كثيرة"[٥٠] و توفي برشيد و هو عائد من القاهرة عام ٥٢٨ هـ /١١٣٤ م[٥١] .

وعرفت باسم "مدرسة ابن حديد" و " مدرسة بني حديد "[٥٢] ، كما أنها عرفت باسم المدرسة المكينية " نسبة إلى لقب ابن حديد "مكين الدولة"حيث ذكرها أبو طاهر السلفي في معجم السفر في معرض ترجمته لأبي القاسم عبد الرحمن السقا قسي بقوله . " و كان يؤم في المدرسة المكينية "[٥٣] و يؤكد المقريزي أن المدرسة " المكينية " هي مدرسة " بني حديد " في ترجمة أبو البركات القضاعي المالكي " و درس بالمكينية مدرسة بني حديد "[٥٤] .

و أمدتنا المصادر التاريخية المعاصرة بأسماء بعض العلماء الذين تولوا التدريس بها مثل الإمام أبي زكريا يحيى بن أبي ملول الزناتي الفقيه المالكي، دخل بغداد، و تفقه بها الكيا الهراسي، و قدم الإسكندرية، و يذكر منصور بن سليم بأنه " استوطن بها بمدرسة ابن حديد، و انتفع به جماعة، وصنف تعليقا في الخلاف، ثم دخل العراق أيضا، فقيل ! إنه توفي بالبصرة، و الله أعلم"[٥٥] .

كما أمدتنا السلفي ببعض تلاميذ أبي زكريا يحيى بن أبي ملول مثل أبي المعالي رافع بن يوسف بن زيدون القيسي المتوفى بالإسكندرية عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م و الذي أخذ عنه ثم

أخذ عن السلفي [٥٦] و أبي العباس أحمد بن موسى اللّباحي فيذكر السلفي بأنه " قرأ علي أبي زكريا الزلتني الفقيه " [٥٧].

و ممن تولى التدريس و الإمامة بالمدرسة المكينية أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عيسى السفاقسي البصير، و هو من أصحاب يحي بن مأمول القيسي، و يذكر السلفي " و كان يؤم في المدرسة المكينية "[٥٨].

و قام بالتدريس بها في العصر الأيوبي أبو الطيب عبد المنعم بن يحيى [٥٩] و تولى التدريس بها أبو البركات محمد بن سلامة القضاعي المالكي المتوفى عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣م[٦٠] ، وتولى التدريس بها أيضا ابنه أحمد بن محمد بن سلامة المتوفى عام ٦٤٥ هـ / ١٢٤٧م [٦١].

مما سبق يتبين لنا أن مدرسة ابن حديد أو المكينية تعد ثاني مدرسة بنيت بالإسكندرية في العصر الفاطمي، بعد مدرسة أبي بكر الطرطوشي، و يكفي دليل على ذلك أن منشئها توفي عام ٥٢٨هـ / ١١٣٤ م أي قبل إنشاء مدرسة ابن عوف، و أن هذه كان يوجد بها مساكن لمدرسيها و طلبتها، كما أن هذه المدرسة قامت بوظيفة المسجد من حيث إقامة الصلاة، و وجود وظيفة الإمامة بها، كذلك يمكن القول بأن مذهب هذه المدرسة هو المذهب المالكي، كمدرسة أبي بكر الطرطوشي.

مدرسة رضوان بن وخشي:

ومن مدارس الإسكندرية في العصر الفاطمي المدرسة التي بناها الوزير الفاطمي رضوان بن وخشي عام ٥٣٢هـ/١١٣٨م (٦٢)، في عهد الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (٦٣)، واتفق أمتد تدريسها للفقيه أبي طاهر بن عوف(٦٤) فيذكر ابن ميسر في حوادث عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م : " و فيها بنى الوزير رضوان المدرسة المعروفة به في ثغر الإسكندرية ، و قرر في تدريسها الفقيه أبا طاهر بن عوف "(٦٥).

و هو ما أكده المقريزي بقوله: " و فيها بنى الوزير رضوان المدرسة المعروفة به في ثغر الإسكندرية، و جعل في تدريسها الفقيه أبا طاهر بن عوف "[٦٦].

كما يذكر التويري في حوادث عام ٥٣٢ هـ/ ١١٣٨ م " و فيها بنى رضوان المدرسة المعروفة به بالإسكندرية، و استدعى الفقيه أبا طاهر بن عوف إلى حضرته و أسند إليه تدريسها "[٦٧].

و يستكشف من هذه النصوص أن هذه المدرسة كانت تعرف باسم الوزير رضوان بن وخشي " المعروفة به " و هو أول وزير سني يلي الوزارة في عهد الدولة الفاطمية الشيعية، واستغل قوة أهل السنة في الإسكندرية، و بخاصة المالكية، فاختار أحد أبرز تلاميذ أبي بكر الطرطوشي، و هو أبو الطاهر بن عوف ليتولى التدريس بهذه المدرسة، وخاصة أن مدرسة الطرطوشي قام بالتدريس بها أكبر تلامذته سند بن عنان.

كما عرفت باسم " المدرسة الحافظية " نسبة للخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله [٦٨] حيث أورد القلقشندي نص سجل للتدريس بالمدرسة الحافظية بالإسكندرية، و مما جاء فيه " ولما انتهى إلى أمير المؤمنين ميزة ثغر الإسكندرية – حماه الله تعالى – على غيره من الثغور، فإنه يحيق بعناية تامة لا تزال تجد عنده وتفور: لأنه من أولى الحصون والمعاقل، والحديث عن فضله وخطير محله لا قمة فيه للزاري والناقل، وهو يشتمل على القراء والفقهاء، والمرابطين والصلحاء، وأن طالبي العلم من أهله ومن الواردين إليه، والطارئين عليه متشوو الشمل، حقرأو الجمع، أبى أمير المؤمنين أن يكونوا حائرين متلددين، ولم يرض لهم أن يبقوا مذبذبين متبددين، وخرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافظية لهذا الثغر المحروس بشارع الحجة منا عليهم وإعلاء، ومستقراً لهم ومقاما، ومثوى لجميعهم ووطنا، ومحلا لكافتهم ومسكنا "[٦٩] . و لا نجد أي مصدر تاريخي يذكر هذا الاسم إلا ما أورده القلقشندي في هذا السجل

ثم غلب عليها اسم مدرسها الفقيه أبي الطاهر بن عوف الزهري. فعرفت بالمدرسة العوفية "[٧٠].

و أما عن موقع هذه المدرسة بالإسكندرية، فقد حدد القلقشندي موقعها تحديداً عاماً، و هو " شارع الحجة " بقوله: " وخرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافظية بهذا الثغر المحروس بشارع الحجة " و يحدد التويري السكندري " فسار بالحجة العظمى... فلم يزل سائرا بالحجة إلى

مسجد أبي شهب " بأنه الشارع الموصل بين باب رشيد وباب البحر في الإسكندرية حيث يمثل الشارع الرئيسي في المدينة من الشرق إلى الغرب [٧١] مما لا يقطع بالتعرف على مكانها الفعلي لموضعها ، إلا أن ثمة نصاً نادراً أتاح لنا التعرف على مكان المدرسة العوفية بشارع المحجة ، فقد ورد في حجة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون و المؤرخة بتاريخ ١٢ جمادى الأولى عام ٧٢٦ هـ / ١٦ أبريل عام ١٣٢٦ م ، و الموقوفة على الخانقاة الناصرية بسرياقوس مما هو جاري في أملاكه بثغر الإسكندرية " جميع الفندق الذي بثغر الإسكندرية المحروس المعروف بفندق البيض و القصب ،و هو موسوم تجاههما ... و هو بالمحجة العظمى من الجانب القبلي منها... و يحيط به حدود أربعة، القبلي منها ينتهي إلى الدهاس و هو مقبرة المسلمين و حده الثاني و هو البحري ينتهي إلى الشارع المسلوك و هو المحجة العظمى... و الغربي ينتهي إلى الحمام المستجد و القرن و فما فاصلان بينه و بين المدرسة العوفية..." [٧٢] .

وظلت هذه المدرسة تؤدي دورها الثقافي والتعليمي والتربوي على أقل تقدير حتى منتصف القرن ٨هـ/١٤م حسبما ورد في وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون.

المدرسة العادلية:

ومن مدارس الإسكندرية في العصر الفاطمي "المدرسة العادلية " و التي أمر ببنائها الوزير الفاطمي العادل بن السلار[٧٣] ، وزير الخليفة الفاطمي الظافر [٧٤] لذا كانت تسمى في العصر الفاطمي ب المدرسة " العادلية " نسبة إليه [٧٥] و كان شهماً مقداماً مائلاً إلى أرباب الفضل والصلاح ... وكان ظاهر السنن شافعي المذهب، و قد أسند تدريسها للحافظ أبي طاهر السلفي الأصفهاني [٧٦] ، و يشير ابن خلكان " ولما وصل الحافظ أبو طاهر السلفي، رحمه الله تعالى، إلى ثغر الإسكندرية المحروس وأقام به ثم صار العادل المذكور والياً به احتفل به وزاد في إكرامه وعمر له هناك مدرسة فوض تدريسها إليه "[٧٧] .

وأما عن تاريخ بناء هذه المدرسة، فقد اختلف في عام بنائها، فالبعض يرى أنه بناها أثناء توليه ولاية الإسكندرية، و ذلك في عام ٥٤٤هـ/١١٤٩م [٧٨] و البعض الآخر يرى أنه بناها عام ٥٤٦ هـ / ١١٥١ م و ذلك بعد توليه منصب الوزارة فيذكر ابن خلكان " و بنى له

العادل أبو الحسن علي بن السلار، وزير الظافر العبيدي صاحب مصر، في سنة ست و أربعين و خمسمائة مدرسة بالثغر المذكور و فوضها إليه، و هي معروفة به إلى الآن "[٧٩] .

ثم عرفت باسم مدرسها الحافظ السلفي، فعرفت ب " المدرسة الحافظية السلفية "[٨٠] ، كما عرفت ب "مدرسة الحافظ أبي طاهر السلفي"[٨١] و" مدرسة الحافظ السلفي "[٨٢]، و " مدرسة السلفي "[٨٣] و عرفت ب " مدرسة الشافعية "[٨٤] ، حيث خصصت هذه المدرسة لتدريس المذهب الشافعي ، ويذكر ابن خلكان بأنه " لم ار بالإسكندرية مدرسة للشافعية سواها"[٨٥] ، ويؤكد ذلك أيضاً ابن أيبك الصفدي بأنه " ليس بالثغر شافعية غيرها "[٨٦] ، و يرى أحد الباحثين أن تخصيص هذه المدرسة لتدريس المذهب الشافعي بعد انتصاراً للسنة الشافعية[٨٧] .

و قد مدح عبد الوهاب بن توهيب أحد تلاميذ السلفي، و المتوفى عام ٥٤٧ هـ/١١٥٢ م الوزير الفاطمي العادل بن السلار و الحافظ السلفي لبنائه المدرسة العادلية [٨٨] بقوله :

لله در العادل المرتجى ذي العز و التأييد و النصر
بنى لنا مدرسة مثلها لم تبن في دهر و لا عصر
بغداد دار العلم لم تفتخر مثلها قط على مصر
فأرضها كالمسك جلت عن البسط التي تفرش و الحصر
و ما تولاها سوى الحافظ معصوم من عي و من حصر

وظلت هذه المدرسة في أداء رسالتها العلمية والتعليمية في الإسكندرية على أقل تقدير حتى أواخر القرن ٨هـ/١٤م حسبما ذكر الأسنوي المتوفى عام ٧٧٢هـ/١٣٦٩م أنها موجودة في عصره وأنها " تنتسب اليوم له تارة – أي ابن البوري – وللسلفي أخرى "[٨٩] .

المدرسة الصالحية:

و هناك مدرسة خامسة وجدت بالإسكندرية، انفرد بذكرها الحافظ السلفي في معجم السفر، حيث كان يدرس بها مع المدرسة العادلية، فذكر في ترجمة محمد بن أحمد بن عبد الكريم

بن مقاتل القيرواني بأن له " شعر جيد و علق عني كثيراً من مسائل الخلاف في المدرستين العراقية و الصالحية " (٩٠) .

مما سبق يتضح لنا أن العصر الفاطمي شهد بناء خمسة مدارس ، و ليس مدرستين، كما هو شائع، هذا في الوقت الذي لم تبن بالقاهرة مدرسة واحدة في هذا العصر، ويرجع ذلك إلى احتفاظ الإسكندرية مركزاً للمقاومة السنية في تلك الفترة وإن هذه المدارس كلها فيما عدا مدرسة الحافظ السلفي مخصصه لتدريس المذهب المالكي ويرجع ذلك إلى قوة المذهب المالكي بالإسكندرية بسبب قوة تأثير المغاربة والأندلسيين في المجتمع السكندري والذين كانوا كلهم علي المذهب المالكي مما ترك أثره علي مدارس الإسكندرية.

تعد الإسكندرية أول مدينة مصرية عرفت نظام المدارس وذلك منذ أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وتعتبر مدرسة الفقيه أبو بكر الطرطوشي أول مدرسة في الإسكندرية، وأن أبا بكر الطرطوشي يعتبر أول أستاذ لأول مدرسة في الإسكندرية الإسلامية كما تعتبر مدرسة ابن حديد ثاني مدرسة بنيت في الإسكندرية، و أن مدرسة ابن عوف (رضوان ابن وخشي) تعد ثالث مدرسة بنيت في الإسكندرية و ليس أول مدرسة .

مكونات المدرسة:

مما يؤسف له أن هذه المدارس قد اندثرت، و لم يبق لها أثر، يمكننا من خلاله التعرف علي مكونات مدارس الإسكندرية في تلك الفترة، و لكن يمكننا من خلال النصوص التاريخية التعرف علي بعض مكونات المدرسة. و هي:

١ – قاعة الدرس:

و هي المكان الذي يجلس فيه المدرس لإلقاء الدروس علي طلابه.

٢ – بيت الصلاة:

قامت المدرسة بوظيفتين متلازمتين الدراسة و الصلاة، بحيث لا تخلو مدرسة من بيت الصلاة، ويري الدكتور أحمد فكري أن جدار القبلة هو العامل الرئيسي في تخطيط المدارس

جميعاً، وأن حدودها الداخلية تنتظم من مستطيل أو مربع، و بذلك فإنه يوجد بكل من هذه المدارس بيت للصلاة، و أن هذا البيت يتصدر بناءها وأنه أكثر قاعاتها العلمية و اتساعاً (٩١) ، وقد أشارت المصادر التاريخية أن مدارس الإسكندرية في العصر الفاطمي كانت تقوم بوظيفة الصلاة: فمدرسة الطرطوشي و مدرسة بني حديد و مدرسة العادل ابن السلار، كان يؤذن فيها ويقام للصلاة بها.

– مساكن المدرسة:

و من مكونات المدرسة و التي تميزت به عن المسجد كمؤسسة تعليمية وجود مساكن ينزل بها المدرسون والطلاب ،و هي عبارة عن غرف صغيرة ، يتفاوت عددها من مدرسة لأخري ، يتناسب مع حجم المدرسة و سعة بهوها و بيت صلاتها (٩٢) .

و كان بمدرسة أبي بكر الطرطوشي مساكن لسكنه و طلبته، قد بني بزوجته بالمدرسة، و قد أشار إلي ذلك الضبي بقوله : " فخطبته و تزوجها و بني بها في المدرسة " (٩٣) و أن ابن زوجه أراد قتله لكن " حالت بينه و بينه ساريه من سواري مساكن المدرسة، و ضرب فيها بوجهه و خر مغشياً عليه، و الفقيه لا يشعر. فلما طلع الفجر نزل إلي المدرسة فصلي الصبح و درس " كما ذكر أيضا أن بعض طلبته الذين سكنوا بهذه المدرسة " قال كنت : أبيت أكثر الليالي بمدرسة الحافظ أبي بكر " (٩٤) .

كما وجد بمدرسة الحافظ السلفي مساكن للطلبة فيشير الضبي إلي أحد تلاميذ السلفي و هو إبراهيم بن عبد الله ت ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م، بقوله: " ثم رحل إلي المشرق فأقام بالإسكندرية في مدرسة الحافظ السلفي نحو عشرين سنة... كنت معه بالمدرسة مدة فحمدت حاله " (٩٥) .

فضلاً عن ذلك فقد ذكر السلفي أن أحد تلامذته الذين أقاموا بمدرسته، و هو أبو محمد عبد الله بن الحسن بن علي العذري بقوله:" و أقام في المدرسة العادلية مدة مديدة " (٩٦).

وكان لشهرة المدرسة ، و شهرة مدرسها تزيد من رغبة طلبة العلم من النزول بها ، أكثر من سعة مساكنها لاستيعاب هذا العدد الكبير ، مما يحرم كثير من الطلبة من السكن بها ، إلا أن

يتوسط إلي القائمين عليها ، من ذلك ما ذكره المقريزي بقوله : " و وصل بالكتاب إلي السلفي فقربه و أدناه و أنزله بأحسن موضع بمدرسته و مكنه من مسموعاته " [٩٧].

٤ – مكتبة المدرسة:

و من مكونات المدرسة في الإسكندرية في العصر الفاطمي وجود مكتبة ملحقة بها. و لم إشارة وصلت إلينا عن مكتبة المدرسة بالإسكندرية، هي مكتبة مدرسة الحافظ السلفي المعروف بالعادلية، والتي حوت الكثير من الكتب، ومن كثرتها وجدت ملتصقة ومتعفنة لذا كان يستخلصونها بالفأس مما أدى إلى تلف الكثير منها [٩٨] .

الهيئة التعليمية و الإدارية:

أما عن القائمين على أمر هذه المدارس، فقد وجد في مدارس الإسكندرية في العصر الفاطمي العديد من ارباب الوظائف التعليمية والدينية و الإدارية و الخدمية و من هذه الوظائف

١ – المدرس أو الشيخ:

و هو الشخص الذي أسندت إليه مهمة تدريس الفقه، أو الحديث، أو التفسير في احدى المدارس، و كان يخرج له سجل من ديوان الإنشاء، ويُقرأ في المسجد الجامع على رؤوس الأشهاد، ثم يخلد هذا السجل في المدرسة، و مما جاء في السجل الذي أورده القلقشندي " وليؤل هذا المنشور على الكافة بالمسجد الجامع وليخلد بهذه المدرسة حجة بما تضمنه إن شاء الله عز جل "[٩٩].

و قد تميزت المدارس بالإسكندرية بوجود مدرس واحد بكل مدرسة، حتى عرفت هذه المدارس بأسماء مدرسيها، كمدرسة الطرطوشي، ومدرسة ابن عوف، و مدرسة السلفي.

٢ – المعيد:

و هو الذي اختص بإعادة إسماع الدرس للطلبة، إمعاناً في الفائدة، و قد عرفت مدرسة الحافظ السلفي وظيفة المعيد فيذكر السلفي في معجم السفر أن أبا المعالي رافع بن يوسف بن زيدون القيسي " كان من أهل العلم حسن الصحبة، و قد لازمني عند بناء المدرسة العادلية مدة

عدة لولي ٥٥٦ هـ و كان يعيد الدرس على أربعين من الصبيان . و يؤم في المدرسة الصلوات الخمس "[١٠٠].

٣ – الإمام:

و هو الذي اختص بإمامة المقيمين بالمدرسة في الصلاة وقد وجد بمدرسة ابن حديد إمام للصلاة، فيذكر السلفي أن أبا القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عيسى السقافسي البصير " و كان يؤم في المدرسة المكية "[١٠١] ، كما كان أبو المعالي رافع بن يوسف يؤم الصلوات الخمس في مدرسة الحافظ السلفي [١٠٢].

٤ – المؤذن:

و هو الذي اختص برفع الآذان بالمدرسة في أوقات الصلاة، و كان أبا القاسم نجاء بن علي الرملي يؤذن بمدرسة أبي بكر الطرطوشي، ثم انتقل للآذن بمدرسة الحافظ السلفي [١٠٣].

٥ – القاري:

و هو الذي يقرأ الحديث بين يدي الشيخ، فيذكر السلفي أن فاضل بن سعد الله الصوري إنه " ممن كان يقرأ عندي في المدرسة العادلية بثغر الإسكندرية "[١٠٤] ، كما ذكر أيضا أبو محمد عبد الله بن أحمد الصقلي " كان يقرأ عندي في المدرسة العادلية بالإسكندرية " [١٠٥].

بالإضافة إلي ما سبق فقد وجد ببعض مدارس الإسكندرية شعراء ينشدون الشعر بها، فيذكر السلفي أن أبا الحسين يحيي بن علي الخزرجي، و هو شاعر ماهر، و كان ينشد بحضور الأصحاب في المدرسة العادلية [١٠٦].

أما عن دور مدارس الإسكندرية في نشر الثقافة العربية و الإسلامية، فقد قامت مدارس الإسكندرية من خلال مدرسيها بإحياء العلوم الإسلامية و بخاصة علم الفقه و علم الحديث و ما ارتبط بهما من علوم الشريعة، و قد وقع اختيار عالمين من العلماء الذين استقروا بالإسكندرية و هما أبي بكر الطرطوشي و الحافظ أبي طاهر السلفي خصيصاً بعث وإحياء وتقوية لمذهب أهل السنة و كان من آثر إنشاء المدارس بالإسكندرية في العصر الفاطمي الاهتمام بعلم الحديث:

حيث احتل علم الحديث مكان الصدارة في بيئة تعتني بالعلوم الإسلامية، ويستأثر منها بكل عناية، إذ على كل عالم أو فقيه أن يتقن علم الحديث، باعتباره الأصل الثاني من أصول الشريعة[١٠٨].

ودخل علم الحديث إلى مدينة الإسكندرية مع الفتح الإسلامي لها، وبدأ ينمو ويزدهر شيئاً فشيئاً، ويرجع ذلك إلى قدوم العديد من علماء الحديث إلى الإسكندرية واستقرارهم بها، وقدوم العديد من الرحالة المغاربة والأندلسيين إلى الإسكندرية واستقرار العديد منهم بها.

ويأتي على رأس علماء الحديث الذين استقروا في الإسكندرية الحافظ السلفي الأصفهاني، والذي يعد أشهر المحدثين الذين شهدتهم مصر في أواخر العصر الفاطمي، و الذي انتهى إليه علوم الإسناد و كان أوحد زمانه في علوم الإسناد و كان أوحد زمانه في علوم الحديث و أعلمهم بقوانين الرواية، و صارت مدرسته كعبة يحج إليها طلاب الحديث[١٠٩]، وقد استطاع السلفي تكوين مدرسة مزدهرة في علم الحديث بالإسكندرية، وكثر عدد تلاميذه ليس من أبناء الإسكندرية فقط[١١٠]، بل من الرحالة سواء من المغاربة والأندلسيين أو الشوام والعراقيين وغيرهم، فيذكر الدمياطي " ثم إنه دخل ديار مصر و أحيى بها الحديث، و كان حافظاً ثقة حجة نبيلاً، ختم هذا العلم، و كانت الرحلة إليه من الأقطار و عمر حتى لحق الصغار بالكبار "[١١١]، وذكر السخاوي " ما زال بها – الإسكندرية – الحديث قليلاً حتى سكنها السلفي، فصارت منذ حولا إليها الحديث والقراءات " وزادت شهرة السلفي في الآفاق حتى أطلق عليه لقب " عالم الدنيا " وتعد مدرسة السلفي أول مدرسة لتدريس علم الحديث والفقه الشافعي في الإسكندرية ومصر كلها وأخذ عنه بها الناصر صلاح الدين بن أيوب وأبناؤه[١١٢].

و قد مدح الشاعر ابن سناء الملك الحافظ السلفي في قصيدة تتكون من أربعين بيتاً منها[١١٣]:

لجئت إلى الإسكندرية قاصداً إلى كعبة الإسلام أو عَلَم العلم

إلى حبر دين عنده خير مُرشد و خير إمـــام عنده خير مُؤتم

إلى أحمد الحبي شريعة أحمد فلا عدمت منه أبا أمة الأمي

و قد اعتمدت دراسة علم الحديث في الإسكندرية، وفي غيرها من المدن الإسلامية على دراسة الأسانيد المشهورة وأمهات الكتب في الحديث والمتمثلة في " صحيح البخاري " و " صحيح مسلم "، وكتب الحديث الأخرى. فقام علماء الإسكندرية بشرح هذه الكتب وتلخيصها ووضع المختصرات وشرحها، وضبط الأسانيد وتصحيحها، وذكر ابن خلدون " والصرفت العناية بهذا العهد إلى تصحيح الأمهات المكتوبة، وضبطها بالرواية عن مصنفيها، والتفقر في أسانيد إلى مؤلفيها، وعرض ذلك على ما تقرر في علم الحديث من الشروط والأحكام لتتصل الأسانيد محكمة إلى منتهاها، ولم يزيدوا في ذلك على العناية بأكثر من هذه الأمهات الخمسة إلا في القليل....."[١١٤].

ولم يقف الأمر في دراسة علم الحديث عند التلخيص والشرح، بل قام علماء الحديث في تلك الفترة بجمع أربعين حديثاً في مصنف واحد معتمدين في ذلك إلى حديث نبوي " من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله تعالى يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء " وعلى الرغم من اتفاقهم على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه، فإن العلماء صنفوا في هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات واختلفت مقاصدهم في تأليفها وجمعها وترتيبها واختيارها، فمنهم من اختار أربعين حديثاً قدسياً مثل محي الدين بن عربي، ومنهم من جمعها في فضائل القرآن مثل القرطبي، أو في الطب مثل عبد اللطيف البغدادي، أو في التوحيد وإثبات الصفات، أو أربعون حديثاً فيما ينتهي إليه المكون ويستعمله الموفقون في أربعين باباً من البر لأبي إسحاق الحداد[١١٥].

وشارك علماء الحديث في الإسكندرية في هذا النوع من الدراسات الحديثية فجمع الحافظ السلفي " الأربعون البلدانية " وهي أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً في أربعين مدينة، لذا سميت بالأربعين البلدانية أي من أربعين بلد[١١٦].

كما حرص علماء الحديث أن يجلسوا لإملاء تلاميذهم بما يسمى (مجالس الإملاء) حيث يقعد العالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس فيتكلم العالم بما فتح الله عليه من العلم ويكتبه التلاميذ فيصير كتاباً ويسمونه الإملاء والأمالي[١١٧].

و كان للحافظ السلفي مجالس إملاء يمليها على طلبته، و كان يسميها " الأمالي الحديثية "[١١٨] و كانت تسمى " كتاب الأمالي الخمسة " أو " المجالس السلفانية " و هي من أهم كتب الأمالي التي كانت تدرس في الإسكندرية.

بالإضافة إلى ذلك اعتاد علماء الحديث في الإسكندرية، وفي غيرها من المدن الإسلامية الأخرى وقتئذ في تدوين رحلاتهم العلمية وأسماء الشيوخ الذين أخذوا عنهم، وأجازوا لهم وأسماء الكتب وعمن أخذوها، وسندها إلى مؤلفيها، والبلد الذي أخذها به بما يسمى " المشيخة " أو " معجم الشيوخ " أو " المعاجم " أو " البيت " وتسمى في الأندلس " البرنامج " أو " الرحلة " وكلما زاد عدد العلماء الذين أخذ عنهم والكتب التي درسها زادت مكانة العالم [١٢٩]. واصبحت هذه المعاجم مما يدرس للطلبة ومما يجيزه الشيخ لتلاميذه في الإسكندرية ومن علماء الإسكندرية الذين وصلتنا معاجم شيوخهم وكانت من مواد تدريس الحديث في الإسكندرية في العصر المملوكي " مشيخة ابن الخطاب " أو " مشيخة الرازي " لأبي عبد الله محمد بن أحمد الرازي الأسكندري تخريج السلفي وظلت تدرس طوال العصر المملوكي في الإسكندرية [١٣٠] و " مشيخة السلفي "، ومعجم السفر للسلفي، والمشيخة البغدادية للسلفي [١٣١].

و للحافظ السلفي في علم الحديث قوله [١٣٢]:

إن علم الحديث علم رجال تركوا الابتداع للاتباع

فإذا الليل جنهم كتبوه و إذا أصبحوا غدوا للسماع

و كان من آثار بناء المدارس بالإسكندرية في العصر الفاطمي أيضا الاهتمام بعلم الفقه، يعد الفقه من أبرز فروع العلوم الإسلامية التي اشتغل بها المسلمون، ومن أهم مواد التكوين الثقافي لطلاب العلم والمثقفين في جميع انحاء البلاد الإسلامية، إذ احتيج إليه لتيسير شئون الجماعة الإسلامية، ووضع الضوابط المحكمة بين الرعايا في أحوالهم ومعاملاتهم الدينية(عباداتهم) أو دنياهم (معاملات) وأساسه القرآن الكريم والسنة النبوية. إذا الفقه هو العلم الذي يتناول القرآن الكريم والسنة النبوية بقصد الفهم واستخراج الأحكام الشرعية. وعرف بعدة مسميات مثل علم الحلال والحرام والشرائع والأحكام وعلم الفروع، وهو يرادف " التشريع " [١٣٣].

وزاد من قوة المذهب المالكي في الإسكندرية في العصر الفاطمي قدوم العديد من فقهاء المغاربة والأندلسيين المالكيين إلى المدينة وعلى رأسهم أبو بكر الطرطوشي نزيل الإسكندرية الذي نظم تدريس الفقه بالإسكندرية، وانشاء أول مدرسة للتدريس الفقه في الإسكندرية،

واصبح يوجد في الإسكندرية في العصر الفاطمي ثلاث مدارس للمذهب المالكي، الأولى مدرسة الطرطوشي، والمدرسة المكنية، و المدرسة الحافظية (العوفية).

وذاب فقهاء المالكية في الإسكندرية على شرح أمهات الفقه المالكي وبخاصة كتاب " المدونة " لسحنون [١٣٤]، ومن هؤلاء الفقهاء سند بن عنان تلميذ أبي بكر الطرطوشي، حيث وضع شرحاً له سماه " الطراز " أفنى منه ثلاثين سفراً. ومات قبل أن يتمه، ذكر ابن فرحون بأنه " كتاباً حسناً في الفقه "[١٣٥] وأما التنسيري فذكر أنه " كتاب حسن مفيد شرح به المدونة نحو الثلاثين سفراً، وتوفي قبل إكماله اعتمده الخطاب وأكثر من النقل عنه في شرح المختصر " [١٣٦].

واعتمدت أيضاً دراسة الفقه المالكي في الإسكندرية على كتاب " الرسالة " لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد المالكي القيرواني المتوفى عام ٣٨٩هـ/٩٩٨م وهو مختصر كتاب " المدونة " [١٣٧]. و قد شرح الرسالة كثيرون من علماء المالكية ، ومن هؤلاء العلماء الفقيه أبو بكر الطرطوشي الذي كتب كتاباً شرح به كتاب الرسالة ، و من المرجح أن هذا الشرح بعض دروسه في المذهب المالكي التي كان يلقيها في مدينة الإسكندرية [١٣٨].

ومن هؤلاء لفيف الدين أبو الحرم مكي بن عوف بن أبي الطاهر بن عوف ألف شرحاً عظيماً على " التهذيب " لأبي سعيد البرادعي وعدة مجلداته ستة وثلاثون مجلداً وكان يقيده على دروسه التي كان يلقيها في المدرسة العوفية، وكان يحضر عنده فضلاء، ويتحور بينهم بحوث، فيكتبها في الحواشي فكمل على هذا الحال، لذا سمي الكتاب بـ " العوفية " وتنافس في اقتناء هذا الكتاب العلماء والأعيان، وكان كتاب العوفية من الذخائر العلمية التي عرفتها خزانة سلطان فاس " المغرب " عن مدرسة الإسكندرية وعلى حد قول صاحب الديباج المذهب: " ولما قدم من المغرب ابن الإمام أبي زيد وأخوه نسخاه وأنفقا على نسخة مالا عظيماً، وهو الآن في خزانة سلطان فاس بالمغرب [١٣٩].

ووجد إلى جوار المذهب المالكي في الإسكندرية، المذهب الشافعي، لكن ليس بنفس قوة المذهب المالكي الذي له الغلبة في الإسكندرية، وبالرغم من ذلك انتشر المذهب الشافعي في الإسكندرية على يد الحافظ السلفي الذي تولى تدريس المذهب الشافعي في مدرسته بها وهي

المعروفة باسم " العادلية " و " الحافظية السلفية " والتي ظلت حتى نهاية القرن السابع الهجري مدرسة الشافعية الوحيدة في الإسكندرية وسميت في بعض الأحيان بـ " جامع الشافعية " وعن طريق هذه المدرسة تزايد فقهاء الشافعية في الإسكندرية، إذ تولى التدريس بها معظم فقهاء الشافعية في الإسكندرية مثل أسرة البوري والتي قبع العديد من أفرادها وتولوا التدريس بالمدرسة الحافظية السلفية من هؤلاء أبو القاسم هبة الله بن البوري المتوفى عام ٥٩٩هـ/١٢٠٢م ، فضلاً عن ذلك حاول علماء الإسكندرية، و بخاصة أبوبكر الطرطوشي محاربة كثير من البدع فألف كتاب " الحوادث و البدع " أو كتاب " بدع الأمور و محدثاتها " قال في مقدمته: هذا كتاب أردنا أن نذكر فيه جملاً من بدع الأمور ومحدثاتها التي ليس لها أصل في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا إجماع ولا شيء مثل دخول الحمام بغير مئزر مع أهل الكتاب، والإيثار للعرس والجنائز للمباهاة والفخر، و البناء على القبور بالحجارة، إقامة المآتم للأموات والتصدي للعزاء، وخروج النساء للمقابر واتباع الجنائز[١٣٠] .

كما أن من آثار وجود المدارس بالإسكندرية في العصر الفاطمي، زيادة روح الجهاد لدى أهل الإسكندرية، و الوقوف ضد القوة السنية المتمثلة في قوات نور الدين محمود بقيادة أسد الدين شيركوه و ابن أخيه صلاح الدين بن أيوب، فبعد معركة البابين (٢٥ جمادي الآخرة عام ٥٦٢ هـ)[١٣١] اتجه شيركوه و ابن أخيه صلاح الدين إلى الإسكندرية، و لم يكن خروج شيركوه إلى الإسكندرية عشوائياً، بل كان بترتيب سابق، فقد كتب إلى أهل الإسكندرية قبل معركة البابين يستحثهم على القرنج و شاور، فقاموا معه و أمروا عليهم نجم الدين بن مصال، و لم ينتهي الأمر عند هذا الحد بل إن أهل الإسكندرية كتبوا إلى شيركوه أنهم يمدونه بالسلاح و الحديد و جهزوا إليه خزانة من السلاح، و عندما وصل أسد الدين شيركوه إلى الإسكندرية سلم أهلها المدينة إليه، و هو ما عبر عنه ابن واصل بقوله: " لميلهم إلى مذهب السنة و كراهيتهم لرأي المصريين "[١٣٢]

و يذكر المقريزي " فأخرج أهلها الأموال و أنفقوها، و استعدوا للحصار؛ فكان في جملة ما أخرجوه للحصار أربعة و عشرون ألف قوس زنبورك و ما يناسب ذلك من الآلات. و سار شاور وعموري ملك الفرنج، فنازلوا الإسكندرية. فلما رأوا شدة أهلها و اجتماعهم على

الحصار تقدم شاور إليهم و قال: سلموا إلي صلاح الدين و من معه و أضع عنكم المكوس، و أعطيكم الأخماس. فامتنعوا و قالوا: معاذ الله أن نسلم المسلمين إلى الفرنج و الإسماعيلية. فعند ذلك وقع الحصار و اشتد على أهل الإسكندرية إلى أن قلت الأقوات[١٣٣] و لم يخذلوا صلاح الدين حتى تم الاتفاق بين صلاح الدين مع شاور وعموري على ترك الإسكندرية ومصر.

بل يشير أبو شامة إلى أن الخطبة للخليفة العباسي المستضيء بالله كانت بالإسكندرية قبل الفسطاط و القاهرة بأسبوع[١٣٤].

هوامش البحث

(١) المدارس: والمفرد المدرسة والمدارِس والمدارَس للوضع الذي يُدرس فيه، و جاءت كلمة " درس " في كل اللغات السامية بمعنى فحص و اجتهد. انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة درس، ج٢ ص ٣٥٩-٣٦٠؛ الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٠٣ ؛ الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج ٢ ص ٢٠٢ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٢ ص ١٤٩ ؛ السجستاني، غريب القرآن ، ص ٩٩ ؛ ابن فارس ، مقاييس اللغة ، ج ٢ ص ٢٦٧-٢٦٨ ؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢ مادة "درس"؛ محمد عبد الرحيم غنيمة، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، ص٩٣-٩٦.

(٢)- محمد عبد الرحيم غنيمة:تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، لندن ١٩٥٣،ص٦٣-٦٦.

(٣)- خراسان: يحدد أقاليم المشرق الإسلامي، بحدها من ناحية الشرق إقليم سجستان و بلاد الهند، و من الغرب صحراء القز و نواحي جرجان، و من الشمال بلاد ما وراء النهر و من الجنوب صحراء فارس و ولاية فرمس، و تقسم خراسان إلى أربعة مدن رئيسية: و هي ليسابور و مرو و هراة و بلخ، و تعرف خراسان ببلاد الشمس المشرقة. انظر: ابن خرداذبه:المسالك و الممالك، دار صادر، بيروت، د.ت.،ص١٨ ؛الأصطخري :المسالك و الممالك بتحقيق محمد جابر عبدالعال ،الهيئة العامة لقصور الثقافة ،القاهرة ،٢٠٠٤،ص١٤٥؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ،دار صادر ،بيروت ،١٩٥٧،ج٢ ،ص٣٥٠؛كي لسترنج :بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس ،كوركيس عواد ،الطبعة الثانية ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،١٤٠٥هـ/١٩٨٥،ص٤٣٣.

(٤) -- فيصل سيد طه: الحياة الثقافية في خراسان في العصر السلجوقي (٤٢٩-٥٩٠هـ/١٠٣٧-١١٩٣م) ،رسالة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب -جامعة بني سويف ،٢٠٠٦،ص٧٦.

(٥)- نيسابور - بفتح النون و سكون الياء المثقوطة من تحتها باثنتين ،و فتح السين المهملة ، و بعدها ألف ساكنة مرسومة،و في آخرها الراء، و هي احدى المدن الرئيسية لإقليم خراسان، و تقع في الطرف الغربي لإقليم . انظر: الأصطخري: المسالك و الممالك، ١٩٤٥القدسي :أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،دار صادر بيروت،د.ت.،ص٣٩٥؛ القزويني :آثار البلاد وأخبار العباد ،دار صادر ، بيروت ،د.ت.،ص١٤٧؛ ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج٥،ص٣٣١-٣٣٢؛ أبو الفدا :تقويم البلدان ،مكتبة المثنى ،بغداد،د.ت.،ص١٤٤؛ كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ،ص٤٣٤.

و من المدارس التي اشتهرت في نيسابور، المدرسة البيقية، التي أنشأها أبو الحسن محمد بن شعيب البيهقي المتوفى عام ٣٢٤هـ/٩٣٥م ،في ضاحية سيار ،و مدرسة البسطامي بو مدرسة القطان بو المسنة التي انشأها ابوبكر النصيبي المتوفي عام ٣٤٩هـ/٩٦٠م ،و مدرسة حسنان القرشي المتوفى عام ٣٤٩هـ/٩٦٠م ،و مدرسة ابن حيان النصيبي ، أنشئت قبل عام ٣٥٤هـ/٩٩٨م و غيرها انظر :- ناجي معروف :نشأة المدارس المستقلة في الإسلام ،ص٣-٨ ؛ مدارس ما قبل النظامية " مجلة المجمع العلمي العراقي ،مج ٣٢ ،١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ،ص١١٨؛عبد الناصر إبراهيم :الحياة الثقافية و العلمية في نيسابور منذ القرن الثالث حتى أوائل القرن الخامس الهجري،رسالة دكتوراه غير منشور ،كلية الآداب -جامعة القاهرة ،٢٠٠٠، ص ٨٠ -٨١ ؛فيصل سيد طه : الحياة الثقافية في خراسان ،ص٧٨؛حسين أمين:

، المدارس الإسلامية في العصر العباسي و أثرها في تطوير التعليم " ضمن كتاب ندوة الدكتور أحمد فكري، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،١٩٨٣،ص١٠٢ .

(٦)- عبد الحميد أبو الفتوح بدوي: التاريخ السياسي و الفكري للمذهب الحنفي في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد، دار الوفاء، الطبعة الثانية، المنصورة،١٩٨٨،ص١٧٥-١٧٧؛عبد الهادي رضا عجوة:نظام الملك ،الدار المصرية اللبنانية ،القاهرة ،١٤١٩ هـ/١٩٩٩م، ص٣٣٤.

(٧)- سعاد ماهر : "تطور العمائر الإسلامية بتطور وظائفها"،المجلة التاريخية المصرية مج١٨ ،١٩٧١،ص٦٤ ؛ محمد رمضان بدوي :الإجازات و التوقيعات المخطوطة في العلوم النقلية و العقلية من القرن ٤ هـ/ ١٠ م إلى القرن ١٠ هـ/ ١٦ م،هيئة الآثار المصرية ،١٩٨٦،ص٥.

(٨) -- عبد الحميد أبو الفتوح بدوي : التاريخ السياسي و الفكري : ص ١٧٩؛ أمين فؤاد سيد :المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي ، أبحاث ندوة المدارس في مصر الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٢،ص ٨٩.

(٩) -- حسين أمين ." المسجد للمعهد الأول للتعليم عند المسلمين "، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، العدد ٢٢: ١٩٦٨م، ص ٣٥.

(١٠) -- تنسب دولة السلاجقة إلى سلجوق بن دقاق ، و هو الذي أدخلهم في الإسلام لأول مرة عام ٣٨٢ هـ/ ٩٩٢ م ، و استطاع طغرل بك ان يحمي الدولة العباسية من السقوط في يد الفاطميين عام ٤٤٧ هـ /١٠٥٥ م و أرجع الخليفة العباسي القائم إلى مقره ببغداد . أنظر : صدر الدين الحسيني : زبدة التواريخ ،أخبار الأمراء و الملوك السلجوقية ، تحقيق محمد نور ، دار اقرأ ،بيروت ،١٩٨٥،ص٢٣ -٢٥ ؛ عبد المنعم حسنين : سلاجقة إيران و العراق، الأنجلو المصرية ،القاهرة، ١٩٧٠،ص ٢٤ .

(١١) -- نظام الملك : قوام الدين الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي ،وزير السلطان السلجوقي ألب أرسلان ، ثم من بعده ابنه ملك شاه ، و يعد نظام الملك المنظم الإداري للدولة السلجوقية ،و قد تبنى بناء المدارس و التي اشتهرت بإسمه ، و قد وصل عدد هذه المدارس إلى تسعين مدرسة ، و استقدم نظام الملك لها المدارس العلماء المشهورين ، و رتب لهم المرتبات و الكتب و السكن ، و أصبحت هذه المدارس قبلة للعلم و الثقافة في العلم الإسلامي وتعد. انظر . ابن خلكان : وفيات الأعيان ،ج٢، ص ١٢٨ ، رقم ١٧٩ ؛ خواندمير : دستور الوزراء ، ترجمة ضر الفارسية حربي أمين سليمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٨٠، ٢٤٥- ٢٦٧ ، عبد فقادي محبوبة : نظام الملك ،ص ٣٥٣ - ٤٠٥ .

(١٢) -- مصطفى جواد : " المدرسة النظامية ببغداد "، سومر ، عدد ٩، ١٩٥٣، ص ٣١٣ - ٣٤٢ ؛فيضة : تاريخ الجامعات الإسلامية ،ص ٧٥ - ٧٨ ، حسين أمين : المدارس الإسلامية ،ص ١٠٤ - ١٠٦

(٨) Tales, Le Madrasa Nizamiyya et son historie . Paris,1930;Massignon .L, Les Mecreschs Se Baghdad . BIFAO ,VII, 1910.pp.77-86.

(١٣) -- النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ج١،ص ٩٩ - ١٠٠؛ ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية في السيرة النورية ، تحقيق محمود زايد ، بيروت ، ١٩٧١ .

(١٤) – المقريزي : المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار،مكتبة الآداب ،القاهرة،ج٤،ص١٩٢

(١٥)–ناصر خسرو علوي ، سفرنامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص١٠٠ ؛ البكري ، كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب ، نشر دي سلان ، الجزائر ، ١٩١١ ، ص٢٠٩ ، ٢١٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٩ ؛ المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص٣٤٧–٣٤٨ ؛ مختاري محمود ابراهيم ، الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص٢١٩ ؛ أسامة حسن عبد المنعم، أهل السنة في العصر الفاطمي، ماجستير آداب الإسكندرية، ١٩٩٩ ، ص ٦٨– ٦٩ .

(١٦) – سعد زغلول عبد الحميد : " ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون والرحالة المغاربة في القرنين ٦ ، ٧هـ/١٢–١٣م " ، مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ، المجلد الثامن ، ١٩٥٤ ، ص٩٥ ؛ محمد البكحلاوي ، آثار عصر الإسلامية في كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص٩ ؛ إبراهيم بن محمد محمد المزيني: "رحلات المغاربة إلى المشرق الإسلامي في عصر الحروب الصليبية " ، الدرة بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق حتى أواخر القرن ١٥م/٩هـ ، ١٩٩٧م ، ص٣٣٧ .

(١٧) – جمال الدين الشيال : " العلاقات الثقافية بين المغرب ومدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي " ، مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ، مجلد ١٥ ، ١٩٦١ م ، ص١٤٧ ؛ سعد زغلول عبد الحميد: " الأثر المغربي والأندلسي في المجتمع السكندري في العصور الإسلامية الوسطى " ، ضمن كتاب مجتمع الإسكندرية عبر العصور ، الإسكندرية ١٩٧٥ ، ص٣٠٧–٣٢٦ ؛ أحمد رمضان أحمد، الرحلة . ص١٣ ؛ أحمد سعيد ، أدب الرحلات والفنون في الأدب العربي ، دار الشرق الجديد ، بيروت ، د.ت ، ص٩٥ .

(١٨) – لمزيد من التفاصيل عن جامع عمرو بن العاص بالإسكندرية انظر :ابن عبد الحكم ، فتوح مصر : ص ٦٩ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ ١ ص ٨٥ ؛ المقريزي ، الإشارات إلى معرفة الزيارات ، ص ٤٧ ؛ النويري السكندري ، الإلمام ، ٦ جـ ٤ ص٣٨– ٤٠ ؛ ابن رشيد ، ملء العيبة ١ جـ ٣ ص ٩٣ ؛

محمد عبد الهادي شعيرة : " الإسكندرية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي ، مقال ضمن كتاب الإسكندرية،نشر الغرفة التجارية بالإسكندرية ، ١٩٤٩ ، ص٨٦؛ الشيال : الإسكندرية ،ص ٢١٢ ؛ تاريخ مدينة الإسكندرية ،ص ٣٥؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية ،ص١٠٦ ؛ تخطيط مدينة الإسكندرية ،ص٦٩ – ٧٣ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : " الإسكندرية الإسلامية من الفتح العربي حتى العصر الفاطمي " ، مقال ضمن كتاب الإسكندرية عبر العصور ،الطبعة الثانية ،محافظة الإسكندرية ،١٩٩٩،ص ٩٠٣ – ٩٠٤ ؛ هنري الحملة الفرنسية :كتاب وصف مصر،ج٣،ص٣٠٧ – ٣٠٨ ؛ علي مبارك - تخطيط التوفيقية الجديدة ،ج٧،ص١٤٣ .

", BSRAA., Combe (Etien), " Notes sur Les forts d'Alexandrie et des Environs No 34 , 1941 , P 98-99 ; Abouseif (D.B.) , " Notes Sur l'Architecture musulmane d' Alexandrie" , dans Alexandrie Medievale I, (IFAO) , 1998 , P. 104.

(١٩) – حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ،ج١،ص ٦٦ – ٦٧ ؛ الشيال : الإسكندرية طوبوغرافيا المدينة ،ص ٢٩٧ ؛ تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي ،الطبعة الثانية، دار المعارف ،القاهرة ،د. ت، ص ٤٢

؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية ، ص٢٢٠ ؛ تخطيط مدينة الإسكندرية ،ص ٧٩ ؛ ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية و سقوطها في مصر ،الطبعة الرابعة ،دار الفكر العربي ،القاهرة،١٩٩٤،٣٣٠

Abouseif (D.B.), " Notes Sur l'Architecture musulmane d' Alexandrie. P.105.

(٢٠) –المقريزي : الخطط المقفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، ج٢، تحقيق محمد حلمي محمد احمد ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ،القاهرة،١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م ،ص٤٩ ؛ جمال الدين الشيال : تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ،د. ت. ، ص٥٩ .

(٢١) – المقريزي : الخطط المقفا :ج٢،ص١٠٠

(٢٢) – النويري السكندري : الإلمام ،ج٤،ص ٣٨ .

(٢٣) – و كان سبب مجيء بدر الجمالي إلى الإسكندرية خروج ابنه الأوحد الذي كان يتولى الإسكندرية ، و تحصن فيها ، و وقف لهؤلاء الإسكندرية معه ، لما اضطر بدر الجمالي الحضور بنفسه و محاصرة المدينة مدة شهور ، لما اضطر أهل الإسكندرية إلى تسليم المدينة له ، و لكنه قام بمصادرتهم . انظر : ابن ميسر :أخبار مصر، ص ٤٦– ٤٧ ؛ المقريزي : الخطط المقفا،ج٢،ص ٣ .(٢٤) – النويري :الإلمام،ج٤،ص ٤٠ .

(٢٥) – السلفي : معجم السفر ،ص ٢٤٤ .

(٢٦) – السلفي : معجم السفر ،ص ١٩٣

(٢٧) – جمال الدين الشيال :" أول استاذ لأول مدرسة في الإسكندرية الإسلامية " ، مجلة كلية الآداب ،جامعة الإسكندرية ،مج ١١،عام ١٩٥٧،ص ٣– ٢٩؛ أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي،ص ١٠٥ – ١٢٧؛ تاريخ مدينة الإسكندرية،ص٤٦ ؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ،ص ١٢ – ١٣ ؛عفاف سيد صبرة: " الدارس في العصر الأيوبي " ،ص ١٤٧ ؛سعيد عبد الفتاح عاشور :" العلم بين المسجد و المدرسة " ،ص٢٢ – ٢٤ ؛ مصطفى شيحة : " دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية و المدرسة اليمنية " ،ص ١٤١٧ ؛ أيمن فؤاد سيد :" المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي " ،ص١١٦ – ١٢٠ ؛ محمد حلمي المناوي :الوزارة و الوزراء في العصر الفاطمي ،دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠،ص١٠٧ – ١٠٨ .

(٢٨) – أيمن شاهين سلام : المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي و دورها في نشر المذهب السني ، رسالة دكتوراه ،كلية الآداب – جامعة طنطا ،١٩٩٩،ص ٧، ٦٠ .

(٢٩) – عبد الرحمن زكي : القاهرة تاريخها و آثارها (٩٦٩ – ١٨٢٥) من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ ، الدار القومية للتأليف و الترجمة ، القاهرة . ١٩٦٦،ص ٧١ ؛ محمد عمارة : عندما دخلت مصر عربية ، ١٤١ – ١٤٢ .

(٣٠) – أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفوشي القهري الأندلسي الطرطوشي الفقيه المالكي الزاهد، المعروف بابن أبي رندقة: صحب أبا الوليد الباجي بمدينة مرقسطة، وأخذ عنه مسائل الخلاف وتخرج منه. وأجاز له ،وقرأ القرائض والحساب بوطلة. وقرأ الأدب على أبي محمد بن حزم بمدينة إشبيلية، ورحل إلى المشرق سنة ست وسبعين وأربعمائة وحج ودخل بغداد وتصدر، وتفقه على أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي المعروف

بالمستظهري الفقيه الشافعي ابن الأبار : تكملة الصلة ، ج٢، ص٥٧٥ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٨ ، جـ٤ ص٢٦٢-٢٦٤ رقم٦٠٥ ؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار بأخبار الأئمة القاطميين الخلفاء ، ٣ أجزاء ، تحقيق ، جـ١ جمال الدين الشيال ، جـ٢ و جـ٣ محمد حلمي محمد أحمد ، الطبعة الثانية ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، جـ٣ ص٨٨-٩٢ ؛ الطنبدي الكبير ، جـ٧ ص٤٠٩-٤١٦ رقم٣٤٩٣ ؛ ابن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ٥ ، ص١٧٥ رقم٢٢١٥ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، تحقيق عدة باحثين ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨٢ ، جـ١٩ ص٤٩٠ رقم٢٨٥ ؛ العبر في خبر من غبر ، جـ٤ ص٤٨ ؛ ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، تحليل شوقي ضيف ، ص٤٢٤ رقم١٦١٣ ابن فرحون ، الديباج المذهب ، جـ٢ ص٢٧٦ ؛ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة،ج٥،ص١٣٣١ المقرى : نفح الطيب ، جـ٢ ، ص٨٥ رقم٤٩ ؛ أزهار الرياض ، جـ٣ ، ص١٦٤ ؛ السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ١ ص١٤٥٢ محمد بن محمد مخلوف الشنتوري ، شجرة النور الزكية ، القاهرة ،د.ت. جـ١ ، ص١٢٤-١٢٥ ، رقم٣٦٠ ؛ التنبكتي: جامع كرامات الأولياء ، جزءان ، تحقيق إبراهيم محمد عرجون ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، جـ١ ص١٨٥ ؛ أعمال الأعلام ؛ تاريخ الفكر الأندلسي ، نقله من الأسبانية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة د.ت. ص ١٧٤ - ١٧٦.

(٣١) – طرطوشة : بالفتح ثم السكون ثم طاء أخرى مضمومة و واو ساكنة و شين معجمة ، مدينة بالأندلس تتصل بكورة بنسية و هي شرقي بلنسية ، و لها سور حصين هو بها أسواق و عمارات و مصانع . النظر : ياقوت : معجم البلدان ؛ القزويني : آثار البلاد و أخبار العباد ،دار صادر ، بيروت د. ت. ص ٥٤٤ – ٥٤٥ ؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ،ط٢ ،بيروت، ١٩٨٠ ،ص ٣٩١ – ٣٩٢.

(٣٢) – الذهبي ، حلية المقتبس في تاريخ رجال قطل الأندلس ،دار الكاتب العربي ،١٩٦٧ ، ص١٣٥ ، جمال الدين الشيال ، أبو بكر الطرطوشي ، العالم الزاهد الثائر ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص١-٦٥ .

(٣٣) – أبي ظافر الأزدي : أخبار الدول المنقطعة ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م،ص١٥٣ – ١٥٤ ؛ابن أيبك الدواداري : الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ،القاهرة ، ١٩٦١، ص ٤٤٤ ؛المقريزي : أتعاظ الحنفا ،ج٣،ص١٣

(٣٤) – أبو عبد الله محمد بن عمار الإسكندراني قاضي الإسكندرية ، كان حسنة الدهر ، و ناضرة العصر ، جلا بنو العرمسة عدوان الفقر ، و سعوا به إلى الأفضل بن أمير الجيوش أنه مال لذرار بن المستنصر ،فقبض عليه و اعتقله ، و ولي عوضه قضاء الإسكندرية أبا الحسن زيد بن الحسن بن حديد النظر : ابن منجب الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة ،تحقيق عبد الله مخلص ، مجلة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، مج ٢٥، ١٩٢٣ ،ص ١٥٤ ابن ميسر :المنتقى من أخبار مصر ،تحقيق أيمن فؤاد سيد ،المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨٦،ص٤٣؛ المقريزي :المقفى الكبير ،ج٦،ص ٤٠٣ – ٤٠٣ ؛ أتعاظ الحنفا ،ج٣،ص ١١٥ ابن أيبك الدولة المضيئة،ص ٤٤٦ – ٤٤٧.

(٣٥) – ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ٦ الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص٤٤٤؛ ابن ميسر: أخبار مصر ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨١ ، جـ٣ ص٣٧ ، ٣٥-٣٧ ؛ ابن المأمون البطائحي : أخبار مصر ، تحقيق أيمن فؤاد

سيد ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص٩٢ ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ص١٤-١٦ ؛ عبد المنعم ماجد: نظم دولة الخلافة الفاطمية في مصر وسقوطها ، دار الفكر العربي ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص٣٣٩-٣٤٠ ؛ يحي رمضان : الأسرة الحمدانية ودورها في الحياة السياسية والحضارية في عهد الدولة الفاطمية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص٨٠-٨١ ؛ الشيال : أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، ص٧٠-٧١ ؛ أعمال الأعلام ؛ تاريخ الفكر الأندلسي ، نقله من الأسبانية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة د.ت. ص١٧٤ – ١٧٦.

(٣٦) – ابن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ٥ ، ص١٧٥.

(٣٧) – الذهبي : بغية الملتمس ،ص ١٣٧.

(٣٨) – أبو الفضل عبدالشهيد بن الحسين بن أحمد بن دليل الكندي الخطي الأسكندراني (٤٩٣ – ٥٨٥ هـ) عبد النظر : المقريزي : التكملة لوفيات النقلة ،ج١ ،ص١٢٦ ، رقم ١٨٦ ابن الصابوني : تكملة إكمال الاكمال ،ص ١٣٥ – ١٣٧ ، رقم ٩٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ،رقم ٥٧٧؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر ،ج٤ ، ص٤٨ ؛ ابن فرحون : الديباج المذهب ،ج٢ ،ص ٣٥٠ ، المقري :نفح الطيب ،ج٧،ص٣٦٨.

(٣٩) – الذهبي : بغية الملتمس ،ص ١٣٧.

(٤٠) – السلفي : معجم السفر ،ص٤٠٢.

(٤١) – الذهبي : بغية الملتمس ،ص ١٣٧.

ويذكر المقريزي في حوادث شهر شوال عام ٥١٦ هـ / ديسمبر ١١٢٢ م قوله: "ثم حضر الفقيه أبوبكر الدياج الوزير– المأمون البطائحي –، و عرفه ما عزم عليه من إنشاء مسجد بظاهر الثغر على البحر، فكتب إلى ابن حديد بمواطأة الفقيه على موضع يختاره، و أن يبالغ في إتقانه و سرعة إنجازه، و تكون النفقة عليه من مال جهاته دون مال الدولة. و توجه فبنى المسجد المذكور على باب البحر، و أما المسجد الذي بالمدينة فإن المؤتمن عند مقامه بالثغر بناه".

اتعاظ الحنفا،ج٣،ص ٩٢؛المقفى :ج٧،ص٤١٣؛عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية، ص٢٢٢-٢٢٤؛ الشيال: أبوبكر الطرطوشي العالم الزاهد الثائر،ص٦٠؛ أعلام الإسكندرية ،ص ٧٨ – ٨٠ ،و لكنه ذكر في كتابه تاريخ مدينة الإسكندرية،ص٤٢، و الإسكندرية جغرافية تاريخية ،ص٢١٧،أنه بني عام ٥١٠ هـ /١١١٦م، و كذلك عبد العزيز سالم في كتابه تخطيط مدينة الإسكندرية ،ص ٧٩.

(٤٢) – المقريزي : المقفى ،ج٧،ص٤١٥ – ٤١٦ .

(٤٣) – ابن القطة : تكملة الإكمال ،ج٢،ص ٢٤٨؛ منصور بن سليم : ذيل تكملة الإكمال ،ج١،ص ٢٩٦؛ ابن فرحون : الديباج المذهب ،ج١،ص٣٩٩ – ٤٠٠ ؛ السيوطي : حسن المحاضرة ،ج١،ص ٤٥٣ ؛ المخزومي : شجرة النور الزكية ،ج١،ص١٢٥؛ البغدادي :هدية العارفين ،ج١،ص٢١٥؛ أحمد أحمد بدوي :الحياة العلمية في عصر الحروب الصليبية،ص١٧١، عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ،ج٤،ص٢٨٣؛ نقولا يوسف : أعلام من الإسكندرية،ج١،ص١٥٣ – ١٥٤ ؛ محمد كامل حسين :الحياة الفكرية و الأدبية بمصر من الفتح العربي حتى آخر الدولة الفاطمية ،ص ٤٢.

(٤٤) – ابن فرحون : الديباج المذهب ،ج١،ص٣٩٩.

(٤٥) – عبد الغني محمود عبد العاطي ،التنظيم في مصر في العصرين الأيوبي و المملوكي ،دار المعارف ،القاهرة،١٩٨٤،ص ٣٩.

(٤٦) – أخبار الدول المنقطعة ،ص ١٥٤ –١٥٥.

عن أسرة بني حديد يشير الدكتور عبد العزيز سالم و منهم بعض أفراد عن أسرة ابن حديدي ، و على رأسهم القاضي مكين الدولة أحمد بن عبد المجيد بن حديدي . و كانت هذه الأسرة من الأسرات البارزة في طليطلة في عصر الطوائف و قد تولى أفرادها أهم مناصب شنكة طليطلة ، و كان منهم أحمد بن حديدي ، الذي أقام مسجد قباب المردوم من ماله الخاص سنة ٤٩٠ هـ. أنظر : تاريخ الإسكندرية ، ص ٢١٦ ،هامش رقم ٢ ؛ تخطيط مدينة الإسكندرية و عمرانها في العصر الإسلامي ،دار المعارف ، ثسانه ، ٧٨.

وأول من تولى قضاء الإسكندرية من أسرة ابن حديد القاضي أبو الحسن زيد بن الحسن بن حديد بعد القاضي ابن عمار الذي قتله الوزير الأفضل في قلعة بزار بن المستنصر عام ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م ، و عالج الأفضل في إكرامه و إكرام أهل بيته . ، ثم تولى بعد وفاته أبي أخيه عبد المجيد بن أحمد بن الحسن بن حديد ، ثم تولى قضاء الإسكندرية بعد وفاته ابنه القاضي مكين الدولة أحمد بن عبد المجيد حتى وفاته عام ٥٢٨ هـ /١١٣٤ م ،ثم تولى قضاء الإسكندرية بعده أخوه أبو علي الحسين بن عبد المجيد . السلفي : معجم السفر ،ص ٥٣؛ ابن ميسر :المنتقى من أخبار مصر، ص٩٣ ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ،ص ١٥٥ ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ،ج٣،ص ٩٥، المقفى الكبير،ج٦، ص٤٠٣.

(٤٧) – القاضي مكين الدولة أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن بن حديد بن حمدون الكتاني ، ولد عام ٤٦٣ هـ/ ١٠٦٨ م بالإسكندرية ،و قد جمع بين وظيفة القضاء و النظر في الإسكندرية ،و وصل إلى درجة عالية من الثراء و الثروة حتى عد من أغنياء عصره. أنظر :السلفي : معجم السفر ،ص ٥٣ – ٥٤ ؛ ابن ماكولا : إكمال الكمال،ج٣،ص٥٧ ؛ منصور بن سليم : ذيل تكملة الأكمال ،ص ٢١٤ الشيال :تاريخ مدينة الإسكندرية ،ص٤٧ – ٤٨؛ عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية ،ص ٣١٦.

و يشير المقريزي عدي الشراء الذي كان يقوم به القاضي مكين . حيث " كان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام، وهو قطعة واحدة ويتحدر فيه الماء فيبقى كالبركة من كبره، وكان يجد في نفسه برؤيته زيادة على أهل النعم، وتباهيا في عصره، فرشى به للدولة لخصومة الأمر، فسألت الخليفة الآمر في حمل الجرن إليها، فأرسل إلى ابن حديد باختيار الجرن، فلم يجد بداً من دفعه من البستان، فلما صار إلى الآمر أمر بعمله في الموذج، فخلق ابن حديد،وصارت في قلبه حرارة من أخذ الجرن، فاتخذ بخدم الدولة، ومن يتردد بها بأنواع الخدمة العظيمة الخارجة عن الحد في الكثرة حتى قالت الدولة: هذا الرجل أعجلنا بكثرة خدمه،ولم يمكننا قط شكراً نقدر عليه عند الخليفة مرة،فلما قبل له هذا القول عنها قال: ما في حاجة بعد الدعاء في بحفظ مكانها، وطول حياتها في عز ردد القصائد التي قالت من داري التي بنيتها في أيامها من بعضهم ترد إلى مكانها، فعجبت من ذلك، وردتها عليه، فقيل له: حصلت في حد أن حوتك البدرية في جمع المطالب، فوثب الملك إلى قطعة حجر، فقال: لا أعرف بنفسي، ما كان لها أصل سوى أن لا تطلب في أحد ذلك الحجر من مكانه، وقد بلغها الله أملها " .

كما يذكر أيضا عن طاهر محمد فقد "حدث أن مرضي والي الإسكندرية للوزير أخو الوزير الفاطمي المأمون بن البطائحي ف" وصف له الطبيب دهن شيح والقاضي مكين الدولة حاضر، فأمر في الحال بعشر علمائه بالمضي إلى داره ليحضر الدهن المذكور، فلم يكن أكثر من مسافة الطريق حتى أحضر صرآ مختوماً فقك عنه، فوجد فيه منديل لطيف عازم مذهب على مداقه بالدور فيه ثلاث بيوت كل بيت عليه قفل ذهب مشبكة مرصعة بياقوت وجوهر؛ بيت دهن بنفسج، وبيت دهن بكافور، وبيت دهن بعير طيب، ولم يكن فيه شيء مقصوع لوقته. فلما رآه الوزير والحاضرون عجبوا من علو قيمة القاضي وجليل مكانته وسعة نفسه؛ وحلف القاضي الحرام إن عاد إلى مملكه فقال للوزير: قد قبلته عنك ليس لحاجة إليه، ولا نظر في قيمته، بل لإظهار هذه الهمة وإذاعتها. وذكر أن قيمة المذاف المذكور خمسمائة دينار".

انظر : المقريزي :الخطط ،ج ٣،ص٢٩٥؛ المقري : نفح الطيب،ج٢،ص ٢٩٢ – ٢٩٤.

(٤٨) – المقفى الكبير ،ج٦،ص ٥٠٥.

(٤٩) – معجم السفر ،ص ٥٤.

(٥٠) – المقريزي ؛الخطط ، ج٣،ص ٢٩٥ ؛ المقري : نفح الطيب ،ج٢،ص ٢٩٢

(٥١) – ابن ميسر :أخبار مصر، ص٩٢؛ المقريزي : المقفى ،ج١ ،ص٥٠٥ ،رقم ٤٩٠؛ اتعاظ الحنفا،ج٣،ص١٥١.

في حين يذكر الحافظ السلفي أنه " توفي بقرب قفر رشيد في موكب سلطاني وهو راجع من مصر فحمل إلى الإسكندرية وصلي عليه في مقبرة الدينار — كوم الدكة — وحضره خلق لا يحصون كثرة ورد الى داره ودفن في بستان بناه بجنبها في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين — و خمسمائة — "معجم السفر ،ص٥٤.

(٥٢) – أحمد أحمد بدوي :الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية : القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص٥٥.

(٥٣) – معجم السفر ،ص ١٧١.

(٥٤) – المقفى الكبير ،ج٧،ص٢٥.

(٥٥) – السلفي: معجم السفر، ص ٥٣، ٩١، ١٧١ ؛ ابن ما كولا : إكمال الكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف و المختلف في الأسماء و الكنى و الأنساب ، دار الكتاب الإسلامي ج ٤،ص ٢٣٥؛ ابن نقطة : تكملة الإكمال ج ٥ ،ص ٤٢١ برقم ٥٧٥٢ ؛ منصور بن سليم : ذيل تكملة الإكمال ،ج١ ،ص ٣١٠ .

(٥٦) – معجم السفر ، ص ٩٠ – ٩١ ، ١٧١.

(٥٧) – معجم السفر ،ص ٢٣.

(٥٨) – معجم السفر، ص ١٧١ .

(٥٩) – المقريزي :الكمال وفيات النقلة ،ج٣، ص ٩٠٦.

(٦٠) – محمد بن محمد بن سلامة يوسف بن علي بن حمد الدائم ، ولد بالإسكندرية عام ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م و توفي بالقاهرة عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣م.

انظر : القلقشندي : تكملة رفيات النقلة ،ج٣،ص١٠٦، رقم ١٩٤٢، المقريزي : المقفى الكبير ،ج٧ ،ص ٣٥ ، رقم ٣٠٩.

(٦١) — ابن فرحون :الديباج المذهب ،ج١،ص ٢٤٣.

(٦٢) — الوزير الفاطمي رضوان بن ولخشي تولى الوزارة عام ٥٣١ هـ /١١٣٧ م ، للخليفة الحافظ لدين الله ، و قبلها تولى ولاية فوص و تنيس عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٤ م ،ثم تولى ولاية عسقلان بالشام عام ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م ،ثم تولى ولاية الغربية ،ثم خرج على الوزير هزام الارمني و هزمه و اصطر الحافظ على توليه الوزارة حلفاً لجهزام في ١١ جمادي الأولى عام ٥٣١هـ،و لقب ب " السيد الأجل الأفضل ، أمير الجيوش ، سيف الإسلام ، ناصر الإمام، كافل قضاة المسلمين ،و هادي دعاة المؤمنين ،أمير الفتح رضوان الحافظي " و هو أول وزير سني يتولى الوزارة للفاطميين ، و بدأ إصلاحاته باستخدام المسلمين في الوظائف بدلاً من النصارى ، و أنشأ ديواناً للجهاد ، و تشدد مع النصارى من أصحاب جزام ، و في عام ٥٣٣هـ/١١٣٩م فر رضوان إلى صرخد ببلاد الشام ، ثم عاد من صرخد في جيش كبير في أوائل عام ١١٤٠م و لكنه هزم و اعتقل في القصر حتى عام٥٤٣هـ / ١١٤٧م،حيث فر من اعتقاله ،و لكنه قتل على يد الجند السودان ،و قد وصفه ابن ميسر بأنه " سنياً حسن الاعتقاد، شجاعاً شديد البأس " انظر :-ابن ظافر الأزدي :أخبار الدول المنقطعة ص ٩٨ — ٩٩ ؛ ابن ميسر . المنتقى من أخبار مصر، ص ١٢٥-١٣٧، ١٣٢ — ١٣٨ ؛ الذهبي : غاية الأرب ،ج٢٨ ،ص٣٠٣ — ٣٠٦ ؛ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٠ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ،ج٨،ص ٣٤٣ — ٣٤٣ ؛ المقريزي :اتعاظ الحنفا ،ج٣ ،ص ١٣٧ — ١٤٠ ، ١٥٧ — ١٧٣ ، ١٨٢، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ٢١٨ ، ٢٥١ ، ٢٦١ ، ١٣٢٤ ؛ ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ،ج٥،ص ٢٨٠.

و هناك من يرى أن هذه المدرسة أنشئت في وزارة أحمد بن الأفضل في عهد الحافظ . انظر سعيد إسماعيل علي : معاهد التربية الإسلامية ، دار المفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٦ ،ص ٣٦٤ .

(٦٣) — الحافظ لدين الله : أبو ميمون عبد الحميد بن أبي القاسم محمد بن المستنصر بالله معد بن الظاهر لإعزاز دين الله علي بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله تولى الخلافة بعد قتل الخليفة الآمر عام ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م ،الذي لم يترك ورثة ذو لكنه ترك إحدى زوجاته حاملاً ، و حتى يولد هذا المولود ،تم اختيار ابن عمه ابو الميمون عبد الحميد الأكبر مساً والبا للعهد و لتدبير المملكة ، و لكنه تولى الخلافة عام ٥٢٥ هـ / ١١٣١ م و أستمر فيها حتى وفاته عام ٥٤٤هـ / ١١٤٩ م .الأزدي : أخبار الدول المنقطعة ،ص ٩٤ — ١٠٩ ؛ ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر ،ص ١١٣ — ١١٧ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ،ج٣، ص ٢٣٥ — ٢٣٧ ،رقم ٤٠٧؛ الذهبي :غاية الأرب،ج٢٨،ص٢٩٦؛ابن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ،ج ١٩ ،ص ٨٥-٨٦ ،رقم ٧٢٣٩؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ،ج٣ ،ص١٣٧ — ١٩٢ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ،ج٥،ص ١٣٨٩؛ جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ،ج١، ص ٨١ — ١١٤ .

(٦٤) — إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسى بن عوف بن يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن جهد بن عبد الرحمن بن عوف : القرشي الزهري ،السكندري ، رشيد الدين ،جمال الفقهاء ، صدر الإسلام ،المعروف بأبي طاهر ابن عوف المالكي ، ولد بالإسكندرية عام ٤٨٥هـ/٩٢ ، م ، و تعلم على زوج خالته الفقيه أبي بكر الطرطوشي ، كون ابن عوف أسرة اشتهر بالتعليم و تخصص على المذهب المالكي ،و وجد منهم سبعة علماء في وقت واحد ، و كانوا

إذا دخلوا على الخليفة سند بن عنان يقول لهم أهل بالفقهاء السبعة ، و قد أشترك أبو طاهر بن عوف في الدفاع عن الإسكندرية أثناء حصار الوزير الفاطمي شاور و ملك نمشكة بنت المقدس الصليبية عموري الأول لقوات نور الدين محمود بقيادة صلاح الدين بن أيوب ،و عرف له صلاح الدين ذلك ، و كان يعظمه و يراسله و يستفتيه ، و كان السبب في تجديد المصادر بثغر الإسكندرية . و قد رحل له و معه أولاده لحضور مجلس علمه ، وتولى بالإسكندرية عام ٥٨١هـ/١١٨٤م . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢١ ص٢٠٩ ، الأعلام بوفيات الأعلام ص٢٣٩ ، ابن فرحون ، الديباج ، جـ١ ص٢٩٢ — ٢٩٣ ؛ ابن تغرى الصفدي : الوافي ، جـ٩ ص٢٢٨ رقم ٤١٣٢ ؛ المقريزي : المقفى ، جـ٢، ص١٨٣-١٨٤ رقم٧٨٣ ؛ السيوري : شجرة النور الزكية ، جـ١ ، ص٤٤ ، رقم ٢٥ ؛ السيوطي : حسن ، جـ١ ، ص٤٥٢-٤٥٣ ؛ ابن العماد : شذرات ، جـ٤، ص٣٦٨ ؛ الشيال : أول أستاذ ، ص٢٧-٢٩ ؛ أعلام الإسكندرية ص١٠٦ .

(٦٥) — ابن ميسر :المنتقى من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، ١٩٨١، ص١٣٠.

(٦٦) — المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا،ج٣، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م ،ص ١٦٧.

(٦٧) — النويري:نهاية الأرب في فنون الأدب،ج٢٨ تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،١٩٩٢،ص ٣٠٤.

(٦٨) — أيمن فؤاد سيد :المدارس في مصر ،ص ١١٦- ١١٩ ؛ الدولة الفاطمية في مصر،ص ٥٩٩ — ٥٩٢.

(٦٩) — صبح الأعشى ،ج١٠ ،ص ٤٥٨.

قام المرحوم الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال بدراسة حول هذه المدرسة و أستاذها ، و اعتمد في ذلك اعتماداً كبيراً على هذا السجل الذي أورده القلقشندي : و قد خلص إلى أن المدرسة قد بنيت في أيام الخليفة الحافظ لدين الله ، و ذلك بخويض من وزيره رضوان بن ولخشي ، و أن أبا الطاهر بن عوف يعد أول أستاذ بتلك المدرسة التي تعتبر أول مدرسة عملت بديار مصر

جمال الدين الشيال . أول أستاذ لأول مدرسة في الإسكندرية الإسلامية ، مجلة كلية الآداب ،جامعة الإسكندرية ،مج١١،عام ١٩٥٧،ص ٣- ٢٩؛ أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي،ص ١٠٥ — ١٢٧؛ تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي ،الطبعة الثانية، دار المعارف ،القاهرة ،د. ت. ،ص٤٦.

(٧٠) — محمد حمدي المناوي : الوزارة و الوزراء في العصر الفاطمي ،ص ١٠٧؛ مصطفى شيحة : دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية و المدرسة السنية ، ضمن ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية ،ص ٤١٧ .

(٧١) — القلقشندي: صبح الأعشى،ج١٠ ،ص٤٥٨؛النويري المكندري : الإلمام ،ج٥،ص٣٨٠.

(٧٢) — وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون المؤرخة بتاريخ ١٣ جمادي الأولى ٧٢٦هـ/١٩ أبريل عام ١٣٢٦م: دراسة ونشر وتحقيق محمد محمد أمين، ملاحق كتاب تذكرة النبيه لابن حبيب الحلبي، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢ ، ص٤٢٨-٤٣٠ ؛ أسطر أرقام ١٥ ، ١٦ ، ٢٦-٢٨ . و من هذا النص

يمكن أن نحدد موقع هذه المدرسة في شارع الحجة المظلمي ــ شارع الحرية اليوم، و بخاصة في الجزء المعروف الذي يشارع قراد، و بالتحديد في الحيز الموجود حاليا بين شارع صفية زغلول شرقا موقع عمارة التأمين التي تحد جانبها الغربي شارع التي دانيال. انظر:ــ درويش النعيلي: دراسة جديدة في طوبوغرافية مدينة الإسكندرية زمن الملك الأشرف خليل، مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، ١٩٨٨، ص ١٧.

(٧٣) ــ أبو الحسن علي بن السلار الملقب بالعادل الكردي، و هو من الصبيان الجركسية ــ و هم مجموعة من الشباب كانوا يربون في حجر أبي جوار باب النصر أنشأها بدر الجمالي ليكونوا منهم جيشاً للدولة، حيث يقسمها إلى مجموعات، و يطلقون تدريباً على فنون القتال ــ تنقل في تولي العديد من الولايات في مصر، أخرها قبل الوزارة ولاية الإسكندرية، و عندما تولى الظافر الخلافة عين نجم الدين من مصال الوزارة، ولكن ابن السلار لم يرض فقد جرى بين مصال الوزارة، فقدم إلى القاهرة بعد أن جمع الجموع و استطاع أن يقتل ابن مصال و يجبر الظافر أن يوليه الوزارة، و قد أجرى ابن السلار اتصالات مع نور الدين محمود بلاد الشام، من أجل شن عمليات حربية مشتركة ضد الصليبيين، و لا مراء في أن الاتصالات التي جرت بين الجانبين دلت على أن الوزير الفاطمي ابن السلار السني المذهب عمل على التحلل من القيود المذهبية الإسماعيلية، ولكن ابن زوجته و الخليفة الظافر تآمرا عليه فمن السلار و قتل في فراشه في محرم سنة ٥٤٨ هـ / ٣ أبريل سنة ١١٥٣م.

عن ابن السلار. انظر:أسامة بن منقذ: كتاب الاعتبار،ص٧، ١٨؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ١١ ،ص١٨٤، ١٨٥؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان،ج ٨ ،ص ١٣٠؛أبو شامة :كتاب الروضتين، ج ١ ،ص ١٩٠، ١٩١؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ٣ ،ص ٤١٦ — ٤١٩؛ أبوالمحاسن: المنتظم،ج ٣ ،ص ١٢٧؛ ابن أيبك الدوادار الدرة المضية،ص ٥٥٢؛ الذهبي : دول الإسلام ، ج٢،ص ٤٦٣؛ العبر،ج ٤ ،ص ٢٣١، ٢٣٢؛ ابن الوردي : تتمة المختصر،ج ٢ ،ص ١٨٤؛ابن كثير : البداية والنهاية، ج ١٢ ،ص ٢٣١، المقريزي: اتعاظ الحنفا،ج٣،ص ١٣٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج٥، ص ٢٩٩ ؛ السيوطي : حسن المحاضرة،ج ٢ ،ص ١٢٠؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب،ج ٤، ص ١٤٩؛الشيزري : نهاية الأرب،ج٢٨،ص٣١١ — ٣١٥؛ محمد حلمي محمد أحمد : مصر و الشام و الصليبيون، القاهرة ١٩٧٩، ص ١٩١؛ محمد مؤنس أحمد عوض : في الصراع الإسلامي ــ الصليبي ، السياسة الخارجية للدولة النورية، دار عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، القاهرة،١٩٩٨،ص٨٢ — ١٨٣؛ أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية،ص٢٧٤ — ٢٧٧؛ محمد كامل حسين: دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ، دار الفكر العربي،القاهرة ١٩٥٧،ص ١٧؛الحياة الفكرية و الأدبية بمصر في العصر الفاطمي حتى آخر الدولة الفاطمية،ص٣٧؛ أحمد أحمد بدوي، الحياة العقلية، ص ٣١.

(٧٤) ــ الظافر بالله أبو منصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن المستنصر معد بن الظاهر علي بن الحاكم، أصغر أبناء الحافظ تولى الخلافة الفاطمية في يوم الأحد ٥ جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ هـ / ١٣ سبتمبر سنة ١١٤٩ م، و تلقب ب " الظافر بالله " أو " الظافر بأعداء الله " و استمر في الخلافة مدة خمسة أعوام، وكان شابا جميلا وسيما لعبا عاكفا على الأهواء، و قتل الظافر عام ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م.

عن الظافر انظر: أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص ٤٣ — ٤٤ ؛ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ،ص ٣٢٩ — ٣٣٠ ؛ ابن الطوير : نزهة المقلتين،ص ٦٧ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ١١ ،ص ٢٩٩؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ١ ،ص ٢٣٧ — ٢٣٨؛ الذهبي : العبر،ج ٤ ،ص ١٣٦؛ سير أعلام النبلاء،ج١٥،ص٢٠؛ابن كثير : البداية

والنهاية،ج ١٢،ص ١٢٣١؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا،ج٣،ص ١٩٣ — ٢٠١ ؛ ابن تغري بردي :النجوم الزاهرة،ج ٥ ،ص ٢٨٨ — ٢٩٧.

(٧٥) ــ السلفي: معجم السفر، ص ٣٩، ١٤٧، ١١٣ ، ١٦٩، ٢١٩، ٢٢٠، ٣٣٦، ٣٣٧، ٤٥١، ٤٥٦ ؛ ابن أيبك الصلدي ، الوافي ،ج ٢١،ص ١٣٨.

(ذكر أحمد الباجين أن هذه المدرسة هي نفسها المدرسة التي ذكرها القلقشندي في صبح الأعشى دون أن يحدد الجهة صدتها . انظر : عفاف صبرة: المدارس في العصر الأيوبي ،ص١٤٧ — ١٤٨ .

(٧٦) أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفه الأصفهاني السلفي، ولسلفه معناه بالفارسية الثلاثة شفاه حيث كانت شفته العليا مشقوقة، ولد ولد بأصفهان عام ٤٧٥هـ/١٠٨٧ م. ثم انتقل إلى بغداد وتعلم بها، ثم دخل دمشق و تتلمذ من صور إلى الإسكندرية و ذلك في عام ٥١١هـ /١١١٧ م ،وكان في نيته الرحيل إلى بلاد المغرب والأندلس، ولكنه استقر بالإسكندرية، وقد ترك لنا معجم شيوخه بالإسكندرية المسمى بـ " معجم السفر "، انظر: السمعاني: الأنساب،ج٧ ، ص ١٠٥ — ١٠٦ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق ،٨٠جزء، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمروي ، دار الفكر ، دمشق : ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ،ج٥، ٢٠٨ ،رقم ١٠٩ ؛ المديغاطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ، المجلد الثامن عشر من تاريخ بغداد ، تحقيق قيصر أبو فرح ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،١٩٩٧، ص٦٨ — ٦٩ ، رقم ١٤٥ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ،ج٨،ص٢٣٠ ؛ ابن الصلاح ، طبقات الشافعية ، ترجمة رقم ٦١٤ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ١ ص١٠٥ — ١٠٧ ، رقم ٤٤ ؛ ابن عبد الهادي : طبقات علماء الحديث ،ج٤ ،ص ٧٢ — ٧٤ ،رقم ١٠٦ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ٤٢ جزء ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٦ ، حوادث عام ٥٧٦ ، ص١٩٦ — ٢٠٧ ؛ سير أعلام النبلاء ، جـ٢١ ،ص ٥ ؛ العبر ، جـ٤ ، ص٢٢٧ ؛ الإعلام بوفيات الأعلام ، ص٢٣٧ ؛ ميزان الاعتدال في معرفة الرجال ، جـ١ ص١٥٥ ؛ الإسنوي : طبقات الشافعية ، حزامين ، تحقيق كمال يوسف ، الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ ، جـ١ ص٣٣٩؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ،ج٦، ٣٣، رقم ١٥٨٣؛ ابن كثير : طبقات الفقهاء الشافعيين ، جزءان ، تحقيق أحمد عمر هاشم ، مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة ، ١٩٩٣ ، جـ٢ ، ص٦٨٣—٦٨٩ ؛ المقريزي : المقفى ، جـ١ ص٧٠٦ رقم ٦٦٠ ؛ السلوك ، جـ١ ق٤ ص٧١؛ ابن قاضي شهبة : طبقات الفقهاء الشافعية. جزءان ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت ، جـ١، ص٣٢١—٣٢٦ ؛ السيوطي: طبقات الحفاظ ، رقم ١٠٤٧ ؛ ابن حجر : لسان الميزان ، جـ١ ص٢٩٩ ؛ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، تحقيق علي محمد البجاوي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٧٦ ، جـ٢ ، ص٧٣٨ ؛ ابن نقطة : تكملة الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص٢٨٩—٢٩٠ ؛ النباتي : أعلام الإسكندرية ،ص١٣٠ — ١٥٩.

(٧٧) — ابن خلكان:وفيات الأعيان،ج٣،ص ٤١٦.

(٧٨) — ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣،ص٤١٧؛السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ،ج٦،ص ٣٧ ؛ المقري : نفح الطيب ،ج٣،ص ٣٩٣، رقم ٣٨٩. سعيد إسماعيل علي: معاهد التربية الإسلامية، ص ٣٦٤

(٧٩) – ابن خلكان : وفيات الأعيان،ج١،ص١١٠؛ حسن ابراهيم حسن : الفاطميون في مصر ،ص ٢٩٦ ؛ انور أحمد بدوي : اخبار الحفلة ،ص ١٥٤ عبد اللطيف حمزة : الأدب المصري ،ص ٢٥.

(٨٠) – في كثير طبقات الفقهاء الشافعيين،ج٢،ص ٨٠٢.

(٨١) – المنذري: التكملة لوفيات النقلة،ج١،ص٤٥٠،رقم ٧١٨.

(٨٢) – منصور بن سليم: ذيل تكملة الإكمال،ج١،ص ١٦٥ – ١٦٦؛ الأسنوي : طبقات الشافعية،ج١،ص ١٣٠،رقم ٢٤٨

(٨٣) – السيوطي: حسن المحاضرة،ج١،ص ٤٠٨.

(٨٤) – أبو شامة : الروضتين

(٨٥) – ابن خلكان :وفيات الأعيان ،ج٣،ص ٤١٦.

(٨٦) – ابن أيبك الصفدي الوافي، جـ٢١، ص١٣٨ .

(٨٧) – كيي فؤاد سيد: المدارس في مصر،ص١١٩.

(٨٨) – السلفي:معجم السفر، ص ٢١٩ .

(٨٩) الأسنوي: طبقات الشافعية، جـ١ ، ص١٣٠ والمقصود بابن البوري أبو القاسم هبة الله بن محمد الدماطي ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م أحمد مدرسي هذه المدرسة ولذا سميت باسمه . النذر: المنذري: التكملة لوفيات النقلة، جـ١، ص٤٥٠، رقم٧١٨ ؛ ابن نقطة : تكملة الإكمال ، جـ١، ص٤٥٤، رقم ٩٩٥ ؛ منصور ابن سليم : ذيل لتكملة الإكمال ، جـ١ ص١٦٥، رقم ١٤٦ ؛ الذهبي : المشتبه ، ص٩٧ .

(٩١) – معجم السفر، ص ٣٦.

(٩٢) – احمد فكري . مساجد القاهرة و مدارسها ،ج٢، العصر الأيوبي ،ص١١٨.

(٩٣) – أحمد فكري : مساجد القاهرة و مدارسها،ص ١٣١.

(٩٤) – القفصي : بغية الملتمس،ص١٣٧.

(٩٥)– القفصي : بغية الملتمس ،ص ٢١٩

(٩٦) – المقريزي : المقفى الكبير ،ج٦،ص ٤٨.

(٩٧)– السلفي : معجم السفر،ص ١٤٧ ، رقم ٤٥٢.

(٩٨) المقريزي : المقفى ، جـ٧، ص٣٥٤ .

(٩٩) – القلقشندي : صبح الأعشى ،ج١٠،ص ٤٥٩.

(١٠٠) – السلفي : معجم السفر ،ص ٩٠ – ٩١.

(١٠١) – السلفي : معجم السفر، ص ١٧١ .

(١٠٢) – السلفي : معجم السفر ،ص ٩١.

(١٠٣) – السلفي :معجم السفر ،ص٤١٢ .

(١٠٤) – معجم السفر ،ص ٢٣٧.

(١٠٥) – معجم السفر ،ص ١٦٩.

(١٠٦) – السلفي . معجم السفر ،ص ٤٥٩ .

(١٠٧) ابن الأكفاني، إرشاد القاصد، ص١٤١؛ السيوطي، كتاب الثقلاء، ص٢٦٧، إتمام الدراية،ص٥٣

(١٠٨) – محمد كامل حسين - مخطوطات الفكرية و الأدبية بمصر من الفتح العربي حتى آخر الدولة الفاطمية ،ص٣٧.

(١٠٩) أوردت المصادر التاريخية وكتب الطبقات والمعاجم والفهارس أسماء المئات الذين أخذوا عن الحافظ السلفي

(١١٠) – المستفاد ،ص ٦٩.

(١١١)– السخاوي : الإعلان بالتوبيخ ، ص١٧٦

(١١٢) – المقريزي : السلوك ،ج١ ق١،ص ٦٣ .

(١١٣) – ابن ساء الملك (٥٥٠ – ٦٠٨ هـ) : ديوان ابن ساء الملك ، تحقيق محمد إبراهيم نصر ،مراجعة د. حسن نصار، الهيئة العامة لقصور الثقافة ،اخناتون (٩٩)، القاهرة ٢٠٠٣ ،ص٣٧٩؛ شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ،ج٦، ص٢٠٣ .

(١١٤) –ابن خلدون ، المقدمة ، جـ٣ ،ص١٠٤٠–١٠٤١ .

(١١٥) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، جـ١ ص٥٢ ؛ أحمد أحمد بدوي ، أخبار الحفلة ، ص١٢٦ .

(١١٦) حاجي خليفة ، نفسه ، جـ١ ص٥٤ ؛ الوزيباشي ، براميج الوزيباشي ، ص٢٧٠ .

(١١٧) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، جـ١ ص١١٦؛ السمعاني ، أدب الإملاء والاستملاء ، ص٣–١٤؛ محمد كمال الدين ، مجالس الإملاء في مصر في ظل حكم سلاطين المماليك ، تاريخ المدارس في مصر الإسلامية ، ص٣٨٧–٤٠٦ .

(١١٨) – السلفي : معجم السفر ،ص٤٥٦،١٦٣.

(١١٩) الكتاني ، فهرس الفهارس ، جـ٢ ، ص٦٠٩–٦١٠ ، ٦٦٤ ؛ عبد العزيز الأهواني ، كتب برامج العلماء في الأندلس ، مجلة المخطوطات العربية ، المجلد الأول ، العدد الأول ، ١٩٥٥ ، ص٩١ وما بعدها.

(١٢٠)– الذهبي : المعين في طبقات المحدثين ، ص٢٢٢ رقم ٥٨ ؛ السخاوي : الضوء ، جـ٢ ، ص١٢٥ : رقم ٣٧١ ، جـ٥ ص١٣ رقم ٢٣٩ ، جـ٨ ص١٩٦ رقم ٥١٦ ، جـ٩ ص٢١١ رقم ٥١٨ ؛ الكتاني ، نفسه جـ٢ ص٦٢٥، ٦٣١ .

(١٢١) — الكتاني : فهرس الفهارس ، جـ ٢، ص٦١٣ .

(١٢٢) — ابن عساكر : تاريخ دمشق ،ج٥ ،ص ٢٩٠ .

(١٢٣) الفقه : لغة العلم بالشيء والفهم له ، والفطنة وغلب على علم الدين لشرفه وفضله وفقه فقها فهو فقيه . انظر : الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ترتيب الطاهر أحمد الزاوي ، جـ٣، ص٥١٣ مادة و ف ق هـ) . فعرفه ابن خلدون بأنه " معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة ، وهي متلقاه من الكتاب والسنة ، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة ، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه... " وعرفه ابن الأكفاني بأنه " علم بأحكام التكاليف الشرعية العملية كالعبادات والمعاملات والعادات ونحوها . " انظر :ابن خلدون ، المقدمة ، جـ٣ ، ص١٠٤٥ ،ابن الأكفاني ، إرشاد القاصد ، ص٤٤ .

عن الفقه ومصطلحاته وخصائصه انظر : الغزالي ، كتاب المستصفى من علم الأصول ، بولاق ، ١٣٢٢هـ ص٤ ؛ النسفي ، كشف الأسرار ، بولاق ، ١٣١٦ ، ص٦ ؛ الشوكاني ، كتاب إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، القاهرة ، ١٣٢٧هـ ، ص٣

(١٢٤) يعد كتاب " المدونة " أهم كتب الفقه المالكي على الإطلاق جمع مسائلها عالم القيروان سحنون حيث أملاها عليه عالم الإسكندرية عبد الرحمن بن القاسم ، وكان سبقه إلى كتبه عليه المسائل أسد بن الفرات وسمي الكتاب بـ " الأسدية " نسبة إليه ، ولكن عندما لقي سحنون عالم الإسكندرية عبد الرحمن بن القاسم وجده تراجع عن كثير من آرائه التي وجدت في الأسدية وطلب من أسد بن الفرات مراجعة ما كتبه سحنون ولكن أسد من ذلك فترك الناس كتبه وسموا " مدونة " سحنون ، لذا يعد كتاب المدونة أهم أصل من أصول مذهب مالك ، بل هو الأصل الذي قام عليه الفقه المالكي حتى اليوم ، لها كثرة الشروح والتعليقات عليه . انظر : ابن خلدون ، المقدمة ، جـ٣ ص١٠٥٧ ؛ النباهي ، طبقات الفقهاء ، ص١٣٢-١٣٣ ؛ المالكي ، رياض النفوس ، ص٢٤٩-٢٩٠ ؛ الباقعي ، مرآة الجنان ، جـ٢ ص١٤١-١٣٢ ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، جـ٥ ص٢٢٤ ؛ سزكين ، تاريخ التراث العربي ، جـ٢، ص١٣٨ .

(١٢٥) ابن فرحون ، نفسه ، جـ١ ص٣٩٩ ؛ البغدادي ، هدية العارفين ، جـ١ ص٢٢١ .

(١٢٦) المنستيري ، شجرة النور : جـ١ ص١٢٥ رقم٣٦٩ ؛ سزكين ، تاريخ التراث العربي ، جـ٢ ص١٤٠

(١٢٧) — حاجي خليفة :كشف الظنون ،ج٢،ص١٨٤١؛البغدادي . هدية العارفين ج١،ص ٤٤٧ .

(١٢٨) — الشمال : أبو بكر الطرطوشي :ص ٧٧: أعلام الإسكندرية ،ص ٨٢.

(١٢٩) ابن فرحون ، الديباج ، جـ١ ص٢٩٣ ؛ المنستيري ، شجرة النور الزكية ، جـ١ ، ص١٦٥ رقم٥١٦؛ ابتسام مرهج ، العلاقات بين سلالة الموحدية والشرق الإسلامي ، ص٣٥١

(١٣٠) — الطرطوشي :الحوادث والبدع ،تحقيق محمد الطالبي ، تونس ، ١٩٥٩م؛ الشمال : أبو بكر الطرطوشي ،ص ٩٠ -١٠٣.

(١٣١) — عن معركة البابين . انظر: ابن واصل :مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ،مطبعة جامعة فؤاد الاول ، القاهرة،١٩٥٣، الجزء الأول ،ص١٥٠ — ١٥٦ ؛ قايز نجيب إسكندر : " الصليبيون و

مماليكهم و الزنكيون في معركة البابين (١٨ مارس سنة ١١٦٧ م / ٢٥ جمادي الأولى سنة ٥٦٣ هـ) ، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى ،الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ٢٠٠٣،ص١١٧ — ١٤٥ .

(١٣٢) — أبو شامة : الروضتين ،ج١ق٢،ص ٤٢٦ — ٤٢٧ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ،ج١،ص١٥١؛ القرماني : أخبار الخلفا ،ج٣،ص ٣٨٢، محمود سعيد عمران :حصار الصليبيين و القوات الفاطمية لصلاح الدين في مدينة الإسكندرية (٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م) ضمن كتاب تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ٢٠٠١،ص١٤٥.

(١٣٣) — النويري : نهاية الأرب ،ج٢٨،ص٣٣٦ — ٣٣٧.

(١٣٤) — أبو شامة . كتاب الروضتين ،ج١ق٢،ص٤٠٥ ؛ أحمد فؤاد سيد : تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب ، مكتبة مدبولي ،القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٩٦-٩٧.

قائمة المصادر و المراجع

أولاً: الوثائق المنشورة:-

وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون، مؤرخة ٨ جمادى الأولى ٧٢٦هـ/١ مايو ١٣٢٦م دار الوثائق القومية رقم ٢٥ محفظة ٤ ، ورقم ٣١ محفظة ٥ ؛ نشر د. محمد محمد أمين، ملاحق كتاب تذكرة النبيه لابن حبيب، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٨٢ .

ثانياً: المصادر العربية:-

- ابن الآبار : أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ، ت ٦٥٩هـ/١٢٦١م.التكملة لكتاب الصلة، جزءان ، نشر السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، ١٩٥٥-١٩٥٦ ؛المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، القاهرة، ١٩٦٧ ؛الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

- ابن الأثير: عز الدين ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨

- ابن الأثير: أبي العلوات المبارك بن محمد الشيباني الجزري، ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م .النهاية في غريب الحديث والأثر، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦هـ .

- الإدريسي:أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي من علماء القرن السادس الهجري.نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

- الأسنوي: جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي، ت ٧٧٢هـ/١٣٩٦م .طبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧

- الاصطخري: أبي اسحاق الفارسي، ت ق ٤هـ/١٠م . كتاب مسالك الممالك، ليدن، ١٩٢٧ .

- ابن الأكفاني: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري البخاري، ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م .كتاب إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، نشر بالد يوسف ويتكام، دار نرلوخت، ليدن، ١٩٨٩ .

- ابن إياس: أبي البركات محمد بن أحمد الحنفي، ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م .بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤ .

- ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م .كنز الدرر وجامع الغرر:

جـ٦: ؛ الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية "، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٦١ .

- ابن ايبك الصفدي: صلاح الدين أبو الصفا خليل بن أيبك، ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م . الوافي بالوفيات، صدر منه ٢٢ جزء وافياتي مخطوط، نشر جمعية المستشرقين الألمانية، فيسبادون.كما استخدم في البحث نسخة كاملة ٢٩ جزء، تحقيق أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م.

- ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال، ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م .كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، جزءان نشر السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، ١٩٥٥ .

- البكري: أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب، ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م .المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، نشر دي سيلان، الجزائر، ١٩١١ .

- ابن تغري بردي: جمال الدين يوسف بن تغري بردي، ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م .النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزء، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٩-١٩٧٢ .

- التنبكتي : أحمد بابا التنبكتي التكروري السوداني ، ت ١٠٣٦هـ/١٦٣١م .شجرة النور الزكية ،دار الفكر د. ت.

- الثعالبي : أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابور ، ت ٤٢٩هـ/١٠٣٨م .فقه اللغة وسر العربية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

- ابن الجزري : شمس الدين محمد بن محمد ، ت ٨٣٣هـ/١٤٢٩م .غاية النهاية في طبقات القراء ، تحقيق برجستراسر ، القاهرة ، ١٩٣٣ .

- الجوهري : إسماعيل بن حماد .الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤ .

– ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي ، ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م .رفع الإصر عن قضاة مصر ، حامد عبد المجيد ، القاهرة ، ١٩٥٧–١٩٦٢ .

– الحسيني الدمشقي : شمس الدين أبي المحاسن محمد بن علي بن الحسن ، ت ٧٦٥هـ/١٣٦٣م.ذيل تذكرة الحفاظ ، دمشق ، ١٣٤٧هـ ؛ ذيل العبر في خبر من غبر (٧٤١–٧٦٤هـ) .

– الحميدي : أبي عبد الله محمد بن فتوح ، ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

– الحموي : محمد بن عبد المنعم ، ت ٧٢٧هـ/١٣٢٧م .الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٤ .

– ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن علي النصيبي ، ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م .صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٩٢ .

– ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م .تاريخ ابن خلدون ، بيروت، ١٩٧٩ ؛مقدمة ابن خلدون ، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، نهضة مصر ، د.ت .

– ابن خلكان : أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر ، ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٨ .– –

الداودي : شمس الدين محمد بن علي بن أحمد ، ت ٩٤٥هـ/١٥٣٨م .طبقات المفسرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

– ابن دقماق : إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ، ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م .الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، الرياض ١٩٨٦ .

– الدمشقي : شيخ الربوة شمس الدين محمد بن أبي طالب ، ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، نشر Merhen ، ليبزج ، ١٩٢٣ .

– الذهبي : محمد بن أحمد بن قايماز ، ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م .الإعلام بوفيات الأعلام: تحقيق رياض عبد الحميد مراد ، ط١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٩١ ؛ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ٤٢ جزء ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٦ ؛ تذكرة الحفاظ ، ط٣ ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ،

١٣٧٦هـ/١٩٥٧م ؛دول الإسلام ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٧٤ .سير أعلام النبلاء ، تحقيق بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥ ؛طبقات القراء ، ٣ أجزاء ، تحقيق أحمد خان ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٧ ؛ العبر في طبقات المحدثين ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، دار الصحوة ، القاهرة ، ١٩٨٧ ؛العبر في خبر من غبر ، ٥ أجزاء ، بيروت ، د.ت.

– الرازي : محمد بن أبي بكر الرازي :مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر ، دار الحديث ، القاهرة ، د.ت.

– الزبيدي : محمد مرتضى الزبيدي ، ت ١٢٠٥هـ/١٧١٩م .تاج العروس من جواهر القاموس ، بيروت ، د.ت.

– السبكي : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ، ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م.طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، د . ت .

– السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد ، ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م .الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، القاهرة ، د.ت.

– ابن سعيد المغربي : علي بن موسى بن محمد ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م .المغرب في حلى المغرب، تحقيق زكي محمد حسن وآخرون ، القاهرة ، ١٩٥٣ .المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، القاهرة ، ١٩٥٣ .النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ، تحقيق حسين نصار، ط٢ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي ، بيروت ، ١٩٧٠ .

– السمعاني : أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ، ٥٦٢هـ/١١٦٦م .أدب الإملاء والاستملاء ، تحقيق ماكس فايسفايلر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨١ .

– السلفي : أبوطاهر السلفي ٥٧٦هـ/١١٨٠م .معجم السفر ، مكة المكرمة ، د.ت.

– السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر ، ت ٩١١هـ/١٥٠٥م .حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧ ؛ طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣ .بغية الوعاة في طبقات اللغويين

والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، ١٩٦٤ .طبقات المفسرين ، طهران ، ١٩٦٠ .كتاب الكفاية ، القاهرة ، ١٣١٧هـ .كتاب إتمام الدراية لقراء النقاية ، القاهرة ، ١٣١٧هـ .تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

– ابن شاكر الكتبي : محمد بن شاكر بن أحمد ، ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م .فوات الوفيات ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٣ .

–أبو شامة : شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي ، ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م .كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

– ابن شداد : بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم ، ت ٦٣٢هـ/١٢٣٩م النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط٢ ، الخانجي، القاهرة ، ١٩٩٤ .

– الشيرازي : أبو إسحاق إبراهيم بن علي ، ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م .طبقات الفقهاء ، بغداد ، ١٣٥٦هـ .

– ابن الصابوني : جمال الدين أبي حامد محمد بن علي الخمودي ، ت ٦٨٠هـ/١٢٨١م تكملة إكمال الأكمال ، تحقيق مصطفى جواد ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٥٧ .

– ابن الصلاح : أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ، ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م طبقات الفقهاء الشافعية ، تحقيق محيي الدين علي نجيب ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ، ١٩٩٢ . – الضبي : أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ، ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م .بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

– ابن الطوير : عبد السلام بن حسن القيسراني ، ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م .نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، بناء ونشر أيمن فؤاد سيد ، بيروت ، ١٩٩٢.

– ابن ظافر الأزدي : بدائع البداهة ، دار الطباعة الأميرية المصرية ، ١٢٧٨هـ .أخبار الدول المنقطعة ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،

– العبادي : ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ، تحقيق أحمد عمر هاشم ، محمد زينهم عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

– ابن عبد الحق :صفي الدين بن عبد المؤمن البغدادي ، ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م .مراصد الاطلاع عن أسماء الأمكنة ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

– ابن العماد :أبوالفلاح عبد الحي الحنبلي ، ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ، د.ت.

–ابن العماد الأصفهاني :محمد بن محمد الأصفهاني الشهير بالعماد الكاتب ، ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م .خريدة القصر وجريدة العصر ، قسم شعراء مصر.

ابن العمادية : وجيه الدين منصور بن سليم الإسكندراني ، ت ٦٧٣هـ/١٢٧٤م .ذيل تكملة الإكمال ، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي ، مكة المكرمة ، ١٤١٩هـ

عياض : القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي ، ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م .ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق أحمد بكير محمود ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٧

ابن فارس . أبو الحسين أحمد بن فارس ، ت د.مقاييس اللغة ، ط٢ ، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة ، ١٣٨٩هـ .

– أبو الفدا : عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر الأيوبي ، ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م:المختصر في أخبار البشر ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ .تقويم البلدان، دار صادر : بيروت ، د.ت.

– ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ، ت ٨٠٧هـ /١٤٠٤م تاريخ ابن الفرات ، المجلد الرابع ، تحقيق حسن محمد الشماع ، جامعة البصرة، البصرة ، د.ت.

– ابن فرحون المالكي : برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد ، ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م:الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق محمد الأحمدي أبوالنور، دار التراث ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

– ابن القرضي : عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي ، ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م .تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، نشر السيد عزت العطار ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .

– ابن قهد المكي : محمد بن محمد بن قهد ، ت ٨٧١هـ/١٤٦٦م .لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ ، دمشق ، ١٣٤٧هـ .

– الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب ، ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م .القاموس المحيط ، ترتيب الطاهر أحمد الزاوي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

– ابن قاضي شهبة : تقي الدين أبوبكر بن أحمد ، ت. ٨٥١هـ/١٤٤٧م .طبقات الفقهاء الشافعية ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت. طبقات النحاة واللغويين ، تحقيق محسن عياض ، بغداد ، ١٩٧٤

– القزويني : زكريا بن محمد بن محمود ، ت. ٦٨٢هـ/١٢٨٣م .آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.

– القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي ، ت. ٨٢١هـ/١٤١٨م .صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، القاهرة ، ١٩١٩– ١٩٢٣ .

– ابن كثير الدمشقي : عماد الدين إسماعيل بن عمر ، ت. ٧٧٤هـ/١٣٧٢م .البداية والنهاية ، ١٤ جزء ، دار الكتب العلمية ، ط٣ ، بيروت، ١٩٨٧ .طبقات الفقهاء الشافعيين تحقيق أحمد عمر هاشم ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

– مالك بن أنس : أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك ، ت. ١٧٩هـ/٧٩٥م .الموطأ ، رواية يحيى بن يحيى ، تحقيق بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٧ .

ابن المأمون البطائحي : أخبار مصر ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

– المراكشي : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري ، ت. ٧٠٣هـ/١٣٠٣م الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق محمد بن شريفة ، المغرب ، ١٩٨٤ .

– المقدسي : محمد بن أحمد المقدسي المعروف بالبشاري ، ت. ٣٩٠هـ/٩٩٩م .أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٣ ، ليدن ، ١٩٦٧ .

– المقري : أحمد بن محمد المقري التلمساني ، ت. ١٠٤١هـ/١٦٣١م . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، ١٩٨٨ .أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ، ١٩٣٩ .

– المقريزي : أحمد بن علي ، ت. ٨٤٥هـ/١٤٤٢م .السلوك لمعرفة دول الملوك ٤ أجزاء تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، ١٩٣٦ – ١٩٧٣ .المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، د.ت. المقفى الكبير ، ٨ أجزاء تحقيق محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ١٩٨٩ – ١٩٩٢ .اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، الجزء الأول ، تحقيق جمال الدين الشيال ، الجزء الثاني والثالث، تحقيق محمد حلمي محمد ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٩٦ .

– ابن ماتي : الأسعد بن مماتي ، ت. ٦٠٦هـ/١٢٠٩م .قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ، ١٩٤٣ .

– المنذري : عبد العظيم بن عبد القوي ، ت. ٦٥٦هـ/١٢٥٨م .التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق بشار عواد معروف ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨١ .

– المنصوري : محمد بن محمد بن مخلوف ، ت.ق ١١هـ/١٧م .شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة ، د.ت.

– ابن منظور : محمد بن أبي العز المصري ، ت. ٧١١هـ/١٣١١م .لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت.

– ابن ميسر : محمد بن علي بن جلب بن راغب ، ت. ٦٧٧ هـ /١٢٧٨م .المنتقى من أخبار مصر ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨١ .

القاهرة، ١٩٩٣ .

– النويري : أحمد بن عبد الوهاب ، ت. ٧٣٢هـ/١٣٣١م .نهاية الأرب في فنون الأدب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٣١ جزء ، القاهرة ، ١٩٢٣ – ١٩٩٢ .

– النويري السكندري : محمد بن قاسم بن محمد ، ت. بعد عام ٧٧٧هـ/١٣٧٥م .الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية ، ٧أجزاء ، تحقيق أنيس كوسب وعزيز سوريال عطية ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٩٦٨ – ١٩٧٦ .

– ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم ، ت. ٦٩٧هـ/١٢٩٨م .مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج١–٣ تحقيق جمال الدين الشيال ، ١٩٥٣–١٩٦٠

– اليافعي : أبو محمد عبد الله بن أسعد ، ت. ٧٦٨هـ/١٣٦٦م .مرآة الجنان وعبرة اليقظان : بيروت ، ١٩٧٠ .

– ياقوت : أبو عبد الله الرومي ، ت. ٦٢٦هـ/١٢٢٩م .معجم البلدان دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٤ .المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٦ .إرشاد القريب أو معجم الأدباء ، القاهرة ، ١٩٢٣ .

ثانيا :المراجع العربية والمعربة :–

– ابتسام مرعي خلف الله ، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥ .

– إبراهيم بن محمد المزيني ، رحلات المغاربة إلى المشرق الإسلامي في عصر الحروب الصليبية، الدوة بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق ، اتحاد المؤرخين العرب ، ١٩٩٧ .

– أحمد أحمد بدوي ، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، القاهرة ، ١٩٤٧ . الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، القاهرة ، د.ت.

– أحمد رمضان أحمد ، الرحلة والرحالة المسلمون ، دار البيان العربي ، جدة ، د.ت.

– أحمد سيد محمد ، الشخصية المصرية في الأدبين الفاطمي والأيوبي ، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٩٢ .

– أحمد سعيد ، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي ، دار الشرق الجديد : بيروت ، د.ت.

– أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩

– إسماعيل البغدادي ، هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، جزءان ، استانبول ، ١٩٥١ .إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، استانبول ، ١٩٤٥ .

– أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٢ المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي ، ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية ، سلسلة تاريخ المصريين رقم ٥١ ، القاهرة ، ١٩٩٢ .

– جمال الدين الشيال ، الإسكندرية ، طوبوغرافية المدينة وتطورها منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر ، المجلة التاريخية المصرية ، أكتوبر ١٩٤٩ ، دار المعارف، ١٩٥٢ .أول أستاذ لأول مدرسة في الإسكندرية الإسلامية ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، العدد ١١ ، ١٩٥٧ .

الصلات الثقافية بين الإسكندرية وبلاد المغرب في العصر الإسلامي ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، العدد ١٥ ، ١٩٩١ . أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ .أبو بكر الطرطوشي ، القاهرة ، ١٩٦٨ .تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .

– حسن عبد الوهاب ، الإسكندرية في العصر الإسلامي ، مجلة الكتاب ، يناير١٩٤٧ .تاريخ المساجد الأثرية : ط٢ ، بيروت، ١٩

– حسين أمين ، المدارس الإسلامية في العصر العباسي وأثرها في تطوير التعليم ، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية في ذكرى الدكتور أحمد فكري ، الإسكندرية، ١٩٨٣ .

خطاب عطية ، التعليم في العصر الفاطمي الأول ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

– درويش النخيلي :أضواء جديدة على أسوار الإسكندرية على أوساط الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٧ .دراسة جديدة في طوبوغرافية مدينة الإسكندرية زمن الملك الأشرف شعبان ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٨ .– سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، القاهرة ، ١٩٧١ .تطور العمائر الإسلامية تطور وظائفها ، المجلة التاريخية المصرية ، مج ١٨ ، ١٩٧١ .

– سعد زغلول عبد الحميد ، ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها العراقيون والرحالة المغاربة في القرنين ٩ ، ٧هـ / ١٢ – ١٣م ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، مج ٨ ، ١٩٥٤ .الأثر المغربي والأندلسي في مجتمع الإسكندرية في العصور الوسطى الإسلامية ، مجتمع الإسكندرية عبر العصور ، الإسكندرية ، ١٩٧٥ . الإسكندرية الإسلامية ، كتاب تاريخ الإسكندرية عبر العصور ، ط٢ ، الإسكندرية ، ١٩٩٩ . محمد بن تومرت ورحلته العلمية في المغرب والأندلس والمشرق ، ندوة المغرب وعلاقاتها بالمشرق ، ١٩٩٧ .

– سعيد إسماعيل علي ، معاهد التربية الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

– سعيد عبد الفتاح عاشور : العلم بين المسجد و المدرسة ، ضمن ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية ، القاهرة ١٩٩٢. مصر معبراً للثقافة الإسلامية في حوض البحر المتوسط، ندوة مصر وعالم البحر المتوسط ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

– السيد عبد العزيز سالم ، تخطيط مدينة الإسكندرية وعمرانها في العصر الإسلامي، بيروت ١٩٦٣ .تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي ، الإسكندرية ، ١٩٨٢ .

- عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ، ط٢، القاهرة ، ١٩٩٩ . الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجئ الحملة الفرنسية ، القاهرة ، د.ت.

– عبد الغني محمود عبد العاطي :التعليم في مصر في العصرين الأيوبي و المملوكي ،دار المعارف ،القاهرة،١٩٨٤.

-عفاف سيد صبرة ، المدارس في العصر الأيوبي ، ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية القاهرة ، ١٩٩٣ .

– عنيقي محمود إبراهيم ، الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب ، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠١ .

– علي أحمد : المغاربة العاملون في مصر منذ ق٥ – ق٩ هـ ، ندوة بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق ، ١٩٩٧

– علي مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة ، ج ٧، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

– عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين . معجم مصنفي الكتب العربية في التاريخ والتراجم والجغرافية والرحلات، بيروت ، ١٩٨٦ .

محمد زغلول سلام ، الأدب في العصر الأيوبي : الإسكندرية ، ١٩٩٠-

محمد كامل حسين : دراسات في الشعر عصر الأيوبيين ، القاهرة ، ١٩٥٧ الحياة الفكرية والأدبية بمصرمن الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

– محمد كمال الدين عز الدين ، مجالس الإملاء في مصر في ظل حكم سلاطين المماليك ، ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

– محمد محمد الكحلاوي ، آثار مصر الإسلامية في كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٤ . عمارة المدرسة بين مصر والمغرب دليل على التواصل الحضاري ، ندوة التواصل الحضاري بين أقطار العالم العربي من خلال الشواهد الأثرية، القاهرة ، ١٩٩٩ .

رابعاً: الرسائل العلمية :

* أسامة حسن عبد المنعم ، أهل السنة في العصر الفاطمي ، رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، ١٩٩١ .

* عبد الناصر إبراهيم عبد الحكم ، الحياة الثقافيةوالعلمية في نيسابور ، منذ بداية القرن الثالث حتى أوائل القرن الخامس الهجري ، دكتوراه ، كلية الآداب جامعة القاهرة، ٢٠٠٠ .

* فيصل سيد طه : الحياةالثقافية في خراسان في العصر السلجوقي (٤٢٩-٥٥٩هـ/١٠٣٧-١١٩٣م ،رسالة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب –جامعة بني سويف ،٢٠٠٦.

خامساً :– المصادر والمراجع الأوروبية :–

Abouseif (D.B.),

" Notes sur l'Architecture musulmane d'Alexandrie " dans Alexandrie Medievale 1 , (IFAO), 1998 .

Combe (Etien),

" Alexandrie musulmane ", otes de topographie et d'histoire de la ville, depuis la conquete arabe jusqu a nos jours , dans , BSRGE, XV, 1933 .

" De la colonne pomee au phare d'Alexandrie " BSRAA, No 34 , 1941 PP. 104-122 .

Les sultans mamlouks Ashraf shaban et Ghauri a Alexandrie BSRAA, No 30 , 1936 , PP. 34-48 .

" Le fort Quat-Bay a Rosette " , dans BSRAA, No 33, 1939 .

" Notes sur les forts d'Alexandrie , et de ses environs ", dans BSRAA, No 34 , [940-1941 , PP. 95-103 .

" Notes de topographie Alexandrine " , BSRAA, No 34 , 1944 .

" Notes de topographie et d'Histoire Alexandrine , BSRAA, No 36 , 1942 .

" Les leves de Gravier d'Ortieres a Alexandrie " Bulletin of the faculty of arts , university of Alexandria . vol. 1 , 1943 .

" Pierre Martyz d'Anghiera et le drogman du sultan Ghauri " Bulletin of the faculty of arts of Alexandria ", vol. II , 1944 .

" Le texte d'Al-Nuwairi sur l'attaque d'Alexandrie ", Bulletin of the faculty of arts, university of Alexandria, vol. III , 1946 .

" Nouveaux sabers europeens a inscriptions arabes de l'Arsenal d'Alexandrie , BSRAA, vol. X .

Combe & du Cosson ,

" European swords with arabic inscriptions from the Armoury of Alexandria ", BSRAA, vol. IX

Lane-Poal (Stanley),

A history of Egypt in the middle ages, fourth edition, London, 1925

Massignon ,L., Les Medresehs Se Bagtdad , BIFAO ,VII, 1910,pp.77-86.

Talas (A), La Madrasa Nizamiyya et son histaric , Paris, 1930 .

أ.د. رأفت غنيمي الشـــيخ (*)

ميثاق الوحدة الثقافية العربية

مقدمـــــة

لا يقع البعض في خطأ عند دراسة قضية الوحدة العربية بأن الحكومة البريطانية هي صاحبة الاهتمام الأول بهذه الفكرة ، بدليل تقديم حكام الأسرة الهاشمية في الأردن والعراق لمشروعاتها الوحدوية إلى الحكومة البريطانية ، وهذا في رأينا تشويه لتاريخ العرب الحديث والمعاصر ، إذ أنه يصور بداية حركة الاتحاد العربي وكأنها من صنع بريطانيا وليست استجابة لدوافع وطنية نابعة من داخل الشعب العربي[1] ، بينما كان العرب يدركون أن سياسة بريطانيا Divide and rule أي " فرق تسد " ولذلك من الضروري اقتراح الوسائل لتحقيق الوحدة العربية[2].

ومما يجب ملاحظته أن مشروع سوريا الكبرى ومشروع الهلال الخصيب مشروعات لا تحقق الأماني العربية ، حيث هدفت هذه المشروعات إلى تحقيق وحدة إقليمية ضيقة في منطقة من العالم العربي لتحقيق مصالح شخصية لحكام عمان وبغداد . ونحن لا نجافي الصواب إذ قلنا أن الفشل بين المشروعين يرجع في جانب منه على الأقل إلى استبعاد مصر من الانضمام إلى أيهما، بمعنى أن مصر لم تدع للاشتراك في أي من المشروعين ، وفي رأيي أنه لو شاركت مصر في أي من المشروعين لما تحقق لحكام عمان أو بغداد فرصة الزعامة في أي من الإتحادين المقترحين[3].

(*) أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر - عميد كلية الآداب السابق - جامعة الزقازيق

وانطلاقاً من هذا ترى أن فكرة إنشاء جامعة الدول العربية كشكل من أشكال الاتحاد العربي ولدت في مصر ، وتفرعت بين الأقطار العربية على أرض مصر ، ولهذا قيأ لها البقاء والاستمرار منذ قيامها إلى الآن ، وليس هذا بغريب على موقف مصر من العروبة ، إذ وقفت مصر باستمرار إلى جانب الشعوب العربية في كفاحها لنيل استقلالها حتى ومصر تناضل لإجلاء قوات الاحتلال البريطاني عن أراضيها .

وهذا لا ينفي أن كثيرين من المصريين اعتقدوا حتى أوائل الأربعينات من القرن العشرين بوجوب إعطاء الأولوية في أية جهود تشارك فيها مصر لتحقيق الوحدة العربية إلى وحدة وادي النيل ، وهي الوحدة القائمة على أسس جغرافية طبيعية ، والتي يظهر فيها عامل المصلحة بصورة أوضح .[٤]

وإذا تتبعنا تطور فكرة الاتحاد العربي في مصر لوجدنا ذلك يرجع إلى العشرينات من القرن العشرين ، حيث نشرت صحيفة الأهرام القاهرية مقالاً في ١٩ أغسطس سنة ١٩٢٤م في أثناء حكم سعد زغلول بعنوان " الوحدة العربية " جاء فيه: إن الطريقة المثلى لتحقيق الوحدة العربية هي أن يعقد حلف بين أمراء وملوك البلاد العربية أساسه استقلال كل حكومة تامة في إدارة بلادها مع اتفاق الجميع على صيانة البلاد كلها من كل عدوان أو تقوض خارجي ، والتعاون على إنقاذ البلاد العربية التي احتلها الأجانب بالطرق الممكنة ، وأن يكون لهم مجلس حلفي تقرر فيه جميع المسائل العامة المتعلقة بحفظ استقلال البلاد وترقيتها[٥] .

وفي يوليو سنة ١٩٣٨م صرح مصطفى النحاس بأنه يحيد فكرة الوحدة العربية وقال : حبذا لو مهدت السبيل بعد نجاح هذه الفكرة من الناحية الأدبية إلى تعاون سياسي يحتفظ فيه كل شعب بحركته السياسي بحسب ظروفه ومقتضيات أحواله . كما أن علي ماهر قال في نفس العام: إن وحدة العرب ستتحقق في يوم من الأيام إن عاجلاً أو آجلاً على أن يكون استقلال كل قطر من الأقطار معترف بحدوده ، ثم إيجاد مجلس عام يضم أعضاء من كافة الدول العربية المستقلة .[٦]

كما أنه في عام ١٩٤٣م تأسس في مصر " الاتحاد العربي " برئاسة فؤاد أباظة كحركة شعبية لتحقيق الاتحاد بين الدول الناطقة بالعربية ، وأن الاتحاد العربي لا ينبغي جمع البلدان العربية تحت

حكم سياسي واحد ، ولا يفرض عليها جميعاً نظاماً واحداً في الحياة ، وإنما تبقى كل أمة من أمم مستقلة قائمة بذاتها ، تختار لنفسها ما يوافقها من نظم الحكم وصور الحياة[٧] .

هذه أمثلة لاتجاهات الرأي العام والمسئولين في مصر نحو فكرة الوحدة العربية ، ومع ذلك لم تفرض مصر شكلاً معيناً للوحدة العربية ، وإذا كانت مصر أخذت زمام المبادرة في الدعوة لبحث تشكيل منظمة تحقق آمال العرب في الوحدة دون أن تطرح حكومة مصطفى النحاس شكلاً معيناً من أشكال الوحدة [٨]، فإن تبني تلك الحكومة لقضية الاتحاد العربي نزل بهذه الفكرة إلى جمهور الشعب المصري وقربها إليه بحكم شعبية حزب الوفد[٩] .

كانت هناك ظروف ساهمت في التحرك المصري لتحقيق فكرة الوحدة العربية على أرض مصر ، تمثلت تلك الظروف فيما يلي :

أولاً : الظروف الداخلية في مصر :

وتتمثل هذه الظروف في استقرار الأمور الداخلية بعد معاهدة عام ١٩٣٦م بين مصر وبريطانيا من ناحية ، وبعد هزيمة الألمان في العلمين مما أبعد خطر الحرب عن الأرض المصرية ، بالإضافة إلى تولي مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد رئاسة الحكومة المصرية في فبراير سنة ١٩٤٢م ، وهي حكومة لها قواعد شعبية كبيرة ، وكان النحاس يميل إلى القيام بدور عربي لتدعيم مكانته عربياً وإسلامياً ، وهذا إلى جانب أن اتجاه مصر العربي يمثل خطاً أساسياً في السياسة المصرية نحو المنطقة العربية[١٠] .

ثانياً : الظروف الخارجية :

وتمثلت هذه الظروف في المواقف العربية الدولية ، فعلى الصعيد العربي وقفت مصر ضد المشروعات الهاشمية السابق الإشارة إليها ، وساندتها المملكة العربية السعودية التي قويت علاقاتها بمصر بعد عقد معاهدة بين البلدين للصداقة والأخوة عام ١٩٣٦م ، كما صار هناك اقتناع عربي بأهمية دور مصر القيادي في أي عمل عربي انطلاقاً من سبق مصر في المجال الحضاري وثقلها السكاني بالمقارنة بالأقطار العربية المستقلة آنذاك[١١] .

وعلى الصعيد الدولي كان التصريح البريطاني الصادر في ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٣م بمثابة التأييد البريطاني لتحركات العرب من أجل وحدة بلادهم ، على الرغم من أن هذا التصريح البريطاني استهدف تحقيق المصالح الاستراتيجية البريطانية، كما كان للولايات المتحدة الأمريكية موقف محدد بناء على استيضاح من السعودية ، ويقول الموقف الأمريكي : إن الولايات المتحدة ترغب أن ترى أقطار الشرق الأدنى تستعيد حريتها وتنمي إمكاناتها الاقتصادية والاجتماعية . كما أن الحكومة الأمريكية تتعاطف تماماً مع أماني أقطار الشرق الأدنى الأخرى في الاستقلال التام ، وتمشياً مع ذلك فإنه من الطبيعي إذا قررت هذه الشعوب بمحض اختيارها أن اتحادها مع بعضها فيه فائدتها ، فإن الولايات المتحدة سوف تنظر لهذه الرغبة العربية بعين العطف .

وأضاف الرد الأمريكي إلى ما سبق بأنه طالما اتخذت الأقطار المعنية قرارها الخاص ، فإنه يبدو لحكومة الولايات المتحدة أن الأحداث والمشكلات خلال السنوات القليلة الماضية قد أظهرت أن أقطار الشرق الأدنى تحتاج إلى تعاون أكبر لتدعيم النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وأن أولى خطوات الاتحاد بين الأقطار العربية يجب أن تضع في الاعتبار الأخذ بهذه النواحي أولاً[١٢] .

كان هذا الرد الأمريكي على الاستيضاح السعودي يتمثل في التأييد الأمريكي لتحقيق الاتحاد العربي في جميع النواحي ما عدا الناحية السياسية ، وهو التأييد الذي جاء بعد التصريح البريطاني ، كما أن هذا الموقف الأمريكي يتمشى مع التحفظات السعودية بخصوص الوحدة السياسية بين الأقطار العربية .

كانت هذه الظروف الداخلية والدولية الخارجية مجتمعة دافعاً للتحرك المصري لجمع شمل الأقطار العربية المستقلة آنذاك. العراق ، سوريا ، لبنان ، الأردن ، السعودية ، اليمن ، وجاءت المبادرة المصرية في شكل توجيه دعوات من مصطفى النحاس إلى رؤساء الحكومات العربية لزيارة القاهرة كل على حدة، ومناقشة الموضوع مع رئيس الحكومة المصرية مصطفى النحاس وذلك في صيف عام ١٩٤٣م[١٣] .

لم توضح مصر آراءها وتصوراتها لما يجب أن تكون عليه الوحدة بين الدول العربية أثناء المشاورات التي أجراها مصطفى النحاس رئيس الحكومة المصرية بشأن الوحدة العربية ، نظراً لأنها قامت بدور المقرب بين الدول العربية باعتبار أن مصر الدولة القائدة التي جاءها الدول

الأخرى كل على حدة لسبها آمالها ومخاوفها ووجهات نظرها ، وتترك لمصر القيام بدور التوفيق بين كل الدول العربية للوصول في النهاية إلى تصور يجمع البلاد العربية جميعاً[١٤] .

استقبل مصطفى النحاس أول رئيس حكومة عربي قبل الدعوة المصرية ، وكان نوري السعيد رئيس وزراء العراق الذي وصل إلى القاهرة في ٣١ يوليو سنة ١٩٤٣م ، وقد عبر نوري السعيد عن استحالة قيام حكومة مركزية لمقاومة الأقطار العربية من حيث التطور والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، واقترح نموذجين ممكنان للاتحاد هما :

أولاً: إنشاء هيئة تنفيذية لها صفة الالتزام مع تمتع كل قطر بمعظم امتيازات السيادة .

وفي هذه الحالة يجب تمثيل كل دولة حسب سكانها ومساحتها وإمكانياتها الاقتصادية.

ثانياً: تكوين هيئة تمثل الدول العربية المستقلة لتشاور في الشئون المشتركة ولا تنفذ قراراتها إلا بالنسبة للحكومة التي تقبلها ، وفي هذه الحالة يمثل جميع الأعضاء بالتساوي[١٥] .

وعندما استقبل مصطفى النحاس السيد توفيق أبو الهدى رئيس وزراء الأردن في ٢٨ أغسطس سنة ١٩٤٣م ، ركز توفيق أبو الهدى على رغبة الأردن في تكوين سوريا الكبرى قبل الحديث في اتحاد عربي عام ، وذكر أننا جميعاً نتركز في تحقيق هذه الأمنية إلى رفعة النحاس باشا زعيم الأمة العربية. وعندما أشار النحاس إلى صعوبة تحقيق مشروع سوريا الكبرى عرض توفيق أبو الهدى وجهة نظره والموافقة للنموذج الثاني الذي عرضه نوري السعيد لتحقيق التعاون مع الدول العربية من النواحي الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، والتعاون السياسي بقدر ما يتفق مع قيود المعاهدة البريطانية الأردنية[١٦] .

وعندما استقبل مصطفى النحاس الشيخ يوسف ياسين السكرتير الخاص للملك عبد العزيز آل سعود ومندوبه في المشاورات العربية ، أعرب النديم السعودي عن رغبة بلاده في تقوية العلاقات الأخوية مع مصر ، وأكد على معارضة السعودية لفكرة سوريا الكبرى ، كما أنه أظهر معارضة السعودية على إيجاد أي تعاون في المجالات السياسية وطالب بأن يقتصر التنسيق بين الدول العربية على الشئون الثقافية والاقتصادية ، وأبدى استعداداً لتوثيق الروابط السياسية مع مصر بصفة خاصة ، ولعل الدافع إلى هذا الموقف هو استمرار الخوف من أن تستخدم فكرة الاتحاد العربي لخدمة مصالح الهاشميين[١٧] .

وبالنسبة لسوريا فقد ذكر رئيس وزرائها سعد الله الجابري في مقابلته مع مصطفى النحاس في ١٦ أكتوبر ١٩٤٣م أن بلاده ترفض مشروع سوريا الكبرى ، وأنها تطالب ببعض أجزاء لبنان التي انتزعت منها ، وأن سوريا تؤثر في خلق أداة للتعاون بين الأقطار العربية وهي الحكومة المركزية ، وإن كانت لا تجهل ما يقوم في سبيل ذلك من عقبات فإذا تعذر ذلك أمكن نظام آخر من الاتحاد أو الاتفاق أو الحلف تستمد قواعده ونظمه من أوضاع متشابهة عند الأمم الأخرى التي عالجت مثل هذه المشاكل[١٨].

وبذلك كان الوفد السوري هو الوحيد الذي أظهر استعداداً حقيقياً للتنازل عن السيادة الإقليمية لصالح حكومة اتحادية عربية، على أن يشمل الاتحاد جميع الأقطار العربية المستقلة، واعترض على إقامة اتحاد جزئي مع العراق أو مع الأردن لاختلاف نظم الحكم[١٩].

وعندما استقبل مصطفى النحاس السيد رياض الصلح رئيس وزراء لبنان ، ركز رئيس الوزراء اللبناني على ضرورة أن تتفهم الأقطار العربية موقف لبنان المتحفظ من الوحدة العربية تفهماً يجعلها تعترف بكيانه وحدوده الحالية باعتباره دولة مستقلة ذات سيادة ، على أن يكون التعاون بين لبنان والأقطار العربية الأخرى قائماً على أساس السيادة والمساواة ، ومن الطبيعي أن يحرص لبنان على تأكيد سيادته بحدوده الحالية في مواجهة المشروعات الهاشمية ، أو المطالب السورية[٢٠].

وبالنسبة لليمن فقد أعرب ممثلها " حسين الكبسي " عن استعداد بلاده للتعاون مع الحفاظ على استقلال وسيادة كل دولة عربية مع تحقيق المساواة بين الدول العربية جميعاً ، وبذلك كانت اليمن كالسعودية ولبنان ذات المواقف المتحفظة بالنسبة لقضية الوحدة العربية .

جامعة الدول العربية :

عندما انتهت المشاورات التمهيدية دعت مصر إلى عقد لجنة تحضيرية للمؤتمر العربي العام تضم ممثلي الدول العربية التي اشتركت في تلك المشاورات ، وبدأت اللجنة اجتماعاتها بالإسكندرية في ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٤٤م . ورغم تباين وجهات نظر حكومات الدول العربية المشتركة في الاجتماعات بين متشكك في إمكانية قيام اتحاد بين الدول العربية وبين مايؤيد

بحماس لمثل هذا الاتحاد ، وبين متحفظ بالنسبة للنواحي السياسية ، فقد أقر اجتماع الإسكندرية ما عرف باسم بروتوكول الإسكندرية الذي صدر في ٧ أكتوبر ١٩٤٤م[٢١].

ورجاء نص بروتوكول الإسكندرية — بعد إدخال التعديلات على المشروع المصري — على النحو التالي : تؤلف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة التي تقبل الانضمام إليها ، ويكون لهذه الجامعة مجلس يسمى مجلس جامعة الدول العربية تمثل فيه الدول المشتركة في الجامعة على قدم المساواة ، وتكون مهمته مراعاة تنفيذ ما تبرمه هذه الدول فيما بينها من الاتفاقات، وعقد اجتماعات دورية لتوثيق الصلات بينها وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون وصيانة لاستقلالها وسيادتها من كل اعتداء بالوسائل الممكنة ، والنظر بصفة عامة في شئون البلاد العربية ومصالحها .

ويضيف البروتوكول : " وتكون قرارات هذا المجلس ملزمة لمن يقبلها فيما عدا الأحوال التي يقع فيها خلاف بين دولة عربية من أعضاء المجلس وأخرى ، ويلجأ فيها إلى المجلس لفض هذا الخلاف ، أو يخشى معه وقوع حرب بينهما، ففي هذه الأحوال تكون قرارات مجلس الجامعة نافذة ملزمة ، ويستثنى من ذلك مسائل السيادة والحدود الحاضرة باعتبار هذه الحدود محترمة بوضعها الحالي" .

كما أضاف البروتوكول القول بأنه لا يجوز على كل حال الالتجاء إلى استعمال القوة لفض المنازعات بين دولتين من دول الجامعة ، كما لا يجوز إتباع سياسة خارجية ضارة بسياسة مجموعة هذه الدول العربية ، وتؤلف منذ الآن لجنة فرعية من أعضاء اللجنة التحضيرية لإعداد مشروع لنظام مجلس الجامعة ولبحث المسائل السياسية التي يمكن إبرام اتفاقات فيها بين الدول العربية[٢٢].

وقع ممثلو الأقطار العربية " مصر والعراق وسوريا ولبنان وشرقي الأردن " على بروتوكول الإسكندرية في يوم ٧ أكتوبر ١٩٤٤م ، بينما وقعت السعودية على البروتوكول يوم ٣ يناير ١٩٤٥م ، ووقعت اليمن على البروتوكول في ٥ فبراير سنة ١٩٤٥م . وبدأت اللجنة الفرعية السياسية المشكلة من ممثلي الدول العربية الأعضاء في اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام اجتماعاتها برئاسة محمود فهمي النقراشي وزير الخارجية المصرية ، في ١٤ فبراير ١٩٤٥م وذلك لوضع مشروع ميثاق لمجلس جامعة الدول العربية .

وقد صدر الميثاق في ٢٢ مارس ١٩٤٥م بتوقيع أعضاء اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام في قصر الزعفران ، وقد صارت القاهرة مقراً لمجلس الجامعة ولأجهزتها ، وأصبح عبد الرحمن عزام أول أمين عام للجامعة العربية .

وقد جاء الميثاق أضعف من بروتوكول الإسكندرية في تأكيد الروابط بين الدول الأعضاء بسبب كثرة التحفظات التي أبداها معظم المندوبين فلم يظهر في الميثاق النص الوارد في البروتوكول والقائل بأنه « لا يجوز في أية حال إتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية أو أية دولة منها » ، كما حذف من البروتوكول النص على تدعيم الروابط بين الشعوب العربية في المستقبل . وحلت محله المادة التاسعة في الميثاق التي تخول للدول الراغبة في إقامة روابط أقوى أن تعقد ما تشاء من اتفاقات فيما بينها[٢٣] .

ميثاق الجامعة العربية

وميثاق الوحدة الثقافية العربية

أولاً : نص ميثاق جامعة الدول العربية [٢٤]:

أ ـ ديباجة الميثاق :

إن حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية .

وحضرة صاحب السمو الملكي أمير شرق الأردن .

وحضرة صاحب الجلالة ملك العراق .

وحضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية .

وحضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية .

وحضرة صاحب الجلالة ملك مصر .

وحضرة صاحب الجلالة ملك اليمن .

تثبيتاً للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة التي تربط بين الدول العربية، وحرصاً على دعم هذه الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها ، وتوجيهاً لجهودها إلى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة ، وصلاح أحوالها ، وتأمين مستقبلها ، وتحقيق أمانيها وآمالها واستجابة للرأي العربي العام في جميع الأقطار العربية .

قد اتفقوا على عقد ميثاق لهذه الغاية ، وأنابوا عنهم المفوضين الآتية أسماؤهم :

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية ، قد أناب عن سوريا :

حضرة صاحب الدولة السيد فارس الخوري ، رئيس مجلس الوزراء .

حضرة صاحب الدولة جميل مردم بك ، وزير الخارجية .

حضرة صاحب السمو الملكي أمير شرق الأردن ، قد أناب عن شرق الأردن :

حضرة صاحب الفخامة سمير الرفاعي باشا رئيس الوزراء .

حضرة صاحب المعالي سعيد المفتي باشا ، وزير الداخلية .

حضرة صاحب العزة سليمان التابلسي بك ، نائب سر الحكومة .

حضرة صاحب الجلالة ملك العراق ، قد أناب عن العراق :

حضرة صاحب المعالي السيد أرشد العمري ، وزير الخارجية .

حضرة صاحب الفخامة السيد على جودة الأيوبي ، وزير العراق المفوض بواشنطن .

حضرة صاحب المعالي السيد نجيب العسكري ، وزير العراق المفوض بالقاهرة .

حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية ، قد أناب عن المملكة العربية السعودية :

سعادة الشيخ يوسف ياسين ، نائب وزير خارجية المملكة العربية السعودية .

سعادة السيد خير الدين الزركلي ، مستشار مفوضية المملكة العربية السعودية بالقاهرة.

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية ، قد أناب عن لبنان :

حضرة صاحب الدولة السيد عبد الحميد كرامي ، رئيس الوزراء .

سعادة السيد يوسف سالم ، وزير لبنان المفوض بالقاهرة .

حضرة صاحب الجلالة ملك مصر ، قد أناب عن مصر :

حضرة صاحب الدولة محمود فهمي النقراشي باشا ، رئيس مجلس الوزراء .

حضرة صاحب السعادة محمد حسين هيكل باشا ، رئيس مجلس الشيوخ .

حضرة صاحب المعالي عبد الحميد بدوي باشا ، وزير الخارجية .

حضرة صاحب المعالي مكرم عبيد باشا ، وزير المالية .

حضرة صاحب المعالي محمد حافظ رمضان باشا ، وزير العدل .

حضرة صاحب المعالي عبد الرزاق أحمد السنهوري بك ، وزير المعارف العمومية .

حضرة صاحب العزة عبد الرحمن عزام بك ، الوزير المفوض بوزارة الخارجية .

حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن ، قد أناب عن اليمن .

حضرة صاحب السعادة حسين الكيخي .

الذين بعد تبادل وثائق تفويضهم التي تخولهم سلطة كاملة، والتي وجدت صحيحة ومسوغة الشكل قد اتفقوا على ما يأتي :

مادة ١ : تتألف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة الموقعة على هذا الميثاق(*).

(*) انضمت إلى الميثاق تطبيقاً لهذه المادة الدول العربية الآتية بيانها :

١ ــ المملكة الليبية المتحدة في ٢٨ / ٣ / ١٩٥٣م .
٢ ــ جمهورية السودان في ١٩ / ١ / ١٩٥٦م .
٣ ــ الجمهورية التونسية في ١ / ١٠ / ١٩٥٨م .
٤ ــ المملكة المغربية في ١ / ١٠ / ١٩٥٨م .
٥ ــ دولة الكويت في ٢٠ / ٧ / ١٩٦١م .
٦ ــ الجمهورية الجزائرية الشعبية في ١٦ / ٨ / ١٩٦٢م .
٧ ــ جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في ١٣ / ١٢ / ١٩٦٧م .
٨ ــ دولة البحرين في ١١ / ٩ / ١٩٧١م .
٩ ــ دولة قطر في ١١ / ٩ / ١٩٧١م .
١٠ ــ سلطنة عمان في ٢٩ / ٩ / ١٩٧١م .
١١ ــ دولة الإمارات العربية المتحدة في ٦ / ١٢ / ١٩٧١م .
١٢ ــ الجمهورية الإسلامية الموريتانية في ٢٦ / ١١ / ١٩٧٣م .
١٣ ــ جمهورية الصومال الديمقراطية في ١٤ / ٣ / ١٩٧٤م .
١٤ ــ فلسطين في ٩ / ٩ / ١٩٧٦م .
١٥ ــ جمهورية جيبوتي في ٤ / ٩ / ١٩٧٧م .

ولكل دولة عربية مستقلة الحق في أن تنضم إلى الجامعة ، فإذا رغبت في الانضمام ، قدمت طلباً بذلك يودع لدى الأمانة العامة الدائمة ، ويعرض على المجلس في أول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب .

ب ــ تفسير الميثاق :

تحرر هذا الميثاق بين الدول العربية السبع المؤسسة للجامعة العربية في القاهرة بتاريخ ٨ ربيع الثاني سنة ١٣٦٤هـ الموافق ٢٢ مارس عام ١٩٤٥م ، من نسخة واحدة تحفظ في الأمانة العامة ، وتسلم صورة منها مطابقة للأصل لكل دولة من دول الجامعة العربية ، ويحتوي الميثاق على الديباجة وعلى ٢٠ مادة .

وتوالى انضمام الدول العربية إلى ميثاق الجامعة العربية ، طبقاً لاستقلالها ، وكانت ليبيا أول دولة عربية تنضم للجامعة العربية (١٩٥٣م) ، وآخر دولة عربية انضمت للجامعة العربية هي جمهورية جيبوتي (١٩٧٧م) ، وهذا صار عدد أعضاء الجامعة العربية ٢٢ دولة ، ٧ دول مؤسسة ، و١٥ دولة بعد التأسيس .

ورجاء في المادة الثانية من الميثاق ، العمل على توثيق العلاقات والصلات المشتركة بين الدول الأعضاء ، في المجالات الاقتصادية والمالية ، وشئون المواصلات ، والشئون الثقافية ، وشئون الجنسية ، والشئون الاجتماعية ، والشئون الصحية .

ونصت المادة التاسعة على أن لدول الجامعة العربية الراغبة فيما بينها تعاون أوثق وروابط أقوى مما نص عليه هذا الميثاق ، أن تعقد بينها من الاتفاقات ما تشاء لتحقيق هذه الأغراض ، والمعاهدات والاتفاقات التي سبق أن عقدتها ، أو التي تعقدها فيما بعد دولة من دول الجامعة مع أية دولة أخرى ، لا تلزم ولا تقيد الأعضاء الآخرين .

وكانت هذه المادة هي المؤشر لعقد ميثاق الوحدة الثقافية العربية بين الدول العربية ، حيث عقدت حكومة المملكة الليبية المتحدة مع الحكومة المصرية اتفاقية ثقافية في ٢٥ يونيو ١٩٥٣م ، كما عقدت اتفاقية ثقافية بين ثلاث دول عربية هي المملكة الأردنية الهاشمية ، والجمهورية السورية ، وجمهورية مصر في ٢٥ مارس عام ١٩٥٧م ، ثم عقد ميثاق الوحدة الثقافية العربية،

بمدينة بغداد في ٢٩ فبراير عام ١٩٦٤م ، كميثاق ملزم لجميع الدول العربية الأعضاء في الجامعة العربية .

ثانياً : ميثاق الوحدة الثقافية العربية [٣٥]:

أ ـــ ديباجة الميثاق :

استجابة للشعور بالوحدة الطبيعية بين أبناء الأمة العربية ، وإيماناً بأن وحدة الفكر هي الدعامة الأساسية التي تقوم عليها الوحدة العربية ، وبأن الحفاظ على التراث الحضاري العربي وانتقاله بين الأجيال المتعاقبة وتجديده على الدوام هو ضمان تماسك الأمة العربية وتوجيهها بدورها الطبيعي الإبداعي في مجال الحضارة الإنسانية والسلام العالمي المبني على أسس العدل والحرية والمساواة .

وتنفيذاً لما جاء في ميثاق جامعة الدول العربية ، ومتابعة لما حققته المعاهدة الثقافية التي أبرمت بين الدول العربية في سنة ١٩٤٥م .

واعتزازاً بانضمام أجزاء من الوطن العربي إلى جامعة الدول العربية بعد خلاص هذه الأجزاء من ربقة الاستعمار .

وتطلعاً إلى استعادة العرب أراضيهم المقدسة المغتصبة واستكمالهم حريتهم في سائر أجزاء وطنهم، وانطلاقاً لما حققه مؤتمر القمة بين ملوك العرب ورؤسائهم من وحدة الهدف ، ووحدة الصف في مجالات واسعة من حياة الأمة العربية .

ولما للتعاون في ميادين التربية والثقافة والعلوم وثيقها من آثار فعالة في الإنسان والمجتمع العربي والقومية العربية على الصعيد العالمي .

بما يؤدي إليه هذا التعاون من ضمان حقوق الإنسان العربي في التعليم والحرية والكرامة والرفاهية وتمكينه من الإسهام في خدمة مجتمعهم .

وبما يؤدي إليه هذا التعاون من تطور هذا المجتمع وتقدمه على أسس متينة من قيمه الروحية الأصلية ، ومن العلوم الحديثة وتطبيقاتها .

وبما يؤدي إليه هذا التعاون من إبراز الشخصية العربية في المجال العالمي وقدرتها على الوقوف في وجه قوى الشر العالمية المتمثلة في الاستعمار والصهيونية ، وإسهامها في إقرار السلام العالمي ، وقيامها بدورها التاريخي في بناء الحضارة الإنسانية وتقدمها .

توافق الدول العربية على الميثاق التالي للوحدة الثقافية العربية[٣٦] .

ب ـــ تفسير ميثاق الوحدة الثقافية العربية :

تشير الديباجة إلى تأكيد الصلات العربية ، وأن الوحدة الثقافية بين الدول العربية هي أساس الوحدة الاقتصادية ، والوحدة الاجتماعية ، ثم الوحدة السياسية ، واستجابة للشعور بالوحدة الطبيعية بين أبناء الأمة العربية ، وإيماناً بأن وحدة الفكر هي الدعامة الأساسية التي تقوم عليها الوحدة العربية، انطلاقاً من أن اللغة العربية هي لغة الحديث، والكتابة والتعليم والفنون والإعلام.

واحتوى الميثاق ـــ بعد الديباجة ـــ على اثنين وثلاثين مادة ، بدأت بالتربية والتعليم ، والعمل على توحيدها بين الأقطار العربية، في مجال التعليم العام والفني ، وفي مجال الجامعات والتعليم العالي ، كما اهتمت مواد الميثاق بالأجهزة الثقافية بجامعة الدول العربية ، وهي الإدارة الثقافية، ومعهد المخطوطات العربية ، ومعهد الدراسات العربية ، وهي مكونات ما صار يعرف باسم " المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم " .

كما اهتمت مواد ميثاق الوحدة الثقافية العربية، بإيجاد ما صار يعرف باسم "اتحاد الجامعات العربية" للارتفاع بمستوى التعليم الجامعي والعالي في الدول العربية ، وتوحيد المستلزم والمناهج والتخصصات في الجامعات العربية، إلى جانب توحيد مراحل التعليم العام من المرحلة الابتدائية فالمرحلة المتوسطة (أي الإعدادية) ثم المرحلة الثانوية ، بما يسمح بانتقال التلاميذ من قطر عربي إلى قطر عربي آخر

---

(٣٥) أ ـــ وافق على الميثاق والمنظمة مؤتمر وزراء التربية والتعليم بمغداد في ٢٩ فبراير ١٩٦٤م .

ب ـــ وافق مجلس جامعة الدول العربية على الميثاق والمنظمة بتاريخ ١٩٦٤/٥/٢١م في دور انعقاده العادي الحادي والأربعين

واهتم ميثاق الوحدة الثقافية العربية أيضاً باللغة العربية باعتبارها لغة التعليم العام والجامعي والاهتمام بالتربية الدينية باعتبارها صمام أمن للسلوك والالتزام الخلقي ، مع الاهتمام بتعليم العربي اهتماماً يتماشى مع المستويات العالمية ، والسعي لإحياء التراث العربي — الفكري والفني — والمحافظة عليه ونشره وتيسيره لطلاب العلم ، والعمل على توحيد المصطلحات العلمية والحضارية المستخدمة في مؤسسات التعليم بالدول العربية .

وتؤكد مواد ميثاق الوحدة الثقافية العربية أهمية إنشاء مجلس للمجامع اللغوية ، والتعاون بين دور الكتب والمتاحف العلمية والتاريخية والفنية ، مع العمل على تبادل الخبرات الثقافية بين الدول العربية ، وخاصة في مجالات الموسيقى والمسرح والسينما والفنون الشعبية والصحافة ، ووسائل الإعلام المختلفة ، وعلى تبادل الأساتذة والمعلمين والخبراء بين معاهدها العلمية .

وقد أكدت مواد ميثاق الوحدة الثقافية العربية على أهمية تبادل الطلاب في الجامعات وتلاميذ المدارس ، وتيسير قبولهم ، والعمل على تعادل توحيد الشهادات في مراحل الدراسة المختلفة ، وتشجيع الرحلات الثقافية والكشفية والرياضية بين البلاد العربية ، والتعاون الثقافي الدولي ، وخاصة مع منظمة اليونسكو ، وعلى تبادل الخبرات وتنظيم الاتصالات وإنشاء المؤسسات الثقافية في البلاد الصديقة .

وهكذا جاء ميثاق الوحدة الثقافية العربية جامعاً وشاملاً لأمور التربية والتعليم ، والتعليم العالي ، والشئون الثقافية المكملة للمؤسسات التعليمية في المدارس والجامعات في بناء الشخصية العربية الواعية ، ذات الفكر التقدمي في مجالات الحياة العربية ، اقتصادية واجتماعية ، وثقافية وفكرية وسياسية .

الهوامش

(١) د . صلاح العقاد : المشرق العربي المعاصر ، القاهرة ، ص ٦٩٥ .

(2) Fisher : The Middle East , A history, p. 571.

(٣) د . رأفت غنيمي الشيخ : العرب دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ١٩٨٢م ص ١٣١ .

(٤) د . أنيس صايغ : الفكرة العربية في مصر ، ص ٦٤ .

(٥) عبد الحميد الموافي : مصر في جامعة الدول العربية ، ص ٨٤ .

(٦) المرجع نفسه : ص ٨٥ .

(٧) المرجع السابق : نفس الصفحة .

(٨) د . رأفت غنيمي الشيخ : المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

(٩) د. صلاح العقاد : المرجع السابق ص ٦١٢ .

(١٠) عبد الحميد موافي : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(11) The American Assembly . The United States and Middle East , p. 14.

(12) The Acting Secretary of State, to the Minister in Egypt (Kirk), Washington, October 26, 1943.

(١٣) د. رأفت غنيمي الشيخ : المرجع السابق ص ١٣٢ .

(١٤) عبد الحميد موافي : المرجع السابق ص ٨٦ .

(١٥) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص ٦١٣ .

(١٦) عبد الحميد موافي : المرجع السابق ص ٩٢ — ٩٣ .

(١٧) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ص ٦١٣ .

(١٨) عبد الحميد موافي : المرجع السابق ص ٩٣ .

(١٩) د صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص ٦١٤.

(٢٠) عبد الحميد موافي : المرجع السابق ، ص ٩٥ .

(٢١) د . رأفت غنيمي الشيخ : المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

(٢٢) عبد الحميد الموافي : المرجع السابق ص ١٠٥ — ١٠٩ .

(٢٣) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص ٦١٥.

(٢٤) جامعة الدول العربية : الأمانة العامة .

(٢٥) جامعة الدول العربية : الأمانة العامة .

(٢٦) جامعة الدول العربية : الأمانة العامة .

(مصادر البحث)

أولاً : الوثائق :

أ ــ وثائق عربية :

١ ــ ميثاق جامعة الدول العربية .

٢ ــ ميثاق الوحدة الثقافية العربية .

ب ــ وثائق أجنبية :

. U.S. Foreign Relations, Diplomatic Papers.

ثانياً : المؤلفات الأجنبية :

. Fisher: The Middle East, A History.

. The American Assembly : The United States and Middle East, Regional and International Politics in the Middle East, edited by Georgina G.Stevens, 1964.

ثالثاً : المؤلفات العربية :

١ ــ د. صلاح العقاد : المشرق العربي المعاصر ، القاهرة ١٩٧٩م .

٢ ــ د . رأفت غنيمي الشيخ : العرب : دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ١٩٨٢م .

٣ ــ د . أنيس صايغ : الفكرة العربية في مصر ، بيروت ١٩٧٠م .

٤ ــ عبد الحميد الموافي : مصر في جامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٨٣م .

أ.د. السماني النصري محمد أحمد*

الخلوة والمسيد ودورهما في نشر الثقافة العربية في السودان

تمهيد :

لعب التعليم الإسلامي دوراً رئيسا في نشر اللغة والثقافة العربية في السودان من خلال المؤسسات التي عُرفت بالخلوة والمسيد، في وقت كان فيه التعليم النظامي الحديث غير موجود في السودان، وتعتبر الخلوة والمسيد مؤسسات تعليمية متكاملة يلتحق بها طلاب العلم يأتون إليها من كل حدب وصوب ، وبها أماكن للسكن والدراسة إضافة إلى المسجد.

وقد اشتهرت في السودان كثير من الخلاوى والمساجد ، واضطلعت بدور التعليم كاملا. ويحفظ الطالب في الخلوة أو المسيد القرآن الكريم وألفية ابن مالك ، ويتعلم أسس القواعد والنحو والصرف. وظلت الخلاوى والمساجد تقوم بتدريس اللغة العربية وعلوم القرآن حتى بعد ظهور التعليم النظامي، يقوم شيخ الخلوة أو المسيد بتصنيف الطلاب حسب أعمارهم وحسب قدراتهم، ويتم تقسيمهم إلى حلقات وعلى رأس كل حلقة أحد الطلاب القدامى الذين أجيزوا في حفظ القرآن الكريم واللغة العربية .

* جامعة الزعيم الأزهري - السودان

يزور الخلاوى علماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامى، معظمهم من مصر والحجاز وشمال أفريقيا ، يقدمون الدروس ويقيمون المحاضرات العامة فى المساجد والأسواق ودور زعماء القبائل. يفتون الفتوى ويعلمون الناس أصول الفقه واللغة العربية، ويحولون ما علق بالعقيدة من شوائب نصرانية كانت أو وثنية ، وكانت المساجد والخلاوى عبارة عن مراكز إشعاع دينى وثقافى يؤمها أهل المنطقة بحضور الاحتفالات الدينية الموسمية كالأعياد ومسابقات حفظ القرآن ، وحلقات الذكر والتى تستخدم فيها عادة الطبول والدفوف .

تعريف الخلوة :

كلمة خلوة مصدرها خلاء وخلو كما جاء فى لسان العرب [١]، وهى مكان كتاب القرآن أو الزاوية للذكر [٢]، والخلوة هى المكان الذى يختلى فيه الرجل بنفسه، وعند الصوفية هى المكان الذى يختلى فيه المريد بنفسه متعبدا ربه، مبتعدا عن الخلق حتى يحصل له كمال الصفاء، والخلوة فى السودان لها ثلاثة معانى [٣]، الأول: الخلوة مكان يقصده المرء ليخلو فيه وينقطع عن الناس للذكر والعبادة ، وقد تكون الخلوة مبنى أو كهف أو قطية أو شجرة أو أى شئ يتوفر فى البيئة.

الثانى: الخلوة التى يُدرَّس فيها القرآن الكريم وعلومه واللغة العربية، ويكون بناؤها مما يتخذونه من الطين أو القش أو الطوب اللبن أو الأحمر أو الصوف وغيره.

الثالث: الأهالى فى السودان يطلقون كلمة خلوة على الحجرة المخصصة نزلا للضيوف ، فهى كالديوان أو الصالون فى المنازل الحضرية . فمعى كل القرى نجد الخلوة، حتى أهل البادية يخصصون خيمة كما يسكنون ويطلقون عليها اسم الخلوة.

والخلوة من النوع الأول هى الأساس الذى قاد إلى النوع الثانى والذى أصبح هو المعنى الأكثر شيوعا ويتبادر إلى الذهن حين تذكر كلمة خلوة. فالرجل الزاهد ينأى بنفسه بعيدا عن الناس وعندما يكتمل صفاؤه وتبحره فى العلم يصبح قبلة يتنادى لها طلاب العلم فينهلوا منه، وعندما يتزايد عدد طلاب العلم، يقوم بتأسيس مكان خاص لتعليمهم القراءة والكتابة ثم حفظ القرآن الكريم ، وسرعان ما تتحول من محل إقامة رجل زاهد إلى مرتع لعلوم القرآن الكريم واللغة العربية، ويزيد عدد الطلاب حسب شهرة الشيخ وكثافة السكان فى المناطق المجاورة.

كلمة الخلوة اصطلاح يفيد ذات المعنى الذى يدل عليه لفظ كُتّاب وجمعها كتاتيب ، ولفظة مكتب وجمعها مكاتب فى بعض البلاد العربية والإسلامية.

هناك خطأ شائع - لايمكن تصحيحه بين الناس- بعد أن صارت الخلوة أكثر استعمالا ودلالة على معهد أو مكان للتعليم، فإطلاق كلمة الخلوة، بمفهوم فيه الكثير من التعميم الذى أدى للخلط بين خلوة الصوفية وخلوة التعليم، ولكن الذين يقرأون فى الخلاوى لهم مدلول آخر غير المكان الذى تؤدى فيه وظيفة التعليم، فالخلاوى هى مكان سكن الطلاب فقط، وهى عبارة عن حجرات صغيرة ضيقة المساحة ولاتتسع لأكثر من طالبين أو ثلاثة، وهى مخصصة أصلا لسكنى طالب واحد ، ومن هنا جاء الاسم، والخلوة بهذه الصورة تتفق مع خلوة الصوفية. أما المكان الذى يقرأ فيه التلاميذ ويقضون فيها معظم يومهم، فيطلق عليه اسم والقرآنية أو الجامعة» ، وهى مبنى كبير يسع التلاميذ وهم يجلسون القرفصاء، وبأيديهم ألواحهم وبجانبهم الدُوى، وهذا المبنى لايستخدم إلا فى أوقات الدراسة، فالتلاميذ فى الخلاوى يفرقون بين الخلوة كمكان للسكان فقط، ولاتمارس فيها أى وظيفة أخرى، وبين مكان الدراسة الذى يسمونه القرآنية أو الجامعة، ولكن المدلول العام الذى يشير إلى أن الخلوة هى المكان الذى تؤدى فيه وظيفة التعليم، وهو الأكثر انتشارا واستعمالا الأمر الذى جعل المكان الرئيس الذى يمارس فيه التعليم لايُعرف إلا فى نطاق التلاميذ وشيوخهم ، وأطلق اسم الجزء على الكل اسم خلاوى سكن التلاميذ أطلقت على أجزاء المبنى، وعلى هذا فإننا استعملنا المعنى الأكثر شيوعا ، وبعد أن أوضحنا تلك الفروق الدقيقة التى لاتخل بالمعنى العام[٤].

وقد لاحظ الأستاذ الطيب محمد الطيب أن الخلوة فى بعض البلدان العربية الإسلامية تحمل نفس المعنى الدقيق الذى يعرفه تلاميذ الخلاوى، بمعنى أنها سكن مرتبط بالمساجد وهى كذلك فى اليمن، السعودية، مصر، تونس، ليبيا، المغرب وغيرها [٥].

منذ العصور الإسلامية الأولى كان الكُتّاب بسيطا فى شكله البنائى من غير زخرف، وكان يفرش بالرمل أو الحصير، وظل التشكل والبناء وطرق التعليم متوارثا . وبساطة شكل الخلوة مقرونة باستعمال المواد المحلية للبناء التى تساعد على انتهاء عملية البناء بسرعة، ويشارك الأهالى فى البناء أو دفع قيمته أو التبرع بالمواد الخام، وتختلف مواد بناء الخلاوى من منطقة لأخرى حسب المواد المحلية والإمكانات المادية لأهالى المنطقة، إلا أنها عادة لم تكن مكلفة ، ومعظم الخلاوى ملكا لأشخاص ، وكانت الصغيرة منها فى القرى تبنى من الطين وتسقف

بالقش، وتكون في شكل حجرة تفتح على مظلة من نفس المواد، وأحيانا يوجد سور من الطين أو القش حول الخلوة[٦].

تعريف المسيد :

لايوجد أي ذكر لمادة مسيد أو لأي مصدر من مصادرها في القواميس العربية، ولا دوائر المعارف، ولكن هناك اتفاقًا بين الباحثين على أن الكلمة أصلها مسجد قُلبت (الخيم) إلى (ياء) فأصبحت مسيد[٧].

ويذكر الدكتور عون الشريف قاسم أن أهل صقلية كانوا يقولون (مسيد) بدل مسجد[٨]. كما أن أهل المغرب العربي كانوا يستخدمون كلمة مسيد للدلالة على مكان تحفيظ القرآن الكريم، وقد يطلق أيضا على مكان التعليم أيا كان[٩].

وهذا يدل على أن كلمة مسيد تلقفها أهل السودان من أفواه المشايخ الذين توافدوا على السودان في وقت مبكر وأغلبهم قدم من الحجاز والمغرب وأسسوا المسيد[١٠]. فعلاقة عامة السودان بالجامعيات الأخرى واضحة وتختلف الصلات من منطقة إلى أخرى[١١].

فللمسيد في السودان مدلولان، الأول : أنه في وسط وشمال وشرق السودان، يطلق اسم المسيد على المبنى الذي يضم المسجد ويحيط به من جميع جهاته عدا جهة القبلة، خلاوى سكن الطلاب، وفي وسط هذه المساكن يوجد مبنى الدراسة الرئيس (القرآنية أو الجامعة)، والمسجد دائما يكون في وسط الفناء الكبير الذي يحيط بالخلاوى والمسجد، أي كل المبنى، وعليه فإن كلمة مسيد تعطي مدلولا عن المكان الذي تمارس فيه وظيفة التعليم في جانب، ووظيفة التعبد في جانب آخر وهو المسجد، فالمسيد هو المبنى الذي يضم المسجد والخلاوى والمساكن التي يأوي إليها الطلاب الغرباء، ولايطلق على المسجد الذي تقام فيه الصلوات فقط ولايحوي بجانبه كل هذه المنشآت.

الثاني: في دارفور يطلقون اسم المسيد على المكان المخصص لتعليم القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم، وليس من الضروري أن يكون مرتبطا بمسجد أو يضمه فناء واحد فالمسيد في دارفور يتبعه التلاميذ (الخيران) الذين يطلق عليهم اسم المهاجرين لأنهم دائمي الترحال لطلب الشيوخ الذين يدرسون عليهم، ويعتمدون على أنفسهم في كل حياتهم بالمسيد ولأهل دارفور اعتقاد بوجوب الرحيل أو الهجرة في طلب العلم، وأن الطالب لا أن يتعلم

يحفظ القرآن ويصبح رجلا يعتمد على نفسه وهو موجود في منطقته ووسط أهله[١٢].

يضم المسيد غالبا عدة مناشط وتتم ممارسة كل منشط في وقت معين وفي مكان محدد، ومن أمثلة ذلك وجود أماكن مختلفة صممت أو حددت حسب نوع النشاط فمنها :

- خلوة لتعليم القرآن الكريم وأحكامه.
- مسجد أو مصلى أو زاوية.
- أماكن لتدريس العلم.
- أماكن لإعداد وصنع الطعام.
- أماكن للتربية الروحية، تلاوة، أوراد، أذكار، تسبيح وغيره.
- ساحات للقصص الديني والوعظ.
- ساحات للتدريب الجهادي.
- خلوات خاصة للعبادة الفردية والاعتكاف.
- أماكن للتربية البدنية.
- أماكن للتربية البدنية.
- أماكن وساحات للمناسبات الدينية، أعياد، مولد، وغيره.
- أماكن لاستقبال الزوار بمختلف مستوياتهم ومكانتهم.

يتولى القائم أو القائمون على أمر المسيد لوجه الله تعالى إسكان الطلاب، وإطعامهم، وإيلائهم، ورعايتهم دينيا، وصحيا ونفسيًا، وروحيا، وعلميا واجتماعيا، مع المساهمة بما يتيسر في بعض ما يحتاجون إليه من مصاريف يومية أو أسبوعية أو مصاريف موسمية في المناسبات والعطلات الإسلامية بغية مساعدتهم في زيارة أهلهم وذويهم في داخل البلاد وخارجها[١٣].

على الرغم من أن لكل من الخلوة أو المسيد معنى مستقل يدل على نوع معين من المباني إلا أن الوظيفة المشتركة أدت إلى شئ من الخلط بينهما، فكثيرا ما يتحدث بعض أهل السودان عن إحداهما دلالة على الأخرى والعكس صحيح. كما أن بعض الذين كتبوا عن

الاثنين أو إحداهما يخلطون في بعض الأحيان بين الخلوة والمسيد ، خاصة عند الحديث عن تحفيظ القرآن الكريم أو تعلم مبادئ الفقه أو اللغة العربية وغيرها.

المصطلحات المستخدمة في الخلوة والمسيد متطابقة سواء كانت أسماء الوظائف أو الترتيب في سلم التعليم، أو أسماء الأدوات المستخدمة في كليهما .

والفهم الصحيح يدل على أن الخلوة جزء من المسيد وليس المطابقة، لأن الخلوة هي مكان طلاب المسيد، ولكن أصبح استخدام الخلوة للدلالة على مكان تحفيظ القرآن، من الأخطاء الشائعة التي يصعب إقناع العامة بها ورد المعنى إلى أصله في كل حالة.

دورها في تعليم اللغة العربية:

مما لاشك فيه أن السودان كان على صلة قوية جدا بالجزيرة العربية قبل الإسلام، ولانظن أن المؤثرات التي تسربت مع العرب منذ وقت سابق لانغلاق البقط، وما أعقب ذلك من تأسيس المساجد وتدفق الجماعات العربية بثقافاتها ولهجاتها المختلفة، وقيام المشيخات العربية ، لانظن أنها مرّت دون أن تترك أثرا على تعليم اللغة العربية، واكتساب شيء من ثقافتها بين السودانيين ، ولكن ذلك الأثر ظل ضعيفا حتى ظهور الإسلام، ولكنه مهد للتحول الذي حدث بعد ذلك، وبلغت فيه العربية والإسلام أن قامت عليها دولا عمت كل أنحاء السودان[١٤].

فالخلوة التي عرفها أهل السودان كيان يوفر لمرتاديه فرصة حفظ القرآن الكريم وتعلم الفقه والعبادات ، وقبل ذلك تعلم اللغة العربية والتي هي الوعاء الذي يحمل الإسلام[١٥].

إذا كان هدف الخلوة تحفيظ القرآن الكريم، فإن ذلك لايمكن إلا بمعرفة دقيقة باللغة العربية، وعليه كان برنامج الخلوة يبدأ مع التلميذ الذي يقبل حديثا بتعليم اللغة العربية أولا ، ويتدرج الطالب المبتدئ في جرعات متتالية تبدأ بتعلم الحروف الهجائية أولا بكتابتها ثم على التراب ومحوها وتكرار ذلك أمامه، ثم توجيهه بمحاكاتها عن طريق تكرار إمساك المعلم لإصبع التلميذ (السبابة) وتقريرها على الحرف المكتوب والمراد تقليده، أو توجيهه ليفعل ذلك بنفسه دون مساعدة، ويظل يكررها في كل يوم إلى أن يستقر رسمها في ذهنه، عقب الانتهاء من معرفة الكتابة لكل الحروف وحفظها مرتبة، يعلم التلميذ بيان المعجم أي المنقوط من الحروف والمهمل منها، وينطقها الحيران على النحو التالي:

الباء لاشيء عليه.

الباء واحدة من تحتي.

التاء اثنين من فوق لي.

الثاء ثلاثة من فوق لي.

الجيم واحدة من تحتي.

الحاء لاشيء عليه.

الخاء واحدة من فوق لي.

الدال لاشيء عليه .

الذال واحدة من فوق لي.

الراء لاشيء عليه .

الزين واحدة من فوق لي.

السين لاشيء عليه.

الشين ثلاثة من فوق لي.

الصاد لاشيء عليه.

الضاد واحدة من فوق لي.

الطاء لاشيء عليه.

الظاء واحدة من فوق لي.

العين لاشيء عليه.

الغين واحدة من فوق لي.

الفاء واحدة من فوق لي.

القاف اثنين من فوق لي.

الكاف لاشيء لي.

اللام لا شيء عليه.

الميم لاشئ عليه.

النون واحدة من فوق لى.

الهاء لا شئ عليه.

الواو لاشئ عليه.

الياء اثنتين من تحتى.

وبعد أن يميز الحوار بين الحروف المنقوطة وغير المنقوطة، يدخل مرحلة أخرى وهى مرحلة تعلم الحركات الأربعة النصب، والكسر (ويعرف بالخفض)، الرفع والسكون. ثم يبدأ بعد ذلك فى كتابة السور القصيرة ويتدرج فى معرفة ذلك عن طريق تصحيح "الشيخ" له كلما احتاج إلى ذلك ، وكانت علوم اللغة من نحو وصرف ومنطق وبلاغة من مواد الدراسة، وهى المواد الموصلة لفهم القرآن الكريم والفقه والتوحيد. وأما المقررات فلم تكن تخرج عن المؤلفات المتداولة فى ذلك الوقت فى الأزهر[١٦].

وبجانب ما سبق كانت هناك رغبة برواية السِّيَر والأخبار وإنشاد المدائح النبوية، أما الفلسفة فرغم اهتمام رجال الخلوة والمسيد بعلم الكلام إلا أننا لم نجد لهم اهتمام يذكر بها .

إعداد الطفل فى الخلوة :

تتعاون الخلوة مع المنزل فى تنشئة الطفل مسلما مؤمنا بربه، عاملا بتعاليم دينه، حافظ للقرآن الكريم، وقد تركت منهجها الدراسى وشخصية معلمها وصلتها بالمجتمع آثارا واضحة فى تكوين الأطفال وطبعهم بطابع خاص، سمته الوقار والهدوء والتقوى واحترام الوالدين والكبار.

وإذا كانت التربية- فى مفهومها العام- تعنى إعداد الطفل ليتقبل أسلوب الحضارة السائدة فى المجتمع ليتسنى له مواجهة مطالب الحياة عندما يكبر، وتعده ليكون عضوا عاملا فى مجتمعه ، فإن الخلوة ساهمت فى إعداده لذلك، وعلمته الاعتماد على النفس والاستقلال والتعاون وإنكار الذات ، أى علمته قيم مجتمع دينى وطبعته بسلوك معين، لا كما يريده هو ، بل كما أراده له مجتمعه "التقليدى" الذى تمثل فيه قيمة الخلوة والمنزل والجماعات المحيطة بها، ولذلك ينشأ الطفل ويكبر وهو متمسك بهذه القيم.

يؤدى الأطفال أعمالا مختلفة فى الخلوة، فواحد يكتب، وآخر يقف أمام الفكى أو العريف ليسمع ما حفظه ، وآخر يعيد قراءة ما حفظه ، والفكى فى كل ذلك يقوم بالإشراف عليهم جميعا ، وليس من شك فى أن هذا الاتصال اليومى بالأطفال، وتصنيفهم إلى مستويات مختلفة ، والإشراف المباشر على كل طفل أقرب إلى فهم طبيعتهم وإدراك ما بينهم من فروق[١٧].

وهناك نظام دقيق يحكم البرامج الدراسية، فيه مراعاة للقدرات المتباينة للطلاب، وفيه مراعاة لحاجة الجسم للراحة . فصغارهم تنتهى دراستهم قبل الكبار الذين يواصلون لساعات متأخرة من الليل.

وهناك مؤثرات أخرى كان لها أثرها فى تكوين شخصية الطفل، وتتلخص فيما يلى:

١- يشترك الأطفال فى إدارة شئون الخلوة، وفى جمع الحطب لإيقاد النار، وفى جلب الماء، وفى بناء الخلوة وملحقاتها ، وفى إعداد الطعام أحيانا، وفى خدمة ضيوف الخلوة، وفى صنع أدوات القراءة والكتابة ، وكل هذه الأعمال تغرس فيهم روح التعاون وحب العمل.

٢- كثيرا ما عمل الأطفال فى مزارع الخلوة أو مزارع الأهالى الذين كانوا يستعينون بأطفال الخلاوى فى المواسم الزراعية، مما يدل على التعاون بين الخلوة والبيئة، ويخلق نوع من الارتباط بين الخلوة والبيئة المحيطة بها ، ويشعر الطفل أنه مفيد لمجتمعه ويستطيع أن يقدم بعض الخدمات مما يؤهله لأن يكون مواطنا صالحا فى المستقبل.

معلم الخلوة والمسيد (الفكى):

يحمل المعلم الذى يقوم بتدريس علوم القرآن واللغة العربية فى معظم أنحاء العالم الإسلامى لقب شيخ وينادونه جيرانه وعامة الناس (يا شيخنا) ، كما يحمل فى بعض البلدان لقب سيد وينادونه (يا سيدنا) .

إلى جانب سيدنا وشيخنا كان معلم الخلوة فى السودان يعرف باسم (الفكى) ، وأصلها يرجع إلى فقه وفقيه، فبعد أن كانت تدل على (فقيه) المعروف فى اللغة العربية الفصحى كرجل متدين، اصطبغ معناها بصبغة محلية سودانية، وأصبحت فى الاصطلاح دالة على

---

* من الطلبة الكبار الذين قطعوا شوطا طويلا فى حفظ القرآن.

معاني أخرى إضافية منها صاحب الشعاويذ والعزائم، واختلطت الكلمة بكلمة (فقير) تتماثل الحرفين الأولين فيها، والفقير من معانيه في السودان (الدرويش أو المتعبد)، وهي تطلق على المريد من أتباع الطرق الصوفية، فأصبح من معاني الفكي المتعبد أو الزاهد[١٨٨].

للفكي دور كبير في تربية الأطفال وتعليمهم، فهو يعلمهم القراءة والكتابة ويحفظهم القرآن الكريم، ويعلمهم السلوك القويم واحترام الكبار والمتعلمون وغيرها من صفات يكتسبها الصغار إما مباشرة بما يلاحظونه من سلوكه أو حديثه، وإما بما يلقنه إياهم من إرشادات بين وقت وآخر، ويلعب منهج الخلوة ومحيطها دورا كبيرا في ذلك، وبسبب هذا التفاعل ينشأ الصغار على آراء وأفكار يصعب التحول عنها فيما بعد.

وللفكي أثر آخر غير مباشر بما يحتله من مكانة عند الناس الذين يتوسمون فيه الصلاح ويعدونه مرجعا في أمور دينهم ودنياهم، وهي ظاهرة يلمسها الأطفال عن كثب فيزداد إيمانهم به، وتكبر شخصيته أمام أعينهم، فلا يعصون له أمرا، ويعتبرونه مثلهم الأعلى. ومعنى هذا شأنه نستطيع أن نعرف مبلغ علمه وسلوكه، ومرجع ذلك إلى أن الصغار وقد تأثروا به كانوا يشغلون في الأكثر نفس الوظيفة، ويتركون بدورهم تأثيرا مماثلا في الصغار وفي البيئة المحيطة بالخلوة والمسيد[١٩١].

وعليه «فإن أثر الخلوة يرتكز بشكل مباشر على فئة المعلمين أو الفكيا، وقد تركت هذه الفئة أثرا واضحا في تعليم الأطفال وإعدادهم، كما تركت أثرا واضحا في حياة الناس عامة وفي تحول أهل السودان للإسلام، ولاكتساب الثقافة العربية بشغف شديد، وكان لاشتغالهم بالتدريس دون سواهم، أثره في إذكاء نار القرآن، كما أنهم قاموا بدور تربوي خطير ساعدهم على ذلك كونهم في مجتمع متقلل يعيش على الكفاف واقتصاد الكفاية، ويحركه موروث ثقافي وديني لا يبعد كثيرا عما ينشره الفكي، ولذلك ما من نشاط اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي أو أي نشاط في قرية أو مدينة إلا وكان للفكي دور فيه، سواء كان هذا الدور مباشر أو غير مباشر، وثمة عوامل جعلته يحظى بهذه المكانة نجملها فيما يلي:[١٩٢]

١- كثيرا ما كان الفكي ينفرد بالمعرفة، ويعرف أسرار الكون، وتفسير الأحلام ويعالج المرضى، ويميز بين الحلال والحرام، ويعلم أحكام العبادات والفقه، ويقدم الفتوى ويحسم النزاعات ويقوم بدور الإمام والمأذون والقاضي والمرشد ... الخ.

٢- إذا توارث الفكي مهنة التدريس من أب أو جد مشهور بالكرامة، أو كان ينتمي لطائفة دينية معروفة، فإن هذا يكسبه مكانة واحتراما، ولا يهم في هذه الحالة علمه واجتهاده.

٣- إنه كان القائم بتعليم أطفالهم، وتقويم سلوكهم وتحفيظهم القرآن، وهو غاية ما كان يصبوا إليه الآباء.

فعملا بمبدأ القدوة الحسنة خيرٌ من الوعظ، فمن الفكي نموذجا كان مصدر إعجاب وتقدير كل الناس، لذلك كانوا يقلدونه تقليدا أعمى، ويقتفون أثره، لأنه كان مصدر المعرفة والعلم الوحيد في المجتمع، وكان يعامل العامة بدرجة عالية من الاحترام والحب- على الأقل ظاهريا- لذلك كان الناس يبادلونهم حبا بحب واحتراما باحترام، ولولا هذا التفاعل بين الخلوة والمجتمع لما انتشر الإسلام والثقافة العربية في السودان.

وكان للنبوغ صيت الفقهاء (الفكيا)، واعتقاد الملوك في كراماتهم وتوسم الصلاح فيهم، وفي قبول شفاعتهم أثرها في أن يتخذهم العامة ملاذا ساعات الضيق والشدة والرحيل إليهم أفراد وجماعات.

أثرهما في التاريخ المعاصر:

نتيجة للتوسع في التعليم النظامي وانتشار المدارس في أنحاء السودان انصرف التلاميذ إليها، وبدأت الخلاوي تتوارى بعد أن كانت مناط تحفيظ القرآن وتعليم اللغة العربية، وقد خشي المسؤولون أن يؤدي ذلك إلى إضعاف الدين، فظهرت فكرة إنشاء مؤسسة تتبع لوزارة الشئون الدينية والأوقاف، جعلت مهمتها الإشراف على التعليم الديني ورعاية مؤسساته، وتحفيظ القرآن بصورة صحيحة، ونشر القرآن وعلومه وتخريج قراء يجيدون التلاوة الصحيحة والنطق السليم وجعل القرآن الكريم منهاجا لحياة الفرد المسلم والجماعة.

ولتحقيق هذا الهدف بدأت وزارة الشئون الدينية والأوقاف في إنشاء مراكز التدريب على حفظ القرآن، ومراكز وسطى، واعتماد شهاداتها في وزارة التربية والتعليم وعرفت باسم الشهادة الأهلية، وهي معادلة للشهادة الثانوية تتيح للطالب فرصة الالتحاق بالجامعات في تخصصات محددة. وتم تقسيم الخلاوي إلى ثلاثة أنماط[١٩٣]:

١- خلاوي نظامية: يقوم بالتدريس فيها مدرس واحد، وتلاميذها أغلبهم في أعمار تتراوح ما بين الخامسة والسابعة، ويتعلمون فيها مبادئ القراءة والكتابة والحساب، ويحفظون

بعض سور القرآن الكريم، ومثل هذه الخلاوى تعيش على الإعانات التي تأتيها من الدولة ومن بعض الخيرين ومن أولياء أمور التلاميذ.

٢- خلاوى المساج: وتعتبر جزءا من المساجد، وهذا النوع أكثر انتشارا في القرى- وإن كان موجودا في المدن أيضا- والمدرس في مثل هذا النوع قد يكون إمام المسجد أو أي شخص آخر تتوفر فيه المؤهلات اللازمة لأداء هذه المهمة، والدراسة فيها تنحصر في تحفيظ بعض سور القرآن الكريم وبعض مبادئ القراءة والكتابة، ولايشترط فيه سن معينة، وغالبا ما تنشط مثل هذه الخلاوى في فترة العطلة الصيفية حيث يكون الطلاب في فترة إجازة طويلة، يدفعهم أهلهم إلى تلك الخلاوى يقضون فيها النهار يدرسون القرآن وبعض علوم اللغة العربية.

٣- خلاوى القرآن: وتقوم بتحفيظ القرآن الكريم، وتلاميذها يأتون إليها لهذا الغرض ولايتطلعون إلى كسب دنيوي من دراستهم، وإذا كان تحفيظ القرآن هو المحور الذي تدور حوله الدراسة في هذه الخلاوى، فإنها قد لاتهتم بتدريس غيره إلا اللغة العربية، بغرض فهم وحفظ القرآن الكريم.

أما المسيد فلم يتأثر كثيرا كالخلوة، وذلك لأنه يحتوي على برامج ثابتة يقوم عليها أحد مشايخ الطرق الصوفية، فلكل شيخ مسيد لاتنقطع الدراسة فيه، وهنالك أعداد من التلاميذ يفضلون الانضمام للمسيد بمنطلقات مختلفة وإن كان جوهرها حفظ كتاب الله العزيز، ولكن بعض التلاميذ يدفع بهم أهلهم للمسيد لأن الدراسة فيه لاتحتاج إلى نفقات مادية أو مصاريف دراسية كما في التعليم النظامي.

انتشر في الفترة الأخيرة في السودان نوع من التعليم الذي يخلط بين نظام التعليم الحديث والتعليم الديني التقليدي في نوع من المزاوجة المدروسة عُرف باسم المدارس القرآنية، وهي مدارس تقوم بتدريس الطلاب وفق السلم التعليمي الرسمي للدولة، ولكن بمناهج مختلفة تحتوي على جرعات دينية أكبر بكثير مما هي عليه في مناهج التعليم العام.

خاتمة :

إذا كانت الثقافة حسب تعريف تايلور هي : (ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والمعتقدات والتقاليد والأفكار، والتصورات، وكل القيم التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع) : فإن الخلوة قد صاغت الفرد والمجتمع السوداني وصهرته في

بوتقة الثقافة العربية الإسلامية، وذلك بما حققته من تغيير في رؤى وسلوك السودانيين، وقد تم التحول إلى الثقافة العربية بشكل تدريجي وسلمي، ولم تحدث أي حالات تذمر أو رفض من قبل الأهالي.

تحول المجتمع السوداني إلى الثقافة العربية الإسلامية طوعا واختيارا، وعلى الرغم من أن المسيحية- كدولة- استمرت حوالي عشرة قرون (١٠٠٠ سنة) تقريبا، وأن الإسلام - كدولة أيضا- استمرت حوالي خمسة قرون (٥٠٠ سنة) تقريبا، إلا أن الثقافة العربية الإسلامية قد سيطرت على كل الشعب السوداني تقريبا، ولكن بدرجات متفاوتة بين أقاليم السودان المختلفة، وحتى الدين يرفضون الانتماء العربي من الناحية العرقية، هم عرب من الناحية الثقافية.

وقد لعبت الخلاوى والمساجد ومؤسسات التعليم الديني الأخرى الدور الأساسي في نشر اللغة والثقافة العربية في السودان، من خلال تدريس القرآن الكريم وعلومه من فقه وتوحيد وعبادات ومعاملات، وتدريس اللغة العربية وعلومها من أدب ونحو وصرف وبلاغة وغيرها، بإمكانات متواضعة لايتوقع منها كل هذا المردود الايجابي الطيب، وبقدرات أعلى بكثير مما نتصور نحن الآن.

لقد مثلت هذه التجربة الفريدة للتعليم في بيئة بدائية بالمقاييس الحديثة .. بيئة عربية- أفريقية، زراعية وشبه صحراوية، تقوم على اقتصاد الكفاف، وتغطي فترة زمنية سابقة بقرون وأجيال للاقتصاد التقني المتطور والتغيرات المتسارعة التي يتصف بها العالم المعاصر، إلا أنها كانت مع كل ذلك تحمل الخصائص والبذور التي تجعل منه نظاما قابلا لمجابهة المتطلبات المعاصرة، لأن التجربة كانت تحمل في جوفها خصوصية التربية الإسلامية المؤسسة على هدى القرآن الكريم والشريعة الإسلامية واجتهادات العلماء والفقهاء المسلمين في عصورهم المختلفة.

وعلى الرغم من أن التربية الإسلامية بهذا المفهوم - كانت وما زالت- في مجملها مجرد تصور نظري لمجموعة من المبادئ والإرشادات والاستخلاصات عنمانها من القرآن والسنة، ولم تجد التطبيق العلمي في أرض الواقع إلا في وحدتها الأساسية- الخلوة القرآنية- والمراحل غير المبرمجة التي تتلوها، إلا أنها في نموذجها السوداني وفي الظروف التي أحاطت بنشأتها

وتطورها في البيئة السودانية استطاعت أن تجود بأروع ما فيها من مبادئ وقيم تحسدت فيها خصائص ما زالت تفتقر إليها النظم التربوية الحديثة.

ونرى في نموذج الخلوة والمسيد تجربة رائدة في تكاملها وعمقها وانتشارها، وكأنها تتجاوز مجتمعات القرن الواحد والعشرين، إنها تحمل كثيرا من الرؤى والطموحات التي ظلت تنادي بها المجتمعات العصرية ، ولاتكاد تحققها إلا فيما ندر... مجانية التعليم، تعميم التعليم تكافؤ الفرص في تناوله.. ارتباطه بالبيئة، قيامه على المنظومة الأخلاقية ، بل إنها وفي كثير من جوانبها وتطبيقاتها العلمية تتجاوز الواقع العصري إلى محاطبة المستقبل، حرية الحركة العلمية بالفعل، الحدود الجغرافية بين طلاب العلم ومؤسساته وأساتذته ، إشاعة التعليم بلاشروط مقيّدة ولا التزامات عصية .

كما أن هذه التجربة في سعيها لتحقيق مبدأ (المجتمع المتعلم) و(التربية المستمرة) ومجانية التعليم - وهي من أحلام المتفائلين من دعاة التجديد التربوي - نقلت مفهوم الأعمال الخيرية في التعليم إلى واجب والتزام أدبي يكاد في كثير من الأحيان يكون هو الحد الأدنى لإعانة التعليم من الرعاة والحكام والقادرين من المواطنين، وبفضل هذه الرعاية التي أسبغها المجتمع السوداني على التعليم أصبح السودان أول (سوق حرة) للعلم لا قيد على أحد في تناوله واكتسابه إلا قيد الرغبة فيه والقدرة عليه.

الهوامش

١- ابن منظور : لسان العرب، ج١٨ ، ص٢١٦ .

٢- عون الشريف قاسم : قاموس اللهجة العامية في السودان، شعبة أبحاث السودان، المجلس القومي لرعاية الآداب والفنون، ١٩٧٢م، ص ٢١٠ .

٣- الطيب محمد الطيب : المسيد، ط٢ ، مؤسسة الصالحاني للطباعة، دمشق، ١٩٩٩م، ص ص٧٦، ص٧٧ .

٤- المعتصم أحمد الحاج : الخلاوى في السودان نشأتها ورسومها (حتى نهاية القرن التاسع عشر) ، جامعة أم درمان الأهلية، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، ٢٠٠٥م ، ص٧٢ .

٥- الطيب محمد الطيب : مرجع سابق، ص ص٧٨ ، ٨٢ .

٦- عفاف عبد المنعم حسب الله : دور الخلوة في التعليم قبل المدرسي في السودان، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٣م، ص ٤٣ .

٧- الطيب محمد الطيب : مرجع سابق، ص٧٣؛ المعتصم أحمد الحاج : مرجع سابق، ص ص٧٩-٨٠ ؛ حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله : دور الصوفية في ميدان التربية والتعليم، جامعة أم درمان الأهلية، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية ، ٢٠٠٥م، ص٣٦ .

٨- عون الشريف قاسم : دراسات في العامية ، الدار السودانية للكتب، ١٩٧٤م، ص٧٦ .

٩- حسن الشيخ الفاتح قريب الله: مرجع سابق، ص٣٦ .

١٠- الطيب محمد الطيب : مرجع سابق، ص٧٣-٧٤ .

١١- عون الشريف قاسم : دراسات في العامية، ص٧٨ .

١٢- المعتصم أحمد الحاج : مرجع سابق، ص ص٨٠-٨١ .

١٣- حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله: مرجع سابق، ص ص٥٤- ٥٥ .

١٤- يحيى محمد ابراهيم : تاريخ التعليم الديني في السودان، دار الجيل ، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٨ .

١٥- عبد المالك الطاهر المهل: كنزانج- سفر من الغرون، الأمانة العامة للخرطوم عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٥م، يناير ٢٠٠٤م، ص٩٩ .

١٦- يحيى محمد إبراهيم : مرجع سابق، ص٢٨ .

١٧- نفس المرجع ، ص١٠٤-١٠٥ .

١٨- عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان، بيروت ١٩٦٧، ص١٩ .

١٩- يحيى محمد إبراهيم : مرجع سابق، ص١٠١ .

٢٠- نفس المرجع ، ص١٠٤ .

٢١- نفس المرجع ، ص ص٣٩٦- ٣٩٧ .

د / كرم الصاوي باز(*)

المعممون السودانيون في الأزهـــر الشريف

ودورهم الديني والثقافي في عصر دولة سلاطين المماليك

(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)

مقدمة

كان للمماليك اهتمام كبير باحتضان أبناء القارة الأفريقية ،وخاصة بـالإقليم الـذي عرف ببلاد الـسودان[١]، ليعني في عرف الجغرافيين العرب ، البلاد الواسعة التي يسكنها السود " الأساود " الواقعة في جنوب الصحراء الكبرى ، الممتدة من جنوب مصر ، إلى خـط وسـط الأرض ــ الاستواء ــ ومن البحر الأحمر ، حتى المحيط الأطلسي ، ويشقها نهر النيل ، الـذي أصبح اسما لكل نهر في أفريقيا ، إذا لم يكن بتصور وجود نهره وأن روافده تمتد إلى كل ناحيـة فيها، حتى أن الرحالة ابن بطوطة، سمى النيجر نيل مصر [٢].

وقد ظهرت تسمية الـسودان لأول مرة في لقب خليفة مصر الفـاطمي ، الـذي عـرف بصاحب الـسودان ، منذما كان يعرف بخليفة مصر ، وذلك لكثرة عناصر الـسود في المناصـب

(*) أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية – جامعة القاهرة

الديوانية [٣]، مما يدل على أن تسمية السودان ، ليس لها مدلول جغرافي فقط ، وإنما بالأولى مدلول قرابط أيضاً ، ففي واقع الأمر فإنه يرجع إلى المماليك الفضل في الربط بين مصر وأفريقيا، مثلما كان الحال في الأزمنة القديمة مع أنه قبل المماليك ، لم يظهر السودان في سياسة حكام مصر إلا قليلاً ، على أنه جزء منفصل عن مصر [٤].

فقد استيقظت أفريقيا نتيجة لجهود مصر في نشر الإسلام ، وأصبحت في وفاق مع دولة المماليك ، حامية الخلافة العباسية [٥]، التي أصبحت تمنح ملوكها المسلمين التقليد الشرعي من القاهرة [٦].

يضاف إلى ذلك أن مصر منذ حكم سلاطين المماليك قد أصبحت وحدها حاملة مشعل الثقافة العربية بعد أفول مراكزها الكثيرة في الشرق ، ولا سيما في بغداد [٧]، نتيجة للغزو المغولي [٨]، وفي الأندلس مثل قرطبة ، نتيجة الحركة الريكونكستا ، حيث أصبحت مصر مقصد العلماء المسلمين من كل مكان ، يأتونها ليجدوا في رحابها الانفتاح الثقافي ، فكانت القاهرة تمثل في أزهرها الشريف مركزاً للإشعاع العلمي والثقافي ، يفد إليها طلاب العلم ، لتعدد علومها، ثم إن وجود الخلافة في مصر ، كان سبباً آخر في ازدهار الثقافة فيها ، فيقول المؤرخ السيوطي عن ذلك : " إن الإيمان والعلم يكونان مع الخلافة أينما كانت ، حيث صارت مصر داراً للخلافة عظم أمرها ، وكثرت شعائر الإسلام فيها ، وصارت فيها كل مساكن العلماء ، ومحط الرحال الفضلاء [٩]".

ثم كان احتكار المماليك للسياسة ، سبباً في أن جعل العلماء يتفرغون للعلم بحيث نبغ منهم عدد كثير ، أثروا الثقافة العربية، ليس فقط في مصر – في وقت المماليك – وإنما أيضاً بالنسبة للعالم الإسلامي كله ، وحتى وقتنا ، كذلك تراث ضخم لم يعرف له مثيل ، خلفه علماء ذلك العصر في مؤلفات كثيرة ، تعتبر أساس البحث العلمي في علوم مختلفة دينية وعقلية ، ولا شك أن الثقافة العربية ، كانت قد رسخت في مصر بعد المشوار الطويل الذي قطعته ، بحيث إن علوماً كثيرة قد فحلت بحثاً ، ولم يعد من الممكن الزيادة عليها " ولمقت فيها أسواق العلوم ، ورخرت بحارها [١٠]".

حقاً إن مصر في عصر المماليك اعتبرت أعظم البلاد قاطبة ، حينما عبر ابن خلدون عن ذلك بقوله : " ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر ، فهي أم العالم ، وإيوان الإسلام وينبوع العلم والصنائع [١١]".

وهذه الدراسة تلقي الضوء على طبقة من طبقات أهل البلاد وهم المعممون أو أهل العمائم السودانيين من العلماء والفقهاء والأدباء والكتاب ، وقد باشروا الوظائف الديوانية والدينية والتعليمية [١٢]، كانت للأزهر مكانة خاصة يعاونه على ذلك اتساع حلقاته وما يلاقيه فيه الطلاب من أسباب التيسير في الدراسة والإقامة ، وقد غدا الأزهر منذ أواخر القرن السابع الهجري كعبة الأساتذة والطلاب من سائر أنحاء العالم الإسلامي، وغدا أعظم مركز للدراسات الإسلامية منذ القرن الثامن الهجري ، وقد نبوأ نوعاً من الزعامة الفكرية والثقافية في مصر والعالم الإسلامي ، وكان علماؤه يحظون بالتقوى والجاه ويشغلون وظائف القضاء العليا ، وكان لفتواهم مؤثر في سياسة الدولة العليا [١٣].

وزاد إقبال الطلاب في شتى أنحاء السودان للدراسة في الأزهر لدراسة المذاهب السنية وبخاصة المذهب الشافعي ، كل أولئك دعوا إلى اتخاذ أروقة الجامع كمساكن يأوي إليها الطلاب الوافدون من بلاد السودان ، فكان فتح أبواب الأزهر وأبواب الأروقة على مصراعيها للظامئين إلى العلم والمعرفة من مصر ، وخارجها نقطة تحول هامة في تاريخ الأزهر ، وبداية نظام الأروقة كمساكن للطلبة[١٤]، ومنها رواق الجبرتية ، مخصصاً للوافدين من الحبشة ومقديشو ويقع في داخل رواق الرنبة، وهو أكبر منه مساحة ، وقد اكتسب رواق الجبرتية شهرة تاريخية ، إذ اشتق اسمه من بلدة جبرت ، وهي ثغر يقع على الساحل الافريقي لخليج عدن ، وينتمي هذا الثغر بلاد زيلع أو ينتسب إلى هذه البلدة المؤرخ المشهور عبد الرحمن حسن الجبرتي ، ارتحل جده السابع إلى مصر في مطلع القرن العاشر الهجري حوالي نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وجاور الجامع الأزهر ، وعين شيخاً لرواق الجبرتية ، واستوطنت أسرة الجبرتي مصر منذ ذلك الوقت ، واشتهر أفرادها بالإقبال على العلم فتخرجت نخبة من العلماء كان من بينهم الشيخ حسن الجبرتي والد المؤرخ وابنه الشيخ عبد الرحمن ، وقد تتابع أفراد الأسرة على مشيخة رواق الجبرتية زهاء ثلاثة قرون[١٥].

وخصص لأهل السودان الشرقي رواق الزيالعة والحبشة [١٦].

ورواق السنارية : استقبل الطلاب الوافدين من إقليم سنار في سودان وادي النيل ويقع إلى يمين المدخل من باب المغاربة قبل باب رواق الأتراك [١٧].

ورواق الدكارنة : وكان هذا الرواق مخصصا لإقامة الطلبة الوافدين من بلاد التكرور وسنار ودارفور ويتولى شيخه من التكروريين ، ويقع الرواق فى طرف المقصورة الجديدة فسوق الإيوان إلى شمال باب الصعايدة [١٨].

ورواق دكارتة صليح : خصص لأهل الكانم والبرنو ويقع بجوار رواق الشرقاوية [١٩]، ورواق البرابرة: خصص لأهل شنقيط [٢٠].

وقد ناقشت هذه الورقة النقاط التالية :

المبحث الأول :

العوامل المؤثرة في الرحلة العلمية السودانية فى الأزهر الشريف زمن سلاطين المماليك .

أ ــ مكانة مصر السياسية والعلمية .

ب ــ ركب الحج السودانى .

جـ ــ أحياء الخلافة العباسية بالقاهرة .

د ــ استقرار العلماء السودانيين بمصر .

هـ ــ امتيازات العلماء السودانيين .

المبحث الثاني :

المجاورون السودانيون في المجتمع المصري

عصر سلاطين المماليك :

أ ــ إحصاء السودانيين بمصر .

ب ــ الجمع بين الصوفية والعلوم الدينية .

ج ــ المنشآت الاجتماعية السودانية .

هـ ــ تحقيق الثروة والنفوذ لبعض العلماء والفقهاء .

و ــ الألقاب المصرية لأبناء الجالية السودانية .

ز ــ المنح السلطانية .

ح ــ الملبس والمأكل والمشرب ، والاحتفالات .

المبحث الثالث :

العلماء السودانيون في الأزهر الشريف فى عصر دولة سلاطين المماليك .

أ ــ أشهر العلماء السودانيين الذين تخرجوا من الأزهر الشريف ، ومارسوا التدريس.

ب ــ أشهر علماء السودان الغربى ، تبادل الأفكار والرسائل بين علماء مصر وبلاد التكرور .

جـ ــ رسالة السيوطي إلى حكام الهوسا .

د ــ المجاورون الأحباش ودورهم الديني والثقافي فى مصر عصر سلاطين المماليك .

هـ ــ المجاورون الزيالعة ودورهم الديني والثقافي في مصر .

و ــ المجاورون النوبيون ودورهم الديني والثقافي فى مصر .

المبحث الرابع :

السودانيون والإجازات والمناهج الدراسية فى عصر دولة سلاطين المماليك

أ ــ الإجازات العلمية التي تمنح للعلماء والفقهاء السودانيين فى عصر دولة سلاطين المماليك.

ب ــ أنواع الإجازات العلمية .

ج ــ الدراسة بالأزهر .

د ــ مراسيم تعيين العلماء فى الأزهر .

هـ ــ ألقاب علماء الأزهر .

الخاتمة .

والملاحق :

أ ــ أشكال توضيحية .

ب ــ خرائط توضيحية .

جـ ــ نماذج لبعض الإجازات العلمية السودانية .

هوامش البحث

المصادر والمراجع

المبحث الأول

العوامل المؤثرة فى الرحلة العلمية السودانية فى الأزهر الشريف

زمن سلاطين المماليك

أ ــ مكانة مصر السياسية والعلمية :

برزت مكانة مصر السياسية والعلمية خلال عصر دولة سلاطين المماليك ، إذ أصبحت لها الريادة والزعامة السياسية والتى امتد حكمها لمصر حتى عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧م، بالإضافة الى إحياء الخلافة العباسية فى مصر عام ٦٦٠هـ / ١٢٦٧[١١].

وشهدت مصر ازدهاراً فى الحركة العلمية والتعليمية فكثر بها عدد الفقهاء من أهل العمامة السودانيين ، الذين وفدوا للدراسة والمجاورة فى رحاب الأزهر الشريف[٢٢]. وهذا ما ساعد على جعل مصر موئل الفكر الإسلامى فى الشرق ، والعالم الإسلامى لفترة حكم المماليك[٢٣]. كما اقيمت فى القاهرة العديد من المدارس التى قامت بدور بارز كمراكز للإشعاع الثقافى والعلمى مثل : المدرسة الصالحية والمدرسة الكاملية، والمدرسة الظاهرية القديمة ، والمدرسة المنصورية ، والمدرسة الناصرية ، والمدرسة المؤيدية[٢٤].

وقد جذب الجامع الأزهر بمصر أبناء النخبة المثقفة من اصحاب العمائم السودانيين وخاصة أهل التكرور[٢٥].

والكانم والبرنو[٢٦]، والنوبة والبجة[٢٧]، وبلاد الزيلع الإسلامية وشرق أفريقيا[٢٨].

وقد نتج عن الوضع السياسى القوى والذى تمثل فى دولة سلاطين المماليك فى مصر ، وكذلك مكانة مصر العلمية المزدهرة بها إلى ذيوع شهرة كثير من العلماء مما جذب الكثير من طلاب أهل العمامة السودانيين بصفة خاصة[٢٩].

ب ــ ركب الحج السودانى :

وقد جذب الطريق الحجاج عبر رحلتهم من السودان الغربى قاصدين الوصول إلى مكة المكرمة ، وصولاً بالرحلة الأفريقية عبر الشمال الأفريقى متجهين إلى مصر، ومن ثم أصبحت مصر موئلاً واستقطاباً لكثير من أبناء السودان الغربى فيما عرف بركب الحج التكرورى[٣١].

كما كان الحجاج يتوقفون أيضا فى طريقهم للحج أو فى عودتهم منه فى المراكز التى يمرون بها لأغراض التجارة ، وقد كانوا يجنون أرباحاً طائلة من هذه التجارة ، ولم يكن كل هؤلاء التجار طلاب ربح ومال ، حيث إن بعضهم كان من أهل العلم والمعرفة ، وعملوا فى نشر الإسلام ، فالحج كان يعطى لتلك المراكز أو المحطات التى تمر بها قوافل التجارة ، أو الحجاج قيمة إضافية ، ونظراً لما يحليه لقب حاج ، على صاحبه من هالة وجاه ، فقد كان التاجر الذى يريد أن يكسب ثقة الناس يقوم بأداء فريضة الحج ، إذا كان يستقبلهم الملوك والسلاطين ورؤساء القبائل والعامة عند عودتهم ، ويتبركون بهم[٣١].

والرحلة فى طلب العلم أصبحت تقليداً علمياً إسلامياً منذ القرون الإسلامية الأولى ، وتواصلت عبر القرون ، حتى أصبحت تعد أحد أهم المظاهر الدالة على اكتمال تعليم الشخص، واستحقاقه لقب عالم ، والتنقل بين مراكز الثقافة فى الحياة الفكرية كالأزهر الشريف فى مصر ، مثلما قال ابن خلدون " لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشائخ ومباشرة الرجال[٣٢]".

اكتسب موسم الحج مناسبة مؤثرة بين أبناء مصر وبلاد السودان ، وبخاصة أن الحركة والنشاط قد أخذت تسرى فى أوصال المجتمع المصرى[٣٣]، فتزدهر الأسواق المخصصة لبيع لوازم الحجاج ، وينتظر المصريون هذه المناسبة بشوق ولهف[٣٤]، كما أصبح دخول مصر بالنسبة لحجاج التكرور يعنى الاتصال بحضارة عربية وإسلامية عميقة الجذور[٣٥].

جـ ــ إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة :

وشهدت مصر منذ إحياء الخلافة العباسية بها عام ٦٥٩هـ / ١٢٦٠ عصر السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨ ــ ٦٧٦ هـ / ١٢٦٠ ، ١٢٧٧م) قلب العالم الإسلامى، وأضيف لها مظاهر السيادة على الحرمين بتفويض من أول الخلفاء العباسيين فى مصر الحاكم بأمر أحمد (٦٩٦ ــ ٧٠١هـ / ١٢٩٦ ــ ١٣٠١ م) بعد موت سلفه[٣٩].

أما بالنسبة للملوك والأمراء ورؤساء الدول فإن الحج بالنسبة لهم مناسبة طيبة لمقابلة نظرائهم فى البلدان التى يمرون بها، الأمر الذى يؤدى إلى إقامة علاقات وبناء صداقات معهم ، فالملوك

والأمراء السودانيون على مختلف دولهم وعصورهم ، الذين خرجوا للحج ، أتاحت لهم رحلاتهم الحجازية الفرصة للاحتكاك برؤساء وولاة الدول الإسلامية المختلفة التي عاصروهم في مصر خاصة ، وشمال أفريقيا والحجاز عامة ، وخاصة أولئك الرؤساء والولاة الذين مر الحجاج المولد من السودانيين عبر الأراضي التي يحكمها هؤلاء ، والاتصال بمراكز القوة في العالم الإسلامي ، وإجراء المراسلات، وتبادل الهدايا مع رؤساء هذه القوى واقتباس نظم هذه الدول في الحكم والإدارة [٣٧].

كما أن الحج يرفع من مكانة الملك أو السلطان في وطنه إذا أدى الحج ، وتلقب بلقب « حاج » فالحج يضفي على الملك أو الأمير الذي يؤدي الفريضة مكانة محترمة بين المسلمين ، ومن ثم تتعزز مكانته كأمير للمؤمنين [٣٨] ، وقد يستخدم الحج أيضا للدعاية لهذا الملك أو الأمير كشخص كريم معطاء صاحب ثروة ومال ، وقد يساعد هذا في جلب مزيد من التجارة والعلماء والفقهاء إلى بلاده ليسهموا في تطور البلاد الاقتصادي والثقافي كما فعل منسا موسى ملك مالي عام ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م، ورغم أن رحلة منسا موسى لم تكن أول رحلة حج يقوم بها ملك سوداني ، الا أنه بما خلفته هذه الرحلة من صدى عالمي ، يرجع له الفضل في جلب اهتمام الباحثين والمؤرخين لأصداء الرحلة السودانية في مصر وأثرها على وضع تصور لمناطق الاستقطاب وعولمة العصر الوسيط بما عرف عن منتج الذهب [٣٩].

د ـ استقرار العلماء السودانيين بمصر :

وقد أسهمت هذه الهجرات السودانية في استقرار أعداد ليست قليلة من علماء السودان الغربي والأوسط ، والسودان الشرقي في مصر وبلاد الحجاز ، فعلى أرض مصر ، وجدت أحياء تخصهم بمسمياتهم مثل حي بولاق التكرور اخرفة عن التكرور [٤٠] المنسوب إلى أحد صلحاء التكارورة الذين دفنوا في مصر ، وهو الشيخ الصالح أبو محمد يوسف بن عبد الله التكروري المعاصر للخليفة الفاطمي العزيز بن المعز عام (٣٨٦هـ / ٩٩٦م) كما يوجد رواق التكارنة كأحد أروقة الأزهر ، ويعرف برواق البرنوية يزل فيه طلاب العلم من الكانوري والهوسا [٤١] وفي مكة المكرمة كان هناك حي معروف للمهاجرين السودانيين يعرف بحي التكرور [٤٢].

وقد كان يطلق خطأ في المشرق على أهل السودان لقب التكرور ، وهذا ما نلاحظه عند المقريزي ، وهو يتحدث عن مدرسة ابن رشيق المالكية بالقاهرة ، التي أنشأها أهل كانم ، فقال

عنها « ان المكان من طوائف التكرور لما وصلوا إلى مصر في سنة بضع وأربعين وستمائة (هجرية) قاصدين الحج ، دفعوا للقاضي علم الدين بن رشيق مالا بناها به ، ودرس بها فعرفت به بوصاره لما في بلاد التكرور سمعة عظيمة، وكانوا يعتمدون إليها في غالب السنين المال [٤٣].

وكانت هناك أيضا عوامل أخرى شجعت على الرحلة العلمية السودانية ، وكانت هذه العوامل تزكو وتظهر وتؤثر ألوى ما تكون زكوا وظهورا وتأثيرا إذا وجدت الجو المناسب لنموها، كانت في مصر جذور ثقافية عقلية قديمة تركت أرضا صالحة لنمو وازدهار الآداب والعلوم والفنون ، وكانت لمصر موارد مالية ضخمة لا تنضب ، وإمكانيات بشرية هائلة لا تحدها قيود؛ وكان هناك عامل آخر هو موقع الأزهر في مكان وسيط بين المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي، وقد برزت أهمية هذا العامل إذ غدا من السهل على العلماء أن يشدوا رحالهم إليه [٤٤].

وكان من بين تلك العوامل امتداد بلاد السودان فيما يلي مصر ، جعل العلاقات بين مصر وشعوب الأقاليم الإفريقية الإسلامية قائمة متصلة ميسرة ، ونذكر من هذه الشعوب : الشعب السوداني منهم جيرت في الحبشة ، وأهل التكرور ، وهم من أسبق الشعوب السودانية في غربي إفريقية إلى الإسلام [٤٥]، ومعهم الشناقطة.

هـ ـ امتيازات العلماء السودانيين :

كان العلماء الأزهريون من أهل السودان لهم امتيازات كثيرة من حيث ألقابهم ووظائفهم وتعيينهم ، وترتيبهم الطبقي ، فقد أطلق عليهم شرف العلماء والحكام [٤٦].

وقد اقترب علماء السودان من السلطة الحاكمة ، فأصبح لهم صلة بالسلطان من خلال وظيفة قاضي القضاة ، ووكالة بيت المال ، والحسبة والفتوى في دار العدل، وناظر الأحباش وناظر البيمارستانات [٤٧].

ومن الوظائف التي يتولاها شخص واحد نقابة الإشراف ، ومرتبة مشيخة الشيوخ ، وهناك وظائف يتولاها شخص أو أكثر مثل الخطابة وهي أصل الوظائف لدى العلماء وأيضا مهنة التدريس [٤٨].

وقد ساعدت الأوقاف المخصصة للمدارس والمساجد على تمتع العلماء نتيجة تعدد مواردهم المالية مما سيكون له أثره في استقلالهم بالرأي وتوجيههم للسلاطين والحكام [٤٩].

المبحث الثانى

المجموعون السودانيون فى المجتمع المصرى

عصر سلاطين المماليك

أ ــ إحصاء السودانيين بمصر :

جمعت أروقة الأزهر العديد من المجموعين السودانيين سواء فى السودان الغربى أو الأوسط والشرقى ، ففى مدينة القاهرة ، وبخاصة فى منطقة الفرافة الكبرى والصغرى ، تم إحصاء أعدادهم فى عام ٨٣٣هـ / ١٤٢٩ م بنحو ثلاثة آلاف نفس بين رجال ونساء وصغار [٥٠]. وقد بلغ تعداد الطلاب من البعوث الإسلامية فى الأزهر الشريف سبعمائة وخمسين طالبا حسب ذكر المقريزى [٥١].

وقد خصصت لأبناء السودان أحياء خاصة بهم : يرأسهم الشيخ أبو العز التكرورى[٥٢]، اختلط العديد من الجالية السودانية بالمصريين حتى شاع بينهم أنهاء من الصلحاء والزهاد من أمثال القاسم التكرورى ، الذى أقام خارج مدينة القاهرة وتوفى فى ذى الحجة ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م [٥٣]، ومن هؤلاء أيضا راشد بن عبد الله التكرورى اعتقد فيه العامة من المصريين ، أقام بجامع راشدة ، وقد صرف له جانب من الطعام والكساء[٥٤].

ب ــ الجمع بين الصوفية والعلوم الدينية :

ومن أصحاب الطرق الصوفية سراج الدين أبى الحسن بن المنفن (ولد فى ٢٤ ربيع الأول عام (٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) رحل والده إلى بلاد التكرور ، وعمل فى حفظ القرآن ثم رحل إلى القاهرة ، وأوصى ابنه إلى الشيخ عيسى المغربى الذى يلقن القرآن بجامع أحمد بن طولون فتعلم سراج الدين على يديه وحفظ القرآن واشتغل بمذهب الإمام مالك [٥٥].

وقد نشأت عن ذلك طائفة المجاذيب أو الدراويش ، وبعض المتصوفين الذين عاشوا فى الجوامع ، حيث صرفت لهم الرواتب اليومية من الأطعمة بجانب الأكسية السنوية[٥٦].

حقيقة لقد استوعبت مصر أبناء الجالية السودانية على كافة انحائها، فلم يقتصر وجودهم على مدينة القاهرة فحسب ، بل نجد الشيخ فتح التكرورى قد سكن زاوية جمال الدين الساوى فى مدينة دمياط [٥٧]، وهى التى استقبلت أحمد التكرورى الذى عمل كمؤدب للأطفال ، وإمام لمسجد الجامع ؛ والقيام بالمعروف والنهى عن المنكر[٥٨].

جـ ــ المنشآت الاجتماعية السودانية :

وفى عصر سلاطين المماليك امتازت القاهرة بكثرة المنشآت الاجتماعية المتنوعة ، لتستقبل المسافرين والتجار فى فنادق أودعوا فيها أموالهم أشهرها فندق مسرور الكبير [٥٩]، وهناك أيضا الخانات التى خصص بعضها لأبناء السبيل والمسافرين، واشتهرت بالقاهرة العديد من الوكالات التجارية منها وكالة قوصون [٦٠]، إلى جانب الأسواق ذات الحوانيت المتعددة [٦١]، شارك التكارنة المصريين فى امتلاك هذه الحوانيت مما يدل على تغلغلهم فى كافة المجالات والأنشطة فى مصر ، فقد زاول الشيخ عز الدين محمد التكرورى مهنة بيع الكتب بسوق الكتبيين ، وهو الأديب البارع، والعالم ، المتقن للمخطوط العربية ، له قصائد عديدة فى الشعر [٦٢].

د ــ تحقيق الثروة والنفوذ لبعض العلماء والفقهاء السودانيين :

وقد اشتغل بتجارة الكتب كثيرون من أبناء التكارنة فى مصر وكسبوا من ورائها أموالاً طائلة منهم ، على بن محمد بن خالد نور الدين البطراوى عاش بالقاهرة والتحق بالأزهر ، وعمل فى خدمة البدر الهورينى الكتبى ، وقرأ عليه فى المنهاج.

وقد زوجه البدر ابنته ، واشتهر فى سوق الكتب وربح كثيراً من الأموال إلى جانب مركزه الأدبى الذى جعله فى مرتبة العز التكرورى كبير الطائفة [٦٣].

لقد كسب المجموعون السودانيون ثقة المصريين بحيث تعددت أعمالهم التجارية، إلى أواصر النسب والقربى والمصاهرة .

وكما كان للتكارنة نصيب كبير فى تجارة مصر وقوافلها وآدابها ، كان لهم أيضا نصيب فى المآتم والأحزان وتجلى ذلك فى عام ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م حينما انتشر مرض الطاعون فى القاهرة وكافة أرجاء مصر ، وتزايدت أعداد الموتى يوما بعد يوم، وقد أحصى عدد الأموات فى يوم واحد فكان مائتى ميت سواء من خرج للدفن من القاهرة أو الحسينية وبولاق والصحراء والصنهية [٦٤].

وكان بالفرافة الصغرى والكبرى من الجالية السودانية نحو ثلاثة آلاف فيما بين الرجال والنساء والأطفال ، وبعد انتشار الطاعون من بقى منهم على قيد الحياة آثر أن يتحولوا بنقسه إلى الجبل[٦٥].

وقد شارك السودانيون فى التأثر والترحم على موت الظاهر بيبرس البندقدارى، الذي اقيم له عزاء فى المدرسة الناصرية وعزاء آخر فى جامع أحمد بن طولون عام ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م، حتى أنهم أقاموا سرادق عزاء خاص بهم [٦٩].

لقد ضمت مصر فى قراها الكبرى والصغرى أبناء الجالية السودانية، وشاركوا المصريين أحزانهم وبالمثل وجد العديد من قبور المصريين فى تبكيت مثل سراج الدين بن الكويك من تجار الاسكندرية [٧٠].

هـ — الألقاب المصرية لأبناء الجالية السودانية :

لقد تعددت أواصر القربى والنسب بين المصريين والتكارنة حتى أننا نجد الشيخ الصالح الولى المكاشف، شيخ طائفة الفقراء بالشرقية من أعمال مصر، له ذرية بأرض المغرب وذرية فى بلاد العجم، وذرية فى بلاد الهند، وذرية فى بلاد التكرور [٧٢].

وقد تلقب أبناء الجالية السودانية بالألقاب المصرية، نظراً لمعايشتهم المجتمع المصرى، حتى أننا نجد على بن أبى بكر بن محمد بن محمد بن على التكرورى يتلقب بالقاهرى المالكى [٧٣]، وقد تكسب بالشهادة وتوفى بالقاهرة [٧٤].

و — المنح السلطانية :

وحرص سلاطين المماليك على منح الأمراء والمماليك السلطانية والجند وأرباب الأقلام، رواتب يومية من اللحوم والكوابل والخبز والزيت والكسوة والشمع؛ وقد خُص أبناء السودان بهذه الأعطيات والمنح السلطانية [٧٥].

ز — الملبس والمأكل والمشرب والاحتفالات:

إن السلاطين وعامة المسلمين فى مصر، وأصحاب الأقليات من أبناء الجالية السودانية شاركوا أهل مصر احتفالاتهم، وأعيادهم فلبسوا الملابس البيضاء، ليؤدوا صلاة العيد وسط التكبير والتهليل، حتى إذا خرج سلطان مصر والأمراء والمماليك التفوا من حوله، وعلى رأسهم العصائب السلطانية والقاشية [٧٦]، فإذا وصل الإيوان الكبير عدت الأسمطة، ووزعت الخلع على أرباب الوظائف وغيرهم [٧٧].

ووصف ابن بطوطة ألوان الأطعمة والأشربة لدى الجالية السودانية فى منطقة بلاد الزيلع وسلطنة مقديشو، ووصف بإسهاب طريقة إعداد تناول الطعام وهو عبارة عن الأرز المطبوخ بالسمن مع إضافة لحوم الدجاج والسمك إليه ووضعه فى صحاف خشب كبيرة، بالإضافة لنوع آخر من الطعام وهو طبخ الموز فى اللبن وإضافة عصير الليمون والفلفل عليهما؛ حقا تميز أهل السودان الشرقى بحب الأطعمة والأشربة والشراهة فى تناولهما [٧٨].

أما عن أطعمة السودانيين من أهل التكرور فهي حبهم لتناول الذرة والألبان الطازجة والأسماك وتفننوا فى صنع العصيدة من الذرة [٧٩].

وقد وقف الأمير يشبك — للصرف على الفقراء والمجاورين بالجامع الأزهر — أراض بالوجه البحري بناحية صدلا بالغربية وعدة حلقا بالمنوفية، وهى المعروفة ببلاد المال لأن المتحصل من خراجها نقد: ذهب وفضه، وكذلك وقف أراض بالوجه القبلي بناحية ماكوسة الغربية والشرقية، وعدة بني خصيب بالأشمونين، وهى المعروفه ببلاد الغلال لأن خراجها غلال قمح وغيره من الحبوب، تصرف على الفقراء والمجاورين بالجامع الأزهر ممن لم يكن له وظيفة، لكل فرد رغيفان وقصعة فصحية مع لحم يومها، وما فضل من الطعام أو الخبز أو اللحم يتطرق بالفاضل منه على الفقراء الواردين على الجامع الأزهر [٨٠].

ويتضح من هذا النص تدبير نفقات الإعاشة للمجاورين بالأزهر الشريف من الأطعمة والأشربة، وذلك للتفرغ العلمي وتحصيل العلوم الدينية.

وهذا دليل على اهتمام الدولة المملوكية بالأزهر الشريف، وتوفير أسباب الراحة لهؤلاء المجاورين.

وقد حرص المعممون السودانيون على ارتداء العمائم على رؤوسهم، والسراويل المصرية [٨١]، والنعال المصنوعة فى تنيس [٨٢].

وقد شاع خلال العصر المملوكي نوعان من الفرجية الفوقانية والتحتانية، أما الفوقانية فهي الفرجية الأصلية، ويطلق عليها أحيانا اسم جبة أما التحتانية منها فكان من النادر أن يشار إليها [٨٣].

المبحث الثالث

العلماء السودانيون فى الأزهر الشريف

فى عصر دولة سلاطين المماليك

أ ـــ أشهر العلماء السودانيين الذين تخرجوا من الأزهر الشريف ومارسوا التدريس :

ويقصد بالمعممين من أرباب الوظائف الدينية والتعليمية ، رجال الدين والعلم الذين مارسوا ألوانا شتى من النشاط الدينى والعلمى ، فكان منهم المفسر والمحدث والفقيه والنحوى والمؤرخ ، وغيرهم من المشتغلين بأمور الدين ، وبالعلوم النقلية والعقلية، هذا فضلا عمن اشتغلوا بالنشاط الدينى ومارسوا الوظائف من السودانيين فى دولة المماليك مثل القضاء والتدريس ، وضبط الشروخ والخطابة والإمامة وغيرها [٨٠].

والواقع أن مصر شهدت فى العصرين الأيوبى ثم المملوكى ، نشاطاً دينيا وعلميا واسعا ، مما أدى إلى ازدياد أعداد رجال الدين والعلم من فئة المعممين السودانيين ، فدولة سلاطين المماليك ورثت نشاطا علمياً كبيراً عن الأيوبيين ، إذ كان صلاح الدين الأيوبى قد وضع خطة نحو بقايا المذهب الشيعى المتخلف عن الدولة الفاطمية ، ودعم المذهب السنى ، لذلك أكثر من إنشاء المؤسسات العلمية ، وألغى القضاء الشيعى ، وعين قاضيا شافعيا وله نواب فى جميع أنحاء البلاد، ثم تبعه خلفاؤه من سلاطين بنى أيوب فسارروا على نفس الطريق ومنهم : السلطان الكامل محمد الذى اهتم بالعلم والعلماء وكان حريصا على مجالستهم حتى عد واحدا منهم [٨١].

وكان عصر سلاطين المماليك امتداداً لهذا النشاط العلمى الكبير ، فسار المماليك على نهج الأيوبيين ، وجاء هذا النشاط العلمى والدينى مصحوبا بالاهتمام بالعلم وأهله وبالمعممين ومؤسساته ورجاله من أهل العمامة السودانية ، وترتب على ذلك أن ظهرت فئة العلماء ورجال الدين قوية مميزة ، لها دورها المؤثر داخل المجتمع المصرى آنذاك [٨٢].

وكان الأزهر فى مصر يتمتع بمكانة كبيرة فى استقبال الدارسين وطلاب العلم والعلماء ، كل ذلك كان له أكبر الأثر فى وفود العلماء من أهل السودان إلى مصر لتلقى العلم ، وكان البعض

منهم يقيمون فى أروقة الأزهر لتلقى العلم وتحصيله على يد أساتذته المشهورين ، فقد كان وجود الأزهر فى مصر عاملاً هاما فى دفع أهل السودان للحضور إلى مصر للدراسة فيه وبخاصة إذ غدا مركزاً للزعامة الفكرية والثقافية فى تلك الفترة .

وكان الجامع دائما عامرا بتلاوة القرآن ودراسته والاشتغال بمختلف علوم الفقه والحديث والتفسير والنحو ، ومجالس الوعظ وحلقات الذكر ، وكان الأغنياء يقصدونه بأنواع البر من الذهب والفضة وإعانة المجاورين ولاسيما فى المواسم [٨٣].

ونتيجة للجو العلمي الذي هيأه السلاطين للعلماء ونتيجة للاهتمام الذى حظى به العلم ازدادت الحركة العلمية والتأليف فى مصر [٨٤]، واشتهر بمصر فى تلك الفترة عدد من العلماء ذاعت شهرتهم [٨٥]، وكان لذلك أكبر الأثر فى ارتفاع مكانة مصر العلمية فهوت إليها أفئدة كثير من الراغبين فى العلم من كل مكان وكان منهم بالطبع أهل السودان .

على أننا نلاحظ على وضع المعممين أرباب الوظائف الدينية والتعليمية : الجمع بين أكثر من وظيفة للفرد الواحد ، بمعنى أن الفرد منهم ربما جمع بين وظيفة القضاء ووظيفة التدريس ، أو وظيفة مشيخة الخانقاة [٨٦]، ووظيفة التدريس ، أو وظيفة نائب القاضى ووظيفة الإمامة ، من ذلك أن ابن بنت الأعز ولى سبع عشرة وظيفة منها قاضى القضاة بديار مصر كلها ، وخطابة الجامع الأزهر وناظر الخزانة ، وناظر الأحباس ومشيخة خانقاة سعيد السعداء وناظر تربة الظاهر برقوق وتدريس المذهب الشافعي والتدريس بالصاحبية [٨٧].

ومن أشهر علماء السودان الغربى الذين درسوا فى الأزهر الشريف: ومنحوا الإجازة بالتدريس والفتيا ـــ الشيخ فاتح بن عثمان التكرورى (ت ٦٩٥هـ ـــ ١٢٩٣م) قدم من مراكش وأقام بدمياط ، ولازم أحد مشايخها للتعليم والعبادة حتى أصبح هذا الجامع يعرف بجامع فتح وعرف بأنه كان من أتقياء الناس [٨٨].

والشيخ العز التكرورى (ت ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن عبد الله بن سليمان الحراز العز التكرورى ، الأصل والقرافى المدفن ، والمعروف بالعز التكرورى حفظ القرآن الكريم كله وتتلمذ على بعض مشاهير الفقهاء المصريين فى عصره [٨٩].

والفقيه صبيح التكروري (ت ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م) (الفقيه صبيح بن عبد الله التكروري الكلوتاني الحارسي) ، تلقى تعليمه على الشيخ النجيب ، والشيخ شمس الدين بن العسقلاني وغيرهما وكان يذهب للتعليم مع أولاد سيده المصوى ، وتمكن هذا العالم من شراء نفسه وتحريرها من الرق بخمسمائة درهم جمعها في صنعة الكلوتات[٩٠].

والشيخ عمر التكروري ، وهو من العلماء السودانيين الذين ظلوا في مصر وقبروا فيها وكان من كبار الصالحين ، وأوصى بأن يدفن بالقرافة بالقرب من المسجد الشافعي ، وعلى قارعة الطريق ليترحم عليه كل من يمر بقبره [٩١]. واشتهر في مصر من العلماء وطلاب العلم الذين جاءوا للمجاورة وللتدريس بالأزهر الشريف ، ثم عادوا لبلادهم.

والشيخ عبد العزيز التكروري ، وقد رحل هذا الشيخ إلى مصر في أواسط المائة التاسعة من الهجرة النبوية وكان من العلماء الصالحين في الفقه : وقرأ مختصر خليل[٩٢].

والعاقب الأنصمني : جاء إلى مصر لتصويب ما ألفه فقد قال عنه أحمد بابا "وأرسلوه على علماء مصر وصوبوه "[٩٣].

والعاقب بن محمود : ذكره أحمد بابا بأنه " رحل وحج " والتقى بالناصر اللقاني، وأبي الحسن البكري ، والشيخ العسكري ، وأجازه اللقاني "جميع ما يجوز له وعنه "[٩٤].

والشيخ عثمان حافظا وبنوه العشرة : جاء إلى القاهرة ، وله عشرة بنين رجال، أتى بهم إلى الشيخ عز الدين للاستفادة فقرأ عليه كتابا ، فكان إذا قرر له مسألة وقف على هيئة الراكع تكريما لأستاذه ومعلمه ، وكان بنوه العشرة يفعلون مثل فعله إكراما لهذا الشيخ [٩٥].

ومنهم من كان يمر بالقاهرة وهو في طريقه لأداء فريضة الحج ، ويلتقي بعلماء الأزهر الذاهبين الصيت في بلاد السودان أمثال الشيخ اللقاني [٩٦]، والسيوطي[٩٧]، والشيخ خالد الوقاد الأزهري ، وغيرهم [٩٨].

واحتضن الأزهر الشريف أحمد بن عمر بن محمد أقيت (٨٦٦ ــ ٩٤٣هـ / ١٤٩١ ــ ١٥٣٦م) عام ٨٩٠هـ / ١٤٨٥ م ، بعدما حصل قدراً كبيراً من العلم في تنبكت حيث كان فقيها ونحويا ولغويا وعروضيا وهو أكبر الإخوة الثلاثة المعروفين في قطرهم بالعلم

والدين[٩٩]، وهو جد العالم أحمد بابا ، وأخذ العلم عن جده لأمه الفقيه أقندغمحمد وأخذ النحو عن خاله الفقيه مختار وغيرهما ، ثم أراد الاستزادة من العلم فارتحل في العام المذكور هو وأخوه عبد الله بن عمر بن محمد أقيت (٨٦٦ ــ ٩٢٩هـ / ١٤٦١ ــ ١٥٢٢م) ، والتقى السيوطي وخالد الأزهري شارح التوضيح، ثم رجع لبلاده في فترة حكم سني علي أي قبل عام ٨٩٨هـ ١٤٩٢م [١٠٠].

ورحل محمود بن عمر بن محمد أقيت (٨٦٨ ــ ٩٥٥ هـ / ١٤٦٣ ــ ١٥٤٨م) عالم التكرور وصالحها ومدرسها وفقيهها وإمامها عام (٩١٥هـ / ١٥٠٩م) بغرض التفقه في الدين وطلب العلم ، فلقي من العلماء إبراهيم المقدسي ، والشيخ زكريا الفلقشندي من أصحاب ابن حجر واللقانيين [١٠١]، وغيرهم.

ومن أشهر هؤلاء العلماء السودانيين في مملكة صنغاي الذين احتضنهم الأزهر الشريف.

الإمام التازختي (ت ٩٣٦هـ / ١٥٢٩م)، وهو محمد بن احمد بن أبي محمد التازختي الذي عرف بابن أحمد [١٠٢]، وكان فقيها عالماً فهاما محدثا متقنا محصلا جيداً للخط العربي تتلمذ على كبار المشايخ في عصره أمثال الشيخ المغيلي ثم رحل للمشرق، فلقي مشايخ مصر من أمثال البرهانين الفلقشندي وابن الشريف وعبد الحق السنباطي وجماعة فأخذ عنهم الحديث وروى وحصل وصار من المحدثين [١٠٣].

وكان التأثير اللقاني متبادلاً بين الطرفين فقد أقامت مجموعة من العلماء المصريين البارزين في بلاد السودان أمثال الطبيب المصري الحاذق ، الذي عالج ابن بطوطة أثناء توعكه باعتراف ابن بطوطة نفسه أثناء رحلته الشهيرة في دولة مالي الإسلامية [١٠٤] من قبل.

ومن العلماء الشناقطة في مصر:

القاضي عبد الله بن حبيب العلوي مكث بمصر وتعلم بالأزهر الشريف ، وأخذ عن الأجهوري (ق ١١ هـ).

الحاج الحسن بن أحمد الزبدى ، لقي القرشي شارح الخليل ، واستدرك ٤٠ مسألة في شرحه ردها عليه ، وقد جمع الشريف محمد بن فاضل الشريف هذه المسائل.

شيخ الشيوخ الحسني الفاضل بن أبي الفاضل ، أخذ على الأجهوري.

سيدي عبد الله بن الفاضل البلوكي ، كان قاضيا بالقاهرة عدة سنوات [١٠٣].

ب ـــ تبادل الأفكار والمراسائل بين علماء مصر وبلاد التكرور وكان لاطلاع العلماء ممن سلطة سنغاى على الشروحات والمؤلفات المصرية أن رسخ في أذهانهم تبادل الأفكار والتعليقات في رسائل متبادلة بين الطرفين ، فقد حرص سلاطين سنغاى أنفسهم على شراء هذه الكتب وحملوها إلى بلادهم مثل أسكيا محمد الذي اشترى مجموعة كبيرة من الكتب أثناء مروره على مصر ، وهو في طريقه إلى رحلة الحج ليوفر إلى أهل بلده جزءاً من النفقة السائدة في مصر [١٠٤].

وقد حمل من مصر العديد من المخطوطات والكتب في لزول القوافل التجارية إلى بر مصر ، إذ كانت تجارة الكتب تدر أرباحاً طائلة فاقت الأرباح التي تأتي من أي تجارة أخرى [١٠٧].

وقد كثر عمل النساخ في نسخ كثير من المخطوطات إذ وجدنا الأسكيا داود قد احتفظ هؤلاء النساخ الذين عملوا في بلاطه [١٠٨]، ومن ثم فقد ترك العديد من خزائن الكتب في قصره الصنغاني [١٠٩].

وكان منها بالطبع الكتب الفقهية التي انتشرت في مصر ، وانتقلت إليهم ، فقد ذكر أن صنغاى شهدت عناية كبيرة بجمع الكتب والمخطوطات وبخاصة مدينة تنبكت التي شهدت إقبالا كبيراً على جمع المخطوطات [١١٠].

كذلك حصل علماء صنغاى على نسخ من الكتب المصرية عن طريق الإهداء المتبادل بينهما، فكان علماء صنغاى لا يألفون من أن يطلبوا من العلماء المصريين المشهورين بأن يعطوهم نسخة من مؤلفاتهم ، فتذكر المصادر أن الفقيه محمد على النمتوني وهو من علماء التكرور المشهورين طلب من عالم مصر المشهور جلال الدين السيوطي في عام ٨٩٨هـ / ١٤٩٣م أن يعرفه أمر هيئة السماوات والأرض بدلائل القرآن والحديث ، فأجاب السيوطي

عليه بأن لديه تأليفا كاملاً يسمى الهيئة السنية في الهيئة السنية سوف يرسل إليه نسخة منه [١١١]، كما أنه طلب منه أيضا أن يرسل إليه نسخة من كتابه عن حروف المجاء ، فلبى السيوطي الطلب وأرسل إليه نسخة من هذا الكتاب [١١٢].

وكان جلال الدين السيوطي يفتخر بأن كتبه وصلت إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي بما في ذلك بلاد التكرور ، ومن ثم لاقت مؤلفاته رواجا في البيئة التكرورية ومعنى علماء التكرور على دراستها والاهتمام بها ، مثل : تفسير القرآن والجامع الصغير والخصائص والمعجزات الكبرى ، وغيرها من المؤلفات ، فقد ذكرت تراجم علماء صنغاى أنهم كانوا يقرئون هذه الكتب ، ويأخذونها بعضهم من بعض [١١٣]، وكان آخرهم أحمد بابا التنبكتي ، الذي قام بتأليف كتاب على كتاب الوشاح للسيوطي واختصره وسماه دور الوشاح بفوائد النكاح [١١٤].

ومن الكتب الفقهية التي لاقت رواجا لدى العلماء السودانيين ، مختصر خليل بن إسحاق ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م الذي شاع على نطاق واسع ، وانتقل من مصر إلى صنغاى ليصبح قاعدة للدراسات الفقهية عندهم [١١٥].

وإلى جانب ذلك كانت هناك رسائل بين علماء التكرور وعلماء مصر حول بعض الأمور الفقهية التي يشكون في صحتها [١١٦]، منها تلك الرسالة التي أرسلها علماء التكرور حول تأليف الفقيه نعاقب بن عبد الله الأنصمني المسوف في وجوب الجمعة بقرية (الصمن) والتي خالف فيها غيره من شيوخ بلدته ، فتم إرسالها إلى علماء مصر لتصويبها [١١٧]، ودلك لثقة منهم بعدالة العلماء المصريين وتفوقهم في إبداء الرأي والمشورة العلمية [١١٨].

جـ ـــ رسالة السيوطي إلى حكام الهوسا :

وفي أواخر القرن الخامس عشر نالت أرض الهوسا اهتمام العالم المصري الإمام جلال الدين السيوطي (١٤٤٥ ـــ ١٥٠٥م) الذي أبدى اهتماما خاصا بالشئون السياسية والاجتماعية في بلاد التكرور عامة وأرض الهوسا خاصة ، وقد ظهر هذا الاهتمام في رسالة وجهها السيوطي إلى حكام أرض الهوسا عامة وإلى حاكم كالسينا خاصة ، وتعد رسالة السيوطي إلى حكام أرض الهوسا من أقدم المصادر التي تناولت الحياة الاجتماعية والسياسية في أرض الهوسا [١١٩].

لقد أثرت هذه الرسائل المتبادلة في بروز قضايا فقهية وضحت بعض حركة المجتمع ومشكلاته، سواء في السودان الغربي والأوسط ؛ ولذلك جاءت نوازل التكرور لتبين لعلماء مصر الأزهر الشريف حلقة وصل في التأثير في العديد من القضايا الفقهية التي عايشتها أبناء السودان [١٢٠].

د- المعممون الأحباش ودورهم الديني والثقافي في مصر ، عصر سلاطين المماليك :

وُجد علماء أحباش اشتغلوا بالعلوم النقلية نظراً لكون هذه العلوم هي المحور الرئيسي الذي دارت عليه حركة الدراسات العامة ، فسعى بعض الأحباش للاستزادة من هذه العلوم لكسب الدنيا والتقرب إلى الله عملاً بالآية الكريمة التي تحض على طلب العلم وتعلمه للناس " وما كان المؤمنون ليتعروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون [١٢١]" لذلك ظهر بعض الأحباش في هذه العلوم ، وعلى رأسهم مفتاح الحبشي مولى الموفق الأبي الذي رباه سيده وعلمه الكتابة والقراءة [١٢٢].

ويعد ريحان الحبشي نموذجاً مشرقاً لأهل العمامة من الأحباش ، بما قدمه من إسهامات في الحياة الثقافية ، إذ تعلّم على يد سيده القاضي علي بن أحمد النويري المالكي ، وسمع من الكمال ابن حبيب بعضاً من مسند الطيالسي ، ومن أحمد بن سالم المؤذن قطعة من أول الموطأ ، ومن الجمالي الأميوطي قطعة من سيرة ابن سيد الناس، وعنى ريحان بما تعلمه ، وتفقه به ، حتى أمسى من أعيان مذهب مالك وأخذ عنه فقهها مثل التقي بن فهد وأولاده ، فقد أصبح ضمن معلميهم واستمر ريحان الحبشي معلما وفقيهاً إلى أن رحل للحج فمات بمكة عام ٨٤٧هـ / ١٤٤٣ [١٢٣].

ومن فقهاء الأحباش الذين لعبوا دوراً كبيراً في الحياة الثقافية سعيد بن عبد الله الحبشي عتيق الطواشي بشير الجمدار ، بدأ حياته العلمية بأن علمه سيده القرآن، واعتنى بتربيته ورتبه في الوظائف واستمر سعيد بعد سيده على الدرب وارتدى زي الفقهاء ، واشتهر بحبه لسنة النبوية، وذهب للحج إلى أن تولى عام ٨١٥هـ / ١٤١٥م [١٢٤].

ووجد علماء أحباش وثق فيهم ، وأصبح هم مريدون من الطلاب ، وقرأوا عليهم مثل حسن الحبشي الذي تفقه في كثير من العلوم ، ومنهم إبراهيم بن علي بن أحمد بن يزيد [١٢٥].

شارك أهل العمامة من الأحباش في ازدهار الحياة الثقافية منهم مفتاح الحبشي الذي امتهن نسخ الكتب ، بجانب معرفته بعلم القراءات ، كل ذلك بفضل تتلمذه على يد أبي السعادات البلقيني ، والطنتاوي ، كما أخذ عن السخاوي ، حتى عرف ولقب بصاحب العقل والحكمة [١٢٦].

وقد خضعت مكة والمدينة لنفوذ المماليك ، بوصفهم حماة الخليفة العباسي بمصر [١٢٧]، وحق للسلطان المملوكي إرسال من يتولى خدمة الحرمين من المعممين السودانيين الأحباش فاختار السلاطين شيوخا مما عرفوا بالصلاح والتقوى ، ورجاحة العقل من الأحباش لتوليه شئون الحرم المكي والنبوي ، فكان منهم مثقال الحبشي الساقي الذي أرسل في ربيع الأول سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م ليتولى مشيخة الحرم النبوي الشريف ، وذكر أن سبب اختيار مثقال لتوليه هذا المنصب التقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم لعل مثقال يتوب عما يقوم به من أفعال الناس إلى جانب كثرة شربه [١٢٨].

ولم يقبل مثقال أول الأمر " وسعى في إبطاله " كما يذكر ابن الصيرفي [١٢٩]، ولكن مساعيه باءت بالفشل إذ يؤكد ابن إياس على سفر مثقال إلى المدينة وتولي منصبه، ويبدو أن مثقال كان ذا حظوة وأكثر مرونة وحباً للسلطان ، حتى يختاره لهذه المهمة لمكانة مصر العلمية والثقافية ، إذ ذكر أن مثقال كان محبوبا من القين عاشوه، وعاملوه من الناس ، ولا أدل على ذلك من قول الشاعر :

وأعجب له فرعاه الله من رجل قبه لناظر حير وهو مثقال [١٣٠].

ولابن إياس رأي آخر في مثقال ، فهو يؤكد أن مشيخة الحرمين بعيدة المنال عنه ، بحكم أن للمشيخة أمير منصب ذيني في الحرم النبوي الشريف ورتبة مثقال لا تدل على صلة له بالعلم حتى يتولى المشيخة ناهيك أنه من أهل العمامة السودانيين الذين عملوا بالسقاية ، ولعله تولى مشيخة الخدام كما ذكر ابن الصيرفي الذي نص على كونه تولى مثقال المشيخة [١٣١].

ومن أهل العمامة الأحباش الذين تولوا مشيخة الحرم النبوي سرور بن عبد الله الخادم الطواشي الحبشي ، الذي عرف عنه حسن الخلق والثقة ، مما حدا بالسلطان الأشرف قايتباي أن يتركه في هذا المنصب طويلاً ، وظل به حتى توفي ودفن بالحرم النبوي [١٣٢].

فقام السلطان الأشرف قايتباى بتعيين مرجان الحوى الحبشى مشيخة الخدام بالمدرسة المشرفة[١٣٣]، وذلك حرص سلاطين المماليك على عدم ترك الحرمين الشريفين دون مشرف من قبلهم ، لأهمية الأماكن المقدسة وما تضفيه على حكمهم من صفة المشروعية.

وشارك المحسنون السودانيون الأثرياء فى إنشاء العديد من المدارس ، وخاصة من الأحباش الطواشية وهم المقربون من السلاطين والأمراء ، وأوقفوا هذه المدارس على خدمة العلم ، ومنهم صفى الدين جوهر بن عبد الله المتجكى الحبشى ، الذى تولى مقدم المماليك السلطانية فى عهد الظاهر جقمق ٨٤٢ ــ ٨٥٧ هـ / ١٤٣٨ ــ ١٤٥٣م[١٣٤]، وتكسب من منصبه مالا كثيراً ، إذ قام بتوزيع المرتبات على الجند وكسوتهم فى عصر اتسم بالخلل[١٣٥].

ومن أهل العمامة من السودانيين الذين أسهموا فى بناء المدارس بسويقة منعم[١٣٦]، الواقعة بعطفة جواهر المتفرعة من شارع الصليبة[١٣٧]، وأوقف عليها الأوقاف[١٣٨]، ودرست فيها الفرائض[١٣٩]، ولم يكتف هذا القدر من المساهمة ، وإنما شيد مسجدا أقيمت به صلاة الجمعة فى عام ٨٤٤هـ / ١٤٤٠[١٤٠].

لقد كثر أهل العمامة من الأحباش فى مصر المملوكية حتى أننا نجد أنهم قد اختصوا لأنفسهم بزاوية سميت زاوية الخدام خارج باب النصر بين باب الفتوح من الجنينة ، وبين شقة الحسينية وهى الزاوية التى أمر ببنائها ، وتحمل نفقتها بلال القراجى ، وأوقفها على أبناء الأحباش عام ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م[١٤١].

الأحباش المتصوفة :

لقد اهتم المماليك بالتصوف اهتماماً خاصاً ، وأرجع البعض هذا الاهتمام إلى ما تعرضت له مصر من أحداث جسام بسبب الحروب الصليبية ، وما تحملته مصر فى قيادة العالم الإسلامى واعترفت الدولة المملوكية بنظم الطرق الصوفية ، وشجعت على الانخراط فيها ، وأحاطت شيوخها بالعناية[١٤٢].

وتجدر الإشارة إلى ما اعترى هذا اللون من ألوان الثقافة الإسلامية من تطور خلال هذه الفترة ، حيث تعود مفاهيمه إلى ما عرف بالتصوف السنى بنوعيه : الفقهى والدراويشى والتصوف الفلسفى[١٤٣].

وكان الأحباش الذين أصبحوا من أقطاب المتصوفة فى المجال السنى ، القطب ياقوت الحبشى ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م ، خليفة أبى العباس المرسى فى مشيخة الطريقة، والسفى أثر فى الفقيه الشافعى شمس الدين بن اللبان ، الذى ضبطت على يديه كلمات عن طريق الاتحادية ، وألف كتابا على لسان الصوفية وفيه إشارات أهل الوحدة .

وإن شيخه ياقوت الحبشى يفضل بعض الصحابة مما عرضه إلى التعذيب ، ولولا شفاعة بعض كبار موظفى الدولة كابن فضل الله كاتب السر ، عفى عنه ، ولكنه منع من إلقاء دروسه[١٤٤].

لقد بلغت منزلة ياقوت الحبشى عند شيخه أبى العباس المرسى ، فذكر الإمام الشعرانى فى طبقاته أن أبا العباس المرسى قام بعمل عصيدة احتفالا بيوم مولد ياقوت الحبشى ، وأطلق عليه اسم العرشى[١٤٥] ، لأن قلبه كان لم يزل تحت العرش وما فى الأرض إلا جسده[١٤٦].

كما اشتهر بعض الأحباش مثل أبو بكر المزين ويعرف بالحبيشى كان من أصحاب البلالى ، والصوفى أبو بكر الحبشى المجذوب ت ٨٥٣هـ / ١٤٤٩هـ[١٤٧]، ومفلح الحبشى الذى كان كثير التلاوة ، واستقر به المقام فى الزاوية الباسطية ، وتوفى فى عام ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠ م[١٤٨]، وعقيل الحبشى أحد صوفية زاوية سعيد السعداء استغل إقامته فى هذه الزاوية وكتب كتاب القول البديع وغيره من كتب العلم[١٤٩].

هـ ــ المحسنون الزيالعة ودورهم الدينى والثقافى :

كان التعليم الدينى يعتمد على تحفيظ القرآن الكريم وتجويده فيما سمى بالمكاتب[١٥٠]، وانطلقت المبادرة فجاء من دول الطراز الإسلامى الطلاب لينهلوا من العلوم الدينية فى مصر وليحصلوا على الإجازات العلمية[١٥١]، وقد اشتهرت مدينة زيلع بدراسة فقه الشافعية كذلك انتظمت دراسة الحديث والتفسير والتفقه عند طلاب كلوه وممبسه ، فقد اضطلع طلاب السودان الشرقى على (منهج الطالبين) للنواوى ودرسوا المقدمات الحضرمية فى فقه السادات الشافعية للحضرمى وكتاب سفينة النجاة ، وليس معنى هذا أن التعليم الدينى عند طلاب السودان الشرقى يعتمد على المذهب الشافعى وحده ، فقد كان الكثيرون يتعاملون بالمذهب الحنفى[١٥٢].

وأرسلت سلطنة كلوة الإسلامية المبعوثين إلى الأزهر الشريف لتلقى المزيد من العلوم والحصول على الإجازات العلمية[١٥٣].

وقد عرف بدول الطراز الإسلامي علماء في الفقه من أمثال الفقيه عبد الله الربنعي السنى جمع بين المناصب الإدارية والقضائية في القرن الرابع عشر الميلادى والفقيه فخر الدين ابى عمر عثمان صاحب كتاب " نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية في القرن الرابع عشر ، والفقيه شمس الدين علي بن عمر الشاذلى [١٥٤]، وقد راجت في تلك البلاد كتب الفقه الشافعي خاصة تأليف الإمام زكريا النووى مثل كتاب منهاج الطالبين وكتاب رياض الصالحين حتى لا تكاد تخلو مكتبة كل مسجد أو أسرة منها [١٥٥].

و– المعممون النوبيون ودورهم الديني والثقافي في مصر :

أول من وفد إلى مصر من النوبة للدراسة في الأزهر – كما تسجله المصادر التاريخية – هو الشيخ محمود أحمد العاركي الذي تتلمذ على الشيخين شمس الدين اللقاني وناصر الدين اللاقاني وهما من شيوخ المالكية المعروفين [١٥٦].

وهناك أولاد جابر الأربعة وهم ينحدرون من أسرة دينية معروفة كان عميدها العالم غلام الله ابن عائد الذى وفد من اليمن إلى سوبا وادي النيل في أواخر القرن الرابع عشر الميلادى كان أكبرهم إبراهيم جابر وقد درس في الأزهر على الشيخ محمد البنوفرى وغيره من أعلام المالكية في مصر [١٥٧].

وكان من تلاميذ الشيخ إبراهيم أخوه عبد الرحمن الذى جاور في الأزهر الشريف فدرس على الشيخ البنوفرى ، ودرس مختصر خليل والفقه المالكي . وهناك كثيرون غيرهم أمثال القاضي علي ودعشيب الذى درس على الشيخ البنوفرى وتولى القضاء [١٥٨].

لقد عاد أولئك الرواد بعدما اجتازوا امتحان التدريس والفتيا وحصلوا على الإجازات العلمية .

ومن العلماء المصريين الأزهريين في السودان الشيخ محمد المصرى الفتاوى والشيخ محمد بن علي بن قرم الكمماني [١٥٩].

المبحث الرابع

السودانيون والإجازات العلمية والمناهج الدراسية في عصر دولة سلاطين المماليك

١– الإجازات العلمية التي تمنح للعلماء والفقهاء السودانيين في عصر دولة سلاطين المماليك :

حمل المعممون السودانيون كطلاب للعلم ، مسئولية تحصيل كافة العلوم الدينية ، وتفضل سلسلة السند الشرفي في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وفي مختلف العلوم الشرعية ، وكذلك حرصوا على حمل الإجازات العلمية وخاصة من الأزهر الشريف [١٦٠]، الذى احتضن العديد منهم فأصبحوا مريدين ، وقد تبودلت هذه الإجازات بين العلماء ، ونحضرنا أربعة نماذج وهي إجازات أحمد بابا التنبكتي لكل من المقرى وعبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي ، وابن الوفا وعبد الرحمن التلمساني (إجازتان) وعبد الرحمن المنازى (الشمنرتي) [١٦١].

وتمثل هذه الإجازات كشهادة واعتراف أو تصريح من هؤلاء العلماء تفيد بأن الطالب الذى أتم علم أو مجموعة من العلوم ، قد حصّل هذه العلوم أو أحدها واستوعبها لدرجة تجعله يدرس هذا العلم ويعطي الإجازة لغيره من طلاب العلم من المعممين السودانيين سواء في السودان الشرقي أم السودان الغربي والأوسط ، واعتبرت الإجازة العلمية التي يتم الحصول عليها في المشرق وخاصة من مصر الأزهر الشريف دليل على سعة علم صاحبها [١٦٢].

ولذلك حرص أهل السودان على استحضار الإجازة العلمية من مصر خاصة ومن مكة أثناء رحلة الحج [١٦٣] ، كدليل على اعتراف علماء مصر بالمكانة التي حظي بها أبناء السودان ، لذلك حرص أحمد بابا رغم سعة علمه ومعارفه على أن يجيزه العالم يحيى بن محمد بن عبد الرحمن الخطاب المكي فقيه وعالم مكة والذى كان له تأليف في الفقه والمناسك والحساب والعروض وغيرها ، واستجاب يحيى الخطاب لطلب أحمد بابا وكتب له بخطه إجازة منه ، وذلك عندما التقيه بعض حجاج التكرور [١٦٤]، بل وحرص حجاج التكرور على الحصول مرة ثانية في أثناء عودتهم على الإجازة العلمية من الأزهر الشريف لأهميتها بما تضفيه من قيمة علمية لحاملها وقد تعرضنا لهذه النماذج في " رسالة تقريظ من العالم المصرى صالح البلقيني إلى العالم السوداني أحمد بابا التنبكتي [١٦٥].

ومثلت القاهرة ومكة الوجهتان اللتان توجه إليها العلماء وطلاب العلم من دولسق مسالى وسقاى لتحصيل العلم ونيل الإجازة ، فعندما حج محمد بن أحمد التازخى، والذي حج بصحبة الفقيه محمود ، وقد أجازه فى مكة أبو البركات النويرى وعبد القادر وعلى بن ناصر الحجسازى وأبو الطيب البسقى [١٦٦]، وحرص العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت بن يحيى الصنهاجى قاضى تنبكت على الإجازة فرحل إلى مصر الأزهر الشريف ولقى الناصر اللقانى وأبا الحسن البكرى والشيخ البشكرى وطبقتهم وأجازه الناصر اللقانى كل مايجوز له وعنه مما يدلنا على كثرة ملازمة العاقب بن محمود الناصر الدين اللقانى الذى اتسعت مدارسه وعلومه [١٦٧]، ولقد انتقلت الاجازات العلمية من الأزهر الشريف إلى أرض الحرمين لكى تدرس مفاتيح لعلسوم المصرية فى مكة المكرمة ، وهى الملتقى الثقافى الكبير من أبناء المعممين السودانيين ، حتى إننا نجد مفتى مكة قطب النهروانى أعطى الإجازة العلمية إلى الحاج إبراهيم عبد الرحمن الكسوورى الجنوى عام ٩٨٨هـ / ١٥٨٠م بعد أن ظل لفترة فى تعاع العلوم الدينية من سنة الحسديث، والحديث العشارى ، كما أجازه فى سند صحيح البخارى ، وسند صحيح مسلم ، والسنن لأبى داوود والجامع للترمذى والسنن الصغرى للنسائى والسنن الكبرى للنسائى أيضا ، والسنن لابن ماجه والموطأ للإمام مالك ، وجامع الأصول لابن الأثير ، والترغيب والترهيب للمنسذرى والشمائل النبوية للترمذى والشفا للقاضى عياض [١٦٨].

لقد أثرى الأزهر الشريف الحياة الثقافية فى مصر ، فى عصر دولسة سسلاطين المماليسك ، وانتقلت الأسانيد المصرية من خلال المعممين السودانيين بحصولهم على الإجسازات المسصرية ، فعندما حج العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت ، وبعد عودته جلس للتدريس ، وأجساز أحمد بابا ، وكتب له بخطه إجازة بذلك وهذا استناداً لما حصله من إجازة على يد ناصر السدين وأبى الحسن البكرى [١٦٩].

وانتقل علم السند والرواية من الأزهر الشريف إلى أحمد بابا من والده الحاج أحمد بن أحمسد ابن عمر بن محمد أقيت وأستاذه الحاج محمد بغيغ وذلك بعد قيامهما بالحج عام ٩٥٦ هـــ / ١٥٤٩م، فبعدما رجعا من مصر جلسا للتدريس ، وكان لهما الدور الأكبر فى تكوين الخلفيسة العلمية لأحمد بابا ، ونجد هذا ظاهراً من خلال الأسانيد المصرية من الأزهر الشريف التى انتقلت

إلى أحمد بابا الذى تعلم القرآن الكريم ، وكتب السيوطى قراءة تحقيق وفهم وتدقيق ، ثم الموطأ للإمام مالك ثم صحيح البخارى ومسلم ، ثم الجامع الصغير للسيوطى ثم الشفاء ثم الخصائص للسيوطى وأجازة فى جميع ذلك إجازة مطلقة [١٧٠].

وانتقلت علوم مصر من الأزهر الشريف لكى تكتمل الرسالة العلمية ، فى أن نجد أحمد بابسا الذى نهل من علوم الأزهر الشريف مستنداً على ما حصل عليه من علم على يد والده الحساج احمد بن أحمد بن عمر أقيت وكذلك أستاذه الفقيه الحاج محمد بغيغ، ويعترف بذلك أحمد بابسا بعد أن يجز أحمد بن محمد المقرى فى صحيح البخارى وصحيح مسلم ، والسنن الأربسع لأبى داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه وكتاب الشفاء للقاضى عياض ، وكذلك انتفع أحمد بابا بعلم عمه الحاج محمود بن عمر أقيت وهذا دليل واضح على رسالة الأزهر الشريف فى مسنح الإجازات العلمية لأبناء السودان، الذين أجازوا وأفادوا غيرهم من طلاب العلم [١٧١].

ب ــ وتعددت أنواع الإجازات التي منحها الأزهر الشريف منها :

أ ــ إجازة السماع وتعنى أن الطالب سمع من أستاذه وحفظ ما سمع منه ، وفى مثل هذا يقرر الأستاذ بأن الطالب قد سمع وفهم ، وتتبع دروسه التى ألقاها فى حلقات الدرس ، وتنص علسى المدة التى قضاها معه ، والأجزاء التى سمعها [١٧٢].

ب ــ إجازة كاملة وهى أن يصل الطالب إلى المرحلة التى يستطيع معها ذكسر الأسسانيد وإرجاعها لمصادرها وذكر القوافى بعد الإلمام وفن من الفنون العلمية ولا تحرر الاجازة إلا عندما يتأكد الأستاذ من أن الطالب متمكن من المواد التى أجيز فيها وتعنى الإجازة الكاملة " وإجازتى جميع ما يجوز له وعنه [١٧٣].

١ – إجازة بالفتيا والتدريس :

كانت تعطى هذه الشهادة للطالب الذى وصل إلى مستوى علمى يؤهله لإصدار الفتساوى والتدريس ، ويقتضى هذه الشهادة يأذن له شيخه فى أن يفتى وأن يدرس ، ويذكر الشيخ فيها الكتب التى قرأها الطالب عليه ، ويجيز له القيام بتدريسها ، وقد تكون هذه الكتب من تأليف الشيخ الذى تصدر عنه الشهادة [١٧٤]، وقد تكون كتب غيره وكان هذا النوع من الشهادات يتضمن الإذن للطالب فى تدريس مادة معينة أو مذهب معين فقهى والافتاء بسه ، وكانست الإجازة العلمية تكتب على ورقة ذات حجم كبير.

٢ــ إجازة بعراضة الكتب :

أما النوع الثانى من الإجازات العلمية فيطلق عليه إجازة بعراضة الكتب تصدر فى أحوال معينة ، كان إذا حفظ الطالب كتابا فى الفقه أو فى أصول الفقه أو النحو أو البلاغة أو الأدب أو غير ذلك فإنه يعرضه على مشايخ الأزهر ، فينتدبون أحد كبار العلماء المتخصصين فى الموضوع الذى يتناوله الكتاب فتناقشه فيه ويقف على مدى فهمه وهضمه للمادة العلمية فى هذا الكتاب ، وكانت الطريقة المتبعة هى أن " يقطع الشيخ المعروض عليه ذلك الكتاب ، ويفتح منه أبوابا ومواضع يستقرئه (كذا) إياها فى أى مكان اتفق ، فإن مضى فيها من غير توقف ولا تلعثم استدل بحفظه تلك المواضع على حفظه لجميع الكتاب " ، وعندئذ كانت تصدر له الشهادة على ورقة مربعة صغيرة[١٧٥].

٣ــ إجازة بالمرويات على الاستدعاءات :

وهى إجازة تصدر عن أحد علماء الأزهر ، ويكون فى العادة من علماء الصف الأول إلى عالم سودانى ، ويكون عالم الأزهر ملماً بالإنتاج العلمى للعالم طالب الإجازة ومطمئناً إلى ارتفاع مستواه فى مواد تخصصه وأنه صرف حياته فى تحصيل العلم وأنه على خط موفور من الخلق الطيب والسمعة العلمية ولا تمنح هذه الشهادة إلا بناء على طلب يرسله العالم طالب الإجازة إلى أحد علماء الأزهر [١٧٦].

ويبدو أن الفكرة فى إصدار هذا النوع من الإجازات كانت عدم تحميل طالب الإجازة مشقة السفر إلى مصر لمقابلة عالم الأزهر واستصدار إجازة علمية منه ، وهذه الإجازة ذات قيمة أدبية كبيرة لصاحبها مصدقها صادرة من أحد علماء الأزهر ، وهذه ظاهرة أخرى تدل على السمعة العلمية الرفيعة التى سما إليها الأزهر كجامعة[١٧٧].

جـ – كتب الدراسة بالأزهر :

يتضح من الدراسة التحليلية للإجازات العلمية التى كان يصدرها علماء الأزهر للطلبة السودانيين أن كتب الدراسة فى عصر دولتى المماليك كثيرة ومتنوعة ، وكان من بينها كتب الحديث المشهورة وهى كتب : البخارى [١٧٨]، ومسلم [١٧٩]، وأبى داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، ومسند أحمد والشافعى ، ثم عمدة الأحكام للحافظ عبد الغنى و " شذور الذهب " للشيخ جمال الدين بن هشام ، وجامع الجوامع ، والبدر المنير فى تخريج

الأحاديث ، و " والمنهاج " فى فقه الشافعى من تأليف أبى زكريا النووى و " الأربعين حديثا " للشيخ محى الدين النووى ، و "الورقات" فى الأصول و"اللمحة البدرية" فى النحو للشيخ أثير الدين أبى حيان الأندلسى وغير ذلك[١٨٠].

د ــ مراسيم تعيين العلماء فى الأزهر :

كانت مناصب التدريس فى الأزهر كجامعة تعتبر قمة المناصب العلمية والدينية، وكانت تماثل المناصب القضائية ومناصب التدريس فى الجوامع الكبرى مثل: جامع السلطان حسن ، وتعين الأستاذ بمرسوم يذكر فيه اسمه مسبوقا بالألقاب العلمية ويشتمل المرسوم على توجيهات برعاية مصالح الطلبة " وإعزازهم والاشتمال عليهم وكانت هذه المراسيم تحفظ بالجامع الأزهر[١٨١].

كما كانت تختلف الصياغة اللفظية من مرسوم إلى آخر باختلاف المادة التى يسند تدريسها إلى الأستاذ من الفقه الشافعى أو الفقه المالكى أو الحديث أو الرقائق أو التفسير أو القراءات أو الدراسات اللغوية من نحو وصرف وغيره أو الدراسات الأدبية[١٨٢].

هـ ــ ألقاب علماء الأزهر :

كانت هناك ألقاب تخص بعلماء الأزهر ورجال القضاء وكانت تذكر فى المراسيم مقرونة باسم الأستاذ وكانت هذه الألقاب على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى - مرتبة الجناب الشريف.

المرتبة الثانية : مرتبة الجناب الكريم

المرتبة الثالثة : مرتبة الجناب العالى .

ويذكر بعد كل مرتبة من هذه المراتب بعض الصفات فبعد عبارة الجناب الشريف تذكر " سيد العلماء والحكام " ويليها " أوحد العلماء الأعلام" ثم تذكر بعض الصفات مثل الكامل ، الأصيل الأوحدى المفيدى والقدوى ، والفريد الحجى والمجتهدى وحجة الإسلام ، وضياء الإسلام وشرف الإمام ، ومفيد الطالبين وقدوة السالكين وعمدة المحققين وفخر المدرسين وكان بعض هذه الصفات مشتركة بين أصحاب المراتب الثلاثة [١٨٣].

الخاتمة

تمخضت هذه الدراسة على نتائج هامة أهمها :

– وجود زعامة سياسية قوية تمثلت فى دولة سلاطين المماليك ، والتى امتد حكمها لمصر حتى عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧م ، بالإضافة إلى إحياء الخلافة العباسية فى مصر عام ٦٦٩هـ / ١٢٦٧ ، هذا الاستقرار السياسى انعكس فى جذب العلماء والطلاب من بلاد السودان وكان أكثرهم وفوداً أبناء السودان الغربى نظراً لرحلة الحج البرية التى سارت مع طريق النقب عبر الشمال الأفريقى وصولا إلى مصر بعيداً عن الهضاب الجبلية الذى استقبل حجاج السودان الغربى والأوسط .

– وتبع عن الوضع السياسى القوى والذى تمثل فى دولة المماليك فى مصر ، وكذلك الحالة العلمية المزدهرة إلى زيوع شهرة كثير من العلماء فى مختلف الأقطار الإسلامية ، مما جذب كثير من أبناء الجالية السودانية على وجه الخصوص من الزيالعة والأحباش والبرنو والتكرور ، والكانم والبرنو ، والشناقطة.

– تعددت أروقة الأزهر الشريف وهى منار الإسلام وتعددت المدارس العلمية التى تهتم بالمذاهب الأربعة بالقاهرة ، وخاصة المدارس التى كانت تدرس الفقه المالكى مثل مدرسة ابن رشيق .

– وكان من نتيجة احتضان الأزهر لأبناء الجالية السودانية من الزيالعة والأحباش والبرنو وأهل دارفور والسنارية ، والتكرور ، أن ظهرت عقلية فذة من العلوم المصرية فتفوقت ، مما أدى إلى نقل هذه العلوم مع نجاح رسالة الأزهر العلمية فاستوعبت مدن السودان الغربى وخاصة فى تنبكت التى منحت الإجازات العلمية على غرار ما حصلوا عليه فى مصر ، وتكرر هذا مع النوبيين والزيالعة، مما أدى إلى تلاقح فى الثقافات وتبادل فى الأفكار وهذا ما أثبتته الدراسة من تبادل النخب العلمية ، ولذلك ظهرت بين السودانيين النوازل الفقهية وهى التى أرسلت إلى مصر لكى تكون هناك حلول للمسائل الفقهية التى أشكلت عليهم .

– أثبتت هذه الدراسة أن رسالة الأزهر العلمية فى نشر الإسلام والعلوم العربية الإسلامية هى التى أدت إلى تشكيل العقلية السودانية وقيام ممالك سودانية أفريقية ذات صبغة إسلامية فى غانا ومالى وسنغاى ثم برنو فامبراطوريات الفونج والتكارره والفولانيين والزيالعة .

– لقد وجد الأزهر طريقة إلى تغيير العقلية السودانية وهى التى ظلت محافظة على الثقافة الإفريقية القديمة أو بمعنى أصح صراعات فى الثقافات مع وضوح رسالة الإسلام فقد اندمج واختلط هؤلاء السودانيون بالمصريين فى أواصر الدم والقربى والمصاهرة حتى تغيرت ألقابهم بعد ما كان بانى محافظا على لقب التكرورى والزيلعى والشنقيطى أصبح هناك ألقاب مصرية محافظة على روح الإسلام

– وضحت رسالة الأزهر العلمية فى وصولها إلى أبناء الكانم ومن خلال مدرسة: ابن رشيق لكى تنتقل هذه الأفكار إلى العديد من القبائل السودانية منهم الفولانيين لقد حرص أبناء الجالية السودانية على حفظ القرآن وهذا ما شهده ابن بطوطة فى رحلته فى بعض بلاد ممالى (القرن الرابع عشر الميلادى)، أطفال مقيدون من أجل حفظ القرآن والتزام القاضى فى تبليغ الدعوة الإسلامية.

– وتكشف هذه الدراسة عن العديد من الأوضاع اهامة فى المجتمع المصرى عصر سلاطين المماليك منها أوضاع الأقلية السودانية لفئة المعممين بصفة خاصة قلم يتعزلوا داخل المجتمع المصرى أو بمعنى آخر المهمشين داخل مصر، ولكن شاركوا فى الوظائف الدينية والتعليمية والديوانية ، واشتغل العلماء والقضاة والفقهاء من المعممين السودانيين بالتدريس وبخاصة التعليم الدينى.

– وأبرزت هذه الدراسة أهمية الفتاوى أو النوازل والتى تتاح انتشارها فى السودان الغربى بصفة خاصة ومن خلال رصد عدد من تراجم الفقهاء فى تنبكت وجدنا أن هذه الكتب منتشرة لديهم مثل المعيار المغرب للونشريسى وجامع مسائل الأحكام للبرزلى والاعلام بنوازل الأحكام لابن سهل ، وفتاوى ابن رشد وفتاوى الإمام الشاطبى بالإضافة إلى مؤلفات صغيرة جمعت نوازل متنوعة مستخرجة من الجوامع الكبرى ، وترجع أهمية هذه الفتاوى إلى أنها توضح

نبض المجتمع وأهم مشكلاته . كما تناول العديد من القضايا التي تتصل بالحياة الدينية ، إذ إن علماء السودان بعدما استوعبوا العلوم الدينية في الأزهر الشريف وعادوا إلى أوطانهم برزت لهم قضايا فقهية منها : أسئلة في المشكلات ، فكانت مراسلات الإمام السيوطي إلى بلاد التكرور ، ومعنى علماء التكرور على دراستها والاهتمام بها مثل : تفسير القرآن ، والجامع الصغير والخصائص والمعجزات الكبرى حتى أننا نجد أحمد بابا التنبكتي قد ألف كتابا على كتاب الوشاح للسيوطي واختصره وسماه دور الوشاح.

لقد برزت مكانة مصر من أزهرها الشريف حين يقرر ابن خلدون إن عصره " ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر ، فهي أم العالم ، وإيوان الإسلام ، وينبوع العلم والصنائع ".

هكذا يتضح مكانة الأزهر العظيمة في القلوب ، إذ قال أحد العلماء " أن هذا الجامع إذا جلست فيه تجد راحة من قبل الرحمن ، وقد استمر في الآفاق علماؤه ، ولفح بالمشرق والمغرب صلحاؤه ".

وقال فيه محمد بن أبي القاسم الشاطبي رحمه الله تعالى : " إلا أن لكل شيء حرماً بعد المسجد الحرام فهو حرم مصر خاصة ، وأنه عش العلماء والأولياء ، ومأوى سائر المساكين والغرباء والصلحاء ".

هذا وبالله التوفيق..

ملاحق البحث

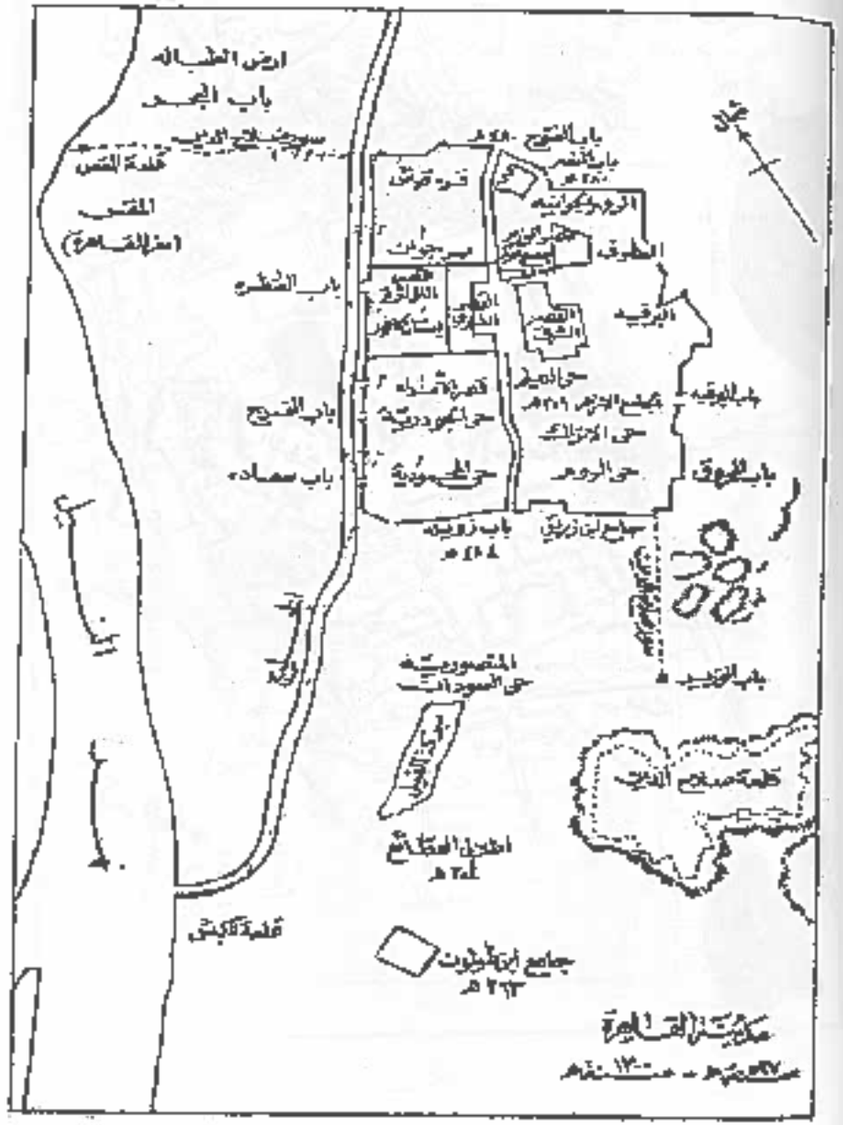

الشكل رقم (١)

أحياء مدينة القاهرة ، بتوسطها حي السودان عن الأزهر تاريخه وتطوره ، ص ٧

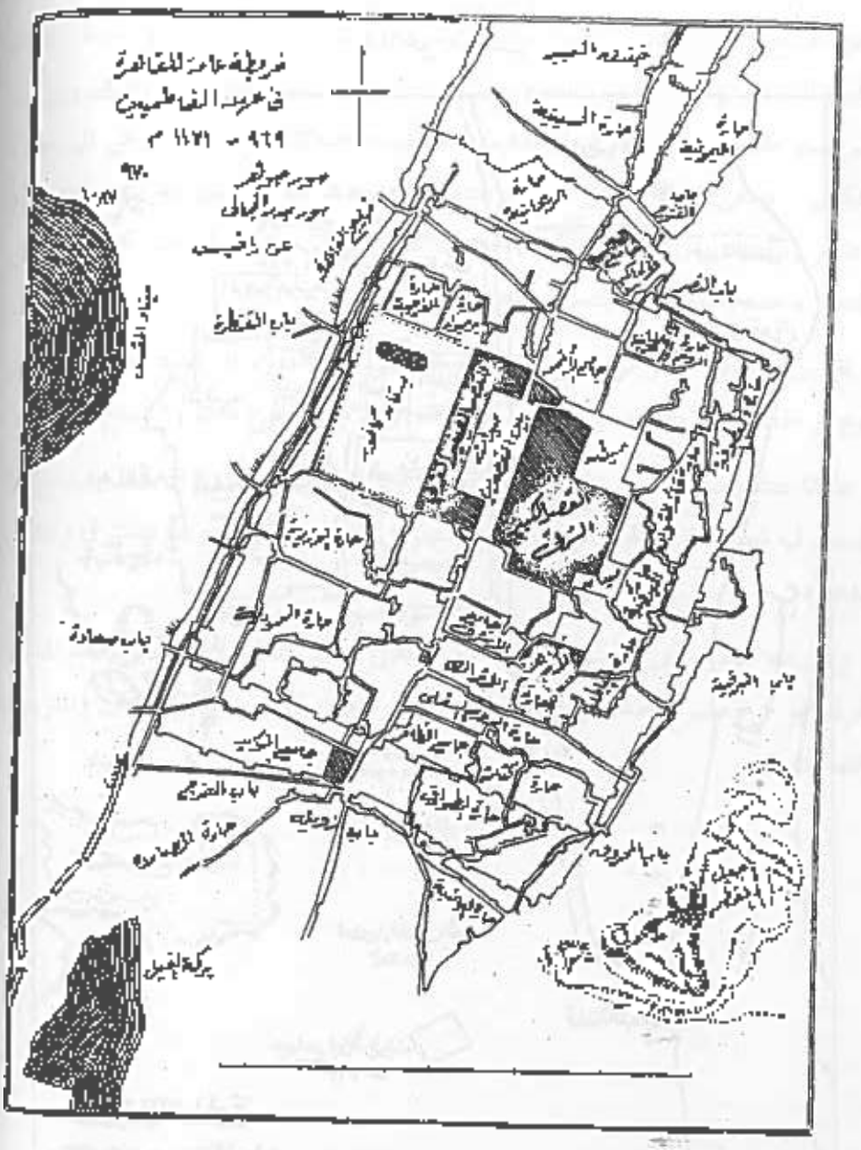

الشكل رقم (٢)

خريطة تقريبية عن القاهرة على ما وصفها المقريزي وفيها أسوار جوهر ثم أسوار بدر الجمالي وأبواب القاهرة

وتداخل أسوارها حارات ومساجد ومدارس ويتوسطها الأزهر الشريف عن الأزهر تاريخه وتطوره ، ص ٧

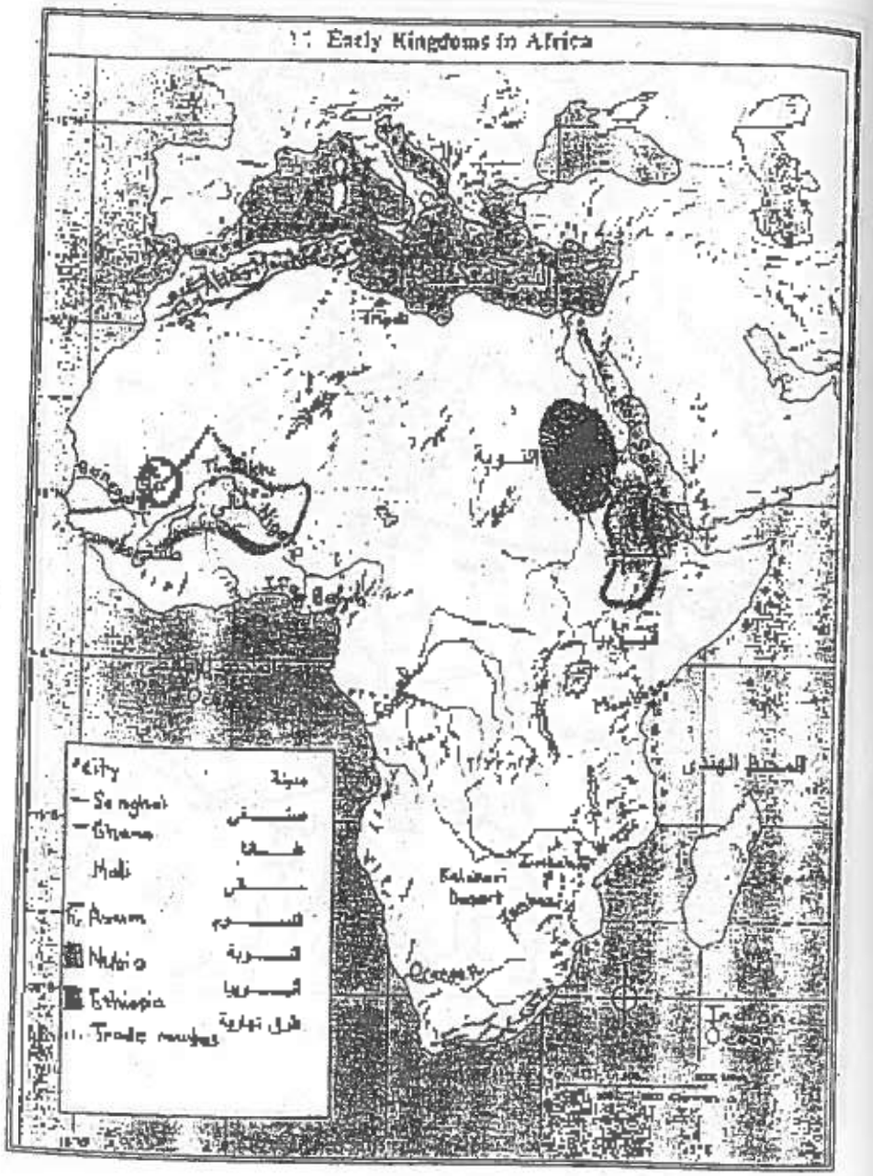

خريطة رقم (٣)

لتوضح أهم الممالك (غانا – مالي – صنغي) وأهم المدن المصدر : www.africa.upenn.edu

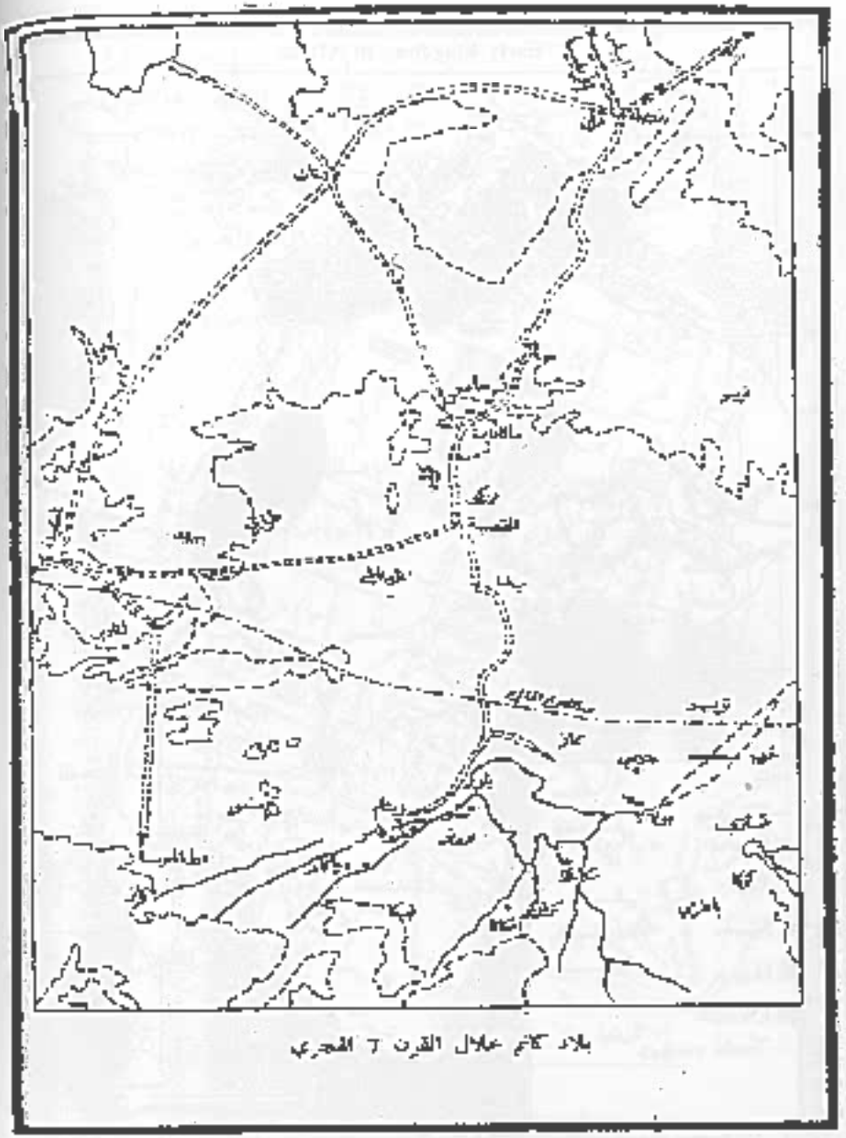

بلاد كانم خلال القرن ٦ الهجري

الشكل رقم (٤)

المصدر : محمد بن شرفة : ابراهيم الكاني : انفراج مبكر للفواصل الثلاثي بين المغرب وبلاد السودان

منشورات معهد الدراسات الافريقية بالرباط ، ص ٣٣

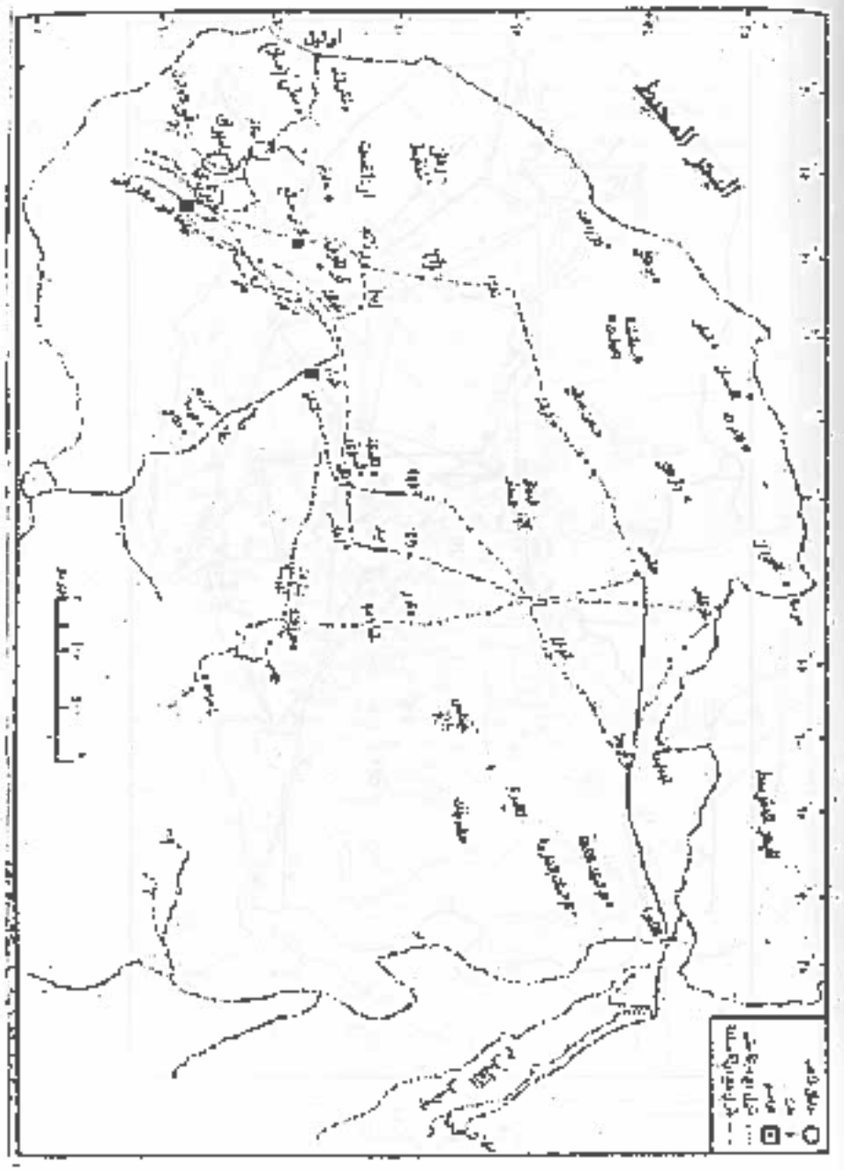

الشكل رقم (٥)

من عمل الباحث الرحلة العلمية السودانية ومسافاتها للمعممون السودانيون من السودان الأوسط والغربي

وصولا للأزهر الشريف

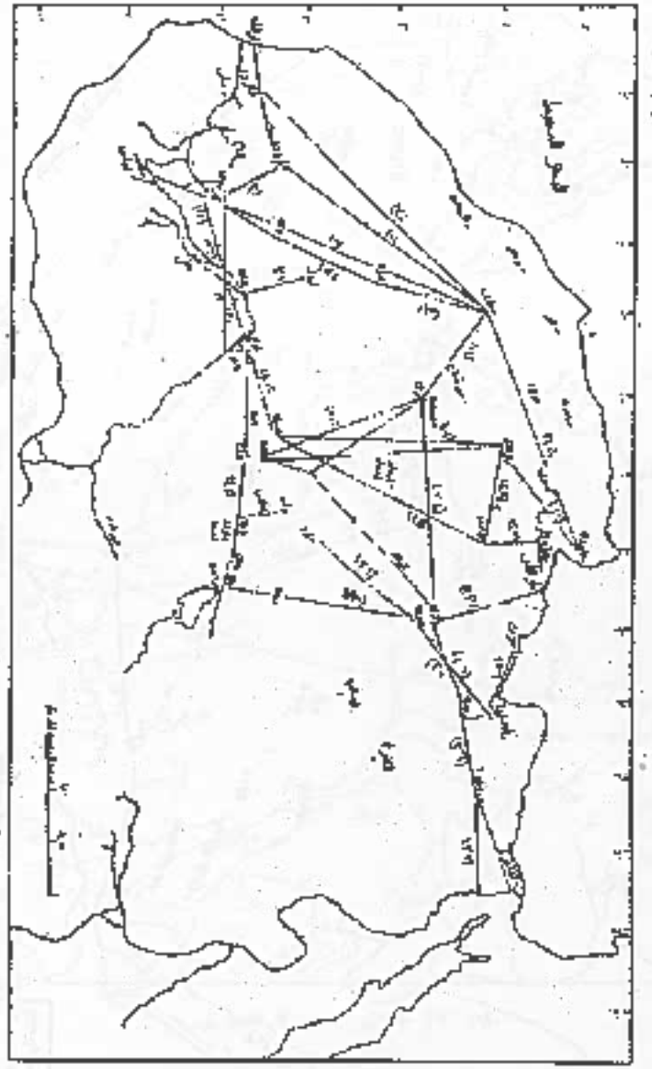

الشكل رقم (٦)

أهم مدن ومحطات الرحلة العلمية الشمالية وصولا للقاهرة ٦٣ - ١٠٠٠ هـ / ١٢٣٨ - ١٥٩١ م

المصدر : محمد الياس حسين : الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى منتصف القرن السادس عشر كما عرفها الجغرافيون العرب ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ص ٢٣٨.

الشكل رقم (٧)

الرحلة العلمية لعلماء الريالعة والأحباش من موطنهم وصولا إلى القاهرة

عن السيد الناز : الحياة العلمية والثقافية ، ص ٢١١

الشكل رقم (٨)

الطلبة السودانيون يتابعون حفظ أجزاء القرآن وتكتب على الواح خشبية وبعد الحفظ من قبل المعلم ينتقل لجزء آخر ، طريقة الحفظ لم تتغير منذ قرون

المصدر : Niane Djibril: Tarnsir : Le Soudan occidental au Temps des Grands Empires, P. 206

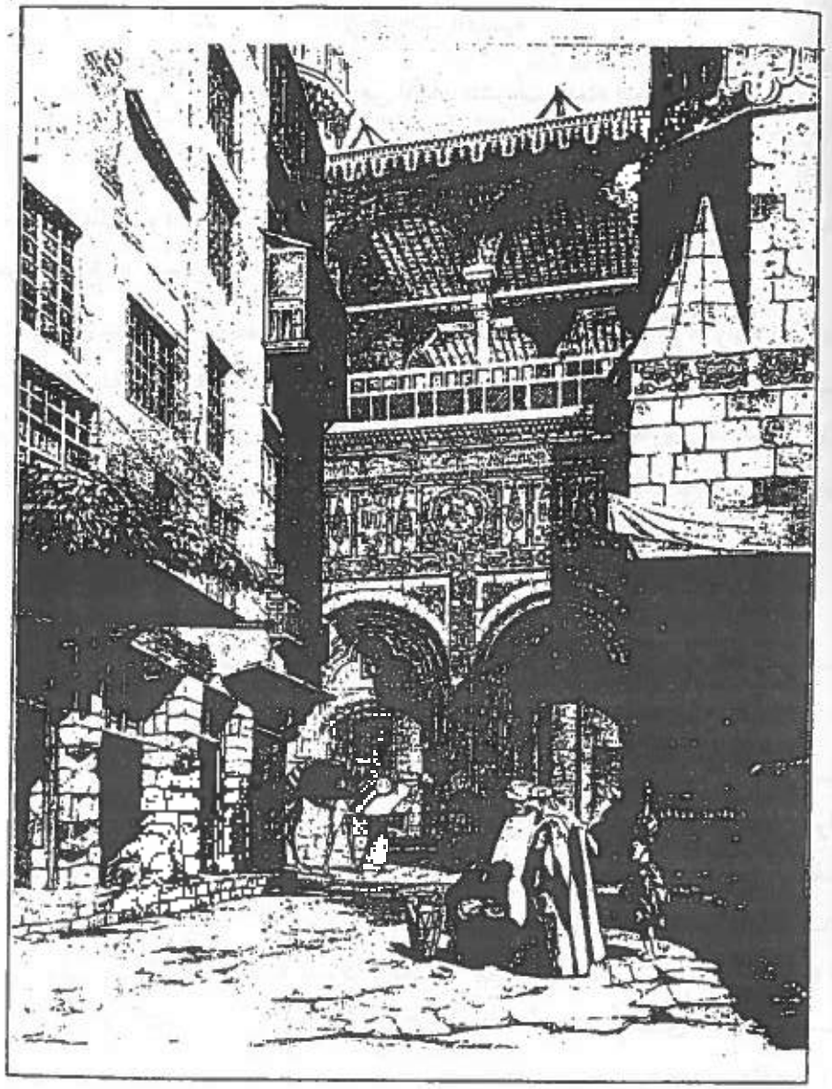

الشكل رقم (٩)

رسم تاريخي للمصور هيز يوضح الباب الغربي في أيام عبد الرحمن كتخدا يعلوه الكتاب ، وتجاوره المئذنة للأزهر الشريف

المرجع : أحمد عبد الرازق : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، دار الفكر العربي ١٩٩٣ ، ص ٢٣٣.

الإجازات العلمية

الإجازات العلمية من الأزهر الشريف لعلماء النوبة

١٠/١ الإجازة الأولى [١٨٤]:

منحها العالم السوداني الشيخ عبد الرحمن بن جابر الذي درس على الشيخ البنوفري في مصر لتلميذه الشيخ إبراهيم بن أم رابعة .

" ... أما بعد فإن الأخ الفقيه الصالح المتأدب المتواضع الشيخ إبراهيم بن أم رابعة استحق السيادة والإمامة عندي فجعلته قطبا في مكانه ولسانا في عصره وترجمانا في أوانه ومربيا للمريدين وقادوة للمسترشدين وملجأ للفقراء والمساكين مظهرا شمس المعارف بعد غروبها فأذنت في كل ما حققه نقله وسمعه متى أن يغشيه ويعلمه الناس مخلصا وقد أذنت له بإشهارها وإشهار ما فيها وتشييع ما أشرنا إليه .. تاريخ اثنين وثمانين وتسعمائة من الهجرة النبوية[١٨٥].

١٠/٢ الإجازة الثانية [١٨٦]:

أجازها الشيخ علي الأجهوري شيخ الإسلام بمصر آنذاك لطالبه الشيخ عبد الرحمن ابن إبراهيم والد العالم السوداني المعروف بالشيخ خوجلي وقد جاء في الإجازة.

" ... أما بعد فقد قرأ عليّ الشاب الفاضل والنحرير الكامل ، الشيخ عبد الرحمن ابن إبراهيم بن أبي ملاح الكباني نسبا والبرى بلدا عقيدتي التي ألفتها في أصول الدين والتصوف وشرحتها قراءة جيدة نافعة إن شاء الله وحضر قراءتي في مختصر العلامة الشيخ خليل في فقه المالكية في نحو نصف الكتاب المذكور قراءة بحث وتحقيق دلت على نباهته وفقهه بالكتاب المذكور وقد استخرت الله وأجزته بما ذكر وبجميع ما يجوز لي روايته بشرطه سائلاً منه ألا ينساني من الدعاء بسعادة الدارين والدعاء بالرحمن لأمواتنا وأموات المسلمين جعله الله من العلماء العاملين ووفقه لما يحبه ويرضاه في القول والعمل وجعله من عباده المخلصين ونفع بعلومه المسلمين بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه اجمعين.

بالكتاب المذكور وقد استخرت الله وأجزته بما ذكر وبجميع ما يجوز لي روايته بشرطه سائلا منه ألا ينساني من الدعاء بسعادة الدارين والدعاء بالرحمة لأمواتنا وأموات المسلمين جعله الله

من العلماء العاملين ووفقه لما يحبه ويرضاه في القول والعمل وجعله من عباده المخلصين ونفع بعلومه المسلمين بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه أجمعين.

كتب في آخر ذي الحجة ختام سنة ثلاثين بعد الألف"[١٨٧].

إجازة السودان الغربي :

١ – رسالة تقريظ من العالم صالح البلقيني المصري إلى العالم السوداني أحمد بابا التنبكتي المقيم في مراكش.

– هناك القاهرة تنبكت مراكش.

– انتشار الكتاب الأفريقي في مصر والحجاز واليمن .

٢ – إجازة أحمد بابا لأبي زيد عبد الرحمن بن سعد الحلمساني نزيل تردنت بالسوس الأقصى، وهي مثقلة بالمعلومات ويختلط فيها السماع عن أعلام من تنبكت ومصر والحجاز في ١٣ ربيع الثاني سنة ١٠٠٧.

٣ – إجازة أحمد بابا بالمراسلة للتمنرتي صاحب فهرس الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة خ ع د ٣٦٩٣ وهي إجازة مختصرة في ٣ أسطر أملاها أحمد بابا على ولده لعجزه عن الكتابة سنة ١٠٣٦.

٤ – فتوى أحمد بابا التنبكتي حول أعراف الجبل وهي فتوى عالم سوداني في أمور تتعلق بالأحكام العرفية التي كانت تطبق في بعض الجيال المغربية ناحية السوس الأقصى .

١٠/٣ رسالة من صالح البلقيني (١٨٨) إلى أحمد بابا بمراكش

– تقريظ مؤلفاته –

وجدت بخط شيخنا أحمد بابا فسح الله تعالى في مدته ما صورته :

الحمد لله وحده يقول كاتبه أرسلت نسخة من هذه الأجزاء الثلاثة إلى شيخ الإسلام الإمام العلامة الصالح شيخ علماء الشافعية صالح البلقيني بمصر فكتب إلى ما نصه .

"الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده ، وبعد فقد وقفت على الكراسين المشتملين على ثلاثة أجزاء تأليف مولانا الشيخ الأجل الفاضل العالم محرر القضايا والأحكام ، لخصها من الدرس من اللغة العربية والأحكام الشيخ أحمد بابا بن الشيخ أحمد بن الحاج احمد بن الشيخ عمر بن المشيخ محمد أقيت التكروري التنبكتي المالكي نزيل محروسة مراكش حماها الله من جميع الآفات وصانها وحوسها في سائر الأوقات امين ، وقد وقفت وأوقفت لطلبة العلم بالجامع الأزهر وقيدوها بالكتابة والانتفاع وسارت بها الركبان إلى أشرف البقاع وإلى البلاد البعيدة نفع الله بها ، فوجدت هذه الفوائد التي جرت على نهج البلاغة والتحقيق وأقرت بحمدها الأفاضل وقرت عيونها فباالله من قواطع تزيل الشبه عن النفوس ويا عجبا من هذه الطروس من بكر فكر عروس فتح من باب المباحث ما لا استمساك معه لمدى الجدال وحلى جيد الزمان العاطل بجواهر سحره الحلال سواطع طلعت أفكار حبر نزف على يدي بدر تمام . مصرعات حبرت ألوف هذه التحقيقات وهق يسمح الزمان بأمثاله أو ناسج على منواله.

وكتبه العبد الفقير إلى الله صالح بن شهاب الدين البلقيني الشافعي ختم الله أعماله بالصالحات وذلك عاشر شهر ربيع الثاني سنة ١٠١٥ من الهجرة النبوية والسلام " .

– صح ومن خطه نقلت رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته آمين.

– ضمن مجموع ص ١٩٨ ، خ ع ك .

نفس خط محمد بن محمد المختار التنبكتي والمسطرة والمقياس.

١٠/٤ إجازة أحمد بابا ليحيى بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي سنة ١٠٠٨ :

ومن ذلك إجازة الإمام المحدث أبي العباس السوداني لشيخنا الإمام أبي الفضل يحيى بن عبدالله بن سعيد بن عبد المنعم الحاجي قدس الله روحه ونصها :

" الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

يقول العبد الفقير لربه القدير أحمد بابه بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت ختار الله له في أموره ونجاح قصده ولطف به وبأسلافه.

أجزت لسيدي وعلقي السيد النبيه الزكي المقدوة العارف بالله سيدي وبركتي أبي الفضل يحيى ابن سيدنا وقدوتنا من نتوسل إلى الله أن يسعدنا أبي محمد عبد الله بن السيد الأجل المولى المرابط الخير سعيد بن عبد المنعم نفعنا الله بهم آمين ولأخواته وأولاده أخوته كلهم أن يسروا

على ما اشتمل عليه هذا الجزء من الكتب والأحاديث المذكورة فيه بأسانيدها وأعني بالجزء جزء إجازة الحرقاني المتقدم أول هذه الإجازة بحق روايتي لها عن أولئك السادات المسمين فيها المجاز لهم عن الشيخ المجيز لهم وهو قطب الدين المكي الحرقاني وبحث روايتي لما فيه عن قطب الدين المذكور بإذنه لعامة أهل بلدنا كما هو مذكور فيه .

وكتب الفقير أحمد بابا يوم ثالث عشر ذي القعدة سنة ثمان وألف".

التمبكتي ، الفوائد الجمة ، ص ٢١٠ .

خ ع د ٣٦٩٣

١٠/٥ إجازة أحمد بابا للتلمساني بكتاب الشفا

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وصلى الله على سيد الأولين والآخرين مولانا محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين رب اشرح لي صدري ويسر لي أموري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

وبعد فقد أجزت لسيدي الفقيه الصالح سيدي أبي زيد عبد الرحمن بن سيدنا الإمام المفتي الصالح العالم العامل الكامل سيدي محمد التلمساني نزيل سوس الأقصا بقاعدته توددت أمنها الله بكتاب الشفا لأبي الفضل عياض رحمه الله تعالى ونفعنا ببركته آمين بحق سماعي له كله مراراً على سيدي والدي الفقيه المحدث احمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت قائلاً أخبرني به جماعة من فضلاء العلماء وعلماء الفضلاء رواية ودراية بطرق متنوعة وأنحاء متفرقة عالية نازلة — أخبرني به إجازة شيخنا الإمام العالم العلامة .. أبو اليمن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الميسوني بلداً المصري مولداً المكي استيطاناً ومحتداً بمكة المشرفة بمنزل سكناه علو باب السلام المعروف بباب بني شيبة عام ستة وخمسين وتسعمائة كما رواه وسمعه ..

وكتب أحمد باب وفقه الله وألهمه رشده.

التمبكتي : الفوائد الجمة

م خ ع د ٣٦٩٣ ص ٢١٤

١٠/٦ إجازة أخرى للتلمساني[١٨٩]

ومن ذلك إجازة أبي العباس السوداني المذكور للخطيب أبي زيد بن الوفاد التلمساني الخطيب بجامع الكبير بتاروداانت ونصها :

" الحمد لله وكفى وصلاته وسلامه على سيدنا محمد المصطفى وعلى آله وصحبه أهل الخير والوفا.

وبعد : فيقول الفقير الحقير ذو القصور والتقصير أحمد عرف بابا ابن الفقير الحاج أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت هداه الله ورفقه لما يرضاه ، لما من الله تبارك وتعالى علي من مِنَنه الوافرة بالاجتماع بسيدنا الفقيه العالم الصالح المحصل المبارك المحدث أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن سيدي الفقيه المفتي الجامع المحصل الكامل أبي عبد الله محمد التلمساني نزيل تمدلت من بوس الأقصا وبالانتفاع به دينا ودنيا قرأت مخايل الخير عليه لائحة وآثار الهدى معه واضحة مع ما جبر عليه من التؤدة والسكينة والطهارة وحضر معنا الدروس الحديثة وغيرها ثم قرأ علي من لفظه أكثر من النصف الأول من صحيح الإمام البخاري بل لم يبق له منه إلا القليل وأكثر كتاب الشفا لأبي الفضل عياض قرأيته مليح السرد أليق الفهم سديد النظر تحصلاً لاصطلاحات أهل الحديث مع التأني والتؤدة وقرأ علي أيضا أوائل كتاب مسلم والترمذي وأبي داوود بلفظه وطلب مني مع ذلك أن أجيزه فيها وفي غيرها فيما لي به إجازة ما نعمت له بذلك لكونه أهلاً له وزيادة رجاء بركة دعائه في خلواته وصلواته لفحنا الله وإياهم بالعلم النافع وحشرنا جميعاً تحت لواء سيدنا محمد (ص) فأقول وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب أما صحيح البخاري فأخبرني به سماعاً من لفظه غير ما مرة سيدي والدي الفقيه المحدث العالم النبيه الرحلة الحاج أحمد بن أحمد وإجازة منه بجق سماعه له كله عن شيخه الفقيه المحدث محمد بن الفقيه محمد بن أحمد الأثري التازعتي قالاً أخبرنا به شيخ الإسلام قاضي القضاة جمال الدين إبراهيم بن علاء الدين القرشي الفلقشندي الشافعي عن الحافظ ابن حجر ، وقد أخبرنا به منهم شيخنا الإمام محمد بفيغ وسيدنا القاضي عمر بن الفقيه محمود كلاهما عن الشيخ والدي الفقيه المحدث المتقن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن شيخنا العلامة محمد بن محمود بفيغ سماعاً منهما الجميع

وأجزت لسيدي عبد الرحمن بن سيدي محمد التلمساني أن يروي عني أيضا المتون الأربعة بحق روايتي لها إجازة عن شيخنا الفقيه العالم محمد بفيغ عن الشيخ العلامة البرهوني بأسانيده المذكورة فيها وأجزت له أيضا أن يروي عني كتاب الشفا بحق روايتي له سماعاً غير مرة بقيمه عن سيدي والدي من لفظه وبحق روايتي له أيضا قراءة مني بعضه وإجازة لباقيه من سيدي القاضي العدل شيخ الإسلام العاقب ابن الفقيه محمود .. وأجزت له حفظه الله أن يروي عني موطأ الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه بحق روايتي له إجازة مكاتبة من مكة شرفها الله من سيدنا العلامة يحيى الحطاب المكي عن والده وعمه بركات عن أبيهما بسنده المذكور في أول شرح والده على مختصر خليل المسمى مواهب الجليل ، وأجزت له أيضا أن يروي عني جميع الكتب المذكورة في أول الشرح بأسانيدها هناك .. ، وأجزت له أن يروي عني مختصر خليل بحق قراءتي له قراءة بحث وتحرير على شيخنا العلامة الصالح المحقق محمد بفيغ بما يزيد على أربع ختمات أو خمسة بقراءتي وملازمتي له بضع عشرة سنة .. فهذا ما تيسر قطفه في المساعة والعجلة من الأسانيد فليروي عني سيدي جميعها كيف شاء ومتى شاء وعلى شرطه المعتبر عند أهل الأثر .

كتبه أحمد بن أحمد يوم الاثنين الثالث عشر ربيع الثاني عام سبعة وألف .

التمنرتي الفوائد الجمة ، ص ٢١٤

مخطوط خ ع د ٣٦٩٣

١٠/٧ إجازة أحمد بابا للتمنرتي

شيخنا الإمام المحدث الراوية أبو العباس بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت الصنهاجي السوداني نقله المنصور مع أعمامه .. من تنبكت لمراكش حين فتح السودان وفرق جميع أعمامه بمراكش وبقي هو يدرس فيه الفقه والحديث وأجاز لكثير من الطلبة أساليده زوده الملك زيدان بعد وفاة أبيه المنصور لبلدة تنبكت ولما فاتني لقاءه والأخذ عنه كتبت إليه ما نصه بعد الصدر العبد الفقير عبد الرحمن محمد الجزولي التمنرتي يطلب منكم الله أن يجيز له أن يروي عنك أساليك في الحديث في كل ما ثبت له به ..

فكتب إلى بخط ولده لعجزه عن الكتابة لفرط هرمه ما نصه :

" الحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده وبعد فقد أجزت لك أن تروي عني جميع ما يجوز لي مناولتها بشرطه المعتبر عند أهلها وكتبه محمد بن أحمد بابا بن أحمد بن محمد السوسن باذن الله والده رضي الله عنه انتهى "

فهو شيخ الإجازة لا التلقي ، وتوفي رحمه الله بمسقط رأسه بلدة تمكت وقد مات على السبعين سنة ليلة الخميس سادس شعبان سنة واثلاثين وألف ..

الفوائد الجمة ، ص ٤٩ خ ع د ٣٦٩٣.

١٠/٨ إجازة أحمد بابا للمقري

يقول المقري في روضة الآس :

الحمد لله كما هو أهله ، وأصلى على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم ، يقول كاتبه الفقير أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت لطفه الله بهم ووفقه لمرضاته ، أجزت الفقيه الحافظ المتقن النبيه سيدي أبي العباس أحمد بن محمد المقري من قرابة الإمام العلامة أبي عبد الله المقري قاضي الجماعة رحمه الله ونفعنا به آمين ، أن يروي عني هذا التعليق في التاريخ وجميع ما جمعته في الفنون ، وذكر حفظه الله في هذه الإجازة جميع التآليف المتقدمة ، وزاد الحواشي على خليل ، وجلب النعم ودفع النقم في حماية الظلمة ذوي الظلم ، في كراسين في غاية الإتقان في موضوعه ، وجزء في تكفير الكبائر بالأعمال الصالحة وسببه كلام الإمام ابن مرزوق في ذلك في غاية ، وترتيب جامع المعيار مع الزوائد عليه ، قال كتبت منه مسائل التوحيد والتفسير ، وشرح العقيدة البرهانية للسلاجي لم يكمل ، ومطلبي ومأربي في أعظم أمنيه ربي في كراسة ، وتعليق على مواضيع من خليل ، وعلى مواضيع من ابن الحاجب ، ومسائل متضمنة فنونا في صورة أسئلة ، قال وجهتها لفاس ومراكش وغيرهما ، قال وأجزته غير ذلك مما جمعه في العربية واللغة والحديث ، قال وأجزته أيضا أن يروي عني جميع مختصر الشيخ خليل بحق قراءتي له قراءة بحث وتحقيق وحضوري أيضا كذلك على شيخنا الإمام الولي الصالح القدوة الفهامة سيدي محمد بغيغ الوتكوري نحو عشر مرات في أزيد من عشر سنين بحق قراءته له على سيدي أحمد بن سعيد الفقيه الحافظ المحقق الصالح القدوة حفيد سيدي البركة محمود بن عمر الفقيه

الإمام الولي الصالح المشهور ، وأجازني إجازته سيدي الفقيه المتفنن العلامة والدي أحمد بن محمد بحق قراءته له على عمه سيدي محمود بن عمر المذكور ، بحق قراءته له هو على الشيخ عثمان المغربي ، على العلامة نور الدين السنهوري ، على العلامة البساطي وغيره ، على أصحاب خليل بهرام والأقفهسي وغيرهما ، عن مؤلفه خليل رحمه الله ، ولنا فيه طرق غير هذا ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله ، كتبه الفقير أحمد بابا بتاريخ أواسط المحرم من عام عشرة وألف.

المقري روضة الآس ص ٣٠٢ ــ ٣٠٥

الهوامش

(١) يطلق على هذه المنطقة كذلك " بلاد التكرور " أو " السودان الغربي " أو " أفريقيا الغربية ، ونقصد بمجموع هذه الاصطلاحات ، المجال الممتد فيما بين المحيط الأطلسي غربا وبحيرة تشاد شرقا، شمال نطاق الغابات الاستوائية أو جنوب الصحراء الكبرى ، وحسب خطوط العرض ، فان بلاد السودان تحصر فيما بين خطي عرض ١١ درجة ، ١٧ درجة شمالاً.

انظر : احمد الشكري : المصادر العربية المتعلقة ببلاد السودان فيما بين القرن الثامن ومطلع القرن الخامس عشر للهجرة والتأويل ، اعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء كلية الدعوة الإسلامية . ليبيا ، ١٩٩٩ ، ص ٣٨٦ ، ٣٨٩ ، Encyc. De l'Isl. (Art Soudan) Lec. T. 4. Le Caire 1979 , p. 518.

(٢) ابن بطوطة : الرحلة وتحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ط٢ دار معارف الشعب، القاهرة ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦ م ، ص ٤٤٤.

(٣) Schefer: La Relation de L. Ambassade de Domenico Trevison aupres du Soudan d" Egypte en 15122. Paris 1884

عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر ، دراسة تحليلية للازدهار والانهيار ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٨٨ ، هـ ٢٤٣ : ٢٤٤.

(٤) انظر : عبد المنعم ماجد : نفسه ، ص ٣٤٤

(٥) عن أحياء الخلافة بالقاهرة والنتائج التي ترتبت على ذلك بالنسبة لمصر والعالم الإسلامي انظر : ز. سعيد عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام ،القاهرة ١٩٦٥، هـ ٣٤٢ ، ٣٤٧.

(٦) انظر : المسعودي : تاريخ السودان ، نشر هو داس وونبرو ، مطبعة بريس مدينة ليدن ، باريس ١٨٩٨، في ٧٣، الجزيري ، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، ج ٢، تحقيق الجاسر . دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، د. ت ، ص ١٥٢٢.

(٧) ابن خلدون ،المقدمة (وهي الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، القاهرة ١٣٢٤ هـ ، هـ ٣٤٤

(٨)عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، الانجلو المصرية القاهرة ١٩٧٣، ج ١٩.

(١٠) السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، جـ ٢ ، تحقيق محمد أبو الفضل ، القاهرة، ١٩٦٧ ، ص ٦٦. Page, J.D: A History of West Africa. The Fourth edition Cambridge 1969, p. 57

التزم صاحب موسى أن يخطب في بلاده باسم السلطان العباسي ، وكذلك أن يتلقى اسم السلطان العباسي عند تعمله في عالي ابن ايمك ، أبو بكر بن عبد الله الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر ، تحقيق هانس روبرت روبير ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٣٧٩ ، ص١٩٩٠ ، جـ ٩ ، ص ٣١٧.

Coug, Joseph: Recueil des Saur Arabes Concernant l' Afrique Occident ai au xvie seicle Bilad al. Soudan. Paris CNRS. Second Edition 1985, p. 378-479.

(١٠) ابن الأزرق : بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق سامي النشار ، العراق ١٩٧٨.

(١١) ابن خلدون . المقدمة ، ص ٤٥٣.

(١٢) انظر . الرحلة ، جـ ١ ، ص٢٤ ؛ حسن أحمد البطوي : أهل العمامة في مصر عصر سلاطين فلمانيت ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الأولى ٢٠٠٧، ص ٤٠ ، ٥٠.

(١٣) انظر : سعاد ماهر : دراسات في الإسلام ، (الأزهر الزاهر والقاهرة ، العدد الثاني والعشرون المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ووزارة الأوقاف ١٩٦٢ ، ص ١٧ ، ١٨ .

(١٤) انظر : الشناوي . الأزهر جامعا وجامعة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٣م، ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ، انظر وفود الطلبة السودانيين في بلاد السودان إلى مصر بملاحق البحث على الخريطة شكل رقم (٣) وانظر شكل الكتاب بالأزهر الشريف بملاحق البحث شكل رقم(٩).

(١٥) الجبرتي : تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، جـ٢ ، بيروت (د.ت) ، ج ١ ص ١٥٦

Jomier J. Un Aspect de Lactivitel D'Al. Azhar du Xvii eme auct debuts dee x1x eme Siecle; les aqaid au Professions de foi dans: Colloqne international etc, pp243 -253.

الشناوي : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ على مبارك : الخطط التوفيقية جـ ٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ : ص ٥٤ محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (٦٤٨ ــ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ــ ١٥١٧) القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٤٨٥.

(١٦) انظر : ابن بطوطة - الرحلة ، ص ٢٧٣؛ إبراهيم علي طرخان ، الإسلام والممالك الإسلامية في الحبشة ، المجلة المصرية التاريخية ، مجلد ٨ القاهرة ١٩٥٩م ، ص ٣٣ ، ٣٤.

(١٧) ورواق السنارية لمزيد من المعلومات ، انظر : ابن ضياء الله ، الطبقات ص ٤٥ .

(١٨) علي مبارك : مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٥٢.

(١٩)علي مبارك : الخطط ، ج ٤ ، ص ٥٤ .

(٢٠) خصص هذا الرواق للطلبة الوافدين من موريتانيا ويقع شمال باب المقصورة ، انظر : علي مبارك: مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص ٥٧ .

(٢١) تفاصيل عن آلية الخلافة العباسية : القلقشندي مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار فراج ، جـ ٣ ، الكويت ١٩٦٤؛ ماجد : التاريخ السياسي ، ص ١٤٠.

(٢٢) الأزهر الشريف أنشأه القائد الفاطمي جوهر الصقلي تكليف من الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ، وذلك عام ٣٥٩هـ / ٩٦٩م ، وافتتح بناءه في مستهل وقد لعب دورا ريادياً ومازال كمنارة إسلامية ، وقبلة لطالبة يقصدها طلاب العلم من أقطار بلاد السودان ، انظر : السيوطي : حسن المحاضرة ، ج٢، ص ٢٥١ ، ٢٥٢ عبد الرحمن زكي: القاهرة تاريخها وآثارها ، الدار المصرية للطباعة والترجمة ، ١٩٦٦ ، ص ٥١ . السيد أحمد الناج: الحياة العلمية

والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغي (٦٣٨ ــ ٩٩٩ هـ / ١٢٤٠ ــ ١٥٩٩م) رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة ١٩٩٤، ص ١٦٥

(٢٣) حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ج٢ ، ط النهضة المصرية ، ط الخانجي بالقاهرة ١٩٦٣، ص ٢٠٩

(٢٤) السوفتي : حسن المحاضرة ج٢ ، القاهرة (د د ــ) ص ٢٥٣ ــ ٢٧٤.

(٢٥) السعدي : ص ٦١ ، السيوطي . كتاب التحدث بنعمة الله ، تحقيق الزايث سارتين ، تقديم عوض الفيتوري . الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ٢٠٠٣. ص ١٥٨.

(٢٦) مفتاح الرماصي : العلاقات بين بلاد المغرب ودولة الكانم والبرنو (٧ ــ ١٠ هـ / ١٣ ــ ١٦ م) رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة ٢٠٠٤، ص ١٨٨.

(٢٧) للمتصم أحمد الحاج : الخلاوى ، في السودان ، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية ، ٢٠٠٥م ص ٥٧.

(٢٨) انظر : القلقشندي صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ط القاهرة ، ١٣٣٤هـ) ج ٥ ، ص ٢٣٣

(٢٩) السيوطي : كتاب التحدث بنعمة الله ، ص ١٥٨.

(٣٠) Birks, J.S: Overland and Pilgrimage in the Savanna Lands of Africa People on the Move Studies on International Migration edited Leszek A. Kosinski and Mansell Prother , London 1975, p. 301.

(٣١) CF: H.J. Fisher : The Central Sahara and Sudan in Richard Gray (ed) the cambridge History of Africa Vol. 4 Cambridge Cambridge University Press 1977, pp . 95

حبيب وداعة الحسناوى : الحج وأثره في دعم الصلات العربية الأفريقية ، ودور فزان في تسهيل قوافل حجاج السودان الأوسط حتى القرن الثامن ، ندوة التواصل ، الدعوة الإسلامية طرابلس ، ١٩٩٨ ، ص ٨٦.

(٣٢) عبد الرحمن ابن خلدون : المقدمة . ص ٥٤١. وقد أشار ابن خلدون في مقدمته هذا للحديث عن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة على أمل أن ذلك مزيد كمال في التعليم ، وانظر أيضا ، منعم مزاوى : الحياة الفكرية في العالم الإسلامي في القرن الثاني عشر الهجري ، ١٧٠٠ ــ ١٨٢٠ مجلة البحوث التاريخية السنة الثامنة العدد الأول يناير ١٩٨٠ ، ص ١١٥ . حبيب وداعة الحسناوى : أبو عبد الله محمد عبد الرحمن الحطاب ، الرعيني (المكسيج) ، ٨٦١ ــ ٩٤٥هـ / ١٤٥٥ ــ ١٥٤٧ م منشور في أعمال ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية تيارات الفكر في المغرب والأندلس الرواد والمعطيات قطوان جامعة عبد الملك السعدي كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، منشورات الكلية ، تطوان ٥ (١٩٩٣) ص ٤٩٨ ــ ٥٢٩ . وانظر أيضا على فهمي خشيم . أحمد زروق والزروقية : دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة طرابلس ١٩٨٠ ، ص ٣٨.

(٣٣) انظر : العبدري : أبو محمد عبد الله بن محمد الحيحي ، رحلة العبدري ، حققه محمد الفاسي ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ١٩٦٨ ، ص ٢٢٨ . قاسم عبده قاسم : الأسواق بمصر في عصر سلاطين المماليك ، مجلة كلية الآداب كجامعة القاهرة ، المجلدان السادس والسابع والثلاثون ٧٤ ــ ١٩٧٥ ، ص ١٥٩ ــ ١٦٣.

(٣٤) إبراهيم علي طرخان : الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي ، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية العدد الثاني ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م، ص ٩ . إبراهيم طرخان : دولة مالي الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٣م ،ص ١٦٨.

(٣٥) سر الختم عثمان: العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى فيما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٦٩ ص ١٠٣ ، ١٠٧.

(٣٦) عبد الحميد أبو الفتوح ندوى : العلاقات المصرية الحجازية في العصرين المملوكي والأيوبي ، القاهرة ، د.ت ، ص ٣ وما بعدها.

(٣٧) حبيب وداعة الحسناوى : الحج وأثره ، ص ٨٨.

طبقاً لرواية جلال الدين السيوطي الذي كان تحفظ علاقات قوية مع أهل السودان الغربي الذين كان يطلق عليهم التكرور وعلى بلادهم بلاد التكرور : أن قافلة من أهل التكرور وصلت إلى القاهرة عام ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م، وكان من بين أعضائها السلطان والقاضي ، وعدد من طلبة العلم الذين جاءوا للدراسة على يديه ، وأن السلطان طلب منه استخدام نفوذه ، والتحدث نيابة عنه مع الخليفة العباسي المتوكل على الله عبد العزيز بن يعقوب ليمنح سلطان التكرور لقب أمير المؤمنين لحكم بلاده حتى يصبح على حكمه صبغة الشرعية وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية ، انظر : Sertain, E. M. Jalal Al- Din. As Siyuti's relations With the People of Takrur: Journal of Semitic Studies, XVI, 1971, pp 193-98) ملك صنغاي مالأ لهما الخليفة العباسي في القاهرة وشريف مكة وطلب منهما تعيينه أميراً للمؤمنين في بلاده ، انظر عبد الرحمن السعدي : تاريخ السودان ، ص ٧٣ : يقول السعدي : وتفي في ذلك الأرض المبارك الشريف العباسي فطلب منه أن يجعله خليفته في أرض صنغي فرضي له بذلك .. وجعله خليفته وجعل على رأسه قلنسوة وعمامة من عنده فكان خليفة صحيحاً في الإسلام ص ٧٣ : وانظر أيضا : Umar al – Nagar. the Pilygrimage traditions in west Africa, Khartoum University Press of 72, pp. 18-25.

(٣٨) يذكر ابن خلدون أن منسا موسى ملك مالي ١٣١٢ ــ ١٣٣٧ عندما جاء للقاهرة في طريقه للحج عام ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م كان معه حوالي ثمانين خملاً محملاً بالتبر ، حمولة كل جمل ثلاث قناطير ابن خلدون : العبر بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ج٧ ، ١٩٥٩ ، ص ٦١ ، جـ ٦ ، ص ٤١٥ ــ ٤١٦ ، ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، السفر الثالث ، معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية جامعة فرانكفورت ١٩٨٨ ، ص ٤٢ ــ ٤٧.

(٣٩) لمزيد من الدراسة ، انظر : كرم الصاوي. نظم التجارة الصحراوية بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في الفترة من ٨ ــ ١٠ هـ ــ ١٤ ــ ١٦م وندوة الصحراء والإنسان ، تونس ٢٠٠٣، ص ١٢١ ، وما بعدها .

(٤٠) البرزلي (محمد بن أبي بكر الصديق): فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، تحقيق محمد حجي ومحمد إبراهيم الكتاني ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٢٦.

(٤١) بنانير محمد بن عثمان بن فودي ، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، تحقيق قيجة الشاذلي . الرباط ١٩٩٦، ص ٤٧.

(٤٢) CF Al – Nagar Umar: Takrur the History of a Name, JAH. Vol. 10., No.3, 1969. pp 365-374

إبراهيم طرخان : إمبراطورية الفولانيين الإسلامية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض م ٦ ، ١٩٧٩ ص ٩٥ ـ ١٥٦ ، د . أ . م . كاي: مظاهر الاتصالات الفكرية والثقافية بين شمال أفريقيا ووسط السودان ، بين سنة ١٠٠٠م و ١٧٠٠ م مع إشارة خاصة إلى كانم ـ بورنو وأرض الهوسا ، مجلة البحوث التاريخية ، السنة الثالثة / يناير ١٩٨١ العدد الأول / مركز جهاد الليبين ، ص ١٤ ، ١٥ .

(٤٣) تقي الدين أبي العباس علي المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ط٢ ، ط بيروت ، د.ت ، ص ٣٦٥ د . أ . م كاي : مظاهر الاتصالات الفكرية والثقافية بين شمال أفريقيا ووسط السودان، ص ١٤. انظر جنبي السودان بملاحق الرسالة شكل رقم (١) وطلبة التكرور من موطنهم الأصلي خريطة شكل رقم (٤)

(٤٤) انظر موقع الأزهر الشريف في ملاحق البحث ، شكل رقم (٣) عبد العزيز الشناوي : الأزهر جامعة وجامعة ، ج١ ، ص ١٤٥.

(٤٥) دولة التكرور هي في الواقع مملكة مالي ولكنها عرفت تاريخيا بمملكة التكرور مع أن إقليم التكرور لا يعدو أن يكون إقليما من الأقاليم المكونة لدولة مالي ، وحدودها من الشرق الأطلسي غربا إلى بلاد البرنو شرقا في قلب افريقيا . وكان لطلبة التكرور رواق خاص بهم في الأزهر ، ومعنى تجار التكرور في القاهرة مدرسة لتعليم أبنائهم قبل إلحاقهم بالأزهر ، عرفت باسم مدرسة ابن رشيق ، وكان أهل التكرور يجاورون بمصر وهم في طريقهم إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وفي عودتهم ويطيلون إقامتهم لمزاولة نشاطهم التجاري ، انظر كلا من : ابن فودي . إتحاف فليسوف ، ص ٢٦ ، المقريزي : الإلمام بالأخبار من ملوك الحبشة من مخطوط الإسلام ، ط بمطبعة التأليف بمصر سنة ١٨٩٠م ، ص ١ ـ ٣٦ ، الشناوي : الأزهر ، ص ١٤٦.

(٤٦) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ١١١.

(٤٧) المصدر نفسه : جـ٤ ، ص ٣٤ ـ ٣٩.

(٤٨) المصدر نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣٩.

(٤٩) مجموعة وثائق السلطان حسن ، منشورة بكتاب تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٦، ص ٤٠٩.

(٥٠) ومما يدل على كثرة الجالية السودانية قول ابن حجر " ووقع الموت في السودان بالقرافة إلى أن مات منهم نحو ثلاثة آلاف " أنباء الغمر بأبناء العمر ، ج ٣ ، ص ٣٣٨.

(٥١) الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٦٣.

(٥٢) عرفت عمدية بولاق نسبة إلى أحد الصلحاء التكارنة وهو الشيخ أبو محمد يوسف بن عبد الله التكروري ، وكان يطلق عليه ، عاصر الخليفة الفاطمي العزيز وأقيم له مسجد التكروري أو تم تجديده في عهد الناصر شهاب الدين أحمد عام ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م ، المقريزي : المواعظ والاعتبار جـ ٢ ، ص ٣٢٦ .

(٥٣) ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ٢ ، ص ٣٢٥.

(٥٤) ابن حجر : أنباء الغمر ، جـ ١ ، ص ٣٨٠.

(٥٥) المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢١٦

(٥٦) سعيد عاشور . المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص ١١٦.

(٥٧) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٢٩ .

(٥٨) السخاوي : الضوء اللامع جـ ١٠ ، ص ١٨٤ ترجمة رقم ٧٧٩ ، وللمزيد عن هذه الجالية انظر السخاوي : جـ ١٠ ، ص ١٥٤ ترجمة رقم ٦١٣.

(٥٩) خشقدم مسرور الكبير ، مسرور كان من خدام قصر السلطان صلاح الدين ، وخشقدم مقدم حلقه ، ابتنى هذا الخشقدم المقريزي . المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٩٢.

(٦٠) وكالة قوصون هذه لركنالة شيخ القنادلي وخانات يزولها التجار ببضائعهم في بلاد الشام ، وهي ملك للأمير قوصون ، وقد عمرت عند مخزر تيمورلنك للشام عام ٨٠٣هـ المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ، ص. ص ٩٢ ـ ٩٣.

(٦١) أسواق القاهرة انظر : قاسم عبده قاسم : أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، مكتبة سعيد رأفت جامعة عين شمس القاهرة ١٩٧٨، ص ٨ ، ٩ وما بعدها .

(٦٢) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ ٧ ، ص ٣ ـ ٣

(٦٣) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ ٥ ، ص ٣٠١ ، ترجمة ١٠١٢.

(٦٤) ابن الصيرفي : نزهة النفوس ، جـ ٣ ، ط وزارة الثقافة ١٩٧٣ ، ص. ص ١٧٧ ـ ١٨٩.

(٦٥) الكثرة من شيخ من الأموات من أهل السودان صاروا يجهون في المقبر طوال الليل ، فاستوعب الدور عشرات الولي ، ابن الصيرفي : نزهة النفوس ، جـ ٣ ، ص. ص ١٧٧ ـ ١٨٩ ؛ المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٦٥ ، السلوك ، جـ ١ ، قسم ٢ ، ص ٦٤٩ .

(٦٦) المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٦٥، السلوك ، جـ ١ ، قسم ٢ ، ص ٦٤٩.

(٦٧) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ص ٦٦٤ ـ ٦٧٥.

(٦٨) الغزي : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، تحقيق جبرائيل سليمان جبور ، جـ ١ ، بيروت ١٩٤٥م، ص ٩٢.

(٦٩) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ ٥، ص ٣٠٦ ترجمة ٦٨٨.

(٧٠) السخاوي . نفسه ، جـ ٣ ، ص ٢٤٧ ترجمة ٩١٦.

(٧١) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٤، ص ص ١٦ ـ ١٥.

(٧٢) الغاشية ، وهي حاشية سرج مضروعة جميعها من الذهب تحمل بين يدي السلطان في مواكب الأعياد (القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٧.

(٧٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٤ ، القاهرة ١٩٩١، ص ٤٦ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٦٦٩.

(٧٤) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٦٧ .

(٧٥) الغرتي : نوع من الثمار طعمه حلو ويستخدم في الغلي ، انظر . ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٤٤٣.

(٧٦) الربع الوثيقة في البروتوكول الخدامي فهو ٩ ربيع آخر سنة ٨٨٥ هـ . انظر نص الوثيقة عند الفاضل إبراهيم : من وثائق التاريخ الغربي ، مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم ، العدد الثاني ١٩٧١م ، ص ٤٣ — ٤٤.

(٧٧) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٧٠.

(٧٨) انظر : الحسن الوزان ، وصف أفريقيا ، ط المملكة العربية السعودية ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض سنة ١٩٧٩ ، ص ٥٥٣.

(٧٩) ل أماير : المماليك البحرية ، ترجمة صالح الشيني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢ ، ص ٩٥ ، ١١١.

(٨٠) السبكي : عبد الغني وعبيد النعيم ، تحقيق محمد علي النجار وآخرون ، ط ١، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٦٧.

(٨١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، بيروت ١٩٨٣ ، جـ ٩ ، ص ١١٠. ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٩ — ١٩٧٢م ، ص ٢٠٦ . البطاوي: أهل العمامة ، ص ٤٥ ، ٤٦.

(٨٢) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، حققها محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢ ، جـ ٢ ، ص ٤٧ ، ٦١ ، ١٨٨ ، جـ ٣ ، ص ٦٩ ، ٩٣.

(٨٣) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ط دار الكتب ١٩٧٣ ، حققه وقدم له د/ سعيد عبد الفتاح عاشور ، جـ ٢ ، ص ٦٢ ، ٩٢ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، سوزي أباظة : العلاقات الثقافية بين مصر وسلطنة صنغاي ، أعمال مؤتمر العلاقات الثقافية العربية الأفريقية ، ٢٠ / ٣١ مايو ١٩٨٨ ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣.

(٨٤) ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ٦٤ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٣٧.

(٨٥) المصدر نفسه ، وأخرى ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧، ٢٧٧ ، ٢٩٢ ، ٣٠٩ ، ٣١٩ ، جـ ٥ ، ص ٩٥

(٨٦) الخالقاوات : مفردها خالقاه ، هي كلمة فارسية معناها بيت ، وقيل أصلها خوقاة ، أي الموضع الذي يأكل فيه الملك ، والخوانق أو الخوالك عدلت في الإسلام في حدود الأربعمائة بعد الهجرة ، = = وحولت لتحلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى ، المقريزي ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤١٤ . البطاوي : المرجع السابق ، ص ٩٠.

(٨٧) الإسنوي : طبقات الشافعية ، تحقيق عبد الله الجبوري ، ط ١ ، بغداد ، ١٩٧٠ ، جـ ١ ، ص ١٤٨

(٨٨) ابن حجر : إنباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق حسن حبشي ، لجنة إحياء التراث المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٧٢م، جـ ٣ ، ص ٣٣٨. السيد أحمد البرّ : الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغي ٦٣٨ — ٩٩٩هـ / ١٢٤٠ — ١٥٩١م ، رسالة ماجستير ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ١٩٩٤م ، ص ١٦٨

(٨٩) السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، جـ ٧ ، مكتبة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٣هـ ، ص ٢ — ٣. انظر : الرحلة العلمية السودانية ومساهماتها للمعمورين السودانيين عن السودان الأوسط والغربي وصولاً للأزهر بالتعريف بشكل رقم (٥) ، وشكل رقم (٦).

(٩٠) ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة دار الجيل ، بيروت ، د.ت ، جـ ٢ ، ص ٣٠٤.

(٩١) ابن الزيات : الكواكب السيارة في آداب الزيارة ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٢٥هـ — ١٩٠٧م ، ص ١٩٠

(٩٢) السعدي . المصدر نفسه ، ص ١٨٢ ، محمد بللو ، المصدر نفسه ، ص ٢٠٩.

(٩٣) أحمد بابا التنبكتي : ليل الابتهاج بتطريز الديباج ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ليبيا ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩ ، ص ٣٥٣.

(٩٤) المصدر نفسه ، ص ٣٥٣ ، ٣٥٤.

(٩٥) التلقانيان هما العلامة شمس الدين التلقاني وناصر الدين التلقاني ، واعتمد عن ناصر الدين التلقاني كثير من علماء صنغاي مثل أحمد بن عمر أغيت ، ومحمد بغيغ وأخوه أحمد ، انظر ليل الابتهاج ، ص ٥٨٦ ، ٥٩١.

(٩٦) محمد بللو : المصدر نفسه ، ص ٢١٤ ، ٢١٥.

(٩٧) ناصر الدين التلقاني (٨٧٣ — ٩٥٨ هـ / ١٤٦٨ — ١٥٥١م) : يعتبر من أشهر رجال العلم والمكتبات في مصر ، جلس لإقراء العلوم بالمخطفة ، فقد قرأ الفقه نحو سبعين سنة وتولى القضاء في مصر ، كما استقدم بين جميع الأقاليم وكانت له مؤلفات وشروح خطية ومختصر ، انظر : أحمد بابا : ليل الابتهاج ، ص ٥٩٠ ، ٥٩١.

(٩٨) على ما يبدو وأن جلال الدين السيوطي لم يقم بزيارة إلى صنغاي ولكن كتبه وشهرته هي التي ذاع صيتها ، كما أن الطلبة بالمكيا أحمد الذين كانوا مجاورة لمصر ألفوا حوله Cf Penda M.: Enseignement et Systeme De Pensee dams Le Soudan. Occident al Medieval (xive – xviee) zoghaun 1997 , p. 235.

(٩٩) الأخوة الثلاثة : هم أحمد بن عمر بن محمد أقيت حج عام ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م، وتوفي عام ٩٤٣هـ / ١٥٣٦م وعبد الله بن عمر بن محمد اقيت حج مع أخيه الأكبر عام ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م ، وتوفي عام ٩٢٩هـ ، ١٥٢٢م ، ومحمود بن عمر بن محمد أقيت رحل للحج عام ٩١٥هـ / ١٥٠٩م ، وتوفي عام ٩٥٥هـ / ١٥٤٨م، للمزيد انظر ، نيل الابتهاج ، ص ١٣٧ ، ٢٣٥ ، ٦٠٧ ، وكفاية المحتاج ، جـ ١، ط المملكة المغربية ٢٠٠٠م ، ص ١٢٢

(١٠٠) التنكلي : ليل الابتهاج ، ص ١٣٧ ، وكفاية المحتاج ، جـ ١ ، ص ١٢٢. السعدي ، ص ٣٧، محمد محمد مخلوف : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، جـ ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٤٩هـ ، ص ٢٧٨.

(١٠١) انظر : نيل الابتهاج : ص ٥٨٦ ، ٥٩١ ، ٦٠٧. كفاية المحتاج : جـ ٢ ، ص ٢٤٥. السعدي ، ص ٣٨ ، ٣٩. Hunwick, J.: Timbuktu and Songhay Empire, Brill 1999, p. 60 -

(١٠٢) أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص ٥٨٧.

(١٠٣) محمد بللو : المصدر نفسه ، ص ٤٧.

(١٠٤) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٦٦٥.

(١٠٥) انظر : الحليل السحرى : بلاد صنغاى ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٥.

(١٠٦) أحمد بابا : نيل الابتهاج ، و ١٥ ، الحسن الوزان : وصف افريقيا ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن حميدة ، ط الرياض ١٩٧٩ م ، ص ٥٤.

(١٠٧) هناك العديد من المخطوطات والنوازل ، لمزيد من الدراسة انظر : ابن عثمى ، عبد الله ، رحلة الحج مخطوط مكتبة قسم التاريخ جامعة أحمد بللو ، زاريا ، نيجيريا ، تحت رقم ١/٢٤ ورقة رقم ٩.

(١٠٨) امكيا داود مكث في حكم منطقة صنغاى لرسعة وثلاثين عاما ، ويقول عنه محمود كعت هو أول من اخذ خزائن الملك حتى خزائن الكتب وله نُساخ ينسخون له كتبا ويرها يهادى به العلماء ، وله مناقب واحسان مع طلبة العلم، ويذكر السعدي انه كان شديد الحب للكتب فقد اشترى قاموسا بمبلغ ثمانين مثقالا من الذهب ، محمود كعت ، تاريخ الفتاش ط هوداس ، ١٩٦٤م ، ص ٩٤ ، ١١٣ ، جون هانويك: تراث المخطوطات الإسلامية لتنكتو ، ترجمة وتعليق د. سوزى آيانة ، مجلة افريقيا ، عربية. مركز البحوث المغربية القاهرة، عدد ٢٠٠٣/٦ ، ص ٢٤.

(١٠٩) كثر في تنبكت نسخ الكتب التي تناول علوم الدين من التفسير وحديث وفقه أو التي تناول علوم اللغة وآدابها وبعض كتب التاريخ واللغة والدين التي ألفها علماء من التكرور بل كثر امتلاء خزائن الكتب التي استعرضوا بها والتوا بنسخها فالفقيه أحمد بن عمر بن محمد أقيت كان عنده مخصيل القلم ونسخ كتبه انظر : أحمد بابا ، نيل الابتهاج ، ص ١٣٧.

(١١٠) انظر : عبد القادر بنا حمليرة : فهرس مخطوطات مكتبة بنا حمليرة للمخطوطات والوثائق ، ٣٥ ، ص ٣ ، ص ١٧.

(١١١) السيوطي ، الحاوي في الفتاوى ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٦ ، د ت ، هـ ٤٥٥: فهرسة الشاذلي : الأوضاع الاجتماعية في السودان الغربي في النصف الأخير من القرن ١٥ من خلال رسائل جلال السيوطي ، ضمن أعمال الندوة العالمية المنعقدة بمكناس : منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي ، زغوان ١٩٩٧ ، ص ٦٦.

(١١٢) انظر : مجاهد توفيق : نظام الدراسة بالجامع الأزهر عصر السيوطي ، ط ٢ ، الأزهر ٢٠٠٥ ، ص ٥.

(١١٣) بالوالاتي : فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٦ ، ص ٣٤.

(١١٤) هو سليل — أسرة آقيت الصنهاجي الماسني التكروري ولد عام ٩٦٣هـ / ١٥٥٦ م في مدينة تنبكت وتلقى العلم على يد مجموعة من علماء عصره ، فقد قرأ التفسير والحديث والفقه والأصول والعربية والبيان والتصوف على يد العالم محمد بغيغ وقرأ النحو عقلي يد عمه، وقد عاصر أحمد بابا دخول الجيش السعدي إلى بلاد السودان ٩٩٩ هـ / ١٥٩١م وتم نقله مع أسرته إلى مراكش في عام ٢٠٠٢ هـ / ١٥٩٢ الذي كان له أثر كبير على مستواه الفقهي والعلمي ، فقد اتيحت له فرصة للاطلاع على جميع كتب الخزانة السعدية ومجلس للأقراء في مراكش بجامع الشرفاء ، واستفاد خلال وجوده في مراكش استفادة علمية وثقافية كبيرة حتى عاد إلى تنبكت عام ١٠١٦هـ / ١٦٠٩م ومارس نشاطه العلمي واستمر في التأليف حتى وفاته ١٠٣٦هـ ١٦٢٧ أحمد بابا : نيل الابتهاج ، جـ ١ ، ص ١١ — ١٧.

(١١٥) Charbonneau, M.A. Histore de La Litter atur Arabe au Soudan, Journal A S Dinti que) October, November m 14, pp. 303 - 403

(١١٦) جلال الدين السيوطي : رسالة إلى ملك التكرور ، مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٤١٦ مجاميع ميكروفيلم ٤٥٧٩ ، ص ١٣٩ ، ١٤٠. عثمان بن فودي : تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان ، مخطوط بمكتبة الهجرة تابعة معهد البحوث والعلوم الإنسانية ، رقم ٢٩٥ ، ص ٧ و ١٠ ظ.

(١١٧) فهيمة الشاذلي : مرجع سابق ، ص ٥٢ .

(١١٨) من أهل أكيس وهي بلدة قرية من بلاد السودان وكانت له تآليف منها تعليق على قول خليل بن إسحاق حيث حصصت فيه الخالف ومنها جواب عن أسئلة القاضي محمود بن محمود ، أما أهم مؤلفاته فكانت أجوبة الفقيه حسن لأسئلة الأمير أجاب فيها السلطان أسكيا الحاج محمد وغيرها ، كذلك كانت له مسائل خالف فيه الفقيه المحافظ محمد البرناني ت ٩٤٠هـ / ١٥٣٣ وكان العاقب بن عبد الله الإلمصمي حيا في عام ٩٥٠هـ / ١٥٤٣ م. انظر أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص ٣٥٣.

(١١٩) Y.B Uthman, "The Transformation of Kassina" Ph. D. Thesis Ahmadu Bello University 1974, p. 37.

(١٢٠) د. أ . م كاق : مرجع سابق ، ص ٢٠ ، ٢١. N. Levizion . J F P Hopkins, edss corpus of Early Arabic Sources for west African History, Canoridge University Press, 1981, p. 22

لمزيد من الدراسة عن القضايا الفقهية تطلاب السودان الغربي جامعة نوازل التكرور انظر : ابن سعيد الفشتالي : رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرحيم ، مكتبة أحمد بابا التنبكتي تحت رقم ١٠٩٢ ، خمسة أجزاء من ٢٥٧ — ٢٥٩ز أبو عبد الله المصطفى بن أحمد بن عثمان بن مولود الفلاوي : نوازل التكرور مكتبة أحمد بابا المكتبي ، تحت رقم ٥٢١ أجزاء من ١٣٠٠ — ٥٦٨ : أحمد بابا السوداني : كتاب الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان مخطوط تحت رقم ٢٥

(١٢١) سورة التوبة ، آية ١٢٢.

(١٢٢) السخاوي . الضوء اللامع ، جـ ١ ، ص ١٦٦. عطا أبو ريه : الأحباش في مصر للملوكية ، (٦٤٨ — ٩٢٣ / ١٢٥٠ — ١٥١٧م) ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، ٢٠٠٤، ص ٢٠.

(١٢٣) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ ١٠ ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١.

(١٢٤) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٣ ، ص ٢٤٨. ابن حجر : أنباء العمر ، جـ ٢ ، ص ٥٢٨.

(١٢٥) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ ١ ، ص ٨٠ .

(١٢٦) المصدر نفسه : جـ ١٠ ، ص ١٦٦

(١٢٧) محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ١٢٦ ـ ١٢٧ ؛ ريتشارد هوتزيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، الرياض ١٩٨٥ ، ص ١٠٦.

(١٢٨) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٣ .

(١٢٩) ابن الصيرفي : إنباء العصر بأخبار العصر ، تحقيق حسن حبشي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٠م ، ص ٢٥ ، ٢٦.

(١٣٠) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٣

(١٣١) إنباء العصر : ص ٢٥ ، ص ٦٤.

(١٣٢) ابن الصيرفي ، إنباء العصر ، ص ٦٤ ، ٨٥. السخاوي . الضوء اللامع ، جـ ٣ ، ص ٢٤٦ .

(١٣٣) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٩.

(١٣٤) ابن تغري بردي : حوادث الدهور في وقائع الشهور المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٩٠م، ص ١١٨ .

(١٣٥) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٤٥٦.

(١٣٦) ابن تغري بردي : حوادث الدهور ، جـ ١ ، ص ٨ ، النجوم الزاهرة ، جـ ١٨ ، ص ٥٢٤.

(١٣٧) علي مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة المصرية القاهرة للكتاب ١٩٨٢ م ، ج ٢، ص ١١٥ ـ ١١٦

(١٣٨) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، جـ ١٥ ، دار الكتب المصرية ، ١٩٦٠م ، ص ٥٢٤.

(١٣٩) علي مبارك : المرجع نفسه ، جـ ٣ ، ص ١١٦

(١٤٠) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، جـ ١٥ ، ص ٣٤٨. السخاوي : الضوء اللامع ، جـ ٣ ، ص ٢٤٦.

(١٤١) المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٤٣٢.

(١٤٢) لمزيد من الدراسة راجع أحمد صبحي منصور : العقائد الدينية في مصر المملوكية بين الإسلام والتصوف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ م ، ص ٣٣٦ وما بعدها .

(١٤٣) محمد كامل حسين : ابن الشيخ وأدب الصوفية في عصر الأيوبيين والمماليك ، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة ، عدد ٦ ديسمبر القاهرة ١٩٥٤م ، ص ٥٨ ، ٥٩ . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر الأيوبي والمملوكي ، دار الفكر ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

(١٤٤) المقريزي : السلوك ، جـ ٢ قسم ٢ ص ٤٠٨ . ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ٣ ، ص ٤٢ ، ٤٢١. ابن إياس : المصدر السابق ، جـ ١ قسم ٢ ص ١٤ . السخاوي : الضوء اللامع : جـ ٢ ص ٥٠

(١٤٥) الشعراني : الطبقات الكبرى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، جـ ٢ ؛ ص ١٨ ، ٩٩ . ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٤ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م ، ص ١٥٩. أحمد الباز : الحياة العلمية ، ص ١٩١.

(١٤٦) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ ١ ، قسم ٢ ، ص ٩١٦.

(١٤٧) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ ١٢ ، ص ٩٩.

(١٤٨) السخاوي : المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ١٦ ، ١٧ ، جـ ١٠ ، ص ١٦٦ ، ١٦٧.

(١٤٩) المصدر نفسه : جـ ١٠ ، ص ١٦٨ انظر الرحلة العلمية للعلماء الأحباش من مواطنهم الأصلي وصولا إلى القاهرة بشكل رقم (٧).

(١٥٠) كلمة الدكسن الصومالية هي الخلاوى في السودان أو المكتب العربية أما الكتاب فهو مفرد وجمع وهو طالب المدرسة القرآنية ، راجع : محمد عبد العظيم الديوي : سلطنة كلوه الإسلامية في عهد أسرة المهدلي العربية (٩٧٦ ـ ٨٢٤ هـ / ١٢٧٧ ـ ١٤٢١ م) رسالة ماجستير غير منشورة معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة ٢٠٠٦ ، ص ٢٦٩ . محمد علي عبد الكريم : تاريخ التعليم في الصومال ، مقديشو ١٩٧٨، ص ١٥.

(١٥١) العيدروس : غاية الأمال في تاريخ الصومال - مقديشو ١٩٥٥ ، ص ٣٩ . وعن الإجازات العلمية انظر : طيبوطي ، القرب الزلوي في شرح النوادر ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص ٨ ابن الصلاح : مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٢٦٢.

(١٥٢) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ ١ ، القاهرة ١٣٥٣هـ ، ص ٢٣٣ . ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، تحقيق أحمد المجاتي ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٥٦ م ، ص ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(١٥٣) انظر : كرم الصاوي : كلوه مركز الثقافة العربية الإسلامية في شرق أفريقيا عهد أسرة المهدلي العربية (٩٧٦ ـ ٨٢٤ هـ / ١٢٧٧ ـ ١٤٢١م) ، المراكز الثقافية والعلمية في العالم العربي عبر العصور حصاد ٩ ، ندوة الدارسين العرب ، القاهرة ٢٠٠٦م ، ص ٤٨٤.

(١٥٤) المرجع نفسه : ص ص ٤٨٤ . ٤٨٥. السيد أحمد الباز : الحياة العلمية والثقافية في السلطنات الإسلامية في منطقة القرن الأفريقي .

(١٥٥) انظر : أحمد الباز : الحياة العلمية. حسن مكي . السياسات الثقافية في الصومال الكبير (الريفيا ، المركز الإسلامي الدولي ، ط الأولى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠.

(١٥٦) ود ضيف الله : الطبقات ، ص ٦.

(١٥٧) ود ضيف الله : الطبقات : ص ١٢١.

(١٥٨) ود ضيف الله : الطبقات ص ١١٢ ، ١١٤.

(١٥٩) الطبقات : ص ٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٦٩ ، محمد سليمان : دور الأزهر في السودان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ لمزيد من الدراسة ، انظر : د. كرم الصاوي باز: حالات النوبة في العصر المملوكي اضمحلالها وسقوطها وأثره في انتشار الإسلام في سودان وادي النيل مكتبة الانجلو المصرية ٢٠٠٦ ، انظر نماذج من الإجازات العلمية التي منحت من الأزهر الشريف لنخبة السودانيين من قراء سودان وادي النيل شكل رقم (١٠)

(١٦٠) الإجازة في اللغة الإنفاذ ، فأجاز بمعنى العقد وأجاز له أي سوغ ذلك وأجاز رأيه ، انظر ابن منظور ، لسان العرب ، مج ٥ ، بيروت ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م ، ص ٣٢٦ ، ٣٢٧، وعن الإجازات التي منحت من العلماء المصريين إلى عائلة ألفيت انظر : المقرئ : روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من إعلام الحضرتين مراكش وفاس الطبعة الثانية ، الرباط ١٩٨٣ ق ٣٩٠ ـ ٣٩١

(١٦١) انظر هذه الإجازات التي منحت عن صالح الطالبق إلى أحمد بابا في ملاحق البحث تحت أشكال رقم ١٠.

(١٦٢) نيل الابتهاج ، ص ٦٣٧ ، أنظر سعد غيث ، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة السادس عشر والسابع عشر الميلادي ، رسالة دكتوراه معهد البحوث والدراسات العربية ، ٢٠٠٣ ، ص ١٧٢.

(١٦٣) انظر : عدى إقبال الطلبة السودانيين على علوم القرآن في ملاحق الرسالة شكل رقم (٨) .

(١٦٤) نيل الإبتهاج ، ص ٦٣٧ ، ولمزيد عن يحيى بن محمد الحطاب انظر نيل الابتهاج إلى ٦٣٧

(١٦٥) العياشي ، أبو سالم ، بتحاف الأخلا بإجازات المشايخ الأجلاء دار الغرب الإسلامي : الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٩ م ، ص ١٤٥ انظر نماذج من الإجازات العلمية في ملاحق البحث شكل رقم (١٠) .

(١٦٦) كفاية المحتاج ، جـ ٢ ، ص ٢٢٢. السعدي : مصدر سابق ، ص ٤٠ ، وللو : إلفاق المبسور ، ص ٧٤.

(١٦٧) كفاية المحتاج ، ج١ ، ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٥٩١. السعدي : مصدر سابق ، ص ٤٩.

(١٦٨) النهر والي ، محمد قطب الدين أحمد : إجازة صادرة في أسانيد حديث الرسول صلى الله عليه وسلم لنا الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن نجتوى التكروري عام ٩٨٨هـ / ١٥٨٠م وثيقة مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية تحت رقم ٢٠٠٦٥ ورقة رقم ١ ، ٢ ، وعمل الحاج على نقل الأسانيد الشرقية إلى المعلمين السودانيين وخاصة من أهل التكرور فعثمان بن فودي أخذ رواية الجامع الصحيح للبخاري وسنده ، والجامع الكبير للترمذي وسنده ، وسنده رواية ابن ماجه ، وسند رواية الموطأ للإمام مالك بن أنس وشمائل الترمذي من أسانيدة وأما الحاج جبريل بن عمر الذي سافر إلى الحج مرتين وحج وتعلم على يد العالم مرتضى الزبيدي مؤلف قاموس تاج العروس .

(١٦٩) كفاية المحتاج : ج ١ ، ص ٣٧٨ . والسعدي : مصدر سابق ، ص ٤٩ . وللو : إلفاق المبسور ، ص ٣١٨. نيل الابتهاج ، ص ٣٦٥.

(١٧٠) الزجلي . المصدر السابق ، ص ٣٣ . انظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ١٤ ، ص ٣٢٧.

(١٧١) انظر : عمر بن علي وآخرون : فهرس مخطوطات مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتمبكتو مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن من عام ١٤١٧هـ / ١٩٩٦ م مجلد ١ ص ٤٢٣، مجلد ٥ ، ص ٦٢٧.

Hiskett, M: the Course of Islam in Africa. Edinburgh University Press. 1994, p. 103.

(١٧٢) الحليل النحوي : بلاد شنقيط المنارة والرباط ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس ١٩٨٧ ، ص ٦١.

(١٧٣) الزجلي : المصدر السابق ، ص ٣٤ . كفاية المحتاج ، جـ ١ ، ص ١٣٨ ، جـ ٢ ، ص ٢٤٠. الهادي المبروك الدالي : التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء ، الطبعة الثانية طرابلس ٢٠٠٠ م ، ص ١٧٣ ، ١٧٤.

(١٧٤) القلقشندي : جـ ١٤ ، ص ٣٢٢ . عبد العزيز الشناوي : الأزهر جامعا وجامعة الجزء الأول ، ص ١٤٩. وفي ذلك يقول السخاوي عن أحد علماء الزيلع وهو الشيخ أحمد بن أويس بن عبد الله المجيري: " رأيت بخطه إجازة للزين عبد الرحمن بن أحمد بن علي في سنة ثمانمائة ، الضوء اللامع، جـ ١ ص ٣٤٥ ، ٣٤٦.

(١٧٥) انظر : القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ١٤ ، ص ٣٢٧ ، ص ٣٣٠ ، ص ٣٣١ الشناوي : المرجع السابق ، ص ١٥٠.

(١٧٦) القلقشندي : صبح الأعشى، ص ٣٣٢ ، ٣٣٤ الشناوي : المرجع السابق ، ص ١٥١ . أحمد رمضان : الإجازات والتعريفات المخطوطة في العلوم النقلية والعقلية من القرن ٤هـ / ١٠الى ١٠ هـ / ١٦م ، وزارة الثقافة ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ٨ ، ٩ .

(١٧٧) انظر : نيل الابتهاج ، ص ٦٠٣ . كفاية المحتاج ، جـ ٢ ، ص ٢٤٠ . السعدي ، ص ٤٦. مللو : إلفاق المبسور ، ص ٣١٥ . إبراهيم الشامي ، الحج وأثره الحضاري في دولتي مالي وصنغي ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢

(١٧٨) صحيح البخاري : هو كتاب في الحديث سماه الجامع الصحيح واشتهر بصحيح البخاري أو " البخاري " رحمه الله هو محمد بن إسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردازبه يقال في البخاري انه محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي ، ولد البخاري سنة ١٩٤هـ / ٨٠٩م وكان والده من المحدثين ومات وهو صغير فاعتنت أمه بالكتاب ولما كان حفظ القرآن وهو ابن عشر ، وحفظ كتب ابن المبارك ووكيع في الحديث وهو ابن ست عشرة وسلخ هذه الكتاب حد الخامس في مدينة جني طرقي أفريقية ومدينة تنكت وكان على رأس كتب الحديث التي تولاها علماء وطلاب غربي الريفية عمايتهم . انظر ، أحمد أمين . ضحى الإسلام ، جـ ٢ مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤، ص ١١٠ ؛ تاريخ السودان ، ص ١٥٩ ، تاريخ الفتاش: ص ١١٧، مهدي رزق : حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي أفريقية قبل الاستعمار آثارها الحضارية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية : ١٤١٩هـ ، ص ٦٨٣ ، ٦٨٤.

(١٧٩) صحيح مسلم : مؤلفه مسلم بن حجاج عربي الأصل من نشر ، ومسكن أهل نيسابور ، فقد رحل إلى كثير من الأمصار في طلب العلم وجمع الحديث واستفاد كثيراً من البخاري ، وقد مات بنيسابور سنة ٢٦١هـ / ٨٧٥م انظر ضحى الإسلام ، ٣٥ ، ص ١٦٩، تاريخ الفتاشي ، ص ١٧٣.

(١٨٠) لمزيد من الدراسة انظر : مهدي رزق : المرجع السابق ، ص ٦٦٧.

(١٨١) محمد عبد الله عنان ، تاريخ الجامع الأزهر ، مكتبة الخانجي مصر ، ١٩٥٨ ، ص ١٣٠.

(١٨٢) عنان : تاريخ الجامع الأزهر ، ص ١٣٠

(١٨٣) القلقشندي : مصدر سابق ، جـ ١٦ ، ص ١٦١ ، ص ١٥٦ ، ١٥٧.

(١٨٤) و.د. ضيف الله : الطبقات ، نسخة إبراهيم صديق ، ص ٣٣.

(١٨٥) الوفاق ١٥٧٤م

(١٨٦) و د. ضيف الله : الطبقات ، نسخة إبراهيم صديق ، ص ١١٦.

(١٨٧) الوفاق ١٦٢٢م.

(١٨٨) توفي في شهر جمادى ١٠١٥هـ ، ترجمته في خلاصة الأثر للمحبي ، ج٢ ، ص ٢٣٧ .

(١٨٩) الحفنة عادل نويهض في معجم أعلام الجزائر ، بيروت ١٩٧١.

مكتبة البحث

أولا : المخطوطات :

التنبكتي (أحمد بابا السوداني ، ت ١٠٣٦هـ / ١٦٢٧م) :

١- – كتاب الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان مخطوط رقم ٢٥ مكتبة أحمد بابا التنبكتي .

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ، ت ٩٠٩ هـ / ١٥٠٣م) :

٢- – رسالة موجهة إلى ملوك التكرور جزء من كتاب فتح الغفور بشرح منظومة القبور ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤١٦ مجاميع ميكروفيلم رقم ٦١٢١١.

ابن علي ، عبد الله (عاش في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي)

٣- – رحلة الحج ، مخطوط مكتبة قسم التاريخ ، جامعة أحمد بللو زاريا نيجيريا تحت رقم ١ / ٢٤.

الفلاوي (أبو عبد الله المصطفى بن أحمد بن عثمان بن مولود الفلاوي) :

٤- – نوازل التكرور ــ مكتبة أحمد بابا التنبكتي تحت رقم ٥٢١.

الفوتي (ابن سعيد الفوتي) رماح حزب الرحيم على نحور حزب الوحيم) :

٥- – مكتبة أحمد بابا التنبكتي (نوازل التكرور) خمسة أجزاء تحت رقم ١٠٩٢ ، من ٣٥٧ ــ ٣٥٩.

ابن فودي (عثمان بن فودي ، ت ١٢٣٣ هـ / ١٨١٧م) :

٦- – تنبيه الإخوان ، مخطوط مكتبة قسم التاريخ ، جامعة أحمد بللو ، زاريا ، نيجيريا، تحت رقم ١١ / ٦٥، النيجر فيلمي معهد البحوث والعلوم الإنسانية رقم ٣٦٥.

ثانيا : المصادر العربية المطبوعة :

١- القرآن الكريم .

٢- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبو الكرم محمد بن عبد الواحد الشيباني ، ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) :

- الكامل في التاريخ ، تسعة أجزاء ، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٣م.

٣- ابن الأزرق (أبو عبد الله بن الأزرق ، ت ٨٩٦هـ):

- بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق سامي النشار ، العراق ١٩٧٨م.

٤- الأسنوي (جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر الأسنوي ت ٧٧٢هـ):

- طبقات الشافعية تحقيق عبد الله الجبوري جـ١ ، ط الأولى ، بغداد ١٩٧٠م.

٥- ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي ، ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤م):

- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، خمسة أجزاء ، ط الثانية تحقيق محمد مصطفى زيادة الأجزاء ١، ٢ ، ٣ ، ط جمعية المستشرقين الألمانية ، الأجزاء ٤، ٥ نشر فرانز شتايز من عام ١٩٦١ إلى عام ١٩٧٥م.

٦- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن برد زبه ، ت ٢٥٦ هـ/ ٨٦٩ م) :

- صحيح البخاري ، أحد عشر جزءا المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مركز السيرة والسنة ، القاهرة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٧- البرنلي (أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق السولائي ، ت ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م):

- فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، تحقيق محمد صبيحي ومحمد إبراهيم الكتاني : دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٨- ابن بطوطة (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ، ت ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م) :

- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ط ، دار المعارف الشعب، القاهرة ١٣٨٩هـ ، ١٩٦٦م.

٩- بلو (محمد بن عثمان بن فودي ، ت ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م) :

- إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، تحقيق بهجة الشاذلي ، الرابط ١٩٩٦م.

١٠- ابن تغري بردى (جمال الدين يوسف ، ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) :

- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق أحمد لحاتي جـ ١ ، ط القاهرة ١٩٥٦م.

١١- حوادث الدهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين شلتوت المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٩٩٠ ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٦٠م.

١٢- التنكتي (أحمد بابا ، ت ١٠٣٦هـ / ١٦٢٦م)

- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، جزءان ، تحقيق محمد مطيع ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، المملكة المغربية ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م.

١٣- نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ليبيا ، ط الأولى ١٩٨٩م.

١٤- الجبرتي (عبد الرحمن بن الحسن ، ت ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م):

- عجائب الآثار في التراجم والأخبار دار الجيل ، بيروت ، د.ت.

١٥- الجزيري (عبد القادر بن محمد الأنصاري ، عام ٧٧٩هـ / ١٥٦٩م) :

- الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، جـ ١ ، تحقيق حمد الجاسر دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، د . ت .

١٦- ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أحمد ، ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م):

١٧- - أنباء الغمر بأبناء العمر ، ثلاثة أجزاء ، تحقيق حسن حبشي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة من عام ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ إلى عام ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، خمسة أجزاء ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة د. ت.

١٨- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ، ت ٨٠٨هـ ١٤٠٦م) :

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر وأيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، القاهرة ١٣٢٢هـ .

١٩- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابى بكر ت ٦٨١هـ ١٢٨٢م) :

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس، جـ ٧ : بيروت ١٩٦٩ ـ ١٩٧٢م.

٢٠- الداودارى (أبو بكر عبد الله بن أيبك ، ت ٧٢٢هـ / ١٣٢١م) :

- كنز الدرر وجامع الغرر تحقيق هانس روبرت روينز ، جـ ٩ مكتبة الخانجى القاهرة ، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م .

٢١- ابن الزيات (أبو عبد الله محمد ناصر الدين محمد بن عبد الله بن عمر ، ت ٨١٤هـ / ١٤١١م) :

- الكواكب السيارة فى آداب الزيارة ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م.

٢٢- السبكى (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ، ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م) :

- معيد النعم ومبيد النقم : تحقيق محمد على النجار ، وآخرون ، ط ١ القاهرة.

٢٣- السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦ م):

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، مكتبة القدسى بالقاهرة ١٣٥٣هـ .

٢٤- السعدى (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدى ، ت ١٠٦٦ هـ/ ١٦٥٥م) :

- تاريخ السودان ، نشر هوداس وديوه ، مطبعة بردين بمدينة الجزى باريس ١٨٩٨م.

٢٥- السيوطي (عبد الرحمن ابن أبي بكر ، ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) :

- تدريب الراوي في شرح التراوى ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، القاهرة ١٩٣٨.

٢٦- - الحاوي في الفتاوى ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، جـ ١ ، د . ت.

٢٧- - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى : دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٨٧ ـ ١٣٨٨هـ / ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨م.

٢٨- - كتاب التحدث بنعمة الله ، تحقيق الزابيث سارتين ، تقديم عوض الغباري ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ٢٠٠٣ م .

٢٩- - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة د. ت .

الشعراني: (أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد من علماء القرن السادس الهجري):

٣٠- - الطبقات الكبرى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت.

٣١- ابن الصلاح (الإمام الحافظ أبي عمر عثمان ابن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى ابن أبي نصر النصرى الشهرزى الشافعي ، ت ٦٤٣هـ):

- مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث ، القاهرة ، ١٩٧٢م.

ابن الصيرفي (علي بن داود الجوهري ، ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م) :

٣٢- – نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان أربعة أجزاء ، تحقيق حسن حبشي الأجزاء الثلاثة الأولى ط وزارة الثقافة ١٩٧٠ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٣ جـ ٤ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٤.

٣٣- – إنباء الهصر بأبناء العصر ، تحقيق حسن حبشي دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٠.

ابن ضيف الله (محمد النور بن ضيف الله ، ت ١١٣١/ ١٧٠٩م) .

٣٤- – كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان ، حققه يوسف فضل ، ط الثالثة دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٨٥م.

٣٥- العبدري (أبو محمد عبد الله بن محمد الحيحي ت ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م) :

– رحلة العبدري ، تحقيق محمد الفاسي ، جامعة محمد الخامس ، وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية والتعليم الأصلي – الرباط ١٩٦٨م.

٣٦- العمري (ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى ، ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م):

– مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، السفر الثالث معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية ، جامعة فرانكفورت ١٩٨٨م.

٣٧- العياشي (أبو سالم ، ت ١٠٩٠هـ / ١٦٧٩م) :

– إتحاف الأحلاء بإجازات المشايخ الأجلاء دار الغرب الإسلامي ، ط الأولى ، بيروت ١٩٩٩م.

٣٨- الغزي (نجم الدين الغزي ، ت ٨٥٣هـ / ١٤٤٨م):

– الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، تحقيق جبرائيل سليمان جبور ، ج١، بيروت ١٩٤٥م.

٣٩- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ، ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) :

– مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار زاج ، جـ ٣ ، الكويت ١٩٢٤.

٤٠- – صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ١٥ جزء ، القاهرة ١٩٩١م.

٤١- ابن كثير(عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر ، ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) :

– البداية والنهاية ، ١٤جـ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٤٢- الكرمي (محمود بن الحاج المتوكل الكرمي الوعكري ، ت ٩٥٥هـ /١٥٤٨م):

– تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، طبع هودس ودولافوس ، باريس ١٩٦٤م.

٤٣- ليو الأفريقي (الوزان الحسن بن محمد الزياتي ، ت ٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م) :

– وصف أفريقيا ، المملكة العربية السعودية ، ترجمة إلى العربية عبد الرحيم جيدة جامعة الأمام محمد بن سعود ، الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٤٤- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ، ت ٨٤٥هـ /١٤٤٢م) :

٤٥- – المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جـ ٢ ، ط بيروت ، د . ت.

٤٦- – الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، ط بمطبعة التأليف بمصر ١٨٩٥م.

– السلوك لمعرفة دولة الملوك ، حققه د. سعيد عاشور، جـ ٢ ، ط دار الكتب ١٩٧٢م.

٤٧- المقري (أحمد بن محمد التلمساني ، ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م) :

– روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من إعلام الحضرتين مراكش وفاس ، ط الثانية ، الرباط ١٩٨٣م.

٤٨- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن أبي بكر ، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)

- لسان العرب ، مجلد ٥ ، ط بيروت ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م

٤٩- النهر والي (محمد قطب الدين أحمد ، ت ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م):

- إجازة صادرة منه في أسانيد حديث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن الجنوى التكروري عام ٩٨٨هـ / ١٥٨٠م ، وثيقة مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية تحت رقم ٢٠٠٦٥.

٥٠- الولاتي (محمد بن يحيى بن محمد المختار ، ت ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م) :

- فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور تحقيق محمد إبراهيم الكتاني محمد حجي ، دار المغرب بيروت ، ط الأولى ١٩٨١م.

ثانيا : المراجع العربية والمعربة :

إبراهيم علي طرخان (دكتور) :

١- دولة مالي الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.

أحمد أمين (دكتور):

٢- ضحى الإسلام ، ج ٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

أحمد رمضان (دكتور) :

٣- الإجازات والتوقيعات المخطوطة في العلوم النقلية والعقلية من القرن ٩هـ - ١٠هـ / ١٥م - ١٦م ، وزارة الثقافة ، القاهرة ١٩٨٦.

أحمد الشكري (دكتور) :

٤- المصادر العربية المتعلقة ببلاد السودان فيما بين القرن الثامن ومطلع القرن الخامس عشر للميلاد القراءة والتأويل : أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء، كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا ، ط ١٩٩٩م.

أحمد صبحي منصور (دكتور) :

٥- العقائد الدينية في مصر المملوكية بين الإسلام والتصوف الهيئة المصرية العامة للكتاب ط سنة ٢٠٠٠م.

أحمد عبد الرازق (دكتور) :

٦- تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، دار الفكر العربي ١٩٩٣م.

بهيجة الشاذلي (دكتورة) :

٧- الأوضاع الاجتماعية في السودان الغربي في النصف الأخير من القرن ١٥ من خلال رسائل جلال الدين السيوطي ، ضمن أعمال الندوة العالمية المنعقدة بتمبكتو ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي زغوان ١٩٩٧م.

حبيب وداعة (دكتور) :

٨- أبو عبد الله محمد عبد الرحمن الحطاب الرعيني (الكبير) ٨٦١ ـ ٩٤٥هـ/ ١٤٥٥ ـ ١٥٤٧م) منشور في أعمال ملتقى الدراسات المغربية الاندلسية ، تيارات الفكر في المغرب والأندلس الروافد والمعطيات ، تطوان ، جامعة عبد الملك السعدي ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، منشورات الكلية ١٩٩٣م.

حبيب وداعه الحساوي (دكتور) :

٩- الحج وأثره في دعم الصلات العربية الأفريقية ودور فزان في تسهيل قوافل حجاج السودان الأوسط حتى القرن الثامن ، ندوة التواصل الدعوة الإسلامية طرابلس ١٩٩٨م.

حسن أحمد البطاوي (دكتور) :

١٠- أهل العمامة في مصر عصر سلاطين المماليك، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

حسن أحمد محمود (دكتور) :

١١- الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا جـ١ ، ط النهضة المصرية ، ط الثانية القاهرة ١٩٦٣م.

حسن مكي (دكتور) :

١٢- - السياسات الثقافية في الصومال الكبير (قرن أفريقيا) المركز الإسلامي بالخرطوم ، ط الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

الخليل النحوي :

١٣- - بلاد شنقيط المنارة وأطار والرباط ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس ١٩٨٧م.

ريتشارد مورتيل :

١٤- - الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، الرياض ١٩٨٥م.

سعاد ماهر (دكتورة) :

١٥- - دراسات في الإسلام (الأزهر ألر وثقافة) العدد الثاني والعشرون ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وزارة الأوقاف ١٩٦٢م.

سعيد عاشور (دكتور) :

١٦- - المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٨٧م.

١٧- - العصر المماليكي في مصر والشام ، القاهرة ١٩٦٥م.

عبد الرحمن زكي (دكتور) :

١٨- - القاهرة تاريخها وآثارها ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م.

عبد العزيز الشناوي (دكتور) :

١٩- - الأزهر جامعا وجامعة ، جـ ١ ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٣م.

عبد القادر ماما حيدرة :

٢٠ - فهرس مخطوطات مكتبة ماما حيدرة للمخطوطات والوثائق ـ ٤ أجزاء ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي لندن ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

عبد اللطيف حمزة (دكتور) :

٢١- - الحركة الفكرية في مصر الأيوبي والمملوكي ، دار الفكر القاهرة ١٩٤٧م.

عبد المجيد بدوي :

٢٢- - العلاقات المصرية الحجازية في العصرين الفاطمي والأيوبي ، القاهرة د.ت.

عبد المنعم ماجد (دكتور) :

٢٣- - التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر ، دراسة تحليلية للازدهار والانهيار ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٨م.

- تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٣م.

علي فهمي خشيم (دكتور) :

٢٤- - أحمد رزوق والرزوقية ، دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة ، طرابلس ١٩٨٠م.

علي مبارك (باشا) :

٢٥- - الخطط التوفيقية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٨٠ م ـ ١٩٩٠م.

عمر بن علي :

٢٦- - فهرس مخطوطات مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتمبكتو ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن عام ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

العيدروس :

٢٧- - بغية الآمال في تاريخ الصومال ، مقديشو ١٩٥٥م.

كرم الصاوي باز (دكتور) :

٢٨- - ممالك النوبة في العصر المملوكي اضمحلالها وسقوطها وأثره في انتشار الإسلام في سودان وادي النيل ، مكتبة الانجلو المصرية ٢٠٠٦م.

مجاهد توفيق (دكتور) :

٢٩- – نظام الدراسة بالجامع الأزهر عصر السيوطي ط الثانية الأزهر سنة ٢٠٠٥م.

محمد بن شريفه (دكتور):

٣٠- – إبراهيم الكانمي ، أنموذج مبكر للتواصل الثقافي بين المغرب وبلاد السودان، منشورات معهد الدراسات الأفريقية بالرباط ١٩٩١م .

محمد جمال الدين سرور (دكتور) :

٣١- – دولة بني قلاوون في مصر ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٤٧م.

محمد سليمان (دكتور) :

٣٢- – دور الأزهر في السودان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م.

محمد عبد الله عنان :

٣٣- – تاريخ الجامع الأزهر ، مكتبة الخانجي مصر ، ١٩٥٨م.

محمد محمد أمين (دكتور) :

٣٤- – الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م) القاهرة ١٩٨٠م.

محمد مخلوف :

٣٥- – شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، جـ ١ دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٤٩هـ .

المعتصم أحمد الحاج (دكتور) :

٣٦- – الخلاوى في السودان ، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية ، الخرطوم ٢٠٠٥م.

مهدي رزق (دكتور) :

٣٧- – حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي افريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤١٩هـ.

الهادي المبروك الدالي (دكتور) :

٣٨- – التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء ، الطبعة الثانية طرابلس ٢٠٠٠م.

رابعا : الدوريات العربية :

إبراهيم طرخان (دكتور) :

١- – إمبراطورية الفولانيين الإسلامية ، مجلة كلية الآداب ، مجلد ٦ ، جامعة الرياض ١٩٧٩م

٢- – الإسلام والممالك الإسلامية في الحبشة ، المجلة المصرية التاريخية ، مجلد ٨، القاهرة ١٩٥٩ م.

٣- – الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي ، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الثاني ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

جون هانويك :

٤- – تراث المخطوطات الإسلامية لتنبكتو ، ترجمة وتعليق د.ة سوزى أباظة ، مجلة أفريقية ، عربية ، مركز البحوث العربية ، القاهرة ، عدد ٦ / ٢٠٠٣م.

د. أ. م. كاتي :

٥- – مظاهر الاتصالات الفكرية والثقافية بين شمال أفريقيا ووسط السودان بين سنة ٧٠٠م و ١٧٠٠ م مع إشارة خاصة إلى كانم ـ بورنو وأرض الهوسا ، مجلة البحوث التاريخية ، السنة الثالثة / يناير ١٩٨١ العدد الأول ، مركز جهاد الليبيين

سوزى أباظة (دكتور) :

٦- – اتصالات الثقافية بين مصر وسلطنة صنغاى ، أعمال مؤتمر العلاقات الثقافية العربية الأفريقية ٢٠ ـ ٢١ مايو ١٩٨٨م.

عبد اللطيف إبراهيم (دكتور) :

٧- – من وثائق التاريخ العربي ، مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم ، العدد الثاني ١٩٧١م.

عطا أبو ربه (دكتور) :

٨- – الأحباش في مصر المملوكية (٦٤٨ ــ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ــ ١٥١٧م) ، جامعة القاهرة معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، ٢٠٠٤م.

قاسم عبده قاسم (دكتور) :

٩- – الأسواق بمصر في عصر سلاطين المماليك ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلدان السادس والسابع والثلاثون ٧٤ ــ ١٩٧٥م.

كرم الصاوى باز (دكتور) :

١٠- – كلوه مركز الثقافة العربية الإسلامية في شرق أفريقيا عهد أسرة المهدلي العربية ٦٧٦ ــ ٨٢٤هـ / ١٢٧٧ ــ ١٤٢١م ندوة المؤرخين العرب ، سنة ٢٠٠١م.

محمد كامل حسين (دكتور) :

١١- – من التشيع وآداب الصوفية في عصر الأيوبيين والمماليك ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة عدد ٦ ، القاهرة ١٩٥٤م.

منعم مزاوى :

١٢- – الحياة الفكرية في العالم الإسلامي في القرن الثاني عشر الهجري ، (١٧٠٠ ــ ١٨٢٠م) مجلة البحوث التاريخية السنة الثانية ، العدد الأول ، يناير ١٩٨٠م.

خامسا : الرسائل الجامعية :

السيد أحمد الباز :

١- – الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغي (٦٣٨ ــ ٩٩٩هـ / ١٢٤٠ ــ ١٥٩١م) رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٤م.

أمطير سعد غيث (دكتور) :

٢- – الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة السادس عشر والسابع عشر الميلادي ، رسالة دكتوراه معهد البحوث والدراسات العربية ، الجامعة العربية ، القاهرة ٢٠٠٣م.

سر الختم عثمان :

٣- – العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى فيما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٦٩م.

محمد عبد العظيم الحولي :

٣- – سلطنة كلوه الإسلامية في عهد أسرة المهدلي العربية ٦٧٦ ــ ٨٢٤هـ / ١٢٧٧ ــ ١٤٢١م) رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ٢٠٠٦م.

مفتاح الرباصي :

٤- – العلاقات بين بلاد المغرب ودولة الكانم والبرنو (٧ ــ ١٠هـ / ١٣ ــ ١٦م) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ٢٠٠٤م.

سادسا : المراجع الأجنبية

Al – Naqar Umor :

1- Takrur the History of a Name, JAH, vol. 10 No3, 1969

2- The Pilgrimage Traditions in west Africa, Khartoum University Press, 1972.

Birks, J.S:

3- Overland and Pilgrimage in the Savana Lands of Afrian People on the Move Studies on International Migration edited leszek A Kosimski and Mansell Prother, London 1975.

Schefer :

15- - Ier Relation de L. Ambassade de Domenico. Trevison Aupres du Soudan d'Egypte en 1512. Paris 1884.

Y.B Uthman:

16- - The Transformation of katsina Ph. D thesis Ahmadu Bello University 1974.

Cahr bonneau. M.A:

4- . Histoire de la Litter atur Arabe au Soudan Journal As Siatique) October Novermber M 14

Couq/, Joseph :

5- - Recueil des Saur Arabes Concernant P'Afrique occisent al au xvie Seicle Bilad Al – Soudan) Paris C NRS, second Edition 1985.

Encey. De L. Isl.:

6- - (Art Sudan) Led, T. 4, Le Caire 1975.

Lentzion & J F'P Hopkins eds:

7- - Corpus of Early Arabic Sources for West African history, Cambridge Univeristy Press 1981.

Fage, J.D :

8- - A History West Africa, the Faurth edition Cambridge 1969.

Fisher :

9- - the Central sahara and sudan in Richard Gray ed the Cambridge history of Africa Vol. 4, press 1977.

Hiskett, M:

10- - The Course of Islam in Africa, Edinburgh University Press 1994.

Hunwick, J:

11- - Timbuktu and Songhay Empire, Brill 1999.

Jomier J.:

12- - Un Aspect de L'activite d, Al-Azhar du xvii eme aux debuts du x21x eme siecle : les Aqaid au Professions de Bai dans colloqne international etc.

Penda M:

13- - Enseignement er Systeme de Pensee Dans Le Soudan Occident al Medieval xive – xvies) Zoghouan 1997.

Sartain, E. M.:

14- - Jalal Al – Din – AS Suyuti's Relations with the People of takrur, Journal of semitic Studies, xvi, 1971.

أ.د. ماجدة النويعمي[*]

الكلاسيكيات في الثقافة العربية المعاصرة

يروق لي ونحن بصدد الحديث عن التاريخ الثقافي للوطن العربي أن أتحرى طريقا يتوخى الكشف عن مدى فعالية الثقافة الكلاسيكية[1] في الثقافة العربية المعاصرة. ورغم أن جزءا كبيرا من دخول الثقافة الكلاسيكية في الثقافة العربية هو من حصة الماضي، يشهد على ذلك بيت الحكمة في بغداد، موطن الترجمة[2]، ورغم ما للماضي من أهمية لا يمكن إنكارها، إلا أن ما أنا معنية به في هذا المقال هو من حصة الحاضر. ومن حين لآخر فقط أوظف اللجوء المتسلسل إلى الماضي لتفسير ما هو معاصر لنا فيما يتعلق بالظاهرة موضوع الدراسة.

لاشك أننا جميعا مهمومون بالثقافة العربية، من أي أبوابه دخلنا، وأين وصلنا، وأين هي حدود جغرافية الذات الثقافية العربية، خاصة في عالم اليوم. ولعل دراسة موقع الكلاسيكيات في ثقافتنا العربية تعد من المسائل الهامة ونحن نتحدث عن ثقافتنا في مواجهة الثقافة الغربية. لقد يقول قائل وهل مصر بتراثها وحضارتها ذات الخمسة آلاف عام بحاجة إلى تراث كلاسيكي آخر من خارجها، ولديها تراثها الثري الخاص بها؟ لعل الدراسة التالية تجيب على هذا السؤال[3].

---

* أستاذ الدراسات اليونانية واللاتينية- كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

هناك نقطة يجب أن نعيها جيدا فيما يتعلق بدخول الكلاسيكيات في الثقافة العربية، ألا وهي موقع مصر على خارطة علم البردي، وما يعنيه البردي المصري للعالم بأسره. وهنا يحضرني ما قاله أحد علماء البردي، وهو روجر باجنال في كتاب شهير له، صدر في عام ١٩٩٥، تحدثنا فيه عن أهمية البردي بالنسبة للمؤرخ، وما قدمته وتقدمه مصر للعالم من برديات غيرت وجه التاريخ، يقول باجنال: "على الرغم من أهمية ما وجد من بردي خارج مصر؛ فإن وادي النيل لا يزال هو مصدر الكم الساحق من وثائقنا البردية"[٤].

ويذكر باجنال أن مكان الصدارة في البردي هو أوكسيرينخوس[٥] (البهنسا، محافظة المنيا) فاخفائر البريطانية، ومن بعدها الإيطالية في أوكسيرينخوس عثرت على عشرات الآلاف من البرديات. وعلى الرغم من العدد الكبير الذي لا يزال غير منشور، فإن كمية المادة المنشورة حتى الآن كافية بأن تجعل من أوكسيرينخوس "المعيار الدولي المعترف به للبردي" "papyrological standard"، على حد تعبير باجنال[٦].

لاشك أن البردي المصري أسهم إسهاما مضاعفا في الحضارة الإنسانية، قديما وحديثا:

أولا: كان البردي مادة متوفرة للكتابة، ذات مواصفات عالية من الجودة والتحمل، انتشرت في كل أنحاء العالم القديم[٧].

ثانيا: يقدم اكتشاف البردي في العصر الحديث المادة للمؤرخين، ويعد مصدرا عالي القيمة بالنسبة لمعرفتنا بحضارة كل من مصر واليونان وروما[٨]، فمصر هي التي حفظت هذا التراث. وهنا يحضرني ما كتبه مؤرخ كبير هو أ. هـ. جونز، منذ سنوات مضت، في مقال له منشور في كتاب "تراث مصر"، حيث يبدأ مقاله بسؤال طريف له مغزاه:

"لو سئل أحد الأباطرة ما هي إسهامات مصر الرئيسية للإمبراطورية الرومانية؟ لأجاب بلا شك: القمح والمال...، وبعد تفكير ربما ذكر هذا الإمبراطور الروماني البردي". ثم يستطرد جونز قائلا:

"والآن وقد تم أكل القمح، وتم إنفاق المال، فإن البردي، الذي حفظه مناخ مصر الجاف يبقي إسهامها العظيم في معرفتنا بالإمبراطورية الرومانية"[٩].

ثم يذكر جونز عبارة أخرى ذات دلالة عالية:

"إن توقف إمداد البردي بعد الفتح العربي لمصر قد زاد العصور المظلمة في أوروبا ظلاما"[١٠].

أطلت عناصر الثقافة الكلاسيكية على استحياء أول الأمر في ثقافتنا العربية، ثم ما لبثت أن توغلت فيها. وليس الأمر هنا هو مسألة ثقافة تستبعد أخرى، وهذه بديهة ترد على عقول العارفين من المتخصصين في الدراسات الكلاسيكية، فالثقافة قد تتوحد حين تتعدد[١١]. ولإيضاح هذا الأمر أركز في هذا المقال على ثلاثة محاور:

١- المحور الأول: السياق العام للدراسات الكلاسيكية في عالم اليوم.

٢- المحور الثاني: ما قاله عميد الأدب العربي طه حسين، في كتابه الشهير، الصادر عام ١٩٣٨ "مستقبل الثقافة في مصر"[١٢].

٣- المحور الثالث: ترجمة الكلاسيكيات إلى العربية، في العصر الحديث، وفي الآونة الأخيرة بصفة خاصة.

بالنسبة للمحور الأول، وهو السياق العام للدراسات الكلاسيكية في عالم اليوم، فجدير بالذكر أن الدراسات الكلاسيكية موضوعة الآن للمساءلة على الساحة العالمية[١٣]، وقد أخذت الدراسات الكلاسيكية في أوروبا وأمريكا تراجع نفسها. ونشر العديد من الأبحاث الجادة من أجل تقييم الدراسات الكلاسيكية في عالم اليوم، وخرجت علينا أبحاث متخصصة بعبارات مثيرة عن أزمة الدراسات الكلاسيكية الآن، ومشكلة الدراسات الكلاسيكية[١٤]، والكلاسيكيات بين الدراسات الإنسانية القديمة والحديثة[١٥]، وكيف نقرأ الكلاسيكيات[١٦]، وما إلى ذلك من العبارات التي ترددت ولا زالت تتردد بين مجموعة من كبار الكلاسيكيين في العالم. وفي سبيل ذلك اهتم الدارسون بالتركيز على استقبال الكلاسيكيات قديما وحديثا، لمعرفة طبيعة هذا الاستقبال وما طرأ عليه من تغيرات[١٧].

وبالفعل توالت الدراسات في الغرب[١٨]، بلا توقف حتى يومنا هذا، عن استقبال الكلاسيكيات، ولعل من أهم الدراسات الحديثة في هذا المجال المجلد الضخم الذي صدر في عام ٢٠٠٨، عن استقبال الكلاسيكيات في العالم كله:

Lorna Hardwick & Christopher Stray (eds.), A Companion to Classical Receptions (Blackwell, 2008).

شارك في تأليفه لفيف من كبار الكلاسيكيين في العالم. ومما تجدر الإشارة إليه أن أحد الأساتذة المصريين المتخصصين في الكلاسيكيات، وهو الأستاذ الدكتور أحمد عتمان، له إسهامه في هذا المجلد بدعوة من المحررين، تمثلا لـ «، ومنحدثا عن الاستقبال العربي للكلاسيكيات[١٩].

ننتقل الآن إلى المحور الثاني، وهو ما قاله عميد الأدب العربي طه حسين، في كتابه الشهير، الصادر عام ١٩٣٨، "مستقبل الثقافة في مصر"[٢٠]. فطه حسين صاحب دور فاعل في الاهتمام بالدراسات اليونانية واللاتينية في مصر المعاصرة[٢١]. ولعل أول خاطر يجول في عقل كل مصري متخصص في الدراسات اليونانية واللاتينية فيما يتعلق بنشأة هذه الدراسات في مصر هو إصرار طه حسين على إدخال اللغتين اليونانية واللاتينية في التعليم الجامعي[٢٢]، في وقت كانت فيه الجامعة المصرية القديمة شديدة المقاومة بل وحادة الرفض[٢٣]. يقول طه حسين:

"أنا مع ذلك مؤمن أشد الإيمان وأعمقه وأقواه بأن مصر لن تظفر بالتعليم الجامعي الصحيح ولن تفلح في تدبير بعض مرافقها الثقافية الهامة إلا إذا عنيت بتاين اللغتين، لا في الجامعة وحدها بل في التعليم العام قبل كل شيء. والأدلة على ذلك تظهر لي يسيرة هينة، وجلية واضحة. ومن أغرب الأشياء في نفسي وأبعدها عن فهمي ألا يفطن لها ولا يهتدي إليها الذين ينهضون بشئون مصر ويقومون على تدبير أمورها والذين يشرفون على التعليم فيها بنوع خاص".

ويوضح طه حسين كيف أخذ أصحاب الرأي المضاد الأمور على ظاهرها واطمأنوا إلى أن اللاتينية واليونانية عبء ثقيل لا معنى لإرهاق الشباب به ولا لتحميلهم إياه. وكانت حجتهم الظاهرية، على حد تعبير طه حسين:

"إذا كان الأوروبيون أنفسهم يريدون أن يتخلصوا منه، وهم يتخلصون منه بالفعل، مع أن هاتين اللغتين تتصلان بحياتهم ولغاتهم وحضارتهم أشد الاتصال، فما بالنا نحن نثقل أنفسنا به ونضطر أبناءنا إليه".

ثم يعلق طه حسين على هذا الجدل قائلا:

"هذا الحديث وفي لهجة أشد من هذه اللهجة قوبلت حين طلبت إلى مجلس إدارة الجامعة المصرية القديمة إضافة هاتين اللغتين إلى مواد الدراسة في كلية الآداب، وتكلفي الجهد وعضضت في الإلحاح حتى أجابني الجامعة القديمة إلى ما أردت فاستريح من إلحاحي عليها، لا لتحقق رأيا وقنعت به واطمأنت إليه".

كانت حجة طه حسين في المطالبة بإدخال هاتين اللغتين حجة قوية يتطلبها واقع التاريخ المصري[٢٤]، فقد خضعت مصر لحكم اليونان والرومان عشرة قرون متتالية لا يمكن إلغاؤها من تاريخنا الوطني بحال من الأحوال، ولما كانت مصادر تاريخ تلك الفترة هي مصادر يونانية ولاتينية، ولما كانت مصر حتى في العصور الإسلامية دائمة الاتصال باليزنطيين، ومصادر التاريخ لهذا الاتصال يونانية ولاتينية، لذا رأى طه حسين أن من يمانع في دراسة هاتين اللغتين إنما يقضي على المصريين بأن يجهلوا تاريخهم وألا يعرفوه سوى عن طريق الأجانب.

مضافا إلى ذلك قناعة طه حسين بأن التعليم العالي الصحيح لا يستقيم في بلد من البلاد الراقية إلا إذا اعتمد على اللاتينية واليونانية على أنهما من الوسائل التي لا يمكن إهمالها ولا الاستغناء عنها. وعلى هذا الأساس يؤكد طه حسين:

"فإذا لم يكن لنا بد من أن نسلك إلى الرقي العلمي سبيل غيرنا من الأمم الحية فليس لنا بد من أن نعلم هاتين اللغتين القديمتين لبعض الشباب المصريين الذين يهيئون أنفسهم لبعض فروع التعليم العالي. وإذا قصر التعليم العام في ذات هاتين اللغتين فقد عجز عن أداء مهمته ولم يحقق الغاية التي أنشيء من أجلها والغرض الذي طلب إليه".

ولعل من الحجج القوية أيضا التي ركن إليها طه حسين "أن هناك مرافق مصرية أساسية يقوم عليها الأجانب منذ بدأت نهضتنا الحديثة ونريد وتريد كراهتنا واستقلالنا أن نهيء شبابنا للقيام على هذه المرافق في يوم من الأيام. فمصلحة الآثار المصرية يقوم عليها الأجانب إلى الآن ولا بد من أن ينهض المصريون وحدهم بأعبائها في يوم من الأيام. ولا سبيل إلى ذلك إلا إذا وجد المصريون الذين يحسنون هاتين اللغتين القديمتين قبل أن يبدأوا تخصصهم في علوم الآثار... وتاريخ مصر نفسه قد نهض بكتابته الأجانب إلى الآن، ولم يشارك المصريون مشاركة خصبة

منتجة إلا في تاريخها الحديث فأما تاريخها القديم وتاريخها أيام اليونان والرومان وتاريخهما في العصور الإسلامية فما زال المصريون فيه مستفتين واللذين ابتدأوا منهم درس هذه الأقسام من تاريخنا الوطني إنما ابتدأوه في كلية الآداب وبعد أن تعلموا اللاتينية واليونانية".

ومن هنا يرى طه حسين أن إتقان هاتين اللغتين هو الوسيلة الجادة والأهم لإحياء التاريخ المصري والقومية المصرية[٢٥].

وبعد هذا العرض الوصفي من جانب طه حسين لوجهة نظره المتبصرة لأبعاد الموقف يقول بلهجة تتسم بنوع من الحدة:

"فالطريق أمام مصر واضحة، وهي حرة في أن تسلكها إن أرادت الاستقلال العلمي، وفي أن تتجنبها إن رضيت لنفسها ما هي عليه الآن من الهوان والاستخذاء أمام الأوروبيين".

ترك طه حسين الكثير من علامات الاستفهام[٢٦]، وهذا ما جعل كتابه "مستقبل الثقافة في مصر"، يلقى اهتماما حتى يومنا هذا، بل ويلقى قراءات جديدة[٢٧] تضاف إلى القديمة.

أما المحور الثالث الخاص بترجمة الكلاسيكيات إلى العربية، فرغم اتساع الموضوع إلا أنني أختار بعض المحطات لأتوقف عندها:

١ – ترجمة النصوص اليونانية واللاتينية إلى العربية.

٢–ترجمة الدراسات الأدبية، والنقدية، والتاريخية، والحضارية، المؤلفة حديثا، في مجال الكلاسيكيات، إلى العربية.

٣–توظيف الكلاسيكيات في أعمال إبداعية في الأدب العربي.

بالنسبة للنقطة الأولى وهي ترجمة النصوص اليونانية واللاتينية، فأبدأها بترجمة سليمان البستاني "للإلياذة" هوميروس. ولا شك أننا إذا تحدثنا عن الكلاسيكيات في الثقافة العربية فلا مفر لنا من الرجوع إلى ترجمة البستاني "للإلياذة"، والصادرة عن دار الهلال في عام ١٩٠٤. هذه الترجمة أثرت الأدب العربي والثقافة العربية بما لها من قيمة أدبية عالية[٢٨]، فهي جديرة بالدراسة والمقارنة، على نحو ما يتضح من العنوان الذي وضعه البستاني لهذا العمل، وهو:

"الإلياذة هوميروس، معربة نظما، وعليها شرح تاريخي أدبي، وهي مصدرة بمقدمة في هوميروس وشعره، وآداب اليونان والعرب، ومذيلة بمعجم عام وفهارس بقلم سليمان البستاني

وجدير بالذكر أن هذه الترجمة ظهرت قبل أن تنشأ الدراسات الكلاسيكية في مصر، بل وقبل أن يقترح طه حسين إنشاء قسم للدراسات اليونانية واللاتينية في جامعة القاهرة، وهذا بلا شك يزيد من قيمة ترجمة البستاني ويعلي من شأن إسهامها في الدراسات الكلاسيكية في مصر.

استعان البستاني في ترجمته باللغات الفرنسية، والإنجليزية، والإيطالية. وقد أمضى البستاني ما يزيد عن العشرين عاما في هذه الترجمة، تخلل هذه الفترة تعلمه للغة اليونانية. فحين شرع في الترجمة اعتمد على ترجمة فرنسية " للإلياذة" وقرأها بترجمة إنجليزية، لأن علمه باللغة اليونانية كان ضئيلا للغاية، ولما أدرك أهمية تعلم تلك اللغة لينقل عنها مباشرة لم يتردد في تعلمها. وصار يترجم عن اليونانية بلا لغة وسيطة، بل وأعاد النظر فيما سبق أن ترجمه من قبل[٢٩].

تعد ترجمة البستاني أول ترجمة كاملة "للإلياذة" إلى العربية، بل إلى الأدب العربي، فقد صار لها دورها الذي أسهمت به في الأدب العربي[٣٠]، وفي علاقته بالآداب الأخرى، وخاصة بالأدب اليوناني القديم. ومما زاد من قدر الجهد المبذول في هذه الترجمة أنها نقلت إلى العربية نظما، على نحو ما يوضح البستاني في عنوانه. ولا يخفى علينا أن الترجمة الشعرية تفوق الترجمة النثرية صعوبة، وتتميز عليها إبداعا.

وفي عام ١٩٩٥ ، كتب أحمد عثمان مقالا عرض فيه ترجمة البستاني[٣١]، واختتمه بعبارة لها دلالتها العالية فيما أنا بصدد عرضه هنا، يقول أحمد عثمان:

"ولا يسعنا في النهاية إلا أن نعترف بالمطولة المتحمسة لصاحب هذه الثروة الثمينة في الأدب العربي، أي سليمان البستاني."[٣٢]

وكان أحمد عثمان لم يشأ لهذه الثروة، على حد تعبيره، أن تظل يتيمة، فما هي إلا سنوات قد مضت على نشر هذا المقال إلا وأشرف أحمد عثمان على درة أخرى لتكون أختا لثروة البستاني. فقام مجموعة من المتخصصين بنقل النص اليوناني مباشرة إلى العربية، وصدر أحمد عثمان هذه

الترجمة بمقدمة ثرية. وصدرت الطبعة الأولى من هذه الترجمة في عام ٢٠٠٤، أي بعد مرور عامًا عام على نشر ترجمة البستاني[٣٣]. ويعلق أحمد عتمان على هذا التوقيت للنشر بقوله:

"فكأن هذه الترجمة التي بين أيدينا جاءت بمثابة احتفال ثقافي وعملي بصدور ترجمة البستاني، التي تعد بحق علامة من علامات الطريق إلى النهضة المصرية والعربية، إذ فتحت مرحلة جديدة من محاولات الاتصال بثقافة الآخر عن طريق ترجمة عيون الأدب العالمي"[٣٤].

وبعد ذلك نصحت محاولات الترجمة اللاحقة في شيوع وذيوع[٣٥]. وإذا كان العرب في عهد الدولتين الأموية والعباسية في حاجة إلى الترجمة[٣٦] فنحن أشد منهم حاجة إليها في يومنا هذا. ولا شك أن الترجمات المعاصرة قد تكشفت عن ظاهرة إيجابية في الانفتاح على فكر الآخر. ولم تقتصر ترجمات النصوص الكلاسيكية إلى العربية على "الإلياذة" فحسب، بل تعدتها إلى فنون أخرى أبرزها التراجيديا اليونانية[٣٧]، وقد تعهد بهذه الترجمات أكاديميون متخصصون في الدراسات اليونانية واللاتينية. وتما يحسب لهذه الترجمات أنها من المرونة بحيث تتناسب وجميع أنواع القراء: بدءا بالقارئ العادي الذي يبحث عن المتعة، إلى القارئ المثقف ثقافة عامة، وانتهاء بالقارئ المتخصص في هذا النوع من الدراسات.

أما النقطة الثانية المتعلقة بترجمة الكلاسيكيات إلى العربية فهي ترجمة الدراسات الأدبية، والنقدية، والتاريخية، والحضارية، التي تم تأليفها في العصر الحديث في مجال الكلاسيكيات[٣٨]. ومن بين منجزات كبيرة في هذا المجال أخير متحزا على قدر كبير من الأهمية، وهو ترجمة الكتاب التالي[٣٩]:

مارتن برنال، أثينة السوداء. الجذور الأفرو- آسيوية للحضارة الكلاسيكية. الجزء الأول: تلفيق بلاد الإغريق ١٧٨٥-١٩٨٥، ترجمة مجموعة، تحرير ومراجعة وتقديم: أحمد عتمان، المشروع القومي للترجمة، رقم ١٣، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة ١٩٩٧).

هذه الدراسة، التي تصدى أحمد عتمان للإشراف على ترجمتها، دراسة اهتزت لها الأوساط الأكاديمية، وغير الأكاديمية، في العالم بأسره، بصورة قلما وجد لها مثيل من قبل[٤٠]. وانقسمت الآراء بشأنها على الصعيد العالمي إلى انقسام، بين مؤيد ومعارض. وترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية، والألمانية، والأسبانية، والإيطالية.

جاء كتاب برنال في سياق عام، ظهر مؤخرا، من المعالجة الغربية لدور مصر والحضارات الشرقية في صنع ما يسمى بـ "المعجزة اليونانية". الفكرة الأساسية التي يقوم عليها كتاب "أثينا السوداء"، هي وجود تصورين رئيسين للأسس التي قامت عليها الحضارة اليونانية القديمة:

* التصور الأول هو التصور القديم، وطبقًا لهذا التصور يرى برنال أن القدماء من اليونانيين أنفسهم كانوا يعتقدون أنهم استمدوا منابع حضارتهم من الشرق والجنوب، وخاصة من مصر وفينيقيا. ويذهب برنال إلى أن هذا التصور ظل سائدًا حتى القرن الثامن عشر.
* أما التصور الثاني، ويرفضه برنال، فيذهب أصحابه إلى أن أصول اليونان القدماء أوروبية شمالية، ومن ثم فهي آرية. ويذكر برنال أن هذا التصور نشأ مع نهاية القرن الثامن عشر، ثم ساد في القرن التاسع عشر تحت تأثير الرومانتيكية والعنصرية، في حين بلغ ذروته، على حد زعم برنال، في الفترة ما بين ١٨٩٠-١٩٣٠، تحت تأثير حركة العداء للسامية. ويطلق برنال عليه في تلك الفترة الأخيرة اسم "التصور الآري المتطرف". ثم خفت حدة هذا التطرف بعد الحرب العالمية وقيام دولة إسرائيل. ثم يظهر في الفترة من ١٩٤٥-١٩٨٥ ما يسميه برنال بـ "التصور الأوروبي المعتدل"، الذي تضمن عناصر من التصور القديم فيما يتعلق بتأثر اليونان القدماء بالحضارة المصرية القديمة. أما بعد ١٩٨٥ فيوجد ما يسمى بـ "التصور القديم المعدل".

وأيا ما تكون سلبيات هذا الكتاب، فلعل النقطة التي تحسب لبرنال، هي أن له الفضل في تحفيز، وإطلاق العديد من الدراسات التي تبحث في أصول الحضارة اليونانية، ودور الشرق، ومصر بصفة خاصة، في تلك الحضارة. بل أن لبرنال الفضل في إعادة النظر في التاريخ القديم من قبل الدارسين في كل أنحاء العالم، منذ نشر كتابه. ولهذه الأسباب مجتمعة جاءت أهمية ترجمة هذا الكتاب إلى العربية.

أما النقطة الثالثة المتعلقة بترجمة الكلاسيكيات إلى العربية، فهي توظيف الكلاسيكيات في عمليات إبداعية[٤١]. ولعل توفيق الحكيم يعد علامة هامة على هذا الطريق في الإبداع العربي- الكلاسيكي[٤٢]. وأبرز أعماله في هذا المجال المسرحيات التالية:

"بيجماليون"، "الملك أوديب"، "براكسا أو مشكلة الحكم"[٤٣].

يعتمد توفيق الحكيم في هذه المسرحيات الثلاث على التراث الأسطوري اليوناني، السلافي لشيع به لا سيما بعد سفره إلى باريس. وإلى جانب هذه المسرحيات الثلاث، هناك العديد من الإشارات الصريحة والضمنية للتراث الكلاسيكي في العديد من أعماله الأخرى[٤٤].

وهناك أعمال إبداعية أخرى من داخل حقل الكلاسيكيات نفسه[٤٥]، أخير منها، على سبيل المثال، مسرحية كتبها أحمد عثمان، كيف فيها الأصل اليوناني مباشرة ليتماشى مع ثقافتنا، وهي مسرحية "معيز البهنسا"[٤٦]. التي تقدم الرؤية الدرامية لنشأة اللوحات اليونانية واللاتينية في مصر.

ولعل أهمية هذه المسرحية تكمن في معرفة كيف يمكن لعمل درامي أن يوظف أطروحة ثقافية على قدر عال من الأهمية والجدية، على نحو ما كان كتاب طه حسين "مستقبل الثقافة في مصر" المذكور آنفا، والذي وظفه أحمد عثمان في مسرحيته. وقد جعل طه حسين يجاهد من أجل تدعيم اللوحات الكلاسيكية في مصر، على نحو ما فعل في كتابه.

تتعلق مسرحية "معيز البهنسا" بمناسبة لها أهميتها على مستوى العالم، ففي عام ١٩٠٧ عثرت بعثة الاستكشافات الإنجليزية، وعلى رأسها عالمان من جامعة أكسفورد، هما جرنفل Grenfell وهنت Hunt، على بردية في البهنسا بصعيد مصر تحوي أرشيفا بيت من مسرحية ساتيرية يونانية[٤٧]. وهذه البردية مؤرخة بنهاية القرن الثاني الميلادي، وقد نشرها هنت لأول مرة ضمن مجموعة بردي أوكسيرينخوس في عام ١٩١٢: وتحمل رقم ١١٧٤. ومنذ ذلك الحين أعيد نشرها عدة مرات، وتمت دراستها ومناقشتها، بعد أن تم التعرف على ما جاء في البردية وتحديد نسبها، وذلك عن طريق ظهور بيت في هذه البردية، هو في نفس الوقت مقتبس لدى الكاتب أثيناوس Athenaeus على أنه من مسرحية: "مقتفو الأثر" لسوفوكليس[٤٨].

ورغم أن العنوان الذي وضعه أحمد عثمان لمسرحيته قد يبدو مؤهلا للإبانة عن حادثة واحدة هي حادثة معيز البهنسا، إلا أنه – كعادته في مسرحه الإبداعي – تحرى طريقا يتوخى الكشف عن عدة قضايا أخرى. وقد كان لأحمد عثمان التفات إلى بردية سوفوكليس، وإلى حادثة

اكتشافها من مدخل آخر. فمسرحية "معيز البهنسا" هي الصياغة المصرية التي قدمها أحمد عثمان لهذا الحدث، ولهذه المسرحية. ولعله عمد إلى ذلك ردا على المسرحية الشعرية التي نظمها الشاعر البريطاني المعاصر تورني هاريسون بعنوان "مقتفو أثر أوكسيرينخوس"[٤٩].

كيف أحمد عثمان الخط السردي الموجود في مسرحية سوفوكليس "مقتفو الأثر" بعد أن حذف منه ما حذف، وأضاف إليه ما أضاف. ومن الملامح الهامة التي وضعها أحمد عثمان لصياغته المصرية لمسرحية سوفوكليس، أن ربط طه حسين بشكل مباشر بأحداث مسرحيته.

تتكون مسرحية "معيز البهنسا" من ست لوحات. يظهر طه حسين في اللوحة الأولى شخصية رئيسة تحرك الأحداث الدائرة بالمسرحية، ثم يغيب عن المشهد بشخصه إلا أن روحه وأفكاره تتفاعل مع روح أحمد عثمان وأفكاره في اللوحات التالية، حتى يعود طه حسين للظهور بشخصه في نهاية المسرحية لينهي اللوحة السادسة والأخيرة.

ولعل أهمية هذه المسرحيات سالفة الذكر، سواء أكانت من إبداع توفيق الحكيم، أم أحمد عثمان أم غيرهما، تكمن في البعد القومي، حيث أنها نوع من تأكيد الهوية الثقافية القومية من خلال عملية تكييف المصادر الكلاسيكية لثقافتنا.

كانت تلك بعض نماذج من ولوج الثقافة الكلاسيكية في ثقافتنا الحديثة والمعاصرة، وما حدث بينهما من اندماج وتمازج. ولعله من الضروري الآن بمناسبة مرور مائة عام من الدراسات الكلاسيكية في مصر، أن نراجع وضع هذه الدراسات في بلادنا منذ نشأتها على مستويات عدة ومعالجات متنوعة[٥٠].

الهوامش

١- صار مصطلح الكلاسيكيات مصطلحا متعدد المعاني. وما أعنيه، في هذا المقال، هذا المصطلح هو اليونانية واللاتينية. عن المعاني المتعددة والمتجددة لهذا المصطلح، انظر:

ماجدة المرعبي،"ما الكلاسيكي؟ مصطلح واحد..مفاهيم عدة"، قيد النشر.

٢- الشيء بيت الحكمة في بغداد فرجمة عيون التراث اليوناني إلى العربية. انظر في ذلك:

عز الدين إسماعيل، في الشعر العباسي، المكتبة الأكاديمية (القاهرة، ١٩٩٤) ص ص ١٨٩ وما بعدها. انظر أيضا: عدنان موالي، التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، ٢٠٠٦) ص ص ١١٢ وما بعدها. وقد انتقلت نصوص هذه الترجمات إلى الأندلس، حيث ترجمت هذه النصوص إلى اللاتينية. وعلى هذه الترجمات قامت أسس النهضة الأوروبية الحديثة. انظر في ذلك:

أحمد عدمان، "من اليونانية إلى اللاتينية عبر العربية: دراسة حول تبادل الطاقات بين العرب وأوروبا عبر الأندلس و صقلية"، أوراق كلاسيكية، العدد الثاني (القاهرة، ١٩٩٢) ص ص ٧-٣٥.

Ahmad Etman, "Greek into Latin through Arabic", JOAS vol. 9 (1997-1998) 29-38.

أ. ل. راليلا، الماضي المشترك بين العرب والغرب، ترجمة ليلة إبراهيم، عالم المعرفة، العدد ٢٤١ (الكويت، ١٩٩٩) ص ص ١١-١٣.

عدنان موالي، "الترجمة بين حضارتين العربية والغربية في العصور الوسطى"، مجلة كلية الآداب، العدد ٥١ (٢٠٠١-٢٠٠٢) ص ص ٣٤ وما يليها

٣- لعل الشيء يمكن أن يقال على دولة ذات حضارة عريقة كاليابان، وها هي قد أدخلت الدراسات اليونانية واللاتينية في مناهجها، فقد أنشئ بها معهد لتاريخ الحضارات القديمة، في عام ١٩٨٤، ومن بينها الكلاسيكيات اليونانية واللاتينية، انظر:

W. Brashear, "Classics in China", CJ, vol. 86 (1990) 73-78.

٤- انظر:

Roger Bagnall, Reading Papyri, Writing Ancient History (Routledge, 1995).

٥- يقول روبرتس:

C. H. Roberts, "The Greek Papyri", in: The Legacy of Egypt, ed. S. Glanville (Oxford 1943) 254:

إنه يبدو من المؤكد أنه لا يوجد موقع مماثل لتروات أوكسيرينخوس، التي كانت رواد هذا الحقل، العالم جرانفل وهنت. ويعتبر روبرتس أن كنوز البردي التي خرجت من أوكسيرينخوس كانت بمثابة المكافأة لمنهي التعالين، وهنا بدأ ما يسميه روبرتس "قصة صغيرة"، أثرت تأثيرا عميقا على كل نوع من فروع الدراسات الكلاسيكية. انظر كذلك:

Naphtali Lewis, Life in Egypt Under Roman Rule (Oxford 1985) 3 ff.; L. D. Reynolds & N. G. Wilson, Scribes and Scholars, (Oxford 1992) 196 f.

٦- انظر:

Bagnall (1995) 27

٧- حدثنا الكاتب الروماني بلينيوس Plinius الأكبر عن صناعة البردي المصري لتكتابة، في موسوعته "التاريخ الطبيعي" Naturalis Historia، انظر:

Plin. NH. 13.68 ff.

عن مهارة المصريين في صناعة قراطيس البردي، انظر كلا من:

Roberts (1943) 251; A. H. M. Jones, "Egypt and Rome", in: The Legacy of Egypt (Oxford 1943) 284; H. I. Bell, Egypt from Alexander the Great to the Arab Conquest (Oxford 1948) 68f.

٨- عن أهمية البردي المصري في دراسة تاريخ مصر والإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، انظر:

مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية: النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، ١٩٩٥) ص ص ٣٩ وما بعدها.

يقول روبرتس في دراسته عن البردي المصري إن هذا البردي هو المادة الخام التي منها أعيد بناء حضارة. بل ويعترف بوضوح، في ختام دراسته، قائلا: "هذا تراث لدين له حقا":

Roberts (1943) 253, 282.

٩- انظر: Jones (1943) 283

١٠- Ibid. 284

يوضح جونز كذلك كيف أسهم البردي المصري في ارتفاع مستوى التعليم في الإمبراطورية الرومانية كلها.

١١- هناك محاولات على قدر كبير من الجدية لإثبات هذه الفرضية، وهي تلك المتمثلة في بحوث مركز لوي جرنيه Louis Gernet للدراسات المقارنة في باريس وهذا المركز متخصص في دراسات الشعوب القديمة وحضاراتها منذ الستينات من القرن العشرين. وقد بدأ نشاطه في عام ١٩٦٥ تحت اسم: "مركز البحوث المقارنة عن المجتمعات القديمة":

Centre de Recherches Comparées sur les Sociétés Anciennes

يضم بيير فيدال ناكيه Pierre Vidal Naquet، ومارسيل ديتيين Marcel Detienne، وجان بيير فرنان Jean-Pierre Vernant، اللذين تحدثا عن هذا المركز، وغيرهما مجموعة من الكلاسيكيين أمثال بيير فيدال ناكيه Pierre Vidal Naquet، وآخرون.

وقد تحدث عن قرب الجهد الذي يبذله باحثو مركز لوي جرنيه في دراسة حضارات المجتمعات القديمة، وذلك خلال الفترة التي قضيتها بينهم أستاذاً زائراً في صيف عام ٢٠٠٠. وأدين لهم بتلك الدعوة الكريمة التي يسرت لي اجراء الأكاديمي المباشر مع الكثيرين من هؤلاء الباحثين، والإطلاع على بحوثهم في هذا المجال.

١٢- الطبعة التي استخدمتها في هذه الدراسة هي:

طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣).

١٣- عن الصراع الخفي بين الثقافة العالمة المتمثلة في (أي الكلاسيكية) والثقافة الشعبية وخاصة الأفلام السينمائية، انظر:

Maria Wyke, Projecting the Past: Ancient Rome, Cinema, and History (Routledge, 1997) 5ff.

١٤- يتلقى الكلاسيكيون الآن ما أطلقوا عليه "المعركة الخالية" حول مكانة الكلاسيكيات في العالم الأكاديمي. انظر في ذلك:

D.Alfen, "Review of C. Rosco, Tragedy and Enlightenment: Athenian Political Thought and the Dilemmas of Modernity (Berkeley, Los Angeles, London 1997). CPh, vol. 93(1998) 196-201.

Cf. G. Lawall, & J. Berthelmess, "The Role of the American Classical League in Promoting Dialogue within the Classical and Foreign Language Teaching Professions", CJ, vol. 75 (1980) 330-334; C. A. Rubino, "One Last Refuge for Eccentrics", CJ, vol. 83 (1988) 240-244.

Joanne O'Neill, "Rethinking the Cursus Honorum", CJ, vol. 91 (1996) 297-307; R. B. Bracham et al. (Panel Discussion), "Classics and Comparative Literature", CPh, vol. 92 (1997) 153 ff.; Kristina Chew, "What Does E Pluribus Unum Mean?: Reading the Classics and Multicultural Literature Together", CJ, vol. 93 (1997) 57 ff.; T. Habinek, The Politics of Latin Literature (Princeton, 1998) 24 ff.

١٥- انظر على سبيل المثال:

W. R. Connor, "The New Classical Humanities and the Old", CJ, vol. 81 (1986) 337-347.

١٦- انظر على سبيل المثال:

J. Reedy, "Cultural Literacy and the Classics", CJ, vol. 84 (1988) 41-44.

١٧- من أبرز الدراسات عن استقبال الكلاسيكيات فيها، الكتاب الذي ألفه واحد من كبار الكلاسيكيين في العالم عن التراث الكلاسيكي، وهو جلبرت هايت، في عام ١٩٤٩:

Gilbert Highet, The Classical Tradition (London, 1949).

يقول هايت في مقدمة كتابه هذا: "حالما المعاصر يعيد من الطرق هو استمرار لعالمي اليونان وروما... وفيما يتعلق بمعظم مؤسساتنا الفكرية والروحية، فنحن أحفاد الرومان، وأحفاد أحفاد اليونان. ورغم أن مؤثرات أخرى تضافرت لتصنع منا ما نحن عليه الآن، إلا أن الميراث اليوناني-الروماني كان واحدا من أقوى وأهمها. وبدون هذا الميراث لكانت حضارتنا ليست فقط مختلفة، ولكن لكانت أكثر فقرا، ولكانت أقل فكرا، وأكثر هامشية- وفي الواقع فإن أي ثروة قد تجمعها حضاراتنا -أي حروب قد تخوضها، وأي اختراعات قد تقدمها- ستكون أقل جدارة بأن تسمى حضارة لأن منجزاتها الحضارية ستكون أقل عظمة".

١٨- عن استقبال الغرب للعالم القديم، وماذا يعني علم، انظر كذلك:

Bruno Snell, The Discovery of the Mind, (New York, 1982 repr.) 246-263.

١٩- انظر الفصل الحادي عشر من هذا المؤلف:

Ahmed Eiman, "Translation at the Intersection of Traditions: The Arab Reception of the Classics", pp. 141-152.

ولعل من الدراسات الرائدة التي تشرت عن استقبال الكلاسيكيات في العالم العربي قديما وحديثا، وفي مصر بصفة عامة، الدراسة الثانية التي عرض فيها الساعي الجهود العربية في دراسة الكلاسيكيات بصفة عامة، ومصر اليونانية والرومانية بصفة خاصة:

M. El-Abbadi, "Arabic Contributions to the Study of Greco-Roman Egypt", in: Egitto E Storia Antica Dall' Ellenismo All'Eta Araba (Bologna, 1989) 383-395.

٢٠- انظر: طه حسين، المرجع السابق، ص ص ٢٠٢ وما يليها.

٢١- عن دين الدراسات اليونانية واللاتينية في مصر لطه حسين، انظر:

أحمد عثمان، الآداب الأوروبية القديمة (الأدب اليوناني والأدب اللاتيني)، منشور في: طه حسين.. مائة عام من التجديد العربي، مجلة فكر للدراسات والأبحاث، العدد ١٤ (القاهرة، ١٩٨٩) ص ص ٢٢٥-٢٧٦.

انظر كذلك: محمد حقي إبراهيم، "طه حسين والثقافة الكلاسية"، منشور في: طه حسين وتأصيل الثقافة العربية، سلسلة أبحاث المؤتمرات رقم ٩، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، ٢٠٠٢) ص ص ٢٤٥-٢٥٦. ثم قارن ذلك بما ورد عند كل من: أحمد أبو زيد، "طه حسين بين الثقافة عبر الربوع والثقافات اللاغربية"، المجلد السابق، ص ص ٣٦ وما بعدها؛ أنور توفيق، "الفصحة أم فصحتين؟"، المجلد السابق، ص ص ٤١ وما بعدها.

٢٢- جدير بالذكر أن قسم الدراسات اليونانية واللاتينية قد تم إنشاؤه في عام ١٩٢٥، بجامعة القاهرة، وهو أول قسم على الإطلاق لهذه الدراسات في مصر.

٢٣- عن مناهج تعليم اللغتين اليونانية واللاتينية في جامعة القاهرة، انظر:

محمد حقي إبراهيم (٢٠٠٢)، ص ٢٤٨.

٢٤- انظر أحمد عثمان (١٩٨٩) ص ص ٢٢٩ وما بعدها، ٢٣٣ وما بعدها.

٢٥- عن دور اللغتين اليونانية واللاتينية في ثقافتنا، وكيف تخدم الكلاسيكيات بصفة عامة تراثنا القومي، انظر المقدمة المثرية التي وضعها أحمد عثمان لكتاب: آنية السودان، الجذور الأفروآسيوية للحضارة الكلاسيكية. الجزء الأول: الشرق بلاد الإغريق ١٧٨٥-١٩٨٥، تأليف مارتن برنال، ترجمة مجموعة، تحرير أحمد عثمان، المشروع القومي للترجمة رقم ١٩، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، ١٩٩٧)، ص ص ٥٧ وما بعدها. ولعل هذا الدفاع الذي قدمه طه حسين، قبل سنوات عديدة مضت، هو ما يتردد مؤخرا في الأوساط الأكاديمية الأمريكية والأوروبية مدافعين عن مكانة الدرس اللغتين اليونانية واللاتينية، انظر في ذلك:

Lawall (1980) 330 ff.; D. H. Porter, "The Thread of Ariadne: The Classics and the Twentieth Century", CJ, vol. 79 (1984) 347 ff.

٢٦- أشار عبد الوهاب يوسف في مقاله: "مستقبل الثقافة الطفل العربي في ضوء كتاب (مستقبل الثقافة في مصر)"، مجلة أبحاث مؤتمر: طه حسين وتأصيل الثقافة العربية (مرجع سابق) ص ص ١٧٧ وما بعدها، سؤالا عن كتاب طه حسين، قد يسأله المتخصصون في الدراسات الكلاسيكية في مصر ألا وهو: هل مازال في هذا الكتاب ما يستحق القراءة بعد مرور كل هذا الوقت الطويل؟ والرد بالإيجاب عند عبد الوهاب يوسف، تماما هو عند أي مصري متخصص في الدراسات الكلاسيكية.

٢٧- انظر في ذلك:

أحمد زكريا الشلق، طه حسين. جدل الفكر والسياسة، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، ٢٠٠٨) ص ص ١٤٩ وما بعدها.

٢٨- انظر المقدمة التي وضعها جابر عصفور لطبعة سليمان البستاني لإلياذة هوميروس، معربة نظما، للمشروع القومي للترجمة أرقام: ٧٦٢-٧٦٣، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، ٢٠٠٤) ص ص ز-ح.

٢٩- انظر جابر عصفور، المرجع السابق ص ح.

٣٠- يقول جابر عصفور، المرجع السابق، ص ك:

"لم يترك له (أي البستاني) مناصبه وعراقة محتده ذكرى، كما فعلت ترجمته لإلياذة هوميروس، التي تظل عمل عمره الذي خلده في تاريخ الثقافة العربية الحديثة، ووضعه في مصاف المترجمين الأفذاذ الذين يتجاوز عملهم حدود الترجمة إلى الإسهام الكبير في تاريخ الدرس الأدبي بمجالاته المختلفة."

٣١- تولى أحمد عثمان اهتماما كبيرا بترجمة البستاني "للإلياذة"، وعلى حد تصوره هو "اهتمام متجدد بهذه الترجمة". انظر:

أحمد عثمان، عرض لكتاب: "إلياذة هوميروس": ترجمة سليمان البستاني، مجلة أوراق كلاسيكية، العدد الرابع، تحرير أحمد عثمان (القاهرة، ١٩٩٥)، ص ص١١ وما بعدها.

٣٢- المرجع السابق، ص ١٣.

٣٣- انظر:

هوميروس، "الإلياذة"، تحرير ومراجعة وتقديم أحمد عثمان، المشروع القومي للترجمة، رقم ٧٥٠، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، ٢٠٠٤).

٣٤- المرجع السابق، ص ٥. وجدير بالذكر أن المقدمة، التي وضعها أحمد عثمان للترجمة العربية الحديثة لـ "الإلياذة"، غطت ما يقرب من مائة صفحة (ص ص ٥-١٠٠).

٣٥- من أبرز الترجمات العربية عن النصوص اليونانية مباشرة، انظر:

هنري عاطف آدم، "استرابون، بلينيوس الكبير، بطلميوس الإسكندري: ثلاثة تصورات عن العربية القديمة وشعوبها"، ترجمة مصطفى الضبادي، رسائل جغرافية، ١٤٦ (الكويت، ١٩٩٢)؛ أنطوني تورتيي، اللغة والأسطورة، ترجمة وتعليق منيرة كروان، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة، ١٩٩٧)؛ بمبر والكوت، الجسد والإغريق: قراءة في السلوك الإنساني، المترجم نفسه، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، ١٩٩٨)؛ جوزيف فوجيت، نظام العبودية القديم والنموذج المثالي للإنسان، المترجم نفسه، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة،١٩٩٩)؛ روبرت ليمان، المحرمة الإفريقية، المترجم نفسه، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، ٢٠٠٠)؛ المرأة في ألبا، روجر جست، المترجم نفسه، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، ٢٠٠٥)؛ جورج كينيدي (محرر)، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، ١- النقد الأدبي الكلاسيكي، ترجمة مجموعة، مراجعة وإشراف وتقديم: أحمد عثمان، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، ٢٠٠٥)؛ ريتشارد هولين، الرواية والروائيون إزاء مسألة الحياة في العالم الآخر، تقديم وترجمة وتعليق: أوفيليا طايز رياض، الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية (القاهرة، ١٩٩٩)؛ لفنال لويس، اليونانيون في مصر البطلمية، ترجمة السيد جاد (الإسكندرية، ٢٠٠٦)؛ آلان هاموند، بين أثينا والإسكندرية، المترجم نفسه (الإسكندرية، ٢٠٠٦).

٣٦- انظر:

Beeston, A., et al. (eds.), Arabic Literature to the End of the Ummayyad Period (Cambridge, 1983) 460 ff.; D. Gutas, Greek Thought, Arabic Culture (Routledge, 1998) passim.

٣٧- جدير بالذكر أن طه حسين ترجم مسرحيات تراجيدية يونانية هي: "إلكترا"، "أيدبس"، "أنتيجونا"، "أوديبوس ملكا"، عن طريق لغة وسيطة هي الفرنسية. ومن حسن الطالع أن تراث الترجمات في السنوات الأخيرة عن الأصل اليوناني مباشرة، انظر، على سبيل المثال لا الحصر، الترجمات التالية:

يوريبيديس، هايدت باخوس – إيون – هيراقليوس، ترجمة ودراسة وتقديم: عبد المعطي شعراوي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة، ١٩٩٧)؛ المؤلف نفسه، هرقل مجنونا، ترجمة وتقديم ومعجم أسطوري: أحمد عثمان، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة: ٢٠٠٩)؛ المؤلف نفسه، الكستيس، ترجمة نجيب الكيلاني مطاوع، تقديم ومراجعة أحمد عثمان، روائع المسرح العالمي، رقم ٢ (القاهرة، ٢٠٠٢)؛ سوفوكليس، بنات تراخيس، سلسلة من المسرح العالمي، العدد ٣٤٩ (الكويت، ١٩٩٠)؛ المؤلف نفسه، أنتيجونا، ترجمة وتقديم وتعليق: منيرة كروان، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، ٢٠٠٨)؛ المؤلف نفسه، إلكترا، ترجمة ودراسة وتعليق: منيرة كروان، تقديم أحمد سخسوخ، المركز القومي للترجمة (القاهرة، ٢٠٠٧)؛ المؤلف نفسه، أيدبس، ترجمة وتقديم وتعليق: منيرة كروان، المركز القومي للترجمة (القاهرة، ٢٠٠٨)؛ المؤلف نفسه، أوديب ملكا، ترجمة وتقديم وتعليق: منيرة كروان (المركز القومي للترجمة (القاهرة، ٢٠٠٨).

ومن التراجيديا اللاتينية، انظر: سينيكا، هرقل فوق جبل أويتا، ترجمة أحمد عثمان، سلسلة من المسرح العالمي، العدد ١٣٨ (الكويت، ١٩٨٩). ومن الكوميديا اليونانية، انظر: أريستوفانيس، السحب، المترجم نفسه، السلسلة نفسها، العددان ٢١٥- ٢١٦ (الكويت، ١٩٨٧).

٣٨- انظر، على سبيل المثال لا الحصر، الترجمات التالية:

هنري عاطف آدم، "استرابون، بلينيوس الكبير، بطلميوس الإسكندري: ثلاثة تصورات عن العربية القديمة وشعوبها"، ترجمة مصطفى الضبادي، رسائل جغرافية، ١٤٦ (الكويت، ١٩٩٢)؛ أنطوني تورتيي، اللغة والأسطورة، ترجمة وتعليق منيرة كروان، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة، ١٩٩٧)؛ بمبر والكوت، الجسد والإغريق: قراءة في السلوك الإنساني، المترجم نفسه، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، ١٩٩٨)؛ جوزيف فوجيت، نظام العبودية القديم والنموذج المثالي للإنسان، المترجم نفسه، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة،١٩٩٩)؛ روبرت ليمان، المحرمة الإفريقية، المترجم نفسه، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، ٢٠٠٠)؛ المرأة في ألبا، روجر جست، المترجم نفسه، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، ٢٠٠٥)؛ جورج كينيدي (محرر)، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، ١- النقد الأدبي الكلاسيكي، ترجمة مجموعة، مراجعة وإشراف وتقديم: أحمد عثمان، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، ٢٠٠٥)؛ ريتشارد هولين، الرواية والروائيون إزاء مسألة الحياة في العالم الآخر، تقديم وترجمة وتعليق: أوفيليا طايز رياض، الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية (القاهرة، ١٩٩٩)؛ لفنال لويس، اليونانيون في مصر البطلمية، ترجمة السيد جاد (الإسكندرية، ٢٠٠٦)؛ آلان هاموند، بين أثينا والإسكندرية، المترجم نفسه (الإسكندرية، ٢٠٠٦).

٣٩- عنوان الكتاب بالإنجليزية:

Martin Bernal . Black Athena , The Afroasiatic Roots of Classical Civilization. Vol. I.The Fabrication of Ancient Greece 1785-1985 (New Brunswick, New Jersey 1987).

٤٠ – انظر كلا من:

مصطفى العبادي، "أثينا السوداء: تأليف مارتن برنال"، عرض وتحليل، مجلة عالم الفكر الكويتية، المجلد العادي والعشرون، العدد الثالث (١٩٩٣) ص ص ٣١٢ – ٣٢٣.

ماجدة المويمني، "رؤية العبادي النقدية لكتاب أثينا السوداء"، عدد خاص لأبحاث ندوة: مافا قدم العبادي للدراسات الكلاسيكية؟ جمعية الآثار (الإسكندرية، ٢٠٠٧) على ص ص ٩٣-١١٢.

٤١ – انظر الدراسة التالية:

Lorna Hardwick, Translating Words Translating Cultures (Duckworth, 2000).

في الفصل الأول بعنوان: " معارك الترجمة"، تقول المؤلفة (ص ١٣) إن النصف الثاني من القرن العشرين شهد ثلاث اتجاهات رئيسية في الترجمات المنشورة للأعمال الكلاسيكية. وأحد هذه الاتجاهات عدم المزج بين أنواع مختلفة من الترجمات، والتكنيكات ونماذجها الأقدم. ويتضح هذا بصفة خاصة في الاستخدام المثالي للصور، والنصوص، والأساطير الكلاسيكية ، من قبل الشعراء وكتاب المسرح مثل توني هاريسون، وغيره.

٤٢ – انظر الدراستين التاليتين:

A. Elmarsafy, "Classical Studies and their Influence upon Creative Literature in Egypt and the Arab World", JOAS, vols. 3–4 (1991-2) 68-74; Idem, "The Greek Concept of Tragedy in the Arab Culture. How to Deal with an Islamic Oedipus?", Documenta Jaargang, vol. xxii (2004) 281- 299

٤٣ – الاسم الأصلي لهذه المسرحية هو "براكسا"، وفيها هاجم توفيق الحكيم فساد الديمقراطية، واعتمد فيها على مسرحية أريستوفانيس "النساء في المجلس". كتب توفيق الحكيم هذه المسرحية في عام ١٩٣٩. وفي عام ١٩٥٤ ترجمت إلى الفرنسية، وظهرت باسم "مشكلة الحكم"، بعد أن استكمل توفيق الحكيم الحديث فيها عن مالي أنواع الحكم لتناسب مع هذا الاسم. انظر:

تعميات أحمد فؤاد، فجر أدبية (القاهرة، ١٩٩٩) ص ٢٦٧.

٤٤ – من أجل دراسة شاملة لهذا الموضوع، انظر:

أحمد عثمان، المصادر الكلاسيكية لمسرح توفيق الحكيم (الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، ١٩٩٣).

٤٥ – من الأعمال الإبداعية في حقل الكلاسيكيات، انظر:

أحمد عثمان، كليوباترا تعشق السلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، ١٩٨٤)؛ المؤلف نفسه، عودة النصر لبنيس الأعمى، الهيئة المصرية العامة لتكتاب (القاهرة، ١٩٨٦)؛ المؤلف نفسه، زفاف عروس للكتبات، الهيئة العامة لقصور الثقافة (القاهرة، ٢٠٠١)؛ المؤلف نفسه، حسناء في سجن سقراط، دار الثقافة للنشر والتوزيع (القاهرة، ٢٠٠٤).

٤٦ – أحمد عثمان، ممبز الشهيد (القاهرة، ٢٠٠٠).

٤٧ – عن المسرحيات الساتيرية، انظر:

ماجدة المويمني، "السرد الخرافي في مسرحية ممبز الشهيد"، قيد النشر.

٤٨ – يذكر آلتايوس (fl. 62 E) بيتا ورد عند سوفوكليس في مسرحية "مقطوع الأثر"، وقد تأكد وجود هذا البيت في البردية سالفة الذكر، وهو البيت رقم ٢٧٣:

انظر: (Ox.Pap.1174, vs (273؛

Athenaeus, The Deipnosophists, vol. I, ed. with an Eng.Trans. by: C. B. Gulick (LCL 1927),

٤٩ – Tony Harrison, The Trackers of Oxyrhynchus (Faber & Faber, London, 1990).

٥٠ – انظر:

ماجدة المويمني، "نشأة المسرحيات الكلاسيكية في مصر: رؤية درامية"، مجلة آوراق كلاسيكية، العدد الثامن، جامعة القاهرة، قيد النشر.

د. عائشة عبد العزيز التهامي[*]

السحر والشعوذة في أوراق البردي والكاغد

في بداية الأمر أحب أن أسجل شعوري عند كتابة هذا البحث وهو أنني كنت خائفة إلى حد كبير ، ومترددة في تناول هذا الموضوع ، ولكني وجدت بالإحصائيات أن ما يصرف على السحر والشعوذة مليارات من الجنيهات ليس فقط في منطقة الوطن العربي بل أيضا في العالم بأسره [1] .

وقبل أن أتناول موضوع أطروحة هذا البحث فإنني سوف أستعرض ماهية كل من السحر والشعوذة في قواميس اللغة المختلفة : فالسحر : بتشديد السين وكسرها وتسكين الحاء ، جمعه أسحار وسحور[2] . ، والسحر هو إخراج الباطل في صورة الحق ، يقال هو الخديعة وسحره بكلامه استمالة برقته وحسن تركيبه ولفظ السحر في اللغة وعرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه يتخيل على غير حقيقته ويجرى مجرى التمويه والخداع ، قال تعالى ﴿ يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ [3] . ، وإذا أطلق ذم فاعله ، وقد يستعمل مفيدا فيما يمدح ويحمد نحو

[*] كلية السياحة والفنادق — جامعة الفيوم

قوله صلي الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا " ، أي ان بعض البيان سحر لأن صاحبه يوضح الشئ المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه فيستميل القلوب كما تستمال بالسحر ، وقال بعضهم لما كان في البيان من إبداع التركيب وغرابة التأليف يجذب السامع ويخرجه إلى حد يكاد يشغله عن غيره شبيه بالسحر الحقيقي ، وقيل أن هذا هو السحر الحلال [٤].

تاريخ السحر قديم جدا ، فقد عرفته كل الأمم ، فما من أمة من الأمم أرسل الله إليها رسولا إلا اتهموه بالسحر والجنون ، قال تعالي ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ﴾ [٥].

قد وجد في كتب الأمم فيما قبل نبوة موسي عليه السلام ، مثل النبط الكلدانيين ، كما كانت هذه العلوم في أهل بابل من السوريانيين الكلدانيين ، وفي أهل مصر من القبط ، ويذكر ابن خلدون [٦] ـ عن حقيقة السحر ، بأن النفوس البشرية وإن كانت واحدة بالنوع فهي مختلفة بالخواص ، فنفوس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لها خاصية تستعد بها للمعرفة الربانية ومخاطبة الملائكة عليهم السلام من الله سبحانه وتعالي ، ونفوس السحرة لها خاصية التأثير في الأكوان بقوة نفسانية أو شيطانية ، أما تأثير الأنبياء فبمدد إلهي له خاصية ربانية .

ينقسم السحر إلى ثلاثة أقسام هي : [٧] .

١ـ سحر التخييل ٢ـ سحر الحقيقة ٣ـ سحر الإجاز

١ـ سحر التخييل

هو أن يعمد الساحر إلى القوى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف ، ويلقي فيها أنواعا من الخيالات والمحاكاة ، وصورا مما يقصده ذلك ، ثم يعرضها إلى الحس من الرائين بقوة نفسه المؤثرة ، فينظر الرائون كأنها في الخارج ، وليس هناك شئ من ذلك [٨] .

هذا النوع من السحر هو الذي تعرض له موسي عليه السلام ، ومن بعده رسولنا الكريم صلي الله عليه وسلم ، وهو سحر التخييل الذي يؤثر علي العين وحدها ولا يؤثر علي العقل أو القلب ولا باقي أعضاء الجسم أي أن التخييل بالبصر فقط [٩].

وهذا النوع من السحر يستعمل فيه الساحر عنصرين مهمين مؤثرين في الخيال يستطيع بهما أن يتصرف ، في خيال المسحور كيف يشاء ، فيريه ما يريده أن يرى ، وهذان العنصران هما :

أ ـ سحر العيون ب ـ الاسترهاب

ولذلك قال المولى عز وجل عن سحرة فرعون :

﴿ قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾ [١٠].

" سحروا أعين الناس " أي غيروها عن صحة إدراكها بما جاءوا به من التمويه والتخييل ، وخطفوا أبصار الناس ، " استرهبوهم " أي أدخلوا الرهبة في قلوبهم ، وأخافوهم خوفا شديدا .

فشدة التمويه وخطف الأبصار والتأثير علي العيون بالخفة والتمويه مع التخويف يؤثر في خيال الإنسان تأثيرا شديدا حتى يصير خيال الإنسان تحت سيطرة الساحر ، فيريه ما يريده أن يرى ، ويخيل إليه ما يريد أن يخيله إليه ، ولهذا قال تعالي ﴿ يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ [١١] . فالآية تدل علي أن التخييل الذي حدث لهم إنما تم عن طريق السحر .

هذا النوع من سحر التخييل صور كثيرة نشاهده منذ القدم إلى عصرنا هذا ، وخير دليل علي ذلك ما يقوم به من يسمون بـ " الحواة " من التمويه والخداع والقيام ببعض الألاعيب التي يوهمون بها عامة الناس [١٢].

٢ـ سحر الحقيقة :

وهذا النوع من السحر هو عزائم ورقى وطلاسم شيطانية ، وعقد لها تأثير قوى في القلوب والأبدان والعقول ، ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه [١٣] . ، وفي ذلك قال تعالي ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ إلى قوله تعالي ﴿ ومن شر النفاثات في العقد ﴾ [١٤] .

والسحرة إذا أرادوا عمل السحر عقدوا الخيوط ، ونفثوا علي كل عقدة أي نفخوا مع ريق دون التفل حتى يتعقد ما يريدونه من السحر ، والنفاثات [١٥] . هم السواحر المفسدات بفعلهم ، فإذا تكيف نفس الساحر بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة ،

نفخ في تلك العقد نفخا مع رقى ، فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر والأذى مقترن بالريق الممازج لذلك ، وقد تساعده الروح الشيطانية على أذى المسحور فيصيبه السحر بإذن الله [١٩٦] . وكل هذا الضرر كما قال تعالى ﴿ وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ [١٩٧] . فإذا أذن الله لهم بضرر شخص ما ، فإنه يقع منهم الضرر لذلك الشخص بسبب هذا السحر .

وهذا النوع من السحر " سحر الطلاسم " هو من أخطر أنواع السحر وأكثرها انتشارا في زماننا هذا ، لأن كثيرا من ضعاف الإيمان والنفوس وجدوا فيه حاجتهم لإشباع رغباتهم الانتقامية ونفث سموم أحقادهم على من يعادون من الناس ، فعاثوا في الأرض فسادا والله لا يحب الفساد [١٩٨] .

٣- سحر المجاز :

هذا النوع من السحر يقوم على حيل كيميائية ، وعلى خفة اليد والقدرة على التمويه والخداع والتكذب على ضعاف العقول ويعرف في زماننا هذا بالشعوذة والدجل ، وسمي سحرا مجازا لاشتراكه في المعنى اللغوي للسحر ، فهو ما خفي سببه ولطف مأخذه ، ودق ، وجرى مجرى التمويه والخداع [١٩٩] .

وهناك نماذج معروفة وطرق متبعة لهذا النوع

من السحر منها على سبيل المثال لا الحصر :-

أ- حيلة اخراج الدخان من جسم الإنسان

ب - حيلة النفخ على قطعة من القماش وإشعال النار فيها .

جـ- حيلة الكتابة بالحبر السري

د- حيلة إشعال النار في السكر

ولالأسف النماذج كثيرة من هذا النوع من السحر ، ولكن لسنا بصدد إحصائها ، بل نعرض بعضا منها لنتم معرفتها ، ويحتاط الناس ويحذرون منها ومن غيرها مما هو على شاكلتها [٢٠٠] .

أما عن الشعوذة في قواميس اللغة [٢٠١] ، فهي شعوذ الرجل شعوذة ، ومنهم من يقول شعبذ شعبذة ، وهو بالذال معجمه ، وليس من كلام أهل البادية ، وهي لعب يرى الإنسان منه ، ما ليس له حقيقة كالسحر ، وهو فعل يشرى خارج عن الدين ، يضر الإنسان ولا ينفعه .

السحر كما ورد في القرآن الكريم :

لقد جاء لفظ السحر ومشتقاته صراحة وكناية في الآلة وخمسين موضعا من القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى :-

- ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴾ [٢٠٢]

- ﴿ ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ﴾ [٢٠٣]

- ﴿ فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ﴾ [٢٠٤]

- ﴿ لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم ، أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ﴾ [٢٠٥]

- ﴿ قال آمنتم به قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر)) ، ((أنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى ﴾ [٢٠٦]

- ﴿ فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ﴾ [٢٠٧]

- ﴿ قال آمنتم له قبل أن إذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين ﴾ [٢٠٨]

السحر كما ورد في الحديث الشريف :

وقد أشار الرسول (صلى الله وعليه وسلم) إلى السحر في كثير من الأحاديث ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :-

– عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): قال

﴿ من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق بشئ وكل إليه ﴾ [٢٩]

– عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله (صلى الله وعليه وسلم) :

﴿ اجتنبوا السبع الموبقات ، . قالوا : يا رسول الله ، وماهن ؟ ، قال : " الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات " ﴾ [٣٠]

والشاهد من الحديث أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أمرنا باجتناب السحر ، وبين أنه من الكبائر المهلكات وهذا يدل على أن السحر حقيقة لا خرافة [٣١]

– وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله(صلى الله وعليه وسلم) ﴿ ليس منا من تطير أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له ، ومن أتى : كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد (صلى الله وعليه وسلم ﴾ [٣٢]

والشاهد أن النبي (صلى الله عليه وسلم) نهى عن السحر والذهاب إلى الساحر والنبي (صلى الله عليه وسلم) لا ينهى إلا عن شيء موجود وله حقيقة [٣٣]

– وقال عليه الصلاة والسلام ﴿ للات من لم يكن فيه واحدة منهن ،فإن الله يغفر له ما سوى ذلك لمن يشاء : من مات لم يشرك بالله شيئا ، ولم يكن ساحرا يتبع السحرة، ولم يحقد على أخيه﴾ [٣٤]

– وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ﴿ لا يدخل الجنة مدمن خمر ، ولا مؤمن بسحر ، ولا قاطع رحم ﴾ [٣٥]

– قال ابن مسعود رضي الله عنه : ﴿من أتى عرافا أو ساحرا أو كاهنا فسأله فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ﴾ [٣٦]

– وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله وعليه وسلم

﴿ من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد ﴾ [٣٧]

الشاهد من الحديث أن النبي (صلى الله عليه وسلم) وضح إحدى الطرق المؤدية إلى تعلم السحر ، كي يجتنبه المسلمون ، وهذا دليل على أن السحر علم حقيقي يتعلم [٣٨] .

السحر كما ورد في اليهودية :

أن قصة السحر والسحرة في بابل ، واتباع اليهود ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ، وإقبالهم على تعلم السحر ، وإعراضهم عما جاء به محمد (صلى الله وعليه وسلم) ، وبلعهم كتاب الله وراء ظهورهم ، وهو الذي جاء مصدقا لما معهم من التوراة ، وفيه نجاتهم من غضب الله الذي سبق أن نجاهم من فرعون وملئه ، وأبطل كيد السحرة والساحرين [٣٩] .

وبناء على ما سبق ذكره فإنه مما لا ريب فيه أن يشتغل اليهود بالسحر ، ويقبلوا عليه ، ويدعوا الناس إليه ، ويتبعوا ما كانت تتلوه عليهم المتمردون من شياطين الأنس والجن من كتب السحر على عهد سليمان ، وقد كانت الشياطين في عهد سليمان تلقن كهان اليهود قواعد السحر ، وتدعي كذبا أن ملك سليمان وسلطانه على الإنس والجن والطير والريح لم يقم إلا على تلك القواعد التي دونت في كتب لديهم توارثها الخلف عن السلف حتى وصلت إلى اليهود بالمدينة ، ولا عجب في ذلك فطبعهم وشيمتهم تلويث الأنبياء ، كما فعلوه في ابتداء العهد القديم [٤٠] . ولكن المولى عز وجل نفى اقتام الشياطين واليهود لسليمان بمزاولة السحر بقوله :

﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴾ [٤١]

وقد جاء ذكر مصر وشهرة مصر في التوراة بأنها بلد السحر والسحرة ، فمصر منذ أقدم العصور ، ذاع صيتها بسحرها وسحرتها [٤٢] ، حيث كان السحر في مصر القديمة يمارس على كافة العصور وبأسلوب رسمي تماما ، ولكنه كان يوجه ضد الأعداء المهددين للسلطة الفرعونية أو ضد العدو الأسطوري ، بل كان يمكن أن تمارسه الإدارة المركزية والمعابد ، لحاجة الأعداء السياسيين والأعداء الأسطوريين سواء بسواء .

ولذلك فإن السحر الدفاعي كان هو الأكثر شيوعا، وكان يركز على قوانين السحر الودود[٤٢] وهي المصدر الأساسي لعلماء الآثار في إثبات ذلك [٤١] ومما لاشك فيه أن السحر كان يشغل مكانا أساسيا في الممارسات الدينية لدى قدماء المصريين ، وأن التعاويذ السحرية بالمقابر الملكية والعوابيت الجنائزية .

لذا فإن السحر ، علمهم هو نبت وحتي في درجة الدين ، وهو عمل يهدف إلى التغلب علي القوى التي تتصرف في مصير الإنسان ، وأن القائم بعمل السحر لم يكن فردا عاديا من أبناء الشعب ، وإنما كان يقوم به الكهنة (الخر حد) (hr hd) كتبه كتاب الإلـه ، وكـان يشغل أعلى وظائفهم في الدولة ، وعادة ما يكون أبناء الملك [٤٥] .

وبعد تلك المقدمة الطويلة لاستعراض مستفيض عن السحر والشعوذة في اللغة والتشريع والدين وكذلك في مصر القديمة ، فسوف أتناول الآن الأوراق التي كتب عليها كل من السحر والشعوذة ، وهي أوراق البردي والكاغد .

فالبردي من النباتات المائية الطبيعية المصرية [٤٦] ذات الفكرة والنشأة والوسيلة والذي ينتمي إلى العائلة السعدية التي كانت تنمو بكثرة في مستنقعات الوجه البحري ، وقد استخدمه المصريون القدماء لأغراض عديدة ، ومن أهمها صنع صحائف للكتابة عليها كانت هي الأصل الأول للورق الحديث ، ومن كلمة (Papyrus) اللاتينية الدالة علي البردي اشتق الاسم الإفرنجي (Paper) للورق [٤٧] .

تلك الأوراق البردية استمرت في الكتابة عليها طوال العصور الإسلامية ، من ثم يمكن القول بأن البردي كان معروفا للعرب في جاهليتهم وبعد ظهور الإسلام ، إلا أنه كان يستعمل علي نطاق محدود للغاية . وبدء في استعماله بشكل بسيط نسبيا في عهد الخليفة أبي بكر الصديق ، ثم استخدم في عمل الدواوين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، خاصة بعد فتح مصر علي يد القائد العظيم عمرو بن العاص [٤٨] .

هذا وقد اهتم خلفاء وولاة مصر اهتماما كبيرا بتوارع ومصانع البردي في المدن والقرى وذلك لسد احتياجات ومتطلبات الدواوين وخاصة في تنقيل مكاتبات ورسائل الخلفاء والولاة والعمال الأمويين والعباسين [٤٩] .

بيد أن أوراق البردي لم تستعمل فقط في الدواوين الحكومية ، والمكاتبات الرسمية في الدولة الإسلامية ، ولكن استعملها أيضا بعض عامة الناس في مكاتباتهم ومعاملاتهم اليومية وخاصة تلك التي تأخذ شكل المواثيق كالميراث والعتق وعقود الزواج والعمل والبيع والشراء والإيجار وغيرها كثير [٥٠] .

ومما هو جدير بالذكر أنه نظرا لغلو سعر أوراق البردي وزيادة في اقتصاد واستعمال هذه الأوراق كان يأمر بأن تستخدم معظم مساحة الورقة البردية وذلك من وجه الورقة (Recto) الذي كان مخصصا للكتابة فقط ولكن في أحايين كثيرة كان يستعمل ظهر الورقة (Verso) بالرغم من أنه كان يتسم بالخشونة ، وكان يترك خاليا عادة [٥١] .

وخير مثال لورقة بردية استعملت في أغراض من قبل عامة الناس ، وللأسف أغراض غير شرعية إلا وهي السحر والشعوذة ، والتي سبق أن تناولتها بكثير من الإيضاح والإسهاب وأن موضوع السحر والشعوذة كان من الموضوعات القديمة قدم تاريخ الإنسانية ، وكما ذكرت بالإحصائيات بأن ما صرف علي أعمال السحر والشعوذة يقدر بمليارات من الجنيهات في دول العالم الغربي ، وأيضا في العالم بأسره .

وسوف استعرض الورقة الأولى وهي بردية عربية [٥٢] محفوظة في مجموعة (شوت — رينهارت) بمعهد البرديات — جامعة هايدلبرج بألمانيا ، وللأسف فهي غير مؤرخة وغير معلوم مكان العثور عليها ، يرجع تاريخها للقرون الأولى للهجرة ، يرجع أواخر القرن ١ — ٢هـ/٧— ٨م ، وذلك اعتمادا علي نوع الخط والكتابة بالمقارنة بورقة بردية أخرى مؤرخة [٥٣] .

وجه البردية (Recto) (لوحة ١) — يتكون من أجزاء من ثمانية عشر سطرا ، تحتوى كلمات وألفاظ فحواها هو السحر والشعوذة :—

السطر الأول . (بسم الله الرحمن الـ) رحيم

السطر الثاني : (امـ) تع بك

السطر الثالث : (قـ) زمان كتب إلى

السطر الرابع : (١) ثنين وحدها

السطر الخامس : فاعلمه أن وكيله

السطر السادس : (. . .) الاحتفاظ بهما

السطر السابع : (. . .) ستر لوكيلي اذهب

السطر الثامن : (. . .) أبو كتاح إليهما

السطر التاسع : (. . . د) فيهما وأنا

السطر العاشر (. .) اقطعهما حتا (حيا)

السطر الحادي عشر : (. . د) أن كذب

السطر الثاني عشر : (ز) كر يا حازم تربع

السطر الثالث عشر : (. . ف أ ، ر) عليك فدبك

السطر الرابع عشر : (.) لما ينحانا لك

السطر الخامس عشر : (. .) فإنه يقبح مثلي إذ (؟)

السطر السادس عشر : (حـ) دث فيما حدث

السطر السابع عشر : (. . .) بطع أو أعيها

السطر الثامن عشر : (. . .) إنما لك

أما ظهر البردية Verso (لوحة ٣) ، فهو يتكون من أجزاء من اثنا عشر سطرا : -

السطر الأول : بسم الله (الرحمن الرحيم)

السطر الثاني : لا ابقاك الله ولا حفظ (له)

السطر الثالث : ولا (أ) متع لك

السطر الرابع : ولا سترك ولا أحسن

السطر الخامس : الستر لك

السطر السادس : ولا أدخلك الجنة

السطر السابع : ولا متع لك يا قرشيه

السطر الثامن : ولا أنوالك الجنة

السطر التاسع : إلا النار

السطر العاشر : غير

السطر الحادي عشر : ولم أقر لأحد غير قرشيه

السطر الثاني عشر : واللعنة كلهم (أو جلهم)

التعليق على وجه البردية (Recto)

في الحقيقة أن وجه تلك البردية يحمل في أول سطر من سطوره تناقضا عربيا وهو بقية البسملة ، وبالرغم أن تصنيف هذه البردية أنها تحوى بين سطورها المتفرقة ، وغير المكتملة معنى السحر والدعاء على اثنين من الأشخاص بعينهما (السطر الرابع) ، والاحتفاظ بهما (السطر السادس) والأمر بقطعهما حتا أو حيا (السطر العاشر) ، القذية (السطر الثالث عشر) والقبح (السطر الخامس عشر) ، وإن لم تحدث طاعة فالعيب لك (السطر السابع عشر والثامن عشر) ، ومثل هذا العمل في بسملة تلك البردية مثل الحرامي الذي ينوى السرقة فيبدأ بالبسملة تبركا أن يتم عمله على خير ، ولذا فإنه يبدأ بالبسملة (!!!).

التعليق على ظهر البردية (Verso) :-

في الحقيقة نفس التناقض الواضح في بداية أسطر ظهر ورقة البردي ، وهو البسملة ، كأن الذي يقوم بكتابة هذا السحر يذكر اسم الله يستعين به في عمله غير الشرعي والذي نبذه الإسلام وكل الأديان السماوية ، وذلك من خلال الدعاء على من عمل لها هذا السحر بعدم البقاء ولا الحفظ ولا المتعة ولا الستر (السطر الثاني والثالث والرابع) ولا الستر لها (السطر الخامس) بالإضافة إلى الدعاء وعليها بعدم دخول الجنة (السطر السادس) ولا ريب أن ذكر اسم قرشيه من عمل لها السحر هو غاية في الدعاء عليها بعدم التمتع بالحياة (السطر السابع)

ولذلك لا أدخلها الجنة ، بل ومغواها النار (السطر الثامن والتاسع) ، ومما زاد في الكناية فساد السيدة التي تدعي و تسمى قرشية ، ربما هي من قبيلة قريش ، أن يرسم بجانب كلمة النار (في السطر التاسع) وعلى نفس السطر ، شكل معبد للنار الذي كان رمزا في فجر الإسلام في زخرفة ونقش الدرهم الساساني [٥٤] .

أما لفظ (غير) في كل من السطرين (العاشر والحادي عشر) هو تحديد دقيق بأن هذا الفعل او ذاك السحر من أجل قرشية بعينها ، وهذا إقرار بذلك بأنه لها وحدها وليس لأحد غيرها ، وفي النهاية اللعنة عليها كلها أو أجلها (السطر الأخير) .

وسوف استعرض الآن الورقة الثانية وهي الكاغد [٥٥] والكاغد في اللغة معروف بفتح الغين وبالدال المهملة ، وربما باللام (كغد) المعجمة وهو معرب ، والكاغد كلمة صينية الأصل دخلت معجم اللغة العربية عن طريق اللغة الفارسية ، وقد أخذه العرب عن الصينيين لأن هؤلاء الصينيين برعوا في صناعة الورق قبل البلاد ، وكانت هذه الصناعة منتشرة في بلادهم ، فلما فتح المسلمون سمرقند أخذوها عنهم [٥٦] .

وصارت تطلق على الورق المصنع من مواد مختلفة حسب التقاليد الصينية مثل القطن ، ومن ثم أطلقها العرب على الورق [٥٧] . ويذكر ناصر خسرو [٥٨] . في رحلته إلى بلاد الشام سنة ٤٣٨هـ عن تفوق كواغد الشام على كواغد سمرقند فيقول " ويصنعون بها الورق الجميل مثل الورق السمرقندي وأحسن منه " كما يذكر ياقوت الحموي [٥٩] . في معجم البلدان ، بأن صناعة الكاغد قد تطورت وانتقلت إلى مصر والمغرب العربي ، ثم لم تلبث أن وصلت إلى بلاد الأندلس، ومنها انتقلت إلى سائر الحضارات الأوربية ومنها ايطاليا وفرنسا [٦٠] .

أما جرجي زيدان [٦١] . فيذكر في كتابه " تاريخ التمدن الإسلامي " عن فضل العرب المسلمين على الحضارة الأوربية فيقول " إن أهل أوروبا مما أفادوا من سواهم في الأجيال الوسطى استخدموا الكاغد الشامي وانتقلت صناعة الورق إلى أوروبا بطريق الأندلس ، فقد كان للعرب مصانع لصناعة الورق في شاطبة وبلنسية وطليطلة . . . ثم نقلت من أسبانيا إلى سائر ممالك أوربا "

وبناء على ما سبق ذكره ، نشرك مدى قدرة المسلمين على الابتكار والإبداع ، فبعد أن رأوا ميزات الكاغد فضلوه عن البردي ، ولم يكتفوا بذلك ، بل عملوا على تطويره وتحسينه وإدخاله إلى شتى الممالك الإسلامية مشرقها ومغربها . وبالرغم من أن الكاغد ابتكارٌ صينيٌ كان للمسلمين فضل كبير ودور عظيم في تطويره وتحسينه ، ومما يؤكد ذلك قول المستشرق " آدم متز " [٦٢] . " أن الكاغد الذي نقل العرب صناعته من الصين قد ناله على أيدى المسلمين التغيير الهام الذي يعتبر حدثا في تاريخ العالم "

وسوف أستعرض الآن نص وثيقة لورق (الكاغد) [٦٣] . تحمل بين طيات سطورها ألفاظا وكلمات عملت خصيصا للسحر والشعوذة ، وهي محفوظة بمجموعة (شوت – رانيهارت) بمعهد البرديات جامعة هايدلبرج بألمانيا وللأسف فهي غير مؤرخة وغير معلوم مكانها .

وجه ورقة الكاغد (لوحة ٣) ، يتكون من ثلاث مناطق مختلفة المساحة ، عدد اسطرها أثنا عشر سطرًا .

المنطقة الأولى : تحتوى على ثلاث سطر

السطر الأول : ق

السطر الثاني : ع شاع شا

السطر الثالث : نولت خمس (احرف ديموطيقيه)

المنطقة الثانية : تتكون من سطرين

السطر الرابع : جواب أبو علي أربع وخمسين

السطر الخامس : وتلتى تسع (احرف ديموطيقيه قديمة)

المنطقة الثالثة : وهذه المنطقة تحوى سبعة أسطر ، فحوى سطورها كلمات وألفاظ السحر والشعوذة ، وهي كالآتي : –

السطر السادس : صرف (كلمتان ديموطقيتان) حقهما يليك

السطر السابع : كم ثمن (ثلاث كلمات ديموطيقية) الجواب فروجة

السطر الثامن : وأيضا لن ذبحت دجاجة سودا له

السطر التاسع : سودا وخذ مرارتها والطخ بها

السطر العاشر : كذلك لم تقرب المرأة رجل

السطر الحادي عشر : غيرك أبدا ولا يقدر على

السطر الثاني عشر : مجامعتها ولا تحب غيرك

التعليق على وجه ورقة الكاغد

في الحقيقة أن أسطر وجه هذه الورقة (الكاغد) تحوى ثلاث مناطق يفصلها خطين عرضيين، فالمنطقة الأولى ذات ثلاث اسطر ولكن كلماتها وجملها غير متممة أو كاملة ، بينما احرفها الديموطيقية تحوى رموز لها طلاسم سحرية ، والمنطقة الثانية تحوى سطرين لكلمات عربية غير مترابطة ، فالسطر الخامس كتب به كلمتين عربيتين هما (ثلثي تسع) لتكمله السطر أحرف ديموطيقيه لرموز ذات طلاسم سحرية .

أما المنطقة الثالثة فهي تحوى سبعة أسطر ، فحواها وكلماتها وألفاظها ترمز إلى السحر بعينه من قبل من قام بعمل هذا السحر الأسود [٦٤] ، ضد سيدة أو إمرأة مسحور لها ، وأكيد ان ذلك بتحريض من رجل يبغو زوجها ، فالسطر السادس كلمة (صرف) ومن بعدها (كلمتان ديموطيقيتان) وآخر السطر (حقهما يلينك) ، أما السطر السابع فيحوى كلمة (كم ثمن) ومن بعدها (ثلاث كلمات ديموطيقيه لطلاسم سحرية) وينتهي السطر بأن (الجواب فروجة) أى رمز للأنثى ، بينما السطر الثامن يحوى الأشياء المطلوبة لعمل السحر وهي ذبح (دجاجة سودا) [٦٥] . وأيضا كلمة (دجاجة) هي رمز للأنثى مثل (فروجة) وهي بالطبع المرأة المسحور لها ، أما كلمة (مرارتها) [٦٦]) ، في السطر التاسع فهي تعني امر جلل في أمعاء الفروجه أو الدجاجة ، وكونه يكتب (وخذ من مرارتها والطخ بها) أي يجعل حياتها كلها مرارة ، شكلها ملطخ بها ، وزيادة في التفريق والكيد هذه المرأة المسحور لها كتب بأن (لم تقرب المرأة رجل) بالسطر العاشر ، هو في جملته التفريق بين الزوجين ، ويستدل من كلمة المرة) أي السيدة أو المرأة في نفس السطر هي لغة غير معارف عليها وليست منتشرة في المجتمع المصري

وتحير هذه الكلمة سه في البيئة الشعبية المصرية ، وبينما في المجتمعات العربية والشرقية متداولة هذه الكلمة

ويلاحظ أن بين السطرين التاسع والعاشر ، تلطخ بمداد أسود غير منتظم ، وكذلك في نهاية السطر الحادي عشر ، على كلمة (على) وفي السطر الحادي عشر جملة (غيرك أبدًا ولا يقدر على) وتكملتها في السطر الثاني عشر (مجامعتها ولا تحب غيرك) أي أن هذا السحر لهذه السيدة يجعلها لا تقدر على أن تقترب من رجل آخر غير هذا الرجل الذي أمر بعمل السحر لها ، ويبدو أن هذا الرجل يحب تلك السيدة من طرف واحد ، ولا يريد لأحد غيره (أي زوجها) على أن يعاشرها جنسيا أو يجامعها شرعيا ، ولا تحب أحد غيره ابداً ، ولا تكون لأحد غيره أيضا .

ظهر ورقة الكاغد (لوحة ٤)

أما ظهر ورقة الكاغد فمعظمه طلاسم سحرية بلغة ديموطيقية ومداد أسود في شكل مستطيل رأسي محدد وغير منتظم ، وداخل هذا المستطيل الكبير ثلاث مستطيلات صغيرة أفقية ذات مساحات متباينة الأصغر فالمتوسط فالأكبر ، وبين هذه المستطيلات الثلاث كلمتان متكررتان باللغة العربية وهما (على ، على) ، ومن الملاحظ أن قد وضعت (/) علامة الفتحة على كلمة (على) لكي يفهم المعنى ، وأن الجزء العلوي من المستطيل الرأسي الكبير قد لطخ بسواد غير منتظم ، وكذلك خارج المستطيل

خلاصة القول في السحر وهل له حقيقة [٦٧] :

الجمهور من علماء أهل السنة والجماعة قالوا : أن السحر له حقيقة وتأثير . ومن الأدلة التي ساقوها :

١- قوله تعالى :﴿ سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ﴾ [٦٨]

٢- وقوله : ﴿ فيتعلمون منه ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴾ [٦٩]

٣- وقوله : ﴿ وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ [٧٠]

٤- وقوله : ﴿ ومن شر النفاثات في العقد ﴾ [٧١]

فالآية الأولى : دلت على إثبات السحر بدليل قوله تعالى﴿ وجاءوا بسحر عظيم ﴾

والآية الثانية : أكدت أن السحر كان حقيقة ، بدليل تمكنهم بواسطته أن يفرقوا بين المرء وزوجه، وأن يوقعوا العداوة والبغضاء بين الزوجين ، فدلت على أثره وحقيقته .

الآية الثالثة : أثبتت الضرر من السحر ، ولكن متعلق بمشيئة الله فلا يتعداها ، وفي الآية دليل على أن للسحر تأثيرا في القلوب بالحب والبغض والجمع والفرقة والقرب والبعد .

والآية الرابعة : تدل على عظيم أثر السحر ، حتى أمرنا أن نتعوذ به سبحانه من شر السحرة الذين ينفثون في العقد [٧٢] .

أما المعتزلة وبعض أهل السنة قالوا : إن السحر ليس له حقيقة في الواقع وإنما هو خداع وتمويه وتخييل ، وإنه باب من أبواب الشعوذة ، ومن أدلتهم على ذلك :-

١- قوله تعالى : ﴿ سحروا أعين الناس واسترهبوهم... ﴾ [٧٣]

٢- وقوله : ﴿ يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ... ﴾ [٧٤] .

٣- وقوله : ﴿ ولا يفلح الساحر حيث أتى ... ﴾ [٧٥] .

وقالوا : إذا ثبتنا أن له حقيقة فالتبس الأمر بين المعجزة والسحر .

PSR Heid inv
Arab 553

(لوجه ١)
وجه الرديء

(الوجه ب)
ظهر البردية

PSR Heid inv.
Arab 272

(الوجه ٣) وجه لحاشية

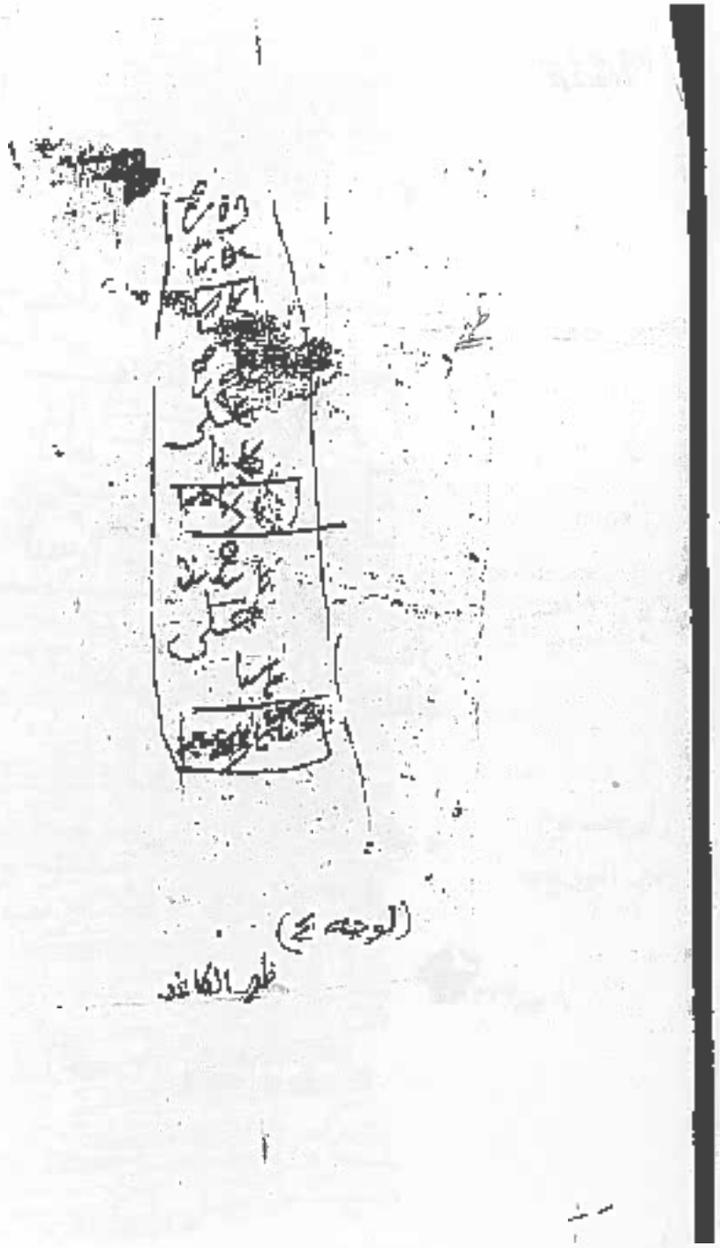

المراجـــع

١- أخبار اليوم ، السبت ١٩ من صفر سنة ١٤٣٠هـ ، ١٤ من فبراير ٢٠٠٩ صفحة ٣ لحقيقات

٢- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، المكتبة الإسلامية ، اسطانبول ، ١ / ٤١٩

٣- آية ٦٦ (سورة طه)

٤- الفيومي المقرئ ، المصباح المنير ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٧ ، صـــ١٠٢

٥- آية ٥٢ (سورة الذاريات)

٦- ابن خلدون ، المقدمة ، دار الشعب ، صـــ٤٩٧ ، ٤٦٨

٧- عمر سليمان الأشقر ، عالم السحر والشعوذة ، صـــ١٠٦

٨- ابن خلدون ، المقدمة ، صـــ ٤٦٨ .

٩- محمد متولي الشعراوي ، السحر والحسد ، مؤسسة اخبار اليوم ، ١٩٩٠م ، صـــ١١٢

١٠- آية ١١٦ (سورة الأعراف)

١١- آية ٦٦ (سورة طه)

١٢- الصادق بن الحاج ، الإيضاح البين لكشف حيل السحرة والمشعوذين ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٢هـــ / ٢٠٠١ م ، صـــ ٥٠ – ص١٣

١٣- ابو محمد المقدسي ، الكافي ، طبعة المكتب الاسلامي ، حـــ٤ ، صـــ ١٦٤

١٤- ابن قيم الجوزية ، بدائع الفوائد ، طبعة دار البيان ، صـــ ٤٦٣

١٥- القرآن الكريم ، مصحف التجويد ، ورش القرآن ترتيلا ، تفسير العلامة الشيخ حسين خلوف ، دار المعرفة ، سوريا ، دمشق ٢٠٠٥ ، صـــ ٦٠٤

١٦- ابن قيم الجوزية ، بدائع الفوائد ، طبعة دار البيان ، صـــ٤٦٢

١٧- آية ١٠٢ (سورة البقرة)

١٨- ابن خلدون ، المقدمة ، صـــ٤٦٨ ، صـــ٤٦٩

١٩- الصادق بن الحاج ، المرجع السابق ، صـــ١٨

٢٠- لمزيد من التفاصيل راجع :

الصادق بن الحاج ، نفس المرجع السابق ، صـــ٢٦ – ٢٩

٢١- الفيومي المقرئ ، المصباح المنير ، صـــ ١٢٠

٢٢- آية ١٠٢ (سورة البقرة)

٢٣- سورة الأنعام آية ٧

٢٤- سورة القصص آية ٣٦

٢٥- سورة الأنبياء آية ٣

٢٦- سورة طه آية ٧١ ، ٧٣

٢٧- سورة يونس آية ٨١

٢٨- سورة الشعراء آية ٤٩

٢٩- النسائي

٣٠- رواه البخاري (٥ / ٣٩٢ فتح) ومسلم (٢ / ٨٣ فؤاد)

٣١- وحيد عبد السلام بالي / الصارم البتار في التصدي للسحرة والأشرار دار ابن القيم ، ١٤١٧هـ ، الطبعة العاشرة ، ص ٢٤

٣٢- رواه الطبراني

٣٣- وحيد عبد السلام بالي ، المرجع السابق ، ص ٢

٣٤- رواه الطبراني

٣٥- رواه ابن حبان

٣٦- رواه ابن مسلم

٣٧- رواه أبو داود رقم (٣٩٠٥) وفي ماجه برقم (٣٧٢٦)

٣٨- وحيد عبد السلام بالي ، ملخص المرجع السابق ، ص ٢٥

٣٩- الشيخ فخر الدين (شيخ الاسلام الإمام محمد الرازي) ، قصة السحر والسحرة في القرآن الكريم ، حققه وقدم له وعلق عليه محمد ابراهيم سليم ، مكتبة القرآن ، ١٩٨٥م ، ص ٢٠

٤٠- الشيخ فخر الدين ، المرجع السابق ، ص ١٦٢

٤١- سورة البقرة ، جزء من آية ١٠٢

٤٢- ايفان كوليج ، السحر والسحرة عن الفراعنة ، ترجمة فاطمة عبد الله محمود ، مراجعة د. محمود ماهر طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩م ، ص١٣، ١٥

٤٣- ايفان كوليج ، المرجع السابق ، ص١٧١

٤٤- إدولف إرمان ، ديانة مصر القديمة ، ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر ، إيريس شكري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧ ، ص ١٤٣ - ١٤٤

٤٥- Magic in ancient Egypt , Geraldine Prich , British Museum press

٤٦- حسن رجب ، البردي ، مجلة إقرأ ، العدد ٤٦٣ ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص١٥-١٦

٤٧- لوكاس (الفريد) الموتى والصناعات عند قدماء المصريين ، ترجمة د. زكي اسكندر ، محمد زكريا غنيم ، مكتبة مدبولي ، ١٩٩١ ، ص ٢٣٢

٤٨- يذكر ابن تغري بردي أن القائد عمرو بن العاص أعاد الخليفة عمر بن الخطاب في الفعل ثلث خراج مصر إلى حفر ترعتها وبناء وصيانة جسورها

- النجوم الظاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٢٩ ، ج ١ ، ص ٣٣

٤٩- سعيد مغاوري ، البرديات الطبية في مصر الإسلامية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٤ ، ص ٩٨

٥٠- سعيد مغاوري ، المرجع السابق ، ص ٩٩

٥١- Grohmon . A , From The World of Arabic Papyri , Voll , Cairo1934 , p. 2

٥٢- رقم سجل البردية (PSR – Heid – Inv – Arab – 553)

٥٣- سعيد مغاوري ، المرجع السابق ، ص ١٥٩ ، لوحة رقم (٣)

٥٤- عبد الرحمن فهمي محمد ، النقود العربية ماضيها وحاضرها ، المكتبة الثقافية ١٠٣ ، فبراير ١٩٦٤ ، ص ٢٤ ، لوحة ٧

٥٥- الفيومي المقرئ ، المصباح المنير : ص ٣٠٤

٥٦- جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، مطابع مؤسسة دار الهلال ، ١٩٦٨ ، ج١ ، ص ٢٥٨

٥٧- فيليب حتي وآخرون ، تاريخ العرب ، بيروت ، الطبعة الثانية ، دار الكشاف ١٩٥٣م ، ج ٢ ، ص ٥٠٣

٥٨- ناصر خسرو ، سفر نامه ، تعريب يحي الخشاب ، لجنة التأليف ، ١٩٤٥م

٥٩- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، طبعة بيروت ١٩٧٩ ، ج٣ ، ص ٢٣٥

٦٠- وول ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٩م ، ج١٣ ، ص ١٧٠

٦١- جرجي زيدان ، المرجع السابق ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩

٦٢- آدم ميتز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٧ ، الطبعة الثانية ، ج ٢ : ص٢٦٩

٦٣- رقم سجل ورقة الكاغد PSR Heid inv Acmh272

٦٤- ايفان كوربج ، السحر والسحرة ، صـ ٩

٦٥- دجاجة : معروف وتفتح الدال وتكسر منها من يقول الكسر لغة قليلة والجمع دجج بضمتين ، وربما جمع على دجاجيج

- الفيومي المقرئ مصدر السابق ، صـ ٢٩٧

٦٦- المزارة ،والمقرئ الذي يزعم به كأنه نسبة إلى المر ، يسميه الناس الكامخ والمزارة من الأعضاء معروفة والجمع المزاخر والمزار

- الفيومي المقرئ ، المصدر السابق ، صـ ٣٩٧

٦٧- قصي بكن ، حكم الاسلام في السحر ومشتقاته ، صـ ٢٠ - ٢٢

٦٨- سورة الأعراف ، آية ١١٦

٦٩- سورة البقرة ، آية ١٠٢

٧٠- سورة البقرة ، آية ١٠٢

٧١- سورة الفلق ، آية ٤

٧٢- ابن الجوزي والحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي ، ت ٥٩٧هـ) ، تلبيس إبليس ، صـ ٣٥

٧٣- سورة الأعراف ، آية ١١٦

٧٤- سورة طه ، آية ٦٦

٧٥- سورة طه ، آية ٦٩

أ.د. برغش خالد نايف الجنفاوي*

ملامح عن التعليم في الكويت قبيل الاستقلال

شهيد

الكويت - آل صباح والتعليم

قد يعتقد البعض أن التعليم الحديث في الكويت ارتبط باستقلال البلاد عام ١٩٦١م، وهذا الاعتقاد غير حقيقي، لأن إمارة الكويت شهدت نشاطًا تعليميًا واضحًا منذ بداية القرن العشرين، وازدهر بعد سنوات الحرب العالمية الثانية، وشهدت سنوات الخمسينات من القرن العشرين- وقبل الاستقلال- طفرات كبيرة في التعليم بإمارة الكويت سواء من ناحية عدد المدارس وعدد الفصول وعدد التلاميذ وميزانية التعليم بمراحله المتعددة: رياض أطفال ، والمرحلة الابتدائية ، والمرحلة المتوسطة، والمرحلة الثانوية، إلى جانب ما شهدته الإدارة المدرسية والبعثات التعليمية من تطورات أكدت حيوية الشعب الكويتي وتطلعه للتنمية المتكاملة اعتمادا على التعليم والتعليم الحديث.

* وزارة التربية والتعليم - دولة الكويت

وكان إيمان حكام الكويت من أن صباح بأهمية التعليم في مسيرة تقدم الكويت اعتماداً على شعب متعلم تعليماً حديثاً لتأخذ الكويت مكانتها العلمية بين الدول العربية بل ودول العالم المتقدم، وذلك رغم وجود معاهدة الحماية البريطانية للكويت من عام ١٨٩٩م، لأن حرص حكام الكويت الدائم كان وظل الدفاع عن استقلال القرار الكويتي في بناء الحياة السياسية، والاقتصادية والثقافية والتعليمية على أسس حديثة.

كما كان لأبناء الشعب الكويتي وقياداتهم ، ومعظمهم من كبار التجار وملاك السفن، الدور الكبير في تشجيع التطور الجديد في مجال التعليم إيماناً منهم بأهمية التعليم الحديث في إعداد الكوادر المؤهلة اللازمة للتنمية الشاملة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً ، مما جعل الكويت درة الخليج العربي من النواحي السياسية بوجود مؤسسات دستورية وحكومة مسئولة أمام برلمان ، وحركة سياسية نشطة في المجال الديمقراطي وفي المجال القومي العربي، ومن النواحي الاقتصادية التي ازدهرت خاصة بعد اكتشاف البترول في أرض الكويت، ومن النواحي الاجتماعية بظهور الجمعيات والديوانيات وأعمال المتنوعة ، وأخيراً من النواحي الثقافية بظهور الحركة الفنية المتمثلة في المسرح والإذاعة ، وظهور صحافة نشطة حرة وإنشاء مؤسسات التعليم بجميع مراحلها ، فكان المجتمع الكويتي نموذجاً للتقدم مقارنة بمجتمعات إمارات الخليج العربي الأخرى.

وحين نتحدث عن بدء كيان الكويت السياسي باختيار مستوطني أرض الكويت للشيخ صباح بن جابر عميد أسرة الصباح حاكماً لهم عام ١٧٥٦م نتعرض لجغرافية هذا الكيان الذي بدأ قرية صغيرة ثم تحولت إلى مدينة عامرة على الخليج العربي، اتسعت لتصبح دولة الكويت. وتدور حياة أهل الكويت لقرون عدة حول ظاهرة طبيعية واحدة في خليج الكويت ، الذي يعتبر أكبر وأعمق ميناء طبيعي في الخليج العربي كله.

والجانب الشمالي من خليج الكويت قليل العمق، وعلى الجانب الجنوبي من خليج الكويت يبرز في مياه الخليج نتوء من الأراضي الرملية التي كانت تزدهر بها مياه عذبة على أعماق قليلة، وبهذا كانت العامل الذي ساعد على قيام القرية الأولى التي نمت حولها مدينة الكويت، هذا إلى جانب جزيرة فيلكا التي تقع في مدخل خليج الكويت، وجزيرة بوبيان الواقعة إلى الشمال، ولهاتين الجزيرتين أهمية لوقوعهما إلى الجنوب مباشرة من دلتا شط العرب[١].

وبالنسبة لتاريخ الكويت، فإن ظهور اسم الكويت يرجع إلى أوائل القرن الثامن عشر الميلادي مرتبطاً بنزول قبيلة بني خالد في هذه الأرض وإنشاء حصن (كوت) ، الذي ما لبث أن تحول إلى قرية صغيرة، فمدينة اتسعت وازدهرت لتصبح عاصمة دولة الكويت الحالية، أي أن الدولة أخذت اسمها من اسم العاصمة، على غرار ما هو الحال في كل من تونس والجزائر على سبيل المثال.

وإذا كان العتوب قد نزلوا بالكويت أوائل القرن الثامن عشر - عام ١٧١٦م تقريباً - فإن فرع آل صباح أشهر وأقوى فروع العتوب قد تسلموا زعامة البلاد حين أجمع السكان في الكويت عام ١٧٥٦م على انتخاب عميد أسرة الصباح «الشيخ صباح بن جابر» حاكماً لهم، وقد عرف فيما بعد باسم صباح الأول[٢].

وقد ساعدت الظروف الدولية في المنطقة في ازدهار الكويت وتعميرها ذلك أن الصراع بين العثمانيين والفرس- أثناء حكم العثمانيين للعراق- إلى جانب الصراع بين العثمانيين والبريطانيين على تقسيم مناطق النفوذ السياسي في منطقة الخليج العربي، كل ذلك جعل الكويت ملتقى التجارة البحرية بين الشرق الأقصى والشرق الأدنى، بل إن شركة الهند الشرقية البريطانية نقلت مركزها في الخليج من مدينة البصرة إلى الكويت[٣].

ونتيجة لاعتبار الكويت مركزاً للتجارة ، ومركزاً للمواصلات الإمبراطورية البريطانية في الهند والشرق الأقصى، فقد استوطنها كثير من سكان أقطار الخليج العربي، خاصة من مدينة البصرة العراقية، وتحولت إليها المراكب التي كانت تحمل البضائع من الهند لتنقل منها براً إلى بغداد ودمشق وحلب، ومن هناك إلى تركيا وإلى البحر المتوسط وأوربا[٤].

وأثناء حركة الجهاد البحري الإسلامي في الخليج العربي ضد السفن الأجنبية- غير الإسلامية - منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، ظلت الكويت تحتفظ بكيانها ولم تخضع كغيرها للمعاهدات التي فرضتها بريطانيا على مشيخات الخليج العربية منذ عام ١٨٢٠م، والتي عرفت باسم معاهدات السلم البحري أو الهدنة ، بل أن الشيخ عبدالله الصباح لم يستجب في تلك السنة للضغط البريطاني رغم أنه تعاون مع محمد أفندي رفعت مندوب محمد علي والي مصر، في الفترة من ١٨٣٧ إلى ١٨٤٠م وقربه إليه في مجلسه، وأمد القوات المصرية في الإحساء بالسفن التي نقلت الأسلحة والإمداد والتموين من ميناء الجديدة

اليمنى إلى ميناء العقير بالإحساء. وكل ذلك يوحي بالموقف الاستقلالي للكويت عن كل من بريطانيا والدولة العثمانية، وكلا الدولتين كانت مواقفهما العدائية من محمد علي باشا واضحة في تلك الفترة[٥].

ولم تكن العلاقة بين الكويت والدولة العثمانية عدائية ، بل كانت علاقة حسنة في مجملها، وهذا ما جعل حاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح، يقبل لقب قائمقام عثماني، أسوة بالشيخ قاسم بن محمد آل ثاني حاكم قطر وذلك أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ولم يكن هذا يعني خضوع الكويت خضوعًا تامًا للسيادة العثمانية. ومع ذلك وتأكيداً لنزعة الكويت الاستقلالية ، فقد خاض حكامها حروبًا ضد حلفاء الدولة العثمانية في عهد الشيخ مبارك الصباح الذي حكم في الفترة الممتدة من عام ١٣١٤هـ الموافق لعام ١٨٩٦م إلى عام ١٣٧٣هـ الموافق لعام ١٩١٥م، كابن الرشيد وآل السعدون، واستضافة الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سعود وأسرته ومنهم ابنه عبد العزيز الذي خرج من الكويت ليستخلص نجد من حكم آل رشيد[٦].

ورغم أن الصراع على منطقة الخليج العربي تعددت أطرافه أواخر القرن التاسع عشر بين الفرس والروس والإنجليز والألمان والعثمانيين ، فإن الكويت كانت آخر قطر عربي خليجي يوقع حكامه معاهدة لقبول الحامية البريطانية عام ١٣١٧هـ الموافق لعام ١٨٩٩م، تلك المعاهدة التي جعلت من الكويت دولة تتعامل مباشرة مع بريطانيا العظمى - أكبر قوة عالمية في ذلك الوقت- معاملة متوازنة، وقد أقرت معاهدة عام ١٩١٣م، بين بريطانيا والدولة العثمانية حول منطقة الخليج العربي الوضع الخاص لبريطانيا في الكويت [٧].

وحيث أقرت الدولة العثمانية بأن الكويت إمارة مستقلة تحت حماية بريطاني بموجب معاهدة عام ١٨٩٩م، فقد تصرفت حكومة الكويت تصرف الدولة المستقلة، فعقدت عام ١٩١٤م معاهدة مع السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، سلطان نجد وملحقاتها ، اعترف فيها بحدود الكويت الحالية كما أقرت حكومة العراق الملكي عام ١٩٢٣م، بحدوده الراهنة مع الكويت، وقد تأكد ذلك في مؤتمر العقير عام ١٩٢٢م بحضور الشيخ أحمد الجابر الصباح ممثلا لإمارة الكويت وعبد العزيز آل سعود، وممثل بريطانيا في الخليج العربي، حيث تحددت في هذا المؤتمر الحدود بين العراق والكويت وسلطنة نجد وملحقاتها، وفيه ظهرت لأول مرة مناطق محايدة بين الأقطار الثلاثة[٨].

وفي ظل هذا الوضع المتميز لإمارة الكويت، فقد انطلقت الكويت تبني وتعمر أرضها، وقد تمثلت ملامح النهضة الكويتية في عدة نواحي كان أولها أن الشورى كانت وما زالت هي القاعدة الإسلامية للحكم، منذ انتخب الكويتيون صباح الأول عام ١٧٥٦م كأول حاكم لهم، كما انتقل الحكم إلى ابنه عبدالله الأول من خلال اختيار الكويتيين أنفسهم، ومن ثم انحصرت السلطة الحكم في آل صباح تكريسًا للواقع . والمجتمع الكويتي يقوم على الديمقراطية الاجتماعية انطلاقًا من توفر العدل والحرية والمساواة إلى جانب التراحم باعتباره صلة وثيقة بين أبناء الوطن الكويتي ، وتأكيداً على أن الأسرة هي الخلية الاجتماعية الأولى وأن لكل مواطن الحق في التعليم وفي العمل وفي الممارسة السياسية، وحق الكفالة الحرية الشخصية وحرية الاعتقاد والرأي والنشر وحق الملكية الجماعية والفردية[٩].

كما تمثلت ملامح النهضة الكويتية في الناحية الاقتصادية ، من حيث تطور اقتصاديات البلاد من زراعة وصناعة وتجارة، ومن حيث اشتراك الأفراد في تطوير الاقتصاد سواء في إطار القطاع الخاص أو القطاع العام. وكان للنفط دور إيجابي في تحديث المجتمع الكويتي، حيث استفادت الكويت من المنافسة بين شركات البترول العالمية في الحصول على مزايا كبيرة ساهمت في رفع مستوى معيشة المواطن الكويتي وفي زيادة الدخل الوطني.

وتمثلت ملامح النهضة الكويتية كذلك في توفير معالم واضحة للنهضة الحضارية مثل التقدم العمراني، وتحديث التعليم ليواكب العصر في جميع المراحل التعليمية والبحث العلمي، وإنشاء الجمعيات والنوادي الثقافية والحركة المسرحية النشطة والصحافة الحرة المعبرة، وتحقيق الرعاية الاجتماعية وتوفير المناخ المناسب للتنظيمات النقابية وشلاقات العمل الاجتماعية ورعاية الشباب[١٠].

كما تمثلت ملامح النهضة الكويتية واعتمدت على عدة عوامل أهمها : نجاح أبناء الكويت منذ وقت مبكر في خلق كيان اجتماعي اقتصادي متمايز، وهو كيان ذو طبيعة مدينية بحكم الدور التجاري لأبنائه، كما أن الدولة التي نشأت في الكويت معتمدة أساسًا على التجارة، ساعية إلى الاحتفاظ بكيانها، سواء في مواجهة قوى برية كبرى محيطة بها، الدولة العثمانية في الشمال والغرب ، وفارس في الشرق وقوى بحرية كبرى متواجدة في الخليج: هولندا ثم بريطانيا وفرنسا، كان عليها أن تتبع سياسة من التوازن الدقيق تؤدي إلى الحفاظ عليها؛

ويمكن القول أن متابعة هذه السياسة قد تفسر كثيرا من جوانب العلاقات الكويتية مع بريطانيا أو الدولة العثمانية[١١٦].

التعليم في الكويت :

كانت الإدارة المسئولة عن التعليم في الكويت منذ بدء حركة التعليم الحديث في الكويت هي ما عرف باسم « مجلس المعارف » الذي يمثل السلطة العليا في شئون المعارف في الكويت ، وهو المسئول الأول عن توجيه سياسة المعارف والإشراف عليها ومراقبتها ، وتقرير ميزانيتها، وفتح المدارس الجديدة، وأيضا البعثات العلمية إلى مختلف البلدان الخارجية[١١٧].

ويتولى إدارة المعارف مديران هما :

١ - مدير الشئون الإدارية والمالية وهو المسئول عن تصريف الأمور المخصصة للمعارف ، وعن تزويد المدارس بما تحتاج إليه من معدات ولوازم وأثاث وكتب مدرسية وقرطاسية ، وعن بناء المدارس، وغذاء الطلبة وكسائهم ، والإشراف على الحسابات والمخازن والنقليات وتأمين المساكن للمعلمين والمعلمات ، ويعاون مدير الشئون الإدارية والمالية معاونان هما : المعاون الإداري، والمراقب المالي.

٢ - مدير الشئون الفنية وهو مسئول عن جميع المسائل الفنية في المعارف ، وخاصة الأنظمة والمشروعات ، ووضع مناهج الدراسة ، والإشراف على التفتيش الفني ، وإعداد المعلم والمعلمات للمدارس، ومراقبة البعثات التعليمية، وتقرير الكتب، والمكتبات العامة، والمختبرات ، وتنظيم الامتحانات العامة.

ويساعد المدير الفني « مدير المعارف المساعد » وظائفة من الموظفين مثل: المفتشون ، وسكرتير مجلس المعارف، وسكرتير المدير، وأمين مكتب الإدارة المركزية، وأمين المكتبة العامة، ومراقب الامتحانات ومراقب الإحصاء ، ومراقب السينما ، ومراقب البعثات.

وبالنسبة للمفتشين فعددهم عشرة يختص كل منهم بأمر من الأمور التالية: مفتشة لمدارس البنات، ومفتشان لكل من مواد : الدين، واللغة العربية ، واللغة الإنجليزية ، والرياضة، والعلوم والاجتماعيات (التاريخ والجغرافيا)، والتربية الفنية، والتربية المنزلية، والكشافة.

وأما عن البعثات ، فإن مراقب البعثات هو المشرف على جميع شئون البعثات لإمارة الكويت، ويتبعه منزل بعثات الطلبة العرب الذين يدرسون بالكويت، وبعثات الخارج، وتشمل بعثات الخارج كل من : مكتب القاهرة، ومكتب لندن، وبعثات بيروت، وبعثات العراق، والبعثات إلى الولايات المتحدة الأمريكية[١١٨].

ومناقشة هذه البيانات عن المعارف في إمارة الكويت قبيل الاستقلال ، يتضح ما يلي:

- أن الإشراف على شئون التعليم في جميع المدارس يدخل أيضا في اختصاصات المدير المسئول عن الشئون الفنية، وهذا يشير إلى الاهتمام بالكيف في العملية التعليمية، مع التوسع في إنشاء المدارس وإرسال البعثات خارج الكويت بحيث يعود المبتعثون للعمل في مدارس الكويت بمراحلها المختلفة وفي الإدارات المختلفة التي تتفق مع تخصصاتهم في بعثاتهم. وهذه سياسة حكيمة تعود بنا الذاكرة إلى خطوة الوالي محمد علي باشا في مصر حين أرسل البعوث العلمية إلى دول أوربا (فرنسا وإيطاليا وبريطانيا) للتزود بالخبرات الحديثة التي استفادت منها مصر في نهضتها الحديثة.

- ضمانًا لانتظام الطلاب في مدارسهم حرصت إدارة مجلس المعارف في إمارة الكويت على ترغيب الطلاب في النيل من المعارف في مدارس حديثة مجهزة بوسائل التعليم الحديثة، فقد كانت إدارة المعارف تتولى تغذية الطلاب وإكسائهم، فتزود كل طالب بثوب شتوي، وثوب صيفي، كما تقدم للطلاب كل يوم وجبتان من الطعام ، الأولى صباحية للإفطار مكونة من ساندويتش وعربي، والثانية للغداء ظهرا وتتكون من اللحم والخضر والأرز والفواكه.

- تهتم إدارة المعارف في إمارة الكويت بالإنشاءات المدرسية لجميع مراحل التعليم من مرحلة رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية، والمرحلة المتوسطة، والمرحلة الثانوية، بحيث تستوعب جميع التلاميذ كل في مرحلته . وتشاد المنشآت المدرسية بصورة هندسية جيدة تراعى صحة التلاميذ وأنواع الأنشطة اللازمة لتربيتهم سواء كانت أنشطة رياضية أو أنشطة فنية ، هذا إلى جانب الفصول الدراسية الصحية من حيث التهوية والإضاءة.

- يزداد اهتمام مجلس المعارف سنويا بالبعثات العلمية إلى الخارج، على نفقة الحكومة ، فقد كان عدد المبعوثين إلى الخارج مثلا عام ١٩٥٤- ١٩٥٥ م ١١٩ مبعوثاً ، زاد العدد في العام التالي ١٩٥٥-١٩٥٦م إلى ١٢٦ مبعوثًا، منهم ٨٩ مبعوثًا ، يدرسون في الجامعات ،

و٧ يدرسون الفنون العسكرية، وأما بلاد الإبعاث فهي: ٨١ مبعوثًا إلى مصر وإلى بريطانيا ٢٦ مبعوثًا وإلى الولايات المتحدة الأمريكية ٦ مبعوثين ، ومثلهم في العراق، ومبعوثين في بيروت[١٤].

ويتضح من هذه الإحصائية عن عدد المبعوثين اهتمام إمارة الكويت بالبعثات إلى مصر في المقام الأول ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على التوجه القومي العربي لدى إمارة الكويت، وقد تخصص المبتعثون الكويتيون إلى مصر في كليات التجارة، والحقوق، والهندسة ، والطب، وغيرها من الكليات إلى جانب كلية البوليس (الشرطة) والكلية الحربية وكلية الطيران، فضلا عن دورات تدريبية لخريجي الكلية الحربية من الكويتيين في سلاح المدرعات بالجيش المصري (الفرسان).

- تمتاز المباني المدرسية التي أقامتها إمارة الكويت بأنها أنشئت على أحدث طراز، مزودة بكل الأجهزة والوسائل المادية التي تحتاج إليها الحياة المدرسية. ولم تبخل الحكومة الكويتية بما يلزم من نفقات فعلى سبيل المثال خصصت إمارة الكويت لإنشاء المدرسة الثانوية أراضي واسعة على ساحل خليج الكويت، تبلغ مساحتها ٥٣٥ فدانًا ، واعتمدت لإنشاء مبانيها في العام الدراسي ١٩٥٥- ١٩٥٦م ، خمسة ملايين جنيه، وهي تشمل إلى جانب الفصول الدراسية ثلاثة مختبرات ومتحف ومدرج وقاعة رسم، ومسرح ، وقاعة عرض الأفلام السينمائية تتسع لألف شخص ، هذا إلى جانب مباني الأقسام الداخلية للطلاب مع مسكن لبعض المعلمين: بيوت خاصة بالمتزوجين منهم، ومساكن خاصة بالمعلمين غير المتزوجين، ومكتبة ، ونادي للطلبة، ونادي للعائلات ، ومستشفى وصيدلية ، واستاد رياضي، وحمام سباحة وملاعب رياضية مختلفة، ومنازل للفراشين ومغسل ومخازن[١٥].

- واتساقًا مع النظرة الشمولية للتعليم في الكويت، فقد اهتمت إمارة الكويت بتشجيع حركة إنشاء النوادي الثقافية والرياضية والاجتماعية ، فأنشأت مطبعة حديثة ، تنشر من خلالها الجريدة الرسمية المسماة الكويت اليوم كما تنشر الكتب والمطبوعات الحكومية ، وظهرت عدة نوادي مثل: النادي الثقافي، ونادي العروبة، ونادي الجزيرة ، ونادي الاتحاد الرياضي، ونادي المعلمين، ونادي الخريجين ، والنادي الشرقي، ونادي السلام.

إن نظرة إلى هذه النوادي التي أنشئت في إمارة الكويت في هذا الوقت المبكر من تاريخها وقبل إعلان استقلالها ، تشير إلى الزخم الثقافي الذي يتوفر في الكويت، وإلى اهتمام أبناء

الشعب الكويتي بالثقافة والرياضة ، لتصبح الكويت منارة للثقافة العربية الإسلامية في منطقة الخليج العربي. إن هذا العدد الكبير من الأندية الثقافية والاجتماعية والرياضية في إمارة الكويت- على صغر مساحتها وصغر عدد سكانها- يدل دلالة واضحة على الاهتمام الكبير ببناء الشخصية الواعية المنتمية للوطن وللإسلام وللعروبة معًا.

- فتحت إمارة الكويت مدارسها لأبناء البلاد العربية لينهلوا العلم مع إخوانهم التلاميذ الكويتيين، حيث يتبين من الإحصائيات الأخيرة لعدد تلاميذ المدارس الكويتية (العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦م) أن عدد التلاميذ من أبناء الكويت يمثلون ٧٨٪ بينما بقية النسبة (٢٢٪) فكانت لتلاميذ غير كويتيين كان منهم ١٣٦٩ تلميذًا من أبناء فلسطين والأردن، ١١٢٢ تلميذا عراقيا و٧٣٤ تلميذاً من أبناء مشيخات الخليج العربي الأخرى، و٣١٨ من أبناء المصريين العاملين في الكويت، و٢٦٥ تلميذاً لبنانيًا ، و١٧٢ تلميذاً سوريا ، و١٧٩ تلميذا من أبناء المملكة العربية السعودية ، و١١٧ من أبناء اليمن، إلى جانب ١٧٢ تلميذا إيرانيا[١٦] فضلا عن ١٠ تلاميذ من الجزائر و٦ تلاميذ من مراكش، و٤ تلاميذ من تونس.

- تمثل الاهتمام المتزايد للحكومة الكويتية بالتعليم بافتتاح المدارس وإرسال البعثات إلى الخارج- كما رأينا- إلى جانب الاستفادة من المعلمين من خارج الكويت للقيام بالمسئولية التعليمية لأبناء الكويت حتى يعود المبعوثون من الخارج، فقد أظهرت الإحصائيات التعليمية في العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦ أن عدد المعلمين من أبناء الكويت في هذا العام ١٠٠ معلم و١٨ معلمة، من بين ٧٣٩معلم و٣٨٤ معلمة، أي أن نسبة المعلمين الكويتيين إلى المجموع تقل عن ١٤٪ وأما نسبة المعلمات الكويتيات إلى المجموع فتقل عن ٥٪ .

وهنا يتبين إلى أن ٨٦٪ من المعلمين ، و٩٥٪ من المعلمات غير كويتيين ، أكثرهم عددا من فلسطين والأردن : ٣-٦ بينهم ٢٤٥ معلمة، ويليهم في الكثرة المعلمون المصريون إذ يبلغ عددهم ٢٩١ بينهم ٩٣ معلمة، ويأتي بعد ذلك المعلمون السوريون وعددهم ٣١، والمعلمون العراقيون وعددهم ٢٥ بينهم ٣ معلمات، والمعلمون اللبنانيون وعددهم ٢٤ بينهم ٧ معلمات[١٧].

- اهتمت إمارة الكويت- استكمالا للاهتمام بالعملية التعليمية- بالنشاط الرياضي فانشأت ٣ صالات للتدريب الرياضي، وحمامين للسباحة، و٧٦ ملعبًا: ١٤ لكرة القدم، و٢٨ ملعبا لكرة السلة، ٢٨ لكرة الطائرة ، و٦ ملاعب للتنس . كما تكونت في مدارس الكويت

فرق كشفية للتلاميذ من أعمار مختلفة : فالأشبال (ما بين ٨ و١٢ سنة) ٢١ فرقة تضم ٩٣٥ شبلاً ، والكشافة (ما بين ١٢ و١٦ سنة) ٢٠ فرقة تضم ٤٦٥ كشافًا ، والجوالة (ما فوق الـ ١٦ سنة) ٣ فرق تضم ٨١ جوالاً، كما تكونت فرقتان من الكشافة البحرية تضم ٦٥ كشافًا بحريًا ، فصار بذلك مجموع الفرق ٤٦ فرقة، ومجموع الكشافة ١٢٤٨ ، ويبلغ عدد مخيمات المدارس الأسبوعية ١٠٨ مخيمًا ، والرحلات الكشفية اليومية ٧٤ رحلة، ورحلات الأشبال ٨٢ رحلة والمجموع في العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦ م ٢٦٤ [١٨٩].

- كما وضعت إدارة المعارف بإمارة الكويت منذ البداية نصب أعينها الاهتمام بمشروع محو أمية غير المتعلمين، وكانوا كثيرين قبل نشأة التعليم الحديث، فأنشأت ٧ مراكز لتعليم الأميين خصصت لهم ٣٢ معلمًا ، وقد أقبل أبناء الكويت وغيرهم من الأميين على الالتحاق بتلك المراكز للحصول على التعليم الذي يؤهلهم للعيش في مجتمع ناهض ، وكان أكثر الملتحقين بمراكز محو الأمية من العمال والحراس.

- نظراً لوجود أعداد كبيرة من الأوربيين الذين يعملون في الكويت وخاصة من المهندسين العاملين في مجال البحث واستخراج وتكرير البترول، إلى جانب المهندسين في قطاعات الكهرباء والاتصالات والإنشاءات ، فقد اهتمت إدارة معارف الكويت بإنشاء مركز لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها لكي ينجحوا في أداء عملهم على الوجه الأكمل في مجتمع عربي مسلم، وكانت الدفعة الملتحقة بهذا المركز في العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦م ٢٥ مهندسا أوربيا من بريطانيا وفرنسا وغيرها [١٩٩].

- اهتمت إمارة الكويت بإنشاء مدارس كويتية خارج الإمارة، كان منها مدرسة في كراتشي عاصمة باكستان التي أنشئت عام ١٩٥٣م لتعليم أبناء العرب المقيمين في باكستان اللغة العربية، ومدرسة في بومبي بالهند أنشئت عام ١٩٥٢م تلبية لرغبة الجالية الكويتية بها، على أن تكون مفتوحة لأبناء العرب جميعا، وتسعى إدارة المعارف إلى جعل هاتين المدرستين مراكز ثقافية وتعليمية للصغار والكبار ، ومن ثم لا تبالغ إذا قلنا أن كل منها كان مدرسة ومسجد ومكتبة عامة ومركز ثقافي في وقت واحد[٢٠٠].

- جددت إدارة المعارف بالكويت اتصالها مع الوحدة الثقافية العربية التي أوجدتها جامعة الدول العربية خاصة في المادة ٩ من ميثاق الجامعة العربية الامتحانات التي تجريها المدارس

في الكويت والشهادات التي تمنح للطلاب الناجحين ، خلال السنوات الدراسية من ١٩٥٤ م إلى ١٩٥٦ م على النحو التالي :

١- شهادة إتمام الدراسة الابتدائية وكان عدد التلاميذ ٥٦٠ تلميذا ، وكان من بينهم ١٢٠ من البنات

٢- شهادة إتمام الدراسة الثانوية، القسم العام وكان عدد التلاميذ ١٢٨ تلميذا بينهم ٩ بنات ، كان منهم ٤١ ملتحقين بشعبة العلوم و٣٧ ملتحقين بشعبة الرياضيات و٧٥ ملتحقين بشعبة الآداب .

٣- شهادة إتمام الدراسة المسائية التجارية، وكان عدد التلاميذ ٨٨ تلميذاً ، درس ٣٣ منهم المحاسبة و ٤٠ تلميذا درس الطباعة العربية، ٧٠ تلاميذ لدراسة الطباعة الإنجليزية و١٦ تلميذا لدراسة اللغة الإنجليزية.

٤- شهادة ثانوية المعهد الديني، وعدد التلاميذ ٣٢ تلميذاً .

٥- شهادة ابتدائية المعهد الديني، وعدد التلاميذ ٤١ تلميذاً .

- التعليم للحياة كان مبدأ إدارة معارف الكويت في هذا الوقت المبكر من نشأة إمارة الكويت، فقد اهتمت دائرة الشئون الاجتماعية بالتنسيق مع مجلس المعارف بتوظيف طلاب المدارس أثناء العطلة الصيفية . فقامت بتوظيف ٣٨٦ طالبًا بالدوائر الحكومية، على أن ينتهي استخدامهم عند بدء العام الدراسي، والفكرة من توظيف الطلبة أثناء العطلة تستهدف شغل أوقات فراغهم أثناء العطلة، وتيسير الفرصة لهم لمواجهة الحياة العملية، وتدريبهم على العمل في الإدارة الحكومية تدريبا يؤهلهم في المستقبل لشغل الوظائف وتحمل المسئولية[٢٠١].

- جاءت إحصائية العام الدراسي بالكويت ١٩٥٦- ١٩٥٧م لتبين الطفرة الكبيرة في مخرجات التعليم الناهض بإمارة الكويت، حيث بلغ مجموع عدد المدارس ٦٥ مدرسة منها ٣١ مدرسة خاصة بالبنين ، و٢٦ مدرسة خاصة بالبنات ، و٤ مدارس مختلطة ، و٤ مدارس خارج إمارة الكويت، ومن المدارس الخاصة بالبنين ٩ مدارس ابتدائية ، و١٣ مدرسة ابتدائية ومتوسطة ، ومدرسة واحدة متوسطة، ومدرسة واحدة ثانوية ، ومدرسة واحدة مهنية ، وكان عدد المعلمين والمعلمات ١٤٢٥ منهم ٨٨٢ معلمٌ وعدد المعلمات ٥٤٣ وعدد التلاميذ ٢٤٥٢٤، عدد البنين بينهم ١٥٩٤٦ ، وعدد البنات ٨٥٧٨ [٢٠٢]

وفيما يلي قراءة لإحصائيات التعليم في إمارة الكويت من العام الدراسي ١٩٤٢-١٩٤٣م حتى العام الدراسي ١٩٥٦- ١٩٥٧ م تتبين الأرقام الطفرات التي حدثت بالتعليم في إمارة الكويت قبل إعلان الاستقلال عام ١٩٦١م، تلك الطفرات التي انطلقت بعد الاستقلال انطلاقة كبيرة وواسعة، نتيجة إدارة الإمارة ثم الدولة لمرافق التعليم الحديث في الكويت.

(١) إحصائية إجمالية عن التعليم بإدارة الكويت خلال الأعوام الدراسية من ١٩٤٢-١٩٥٣م حتى العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦م، عن المدارس وعدد المعلمين ٢٤ مدرسة خاصة بالذكور صارت في العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦م ٢٨ مدرسة ، بينما كان عدد مدارس الإناث ١٥ مدرسة عام ١٩٥٢-١٩٥٣م صارت ٢٤ مدرسة في العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦م + ٤ مدارس متوسطة . بينما كان عدد المعلمين في العام الدراسي ١٩٥٢-١٩٥٣ ٣٩٤ معلما و ١٧٠ معلمة، أصبح العدد في العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦م ٧٢٤ معلما و٣٩٢ معلمة . وبالنسبة للتلاميذ كان عددهم في العام الدراسي ١٩٥٢-١٩٥٣ ، ٧١٨٨ تلميذا و ٣٥٥٠ تلميذة ، صار العدد في العام الدراسي ١٩٥٥- ١٩٥٦م : ١٣٥٢٦ تلميذا و ٦٧٧٦ تلميذة [٢٣].

(٢) إحصائية عن خطة الدراسة لمرحلة رياض الأطفال في العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦م وفيها يتضح اهتمام إمارة الكويت بهذه المرحلة المبكرة من عمر الأطفال، بما يشير إلى الفكر التربوي الناضج لدى المسئولين بالكويت، فقراءة الخطة توضح إلى الاهتمام بالموسيقى والأناشيد، والرسم والأشغال اليدوية، والنشاط الرياضي، ومشاهد الطبيعة ، وقرآن كريم وتهذيب ولغة عربية، وحساب ، خلال سنتين من الدراسة للأطفال قبل سن السادسة التي يلتحقون فيها بالمدرسة الابتدائية[٢٤].

(٣) إحصائية عن خطة الدراسة المقررة للمرحلة الابتدائية ، ومدة الدراسة فيها أربع سنوات تركز على القرآن الكريم واللغة العربية إلى جانب الأناشيد والحساب والتاريخ والجغرافيا ، ومشاهد الطبيعة ومبادئ العلوم، والرسم والأشغال ، والتربية البدنية[٢٥].

(٤) إحصائية عن خطة الدراسة المقررة للمرحلة المتوسطة في العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦م، ومدة الدراسة بهذه المرحلة أربع سنوات يتم التركيز فيها على القرآن الكريم والدين، واللغة العربية ، واللغة الإنجليزية والتاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية والرياضيات

والعلوم العامة والصحة ورعاية الطفل والرسم والأشغال العملية والتربية البدنية. وفي هذه الفترة يتضح إضافة مادة اللغة الإنجليزية والصحة والرياضيات، والتربية الوطنية بما يشتمل مع مرحلة نمو التلميذ في هذه المرحلة نموا جسمانيا وعقليا ووجدانيا [٢٦].

(٥) إحصائية خطة الدراسة المقررة للمرحلة الثانوية في العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦م ومدة الدراسة بهذه المرحلة أربع سنوات ، بالقسمين الأدبي والعلمي، حيث تكون الدراسة بالسنتين الأولى والثانية دراسة عامة لطلاب القسمين ، ثم ينقسم الطلاب إلى قسم أدبي وقسم علمي لكل منهما مواد متخصصة إلى جانب مواد موحدة والمواد الموحدة هي: القرآن الكريم والدين واللغة العربية واللغة الإنجليزية وأما اللغة الفرنسية والتاريخ والجغرافيا ومبادئ علم الاجتماع والفلسفة متخصص لتلاميذ القسم الأدبي، مع تخصيص مواد الطبيعة والكيمياء وعلم الأحياء، والرياضيات لطلاب القسم العلمي ويشترك الطلاب في القسمين في دراسة مواد التربية البدنية والهوايات والدراسات الإضافية[٢٧].

(٦) إحصائية عن رياض الأطفال والمدارس الابتدائية ، عدد المدارس وعدد الفصول في العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦م وفيها يتضح أن عدد فصول الروضة في المدينة ١٧٧ فصلا وفي القرى ٩٣ فصلا بالنسبة لمدارس البنين، و١٢٢ فصلا في المدينة وفي القرى ٣٦ فصلا بالنسبة لمدارس البنات، رياض الأطفال.

وبالنسبة للمدارس الابتدائية كان عدد مدارس المدينة ٨٩ فصلا، وفي القرى ٣٣ فصلا في مدارس البنين، وعدد مدارس المدينة ٤٩ فصلا، وفي مدارس القرى ١٠ فصول في مدارس البنات وبذلك يكون مجموع مدارس المدينة ٣٩٩ فصلاً وفي القرى ٢١ فصلا بالنسبة لرياض الأطفال بينما بلغ عدد فصول مدارس المدينة في المرحلة الابتدائية ١١٤ فصلا و٤٣ فصلا بمدارس القرى، وهذا يدل على اهتمام أهل المدينة بتعليم أولادهم بنين وبنات أكثر من اهتمام أهل القرى والبادية ، وهو أمر طبيعي نتيجة طبيعة المجتمع القروي والبدوي المحافظة[٢٨].

(٧) إحصائية بعدد تلاميذ مدارس المدينة البنين ٢٤٤٩ تلميذا ، و٢٨٣ تلميذا في مدارس القرى، وكان عدد تلاميذ مدارس البنات في المدينة ١٠٩٠ تلميذة وفي مدارس القرى ١١٧ تلميذة[٢٩].

(٨) رسم بياني عن مجموع تلاميذ المدارس في الكويت منذ عام ١٩٤٦ - ١٩٤٧م، حتى العام الدراسي - ١٩٥٥-١٩٥٦م وفيها يتضح تطور التعليم تطوراً كبيراً خلال تلك الفترة، سواء بالنسبة للبنين والبنات [٣٠].

(٩) إحصائية بميزانية المعارف منذ عام ١٩٤٢- ١٩٤٣م ، وتطور الميزانية مع اهتمام إمارة الكويت بالتعليم خلال تلك السنوات، ومن هذه الإحصائية يتضح أن ميزانية المعارف في العام الدراسي ١٩٤٢- ١٩٤٣م بلغت ٤٩٥,٠٥٤ روبية ، بينما صارت ميزانية المعارف في العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦م ٩١,٢١٢,٩٦٣ روبية، تصاصيلها للصرف على رواتب ونفقات الأعمال الإنشائية واللوازم المدرسية والمطبوعات والقرطاسية ، وملابس التلاميذ والتلميذات والمستخدمين ، وتغذية الطلاب والطالبات، وإصلاح وترميم وصيانة، والبعثات العلمية الكويتية في الخارج ، وبدل سفر الموظفين وعائلاتهم وأثاث ومفروشات ونقليات وإيجارات وأبواب أخرى[٣١].

(١٠) رسم بياني عن ميزانية التعليم منذ العام الدراسي ١٩٤٦-١٩٤٧م إلى العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦م يتضح من هذا الرسم أن بداية الميزانية كانت متواضعة وأنها تتزايد عاما بعد آخر، حيث أن البداية كانت أقل من عشرة ملايين روبية ووصلت في العام الدراسي الذي صدرت في الميزانية (١٩٥٥-١٩٥٦م) إلى أكثر من ٩٠ مليون روبية، وهذا يشير إلى التطور الكبير في العملية التعليمية سواء في عدد المدارس أو عند الفصول أو عدد التلاميذ بنين وبنات وفي مدارس المدينة ومدارس القرى وفي الأنشطة المصاحبة للعملية التعليمية رياضية وفنية وثقافية [٣٢].

الهوامش

١- د. محمد مترلي : حوض الخليج العربي، ص١ ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص٣٨١-٣٨٣ .

٢- قدري قلعجي : النظام السياسي والاقتصادي في دولة الكويت، بيروت ١٩٧٥م، ص٩ .

٣- قدري قلعجي : أضواء على تاريخ الكويت، بيروت ، ١٩٧١، ص٣٩ .

٤- قدري قلعجي : المرجع السابق، ص٤٠ .

٥- د. رأفت عنصي الشيخ : العرب ، دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ١٩٨٢ م، ص١٤٢ .

٦- كاظم جواد السعدي: الكويت بلد العرب، الكويت، ص٥٣ .

٧- تم التوقيع على اتفاقية بين بريطانيا العظمى والدولة العثمانية في ٢٩ مايو ١٩١٣م حددت مناطق نفوذ كل من بريطانيا والدولة العثمانية في أقطار الخليج العربية، إذ نصت الاتفاقية على عدة أمور هي:

١- إعلان عام تمهيدي لمشروع الاتفاقية.

٢- مشروع اتفاق يتعلق بخط حديدي في آسيا الصغرى، ويتكون من ١٢ مادة.

٣- مشروع اتفاق يتعلق بالخليج «الفارسي» وهو يتعلق بكل من الكويت وقطر والبحرين وأمور الخليج.

٤- مشروع اتفاق يتعلق بتشكيل لجنة من أجل تحسين الملاحة في شط العرب وهو يحتوى على ٢١ مادة ولم ينفذ.

- كما احتوى مشروع الاتفاقية على أربعة ملاحق تتعلق باتفاقات بريطانية كويتية لأعوام ١٨٩٩م، ١٩٠٠م، ١٩٠٤ ، ورسالة السير إدوارد جراي Edward Grey وزير الخارجية البريطانية إلى توفيق باشا رئيس وزراء الدولة العثمانية في ٢٤ أكتوبر ١٩١٣م.

-F.O., 424 , Confidential (110376) No. 238 , Further Correspondence Respecting the Affairs of Asiatic Turkey and Arabia. 1911-1913 .

٨- قدري قلعجي: النظام السياسي والاقتصادي في دولة الكويت، المرجع السابق، ص١٥-١٦ .

٩- قدري قلعجي : المرجع السابق، ص٣١-٣٣ .

١٠- د. رأفت الشيخ : العرب في التاريخ المعاصر، القاهرة ، ٨٠-٤٠ ، ص٢٢٦-٢٦٧ .

١١- مؤسسة الكويت للتقدم العلمي الكويت وجوداً وصدوداً ، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين

شمس ، يناير ١٩٩١م، ص٤٢-٤٥ .

١٢- جامعة الدول العربية، الإدارة الثقافية: حولية الثقافة العربية الخامسة عن الأعوام الدراسية الثلاثة: ١٩٥٣م - ١٩٥٤م، ١٩٥٤-١٩٥٥م، ١٩٥٥-١٩٥٦ ، القاهرة ١٩٥٧م، ص٦٩٦ .

١٣- المرجع نفسه، ص٦٩٧ .

١٤- المرجع السابق، ص٧٠٦-٧٠٧ .

١٥- المرجع السابق، ص٧١٤-٧١٥ .

١٦- المرجع السابق، ص٧١١-٧١٢ .

١٧- المرجع السابق، ص٧١٤ .

١٨- نفسه، ص٧١٣ .

١٩- نفسه، ص٧١٣ .

٢٠- نفسه، ص٧٠٧ .

٢١- نفسه، ص٧١١ .

٢٢- نفسه، ص٨٩٢ .

٢٣- حولية الثقافة العربية، المرجع السابق، ص٧٠٠ ، انظر ملحق رقم (١) .

٢٤- حولية الثقافة العربية، المرجع السابق، ص٧٠٠ ، انظر ملحق رقم (٢) .

٢٥-حولية الثقافة العربية، المرجع السابق، ص٧٠٠ ، انظر ملحق رقم (٣) .

٢٦- حولية الثقافة العربية، المرجع السابق، ص٧٠٠ ، انظر ملحق رقم (٤) .

٢٧- حولية الثقافة العربية، المرجع السابق، ص٧٠٠ ، انظر ملحق رقم (٥) .

٢٨-حولية الثقافة العربية، المرجع السابق، ص٧٠٠ ، انظر ملحق رقم (٦) .

٢٩-حولية الثقافة العربية، المرجع السابق، ص٧٠٠ ، انظر ملحق رقم (٧) .

٣٠-حولية الثقافة العربية، المرجع السابق، ص٧٠٠ ، انظر ملحق رقم (٨) .

٣١-حولية الثقافة العربية، المرجع السابق، ص٧٠٠ ، انظر ملحق رقم (٩) .

٣٢-حولية الثقافة العربية، المرجع السابق، ص٧٠٠ ، انظر ملحق رقم (١٠) .

المصادر

أولا : الوثائق البريطانية :

- Foreign Office (F.O) 424 , confidential (11037G) further correspondence respecting the affairs of Asiatic Turkey and Arabia.

ثانيا : الوثائق العربية:

- جامعة الدول العربية ، الإدارة الثقافية، حولية الثقافة العربية ، الخامسة، عن الأعوام الدراسية الثلاثة ١٩٥٣- ١٩٥٤م ، ١٩٥٤-١٩٥٥م، ١٩٥٥-١٩٥٦، أبو خلدون ساطع الحصري، القرارات والإحصاءات الرسمية.

ثالثا . المؤلفات :

(١) د. محمد مثولي : خوض الخليج العربي، ٣ أجزاء، القاهرة ، ١٩٧٥م.

(٢) قدري قلعجي : النظام السياسي والاقتصادي في دولة الكويت، بيروت ، ١٩٧٥م.

(٣) قدري قلعجي : أضواء على تاريخ الكويت، بيروت، ١٩٧١م.

(٤) د.رأفت غنيمي الشيخ: العرب، دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، ١٩٨٢م.

(٥) د. رأفت غنيمي الشيخ : العرب في التاريخ المعاصر، القاهرة ٢٠٠٨م.

(٦) كاظم جواد السعدي: الكويت بلد العرب، الكويت.

(٧) مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ومركز بحوث الشرق الأوسط جامعة عين شمس الكويت، وجوداً وحدوداً ، يناير ١٩٩١م.

قائمة الملاحق

(١) الملحق الأول: إحصائية إجمالية عن التعليم في إدارة الكويت في العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦ .

(٢) الملحق الثاني : إحصائية عن خطة الدراسة لمرحلة رياض الأطفال في العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦م.

(٣) الملحق الثالث: إحصائية عن خطة الدراسة الابتدائية في العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦م.

(٤) الملحق الرابع : إحصائية عن خطة الدراسة للمرحلة المتوسطة في العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦م.

(٥) الملحق الخامس : إحصائية عن خطة الدراسة للمرحلة الثانوية في العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦م.

(٦) الملحق السادس : إحصائية عن رياض الأطفال والمدارس الابتدائية في العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦ .

(٧) الملحق السابع : إحصائية عن عدد تلاميذ مرحلة رياض الأطفال والمدارس الابتدائية في العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦ م.

(٨) الملحق الثامن : رسم بياني عن مجموع تلاميذ المدارس في الكويت منذ العام ١٩٤٦-١٩٤٧م.

(٩) الملحق العاشر: إحصائية بميزانية المعارف من عام ١٩٤٣-١٩٤٣م.

(١٠) الملحق العاشر : رسم بياني عن ميزانية التعليم منذ العام الدراسي ١٩٤٦-١٩٤٧ إلى العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦م.

(١١) الملحق الحادي عشر: إحصائية تجدون بين تطور عدد التلاميذ وعدد المعلمين والمعلمات خلال العامين الدراسيين ١٩٥٥-١٩٥٦ ، ١٩٥٦-١٩٥٧ م يظهر منه زن عدد المعلمين والمعلمات زاد خلال سنة واحد (٣٠٩) وأما عدد التلاميذ فقد زاد (٤٢٢٢) .

ملحق رقم (١)

إحصاء إجمالي (١٩٥٢-١٩٥٦)

السنة الدراسية	١٩٥٢	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥
الخاصة بالذكور	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦
عدد المدارس	٢٤	٣٤	٢٨	٢٨
الخاصة بالإناث	١٥	١٦	٢١	٢٤
المجموع	٣٩	٤٠	٤٩	٥٢+٤محتلطة
عدد المعلمين	٣٩٤	٥٠٠	٦٣٠	٧٢٤
عدد المعلمات	١٧٠	٢٢٢	٢٩١	٣٩٢
المجموع	١٧٠	٢٢٢	٢٩١	٣٧٤
الفرق بين السنتين	(١٥٧)	(٢٠٠)	(١٩٥)	
النسبة المئوية للزيادة	٪٢٧,٨	٪٢٧,٧	٪٢١,١	
الذكور	٧١٨٨	٨٤٤٢	١٠١٠٠	١٣٥٢٦
عدد التلاميذ				
الإناث	٣٥٥٠	٤١٨٢	٥٣٠٠	٦٧٧٦
الفرق بين السنتين	(٢٠٨٦)	(٢٤٧٦)	(٥٠٢٢)	
النسبة المئوية للزيادة	٪١٩,٤	٪١٩,٣	٪٣٠,٦	

ملحق رقم (٢)

خطة الدراسة مرحلة رياض الأطفال

مواد الدراسة	السنة الأولى	السنة الثانية
موسيقى وأناشيد	٢	٢
رسم وأشغال	٤	٦
نشاط رياضي	٣	٣
مشاهد طبيعية	٣	٢
قرآن كريم وتهذيب	٤	٣
لغة عربية	٩	١١
حساب	٦	٦
المجموع	٣٠	٣٣

ملحق رقم (٣)

خطة الدراسة المقررة للمرحلة الابتدائية

مواد الدراسة	السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة
القرآن الكريم	٣	٣		٣
لغة عربية	١١	١١		١٢
الأناشيد	٢	٢		٢
الحساب	٦	٩		٦
التاريخ	٠	٠		٠
الجغرافيا	٠	٠		٠
مشاهد الطبيعة ومبادئ العلوم	٣	٣		٣
الرسم والأشغال	٦	٦		٦
التربية البدنية	٣	٣		٣
المجموع	٣٤	٣٤		٣٥

ملحق رقم (٤)

خطة الدراسة المقررة للمرحلة المتوسطة

مواد الدراسة	السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة
القرآن الكريم	٣	٣	٣	٣
لغة عربية	٩	٩	٩	٩
اللغة الإنجليزية	٨	٨	٨	٨
التاريخ	١	١	١	١
الجغرافيا	١	١	١	١
الرياضة	-	-	-	-
التربية الوطنية	٦	٦	٦	٦
العلوم العامة	٢	٢	٢	٢
الصحة (ورعاية الطفل)	١	١	١	١
الرسم	٢	٢	٢	٢
الأشغال الملية	٢	٢	٢	٢
التربية المدنية	١	١	١	١
المجموع	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦

ملحق رقم (٥)

خطة الدراسة المقررة للمرحلة الثانوية

مواد الدراسة	السنة الأولى	السنة الثانية	السنتان الثالثة والرابعة	
			القسم الأدبي	القسم العلمي
القرآن الكريم	٢	٢	٢	٢
لغة عربية	٨	٨	٨	٨
اللغة الإنجليزية	٨	٨	٨	٨
اللغة الفرنسية	-	-	-	-
التاريخ	٣	٣	٣	٣
الجغرافيا	٢	٣	٢	٢
المجتمع	١	١	١	١
مبادئ علم الاجتماع	-	-	-	-
مبادئ الفلسفة	-	-	-	-
الطبيعة	-	-	-	-
الكيمياء	-	-	-	-
العلوم العامة	٤	٤	٤	٤
علم الأحياء	-	-	-	-
الرياضة (وتشمل الميكانيا)	٥	٥	٥	٥
الرسم	١	١	١	١
الأشغال	٢	٢	٢	٢
التربية المدنية	١	١	١	١
النهايات	-		-	-
الدراسات الإضافية	-		-	-
المجموع	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦

ملحق رقم (٦)

رياض الأطفال والمدارس الابتدائية (١٩٥٥-١٩٥٦)

	مدارس البنين فى			مدارس البنات فى			مجموع المدارس فى		
	المدينة	القرى	المجموع	المدينة	القرى	المجموع	المدينة	القرى	المجموع
عدد المدارس									
عدد الفصول فى:									
الروضة (١)	٧٠	٢٨	٩٨	٥٦	١٨	٧٤	١٢٦	٤٦	١٧٢
الروضة (٢)	٦٠	١٨	٧٨	٣٤	١١	٤٥	٩٤	٢٩	١٢٣
الروضة (٣)	٤٧	١٤	٦١	٣٢	٧	٣٩	٧٩	٢١	١٠٠
المجموع	١٧٧	٦٠	١٣٧	١٢٢	٣٦	١٥٨	٢٩٩	٩٦	٣٩٥
عدد الفصول فى:									
الابتدائى (١)	٣٤	١٢	٤٦	٢٠	٥	٢٥	٥٤	١٧	٧١
الابتدائى (٢)	٣٦	١	٣٦	١٤	٤	١٨	٣٠	١٤	٥٤
الابتدائى (٣)	١٧	٦	٢٣	١٠	١	١١	١٨	٧	٣٤
الابتدائى (٤)	١٢	٥	١٧	٥	.	٥	١٢	٥	٢٢
المجموع	٨٩	٣٣	١٢٢	٤٩	١٠	٥٩	١١٤	٤٣	١٨١
المجموع العام	٢٦٦	٩٣	٣٥٩	١٧١	٤٦	٢١٧	٤١٣	١٣٩	٥٧٦

ملحق رقم (٧)

عدد تلاميذ الأطفال والمدارس الابتدائية (١٩٥٥-١٩٥٦)

	مدارس البنين فى			مدارس البنات فى			مجموع المدارس فى		
	المدينة	القرى	المجموع	المدينة	القرى	المجموع	المدينة	القرى	المجموع
الروضة									
السنة الأولى	٢٤١٨	٩١٣	٣٣٣١	٢٠٥٠	٥٥٦	٢٦٠٦	٤٤٦٨	١٤٦٩	٥٩٣٧
السنة الثانية	١٩٢٣	٥٣١	٢٤٥٤	١٠٣٤	٢٦٨	١٣٠٢	٢٩٥٧	٧٩٩	٣٧٥٦
السنة الثالثة	١٤٣٩	٣٧٧	١٨١٦	٩١٣	١٢٧	١٠٤٠	٢٣٥٢	٥٠٤	٢٨٥٦
المجموع	٥٧٨٠	١٨٢١	٧٦٠١	٣٩٩٧	٩٥١	٤٩٤٨	٩٧٧٧	٣٧٧٢	١٣٥٤٩
الابتدائى									
السنة الأولى	٩٩٢	١٨٨	١٢٨٠	٥١٨	٧٤	٥٩٢	١٥١٠	٣٦٢	١٨٧٢
السنة الثانية	٧١٨	١٧٤	٨٩٢	٣٢٣	٣٥	٣٥٨	١٠٤١	٢٠٩	١٢٥٠
السنة الثالثة	٤٣٨	٧٥	٥١٣	١٦١	٨	١٦٩	٥٩٩	٨٣	٦٨٢
السنة الرابعة	٣٠١	٤٦	٣٤٧	٨٨	..	٨٨	٣٨٩	٤٦	٤٣٥
المجموع	٣٤٤٩	٤٨٣	٣٠٣٣	١٠٩٠	١١٧	١٢٠٧	٣٥٣٩	٧٠٠	٤٢٣٩
المجموع العام	٩٢٢٩	٢٣٠٤	١٠٦٣٣	٥٠٨٧	١٠٦٨	٦١٥٥	١٣٣١٦	٣٤٧٢	١٦٧٨٨

ملحق رقم (٨)

رياض الأطفال والمدارس الابتدائية (١٩٥٥-١٩٥٦)

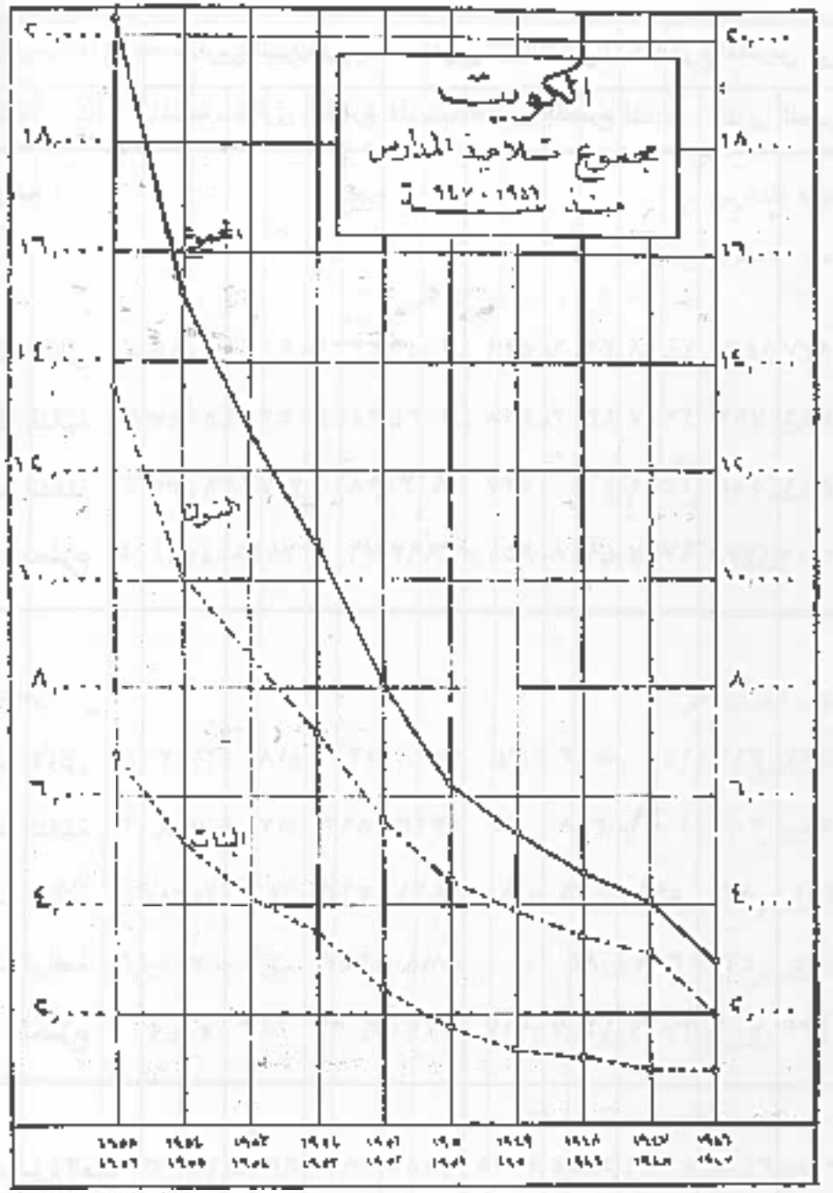

ملحق رقم (٩)

ميزانية المعارف (منذ سنة ١٩٤٦)

السنة	المبلغ المخصص للمعارف	
١٩٤٢ - ١٩٤٣	٤٩٥,٠٥٤	روبية
١٩٤٦ - ١٩٤٧	١,١١٧,٠٧٦	روبية
١٩٤٧ - ١٩٤٨	١,٩٠٤,٥٠٦	روبية
١٩٤٨ - ١٩٤٩	٣,٤٣٧,٣٨٥	روبية
١٩٤٩ - ١٩٥٠	٤,٧٧٠,٢٠٩	روبية
١٩٥٠ - ١٩٥١	٩,٤٦٢,٠٩٢	روبية
١٩٥١ - ١٩٥٢	٢٤,١٢٦,٣٨٩	روبية
١٩٥٢ - ١٩٥٣	٣٢,٠٠٠,٠٠٠	روبية
١٩٥٣ - ١٩٥٤	٣٧,٠٠٠,٠٠٠	روبية
١٩٥٤ - ١٩٥٥	٥١,٠٠٠,٠٠٠	روبية
١٩٥٥ - ١٩٥٦	٩١,٣١٢,٩٦٢	روبية

تفاصيل ميزانية ١٩٥٥ – ١٩٥٦

رواتب الهيئة التعليمية والموظفين	٢٣,٣٤٠,٨٦٨
نفقات الأعمال الإنشائية	٢٤,٣٤٥,٠٠٠
لوازم مدرسية ومطبوعات قرطاسية	١١,٥٦٦,٧٦٨
ملابس التلاميذ والتلميذات والمستخدمين	٣,٥٧٥,٠٠٠
تغذية الطلاب والطالبات	٣,٧٧٠,٠٠٠
إصلاح وترميم وصيانة	٢,٧٥٠,٠٠٠
البعثات العلمية الكويتية في الخارج	٢,٣١٠,٠٠٠
بدل سفر الموظفين وعائلاتهم	٢,٢٤٧,٣٠٠
أثاث ومفروشات	١,٥٤٥,٠٠٠
نقليات	١,١١٣,٨٠٠
إيجارات	٨٠٠,٠٠٠
أبواب أخرى	٤,٨٤٤,٩٠٠
المجموع	٩١,٢١٢,٩٦٣

ملحق رقم (١٠)

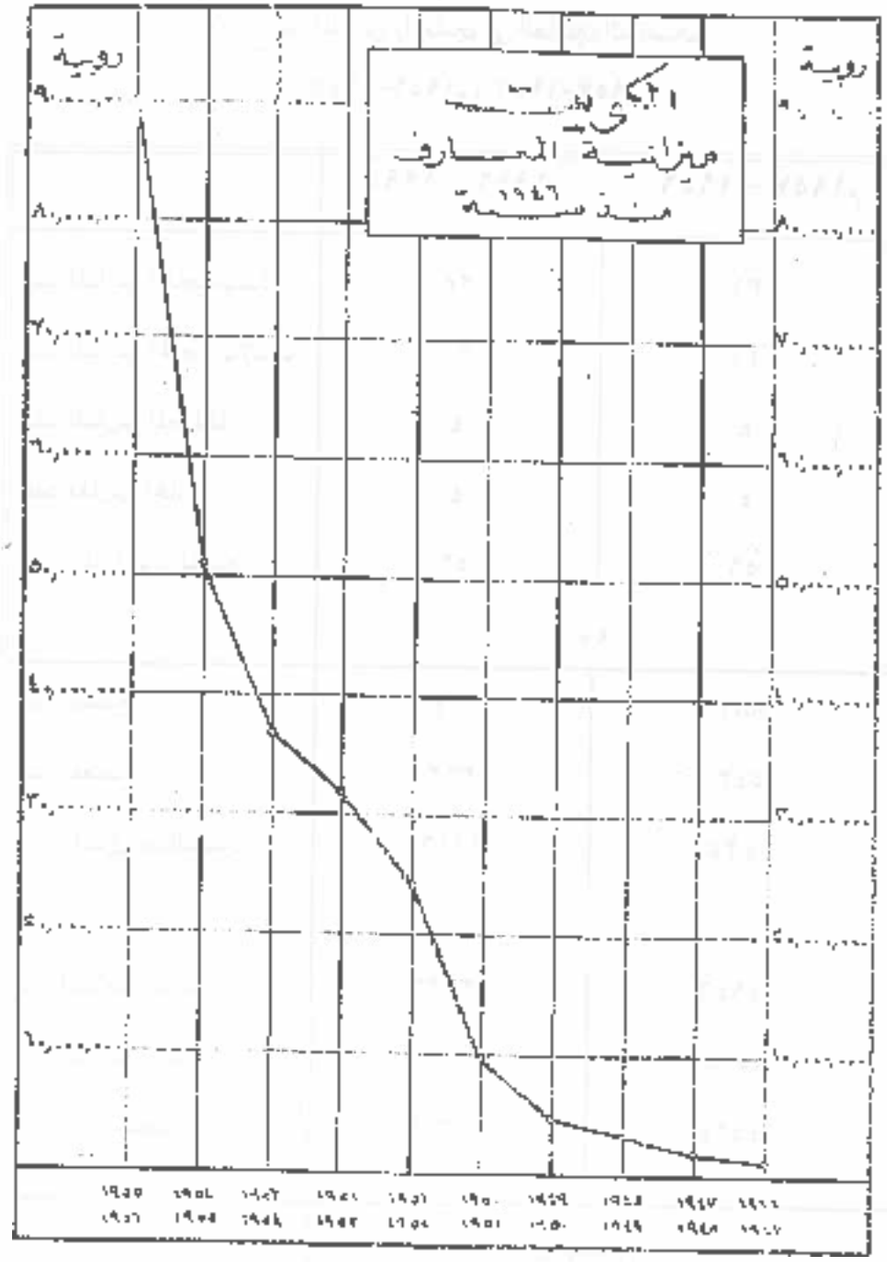

ملحق رقم (١١)

عدد المدارس والمعلمين فى العامين الدراسيين

١٩٥٥-١٩٥٦م و ١٩٥٦-١٩٥٧م

	١٩٩٥ - ١٩٥٦م	١٩٥٦ - ١٩٥٧م
عدد المدارس الخاصة بالذكور	٢٨	٣١
عدد المدارس الخاصة بالإناث	٢٠	٢٦
عدد المدارس المختلطة	٤	٤
عدد مدارس الخارج	٤	٤
الفرق بين السنتين	٥٦	٥٩
		+٩٠
عدد المعلمين	٧٢٤	٨٨٢
عدد المعلمات	٣٦٢	٥٤٣
الفرق بين السنتين	١١١٦	١٤٢٥
		+(٣٠٩)
عدد التلاميذ الذكور	١٣٥٢٦	١٥٩٤٦
عدد التلاميذ الإناث	٦٧٧٦	٨٥٧٨
المجموع	٢٠٣٠٢	٢٤٥٢٤
الفرق بين السنتين		(+ ٤٢٢٢)

رقم الإيداع ١٥٢١٨ / ٢٠٠٩

الترقيم الدولي I.S.B.N. 977 - 322 - 262 -2

مطبعة صخرة

تليفون وفاكس/ ٣٣٨٧١٦٩٣ - ٠١٠١٠٠٩٦٧٨